



شرح فتح البلاء

المقبط من جازي الآوار الغلاء الجلبي وقدره

المجلد الأول

المخطب

تصحيح
منهني حاجلي قري

استخراج وتنظيم
علي أنصاربان

وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي
الدائرة العامة للنشر والاعلام



وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

الدائرة العامة للنشر والإعلام

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الأول: الخطب (١)

استخراج وتنظيم: علي انصاريان

تصحيح: مرتضى حاجلي فرد

الطبعة الأولى: جمادى الثاني ١٤٠٨ هـ . ق.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس العناوین

١٨ — ٩

المقدمة

٤٣١ — ١٩

شرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام

٤٩٥ — ٤٣٣

فهرس الألفاظ الغربية المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

٤٩٧

رموز الكتاب

٥٢٢ — ٤٩٩

الفهرس التفصيلي لمواذ الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد

المقدمة

قبل أن نبدأ بالمقدمة يجب أن نسلّم نفوسنا إلى بيانات الامام أمير المؤمنين - عليه السلام - لإرواء النفوس المستعدة من الحكمة الإلهية؛ ومن ثم نبدأ بالمقدمة.

أَنْتَقِمُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاتَّقُوا بِمَوَاطِنِ اللَّهِ وَأَقْبِلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ مِنْهَا، لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ أَلْحَنَةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ أَلْثَارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِ وَمَإِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِمَّنْزَعًا وَإِنَّهَا لَا تَرَاهُ تَنْزِعُ إِلَّا مَعْصِيَةً فِي هَوَى.

وَأَعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُضْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَلُوفٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَرَاهُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَرِيدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ. قَوِّمُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيصَ الرَّاحِلِ وَطَوِّمُوا طَيِّ الْمَنَازِلِ.^١

★

وأما المقدمة فتشتمل على مسائل وهي:

١ - شروح نهج البلاغة:

مضت عشرة قرون لحّد الآن على ظهور نهج البلاغة في عالم المعارف. ومنذ ميلاد هذا الكتاب العظيم أَلَفَ كبار المفكرين في العالمين الاسلامي وغير الاسلامي كتباً كثيرة حوله. وقد أَلَفَت هذه الكتب كما يلي:

- الشروح الكاملة لنهج البلاغة في أبعاده المختلفة كالتاريخية والأدبية والفلسفية والكلامية والأخلاقية وغيرها.

- شروح الخطب والرسائل والحكم.

- الدراسات والتحقيقات الخاصة بمصادر نهج البلاغة.

- الدفاع عن صحة تأليف نهج البلاغة من قبل الشريف الرضي.

- تبويب نهج البلاغة.

- تأليف معجم مفهرس لنهج البلاغة.

- ترجمة نهج البلاغة إلى اللغات العالمية الحية وغيرها من اللغات.^٢

وفد نشر لحّد الآن نحو خمسمائة كتاب حول نهج البلاغة في الدول الاسلامية. ولاشكّ في أنّ كتباً كثيرة أخرى سوف تنشر أيضاً.

إنّ الذي يجب أن نشير إليه هو كتاب «شرح نهج البلاغة» للعلامة المجلسي. ولعلّ هذا الاسم وهذا الموضوع غريبان وجديدان على المحققين. وذلك لأنّنا جميعاً نعرف أنّ العلامة المجلسي لم يؤلّف كتاباً بهذا الاسم، على الرغم من أنّ

٢. ومن أجل الاطلاع على الكتب المؤلفة حول نهج البلاغة خصوصاً شروحه فراجع:

أ- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف العلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني، ج ٤، ص ١٤٤ وج ٦، ص ٢٢٨ و ج ٧، ص ١٨٧ وج ١٤، ص ١١١-١٦١ وج ٢٤، ص ٤١٢.

ب- القدير في الكتاب والسنة والأدب، تأليف العلامة عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، ج ٤، ص ١٨٦-١٩٨.

ج- أعيان الشيعة للامام السيّد محسن الأمين، تحقيق وإخراج حسن الأمين، المجلد الأول، ص ٥٤٤-٥٤٥، دارالتعارف - بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

د- مصادر نهج البلاغة وأسانيده، تأليف السيّد عبدالزهراء الحسيني الخطيب، ج ١، ص ٢٠٢-٢٧٣، ط بيروت.

هـ - شروح نهج البلاغة (٢١٠ شروح)، للشيخ حسين جمعة العاملي، مطبعة الفكر - بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ -

١٩٨٣ م.

و- كتاب نهج البلاغة، تأليف السيّد رضا الاستادي، طباعة مؤسسة نهج البلاغة، طهران - إيران.

ز- تحقيق حول نهج البلاغة، تأليف السيّد محمد الجعفري، طباعة منشورات قلم، طهران - إيران.

المرحوم العلامة المجلسي قد ترجم بعض الخطب والرسائل من نهج البلاغة، لكنه لم يكتب أي شرح لنهج البلاغة مختصراً كان أم مطولاً بصورة مستقلة. غير أن الذي يعرض الآن أمام المحققين والمفكرين ليس سوى تحقيق موسع في كتاب «بحار الأنوار» واستخراج لشروح مبعثرة كتبها العلامة المجلسي، وقد رُتبت على غرار نهج البلاغة.

وقبل أن نبدأ، لابد أن نعرف كتاب «بحار الأنوار» تعريفاً مختصراً لنتمكن من تبيان ما نقصده من «شرح نهج البلاغة» للعلامة المجلسي وكيف ظهر هذا الشرح على مسرح الفكر الاسلامي. وبعد تعريف «بحار الأنوار» لابد أن نبحت باختصار شديد في طريقة تدوين «بحار الأنوار» ومن ثم نستنتج ميلاد «شرح نهج البلاغة» للعلامة المجلسي.

٢ - تعريف مختصري بحار الأنوار

إن «بحار الأنوار» من حيث الكيفية والكمية، أي من حيث احتوائه على أعظم النصوص الاسلامية وأنفسها في الأبعاد المختلفة، من أصغر التعليمات إلى أعظم القوانين، وهكذا من حيث احتوائه على أكثر الأحاديث الشريفة وأقوال قادة الاسلام، فهو أعظم جامع للأحاديث الشريفة طبع لحد الآن عند الفرق الاسلامية. وإن شرح هذه المطالب يحتاج إلى كتاب مفصل، ولا يخفى هذا على كل محقق مطلع على كتب الحديث عند الفرق الاسلامية.

وهذه نظرة مختصرة في «بحار الأنوار» لنتعرف على مسائل وهي:

أ. مصادر بحار الأنوار

يحتوي «بحار الأنوار» على خمسمائة واثنين وثلاثين مصدراً من مصادر الدرجة الأولى في المعارف الاسلامية العظيمة. وأكثر هذه المصادر لا توجد اليوم بصورة مستقلة بين أيدي المسلمين، بل يمكن العثور عليها في سطور «بحار الأنوار» فقط.

ولما كان كتاب «بحار الأنوار» سفرأ يضم شتى العلوم الاسلامية، فقد اختيرت مصادره بحيث إنه استفيد من كل منها في موضعه المناسب.

وتقسم هذه المصادر عموماً إلى قسمين:

(١) المصادر الكثيرة المراجعة

(٢) المصادر القليلة المراجعة

إنَّ القسم الأوَّل هي الكتب الَّتِي اعتمدها العلَّامة المجلسي في تأليف «بحار الأنوار» بصورة واسعة؛ والسبب في ذلك ظاهر جدًّا، فأكثر هذه الكتب يحتوي على مواضيع إسلامية جامعة. وعلى هذا فإنَّ العلَّامة المجلسي قد استفاد منها في جميع المواضيع الإسلامية، وهي من أهمِّ مصادره، وعددها أربعة وثمانون كتاباً. وقد اختار العلَّامة المجلسي حرفاً يرمز إلى كلِّ واحد من هذه الكتب ويشير العلَّامة إلى ذلك الحرف قبل نقل المادَّة من ذلك الكتاب. وإنَّ فهرس هذه الكتب الأربعة والثمانين قد طبع في آخر كلِّ مجلَّد من مجلَّدات «بحار الأنوار».

والقسم الثاني المصادر القليلة المراجعة الَّتِي قد استفيد منها بأقلَّ من الأوَّل، وذلك لأنَّها كتب تبحث في مواضيع محدَّدة أو في موضوع واحد. لذلك فإنَّ العلَّامة المجلسي يشير إلى اسم الكتاب الكامل قبل أن ينقل منه ما يريد نقله. وقد وردت أسماء هذه الكتب وهي خمسمائة واثنان وثلاثون كتاباً في المجلَّد الأوَّل من «بحار الأنوار» في المقدِّمة.

وهنا لا بدَّ من القول بأنَّ «نهج البلاغة» كان من بين المصادر الكثيرة المراجعة الَّتِي نقل عنها العلَّامة المجلسي، أي أنَّه من بين الأربعة والثمانين مصدراً الَّتِي اعتمدها العلَّامة المجلسي اعتماداً واسعاً في أكثر أبواب «بحار الأنوار» وفي نقل الأحاديث عنه.

والموضوع التالي والذي يجب أن نبينه هو كيفية تأليف «بحار الأنوار».

ب. كيفية تأليف «بحار الأنوار»

ونكرِّر القول هنا أيضاً من أنَّ بيان كيفية تأليف «بحار الأنوار» يحتاج إلى كتاب مستقلٍّ. ولكن من أجل توضيح الموضوع الأصلي، أي كيفية تحقُّق وجود شرح نهج البلاغة للعلَّامة المجلسي، نرى لزوم التعرُّض لهذا الموضوع باختصار.

(١) قسم العلَّامة المجلسي بحار الأنوار إلى مواضيع رئيسية، عددها تسعة من جهة وخمسة وأربعون موضوعاً إسلامياً من جهة أخرى.

(٢) يتألَّف كلِّ موضوع من فصول، وكلِّ فصل ينقسم إلى أبواب. وبمجموع أبواب «بحار الأنوار» ألفان وثمانمائة وثمانية وأربعون باباً.

(٣) يأتي العلَّامة المجلسي بآيات من القرآن الكريم بابتكار جديد يرتبط بموضوع ذلك الباب، أو يحتوي على ذلك الموضوع، وذلك قبل أن يشرح المطالب بترتيب سور القرآن المجيد.

(٤) إنَّ العَلَّامةَ المجلسي يفسر أكثر الآيات المرتبطة بموضوع كلّ باب.^٣
(٥) ومن ثَمَّ ينقل العَلَّامةَ المجلسي الروايات المرتبطة بذلك الباب بعد ذكر الآيات وتفسيرها.

(٦) وإذا كانت الرواية المنقولة بحاجة إلى توضيح لغوي أو شرح، أو كانت تحتوي على مواضيع مبهمّة، فإنّه يتناولها بالدرس والتحصيل.
(٧) في آخر كلّ فصل أو باب مباحث مفصلة مرتبطة بموضوع أو عدّة مواضيع. وفي نظري يمكن اعتبار هذه المباحث مجموعة تفاسير للآيات والروايات وشروحها وأقوال علماء المسلمين فيها.
وفي الحقيقة إنّ ما يكشف عن نبوغ العَلَّامةَ المجلسي هو هذا الفيض من المعرفة في آخر كلّ فصل وباب.

والآن بعد هاتين المقدّمتين في التعرّف على «بحار الأنوار» ومصادره وأسلوب تأليفه، يجب أن نضيف أنّه لما كانت نصوص «نهج البلاغة» من أصعب النصوص الروائيّة والأدبيّة في عالم الاسلام، فسجد للعَلَّامةَ المجلسي شروحاً كثيرة لها.

وإنّي خلال مطالعاتي المتكرّرة لبحار الأنوار توصّلنا إلى تلك النصوص وعملت على استخراجها جميعاً، وبعد التدقيق والتحقيق، ظهر لي أمران:
أحدهما أنّ العَلَّامةَ المجلسي قد استفاد من «نهج البلاغة» بصورة موسّعة في أكثر مواضيع «بحار الأنوار» وفصوله وأبوابه.

ثانيهما أنّه قد كتب شرحاً لأكثر الأحاديث المستقاة من «نهج البلاغة». وبناء عليه، فإنّ المرحلة الأولى من العمل هي استخراج جميع النصوص التي شرحها العَلَّامةَ المجلسي من «نهج البلاغة». وهذا ما تمّ إنجازه فعلاً.
والجدير بالذكر هنا هو أنّ «بحار الأنوار» في طبعته الجديدة يقع في مائة وعشرة أجزاء ولكنّ المؤلّف كان قد نظمها في الأصل في خمسة وعشرين مجلداً ضخماً.

وللكتاب في ايران طبعتان: الأولى معروفة بطبعة «أمين الضرب» المشهورة

٣. إنّ الأبواب التي ذكرت في أوّل آيات من القرآن الكريم تبلغ نحو ثمانمائة باب. وإنّي قد جمعتها كلّها بصورة ممّعة تحت عنوان «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» وقد أعددتها للطبع في عشرين مجلداً. وإذا ما طبع هذا التفسير فيكون أوّل تفسير موضوعي وأكمله.

باسم «بجار طبع كمباني» والأخرى طبعة تبريز.
 ومما يجدر أن نعرفه هو أنّ المجلّد الثامن من الطبعة القديمة والمجلّدات من
 التاسع والعشرين حتّى الخامس والثلاثين من الطبعة الجديدة ذات المائة
 والعشرة مجلّدات لم تنشر لحدّ الآن.
 وللتعريف بالمجلّد الثامن من «بجار الأنوار» والمعنون بـ«الفتن و المحن»
 نقول: إنّهُ يتناول العالم الاسلامي بعد وفاة الرسول الأكرم - صلى الله عليه وآله
 وسلّم - حتّى استشهاد أمير المؤمنين - عليه السلام -.
 ومنهم من يقول: إنّهُ تاريخ حياة أمير المؤمنين - عليه السلام -.
 وقد احتوى كتاب «الفتن و المحن» على قسمين:
 (١) من خلافة الخليفة الأول أبي بكر حتّى مقتل عثمان.
 (٢) من البيعة لأمر المؤمنين - عليه السلام - حتّى استشهادهِ.
 ولذا فإنّ المجلّد الثامن وثيق الصلة بـ«نهج البلاغة» وقد استند إليه بصورة
 موسّعة جدّاً. وقد استغرق استخراج المواضيع المطلوبة زمناً طويلاً بلغ نحو ثلاث
 سنوات.

★

ثمّ إنّ «بجار الأنوار»، كما نعلم، قد رتّب بحسب الموضوعات الاسلامية،
 بينا رتّب «نهج البلاغة» بحسب الخطب والرسائل والكلمات القصار (الحكم).
 وهذا يعني أنّ الخطبة أو الرسالة قد قسّمت إلى عشرات المقاطع وأدرجت في
 عشرات المجلّدات من «بجار الأنوار».
 وفي هذه المرحلة كان أمامي طريقتان: أحدهما تدوين شروح العلّامة
 المجلسي لنهج البلاغة جسماً جاءت في «بجار الأنوار» وكان هذا سهلاً جدّاً.
 والثاني تنظيمها على غرار «نهج البلاغة» ووفق شروحه المعروفة. بيد أنّ اتّباع
 الطريقة الأولى يجعل العمل ناقصاً نسبياً لأنّ المواضيع المشروحة لها موضع في
 «بجار الأنوار» ولكتّها لا تكون كذلك خارج «بجار الأنوار». لذلك تركتها من
 حيث الأساس.

والطريقة الثانية وهي تنظيم الشروح على غرار تنظيم «نهج البلاغة». وعلى
 الرغم من صعوبة ذلك فقد قررت اتّباعه. وهكذا كان هذا الكتاب وبإضافة
 بيان موضع كلّ شرح في مجلّدات «بجار الأنوار».

★

لما كان العلّامة المجلسي قد استفاد من شروح وكتب مختلفة في شرحه، فقد أشرنا إلى تلك المصادر في أحدث طبعاتها قدر الامكان.

وهنا يجب أن نذكر أنّ هذا قد تمّ تطبيقه إلى حدّ ما في طبعات «بحار الأنوار» الجديدة وقد أتينا ببعضها في هذا الكتاب مع تغييرات واصلاحات.

أسلوب العلّامة المجلسي - رحمه الله - في شرح نهج البلاغة:

إنّ المرحوم العلّامة المجلسي بعد أن ينقل قطعة من «نهج البلاغة» في موضوع أو فصل يرتبط بها، يأخذ في شرحها إمّا بصورة مختصرة أو موسّعة.

إنّه في هذه الشروح وفي شرح الكلمات الغامضة أو في بيان المطالب أحياناً يأتي ببراهين وأدلة لاثباتها من كتب الحديث الأخرى.

ويعتمد العلّامة المجلسي في شرح الألفاظ على أهمّ كتب اللغة العربيّة بصورة موسّعة، مثل كتاب الصحاح للجوهري أو قاموس اللغة للفيروزآبادي أو تاج العروس للزبيدي؛ كما يستفيد أحياناً من الشروح المهمّة لـ «نهج البلاغة».

وبالاضافة إلى الاستفادة من كتب اللغة فإنّه اعتمد على كتب متعدّدة أخرى، ولكنه استفاد بصورة أوسع من أربعة شروح لـ «نهج البلاغة» سنذكر أسماءها فيما بعد. وهذا لايعني أنّ شرح العلّامة المجلسي لـ «نهج البلاغة» تكرر للشروح المعروفة، فهذا كلام الذين ينظرون بصورة سطحيّة وتعوّهم النظرة العميقة للشروح التي أوردها العلّامة المجلسي وفيها ما لم يقرؤوا مثلها ولم يسمعوها بها؛ فهو يحلّل وينقد في كثير من الموارد أقوال شارحي «نهج البلاغة» المعروفين، وفي خلال الردّ عليهم يعلن رأيه الذي يراه حقّاً.

وأما الشروح الأربعة التي اعتمدها العلّامة المجلسي أكثر من غيرها فهي:

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني.^٤

(٢) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي.^٥

(٣) شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي.^٦

(٤) شرح نهج البلاغة للعلّامة الكيدري.^٧

هذا وإنّ الشرحين الأوّل والثاني قد تكرر طبعهما في الدول الاسلاميّة. وقد

٤. اعتمده من الوجهة الكلاميّة والفلسفيّة والأخلاقيّة.

٥. اعتمده من الوجهة التاريخيّة والأدبيّة.

٦ و ٧. اعتمدهما بصورة متنوّعة.

سمعت إلى بيان كلِّ الموارد التي استفاد منها العلّامة المجلسي من هذين الشرحين. ولكنَّ الشرحين الأخيرين قد طبعاً لأول مرة في الهند بواسطة أحد الفضلاء الإيرانيين عام ١٤٠٥ هـ. ولكنَّهما، مع الأسف، وصلاً والكتاب في المطبعة؛ فلم يحصل مجال للإشارة إلى الموارد التي استفاد منها العلّامة المجلسي من هذين الشرحين.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ شرح العلّامة المجلسي لـ «نهج البلاغة»، كأكثر الشروح، يبدأ بالخطب ثمَّ الرسائل ثمَّ الحكم. وعليه فالعثور على النصوص سهل جداً.

وأخيراً تجب الإشارة إلى نقطة مهمة جداً وهي أنَّ العلّامة المجلسي قد عرض وجهات نظر جديدة في شرح «نهج البلاغة» قلَّما نجدها في شرح آخر. وهذا يتطلب مقالاً خاصاً وفرصة أخرى، إذ الآن لا مجال للبحث في هذا الموضوع؛ ولكن نذكر نموذجاً لوجهة نظر العلّامة المجلسي في «ولاية الفقيه» ومسألة حكومة علماء الإسلام في زمن غيبة وليِّ العصر عجل الله - تعالى - فرجه الشريف. فيقول أمير المؤمنين - عليه السلام - في الخطبة الثالثة من «نهج البلاغة» المعروفة بالشقشقية:

أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ
الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُوا عَلَى
كَطَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَنَبٍ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ
آخِرَهَا بِكَأْسِ أُولِيهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عَيْدِي مِنْ عَفْطَةِ
عَتْرَاتٍ^٨

ويقول العلّامة المجلسي في شرحه:

و«العلماء» إمَّا الأئمة - عليهم السلام - أو الأعم.
فيدلُّ هذا على وجوب الحكم بين الناس في زمان الغيبة لمن جمع
الشرائط.^٩

★

٨. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.

٩. بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٦٠. وأيضاً في هذا الكتاب، ج ١، ص ٦٠.

والجدير بالذكر هنا أنَّ في كتابنا هذا قسمين من الأرقام: أحدها يرتبط بنفس الخطب والرسائل والحكم، والثاني يتعلّق بشرحها. فالقسم الأوّل منها توجد في متن الخطب والرسائل والحكم، كلّ منها بين الملالين، وتأتي توضيحاتها في آخر كلّ مجلّد تحت عنوان «فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة». والقسم الثاني من الأرقام التي تتعلّق بالشروح، يأتي توضيح كلّ منها في هوامش نفس الصفحة.

ثمّ إنّّه يجب أن نذكر نقطة مهمّة قبل إنهاء المقدمة وهي أنّ نصوص نهج البلاغة (الخطب والرسائل والحكم) كلّها قد أخذت من طبعة صبحي الصالح وأسباب هذا الاختيار هي الأمور التالية:

(١) قلة أخطاء هذه الطبعة بالنسبة إلى الطباعات الأخرى.

(٢) جمال الحروف والتنظيم الفتي فيها بصورة جيّدة.

(٣) تجنّب حدوث أخطاء ولو قليلة فيما لو طبعنا النصوص طباعة جديدة. ثمّ إنّ الطباعة الجديدة تتطلّب وقتاً وجهداً كبيرين.

ثمّ لا بدّ لنا أن نذكر بأنّ النصوص التي أوردها العلّامة المجلسي كانت من نسخة من نسخ نهج البلاغة وبينها وبين نصوص طبعة صبحي الصالح بعض الاختلاف، ولو أردنا ذكر تلك الاختلافات لتطلّب ذلك سنين طويلة. وعليه نرجو من الله التوفيق للقيام بهذا العمل في وقت مناسب آخر.

★

وختاماً، نضمّ أصواتنا إلى صوت إمام العارفين أمير المؤمنين - عليه السلام - في إحدى خطبه المعروفة التي ألقاها من علّ منبر مسجد الكوفة في الشاء على الله وحده بقوله:

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَّا مَوْلٍ وَإِنْ تُرَجَّ فَخَيْرٌ مَرَجُو. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتُ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا أُوْجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَبِيَّةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ، وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْأَدَمِيِّينَ وَالنِّسَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِقَةٍ مِنْ عَطَاءٍ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ أَقْرَدَكَ

بِالتَّوَجُّيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرْمُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِيدِ وَالْمَمَادِجِ
غَيْرَكَ . وَبِئْسَ فَاقَةً إِلَيْكَ لَا تَجْبِرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْقُشُ
مِنْ خَلْقِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ ؛ فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ
وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ أَلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ»^{١٠}.

فنسأل الله الواحد الأحد أن يوفق البشرية جمعاء، وخصوصاً المسلمين منهم،
للاطلاع على المعارف الالهية ولنشر الثورة الاسلامية في العالم كله تمهيداً لظهور
بقية الله الأعظم الحجة ابن الحسن العسكري، روهي وأرواح العالمين لتراب
مقدمه الفداء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره
ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة ،
والمواقف المذكورة ، والخطوب الواردة

١ - مختار خطب أمير المؤمنين عليه السلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم ،
وفيهما ذكر الحج

وتحتوي على حمد الله ، وخلق العالم ، وخلق الملائكة ، واختيار
الأنبياء ، ومبعث النبي ، والقرآن ، والأحكام الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءُهُ
الْعَادُونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ ،
وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَخْدُودٌ ، وَلَا نَعْتُ
مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ^(١) الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ،
وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَّدَ^(٢) بِالصُّخُورِ مِيزَانَ^(٣) أَرْضِهِ .

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْجِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْجِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ : فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ « فِيمَ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ « عَلَامَ ؟ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ ^(٤) ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ ^(٥) ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ .

خلق العالم

أَنَسْنَا الْخُلُقَ إِنْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا ^(٦) ، وَلَا تَجَرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا ، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا ، وَلَا هَمَامَةٍ ^(٧) نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا . أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَآمَ ^(٨) بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَزَ ^(٩) غَرَائِزَهَا ، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ، عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتِهَائِهَا ، عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَخْنَائِهَا ^(١٠) .

بيان: الفقرة الأولى إقرار بالعجز عن الحمد باللسان كما أنَّ الثانية اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان، والثالثة عن العمل بالأركان. و«الهمة» القصد والإرادة و«بُعدها» علوها وتعلقها بالأمر العالي، أي لا تدركه الهمم العالية المتعرّضة لصعاب الأمور الطائرة إلى إدراك عوالي الأمور. و«الفطن» بكسر الفاء وفتح الطاء - جمع «فطنة» بالكسر -، الحذق وجودة استعداد الذهن لتسور مايرد عليه، أي لا يصل إلى كنه حقيقته الفطن الغائصة في بحار الأفكار.

قوله - عليه السلام - «الذي ليس لصفته» أي لا يدخل في صفاته الحقيقية حدّ محدود من الحدود والنهايات الجسمانية؛ ويحتمل أن يكون الصفة بمعنى التوصيف أي لا يمكن توصيفه بحدّ. ووصف الحدّ بالمحدود إمّا لأنّ كلّ حدّ من الحدود الجسمانية فله حدّ أيضاً كالسطح ينتهي إلى الخطوط مثلاً؛ أو على المبالغة كقولهم: شعر شاعر. ويمكن أن يقرأ على الإضافة وإن كان خلاف ماهو المضبوط؛ ويمكن أن يكون المعنى: أنّه ليس لتوصيفه - تعالى - بصفات كماله حدّ ينتهي إليه بل محامده أكثر من أن تحصى^١. ولا يوصف أيضاً بنعت موجود أي بالصفات الزائدة رداً على الأشعري؛ وإثنا قيد بقوله «موجود» إذ لا خير في توصيفه بالصفات الاعتبارية والإضافية، ويحتمل أن يكون المراد نعت موجود في المخلوقين؛ أو يكون الموجود من الوجدان أي نعت يحيط به العقل. و احتمال الإضافة فيها وفي قرينتها باق مع بعده. ولا يمكن وصفه أيضاً بالوقت والأجل، والفرق بينهما باعتبار الابتداء والانتفاء أي ليس له وقت محدود من جهة الأزل ولا أجل مؤجل ممدود من جهة الأبد.

وقال ابن أبي الحديد: يعني بصفته ههنا كنهه و حقيقته، يقول: ليس لكنه حدّ

١ - أو كان المعنى - كما حكى عن أبي الحسن الكيدري - بأن يؤوّل حد محدود على ما يؤوّل به كلام العرب: «ولا يرى الضبّ بها ينحجر» أي ليس بها ضبّ فينحجر، حتى يكون المراد أنّه ليس له صفة فتحدّ، إذ هو - تعالى - واحد من كلّ وجه، منزّه عن الكثرة بوجه ما، فيمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات، وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء، إنّما هي نسب وإضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته، قال: ومما يؤكّد هذا التأويل قوله بعد ذلك «فن وصف الله - سبحانه - فقد قرنه».

فيرعف بذلك الحدّ قياساً على الأشياء المحدودة لأنّه ليس بمركّب و كلّ محدود مركّب. ثمّ قال: «ولانعت موجود» أي لا يدرك بالرسم كما يدرك الأشياء برسومها وهو أن يعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها. ثمّ قال: «ولاوقت معدود ولاأجل ممدود»، وفيه إشارة إلى الردّ على من قال: إنّنا نعلم كنه الباري— تعالى— لا في هذه الدنيا بل في الآخرة.

وقال ابن ميثم: المراد أنّه ليس لمطلق مايعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّة والإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً وصف موجود يجمعه فيكون نعتاً له و منحصرأ فيه. ثمّ قال: ليس لصفته حدّ أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلقاتها كالعلم بالنسبة إلى المعلومات، والقدرة إلى المقدورات. انتهى. ولا يخفى بعد تلك الوجوه.

و «الفطر» الابتداء؛ و«الخلائق» جمع خليقة بمعنى المخلوق أو الطبيعة، والأوّل أظهر. «ونشر الرياح»^٢ أي بسطها برحمته أي بسبب المطر أو الأعمّ، و يؤيد الأوّل قوله— تعالى—: «وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»^٣. «وتد بالصخور» يقال: «وتد» أي ضرب التود في حائط أو غيره، و«الصخور» الحجارة العظام. و «الميدان» بالتحريك، الحركة بتمائل وهو الاسم من «ماديميد ميداً»، وهو من إضافه الصفة إلى موصوفها والتقدير: «وتد بالصخور أرضه المائدة»؛ وإنّا أسند إلى الصفة لأنّها العلّة في إيجاد الجبال كما قال— تعالى—: «وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»^٤ وقال: «وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا»^٥

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في أنّه لِمَ صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال:

٢- قال ابن ميثم: إنّ نشر الرياح وبسطها لما كان سبباً عظيماً من أسباب بقاء أنواع الحيوان والنبات واستعدادات الأمزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الأطباء: إنّها تستحيل روحاً حيوانياً، وكانت عناية الله— سبحانه وتعالى— وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كلّ موجود لاجرم كان نشرها برحمته؛ ومن أظهر آثار الرحمة الإلهيّة بنشر الرياح حلها للسحاب المرقع بالماء وإثارتها له على وفق الحكمة لتصيب الأرض الميتة فينبت بها الزرع ويملأ الضرع.

الأول: أَنَّ السفينة إذا أُلقيت على وجه الماء فإنَّها تميل فإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرَّت، ولعلَّ غرضهم أَنَّ الأرض إذا لم توتد بالجلال لأمكن أن تتحرَّك بتموُّج الهواء ونحو حركة قسريَّة.

الثاني: ما ذكره الفخر الرازي حيث قال: قد ثبت أَنَّ الأرض كرة وأنَّ هذه الجبال بمنزلة خشونات وتضريسات^٦ على وجه الكرة فلوفرَضنا أَنَّ الأرض كانت كرة حقيقة لتحركت بالاستدارة بأدنى سبب لأنَّ الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحرِّكاً على نفسه بأدنى سبب وإن لم تجب حركته بنفسه عقلاً؛ أمَّا إذا حصل على سطحها هذه الجبال فكلَّ واحد إنَّما يتوجَّه بطبعه إلى المركز فيكون بمنزلة الأوتاد؛ ولا يخفى ما فيه من التشويش والفساد.

الثالث: ما يحظر بالبال وهو أن يكون مدخلة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتِّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتُّت أجزائها وتفرقتها فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركَّبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرقتها، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الإبار في الأرض فإنَّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة.

الرابع: ما أوَّل بعضهم الآية به وهو أنَّ المراد بالأوتاد الأنبياء والعلماء والأرض الدنيا فإنَّهم سبب استقرار الدنيا؛ ولا يخفى أنَّه لو استقام هذا الوجه في الآية لا يجري في كلامه— عليه السلام— إلَّا بتكلف لا يرتضيه عاقل.

الخامس: أن يقال: المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لاجتماع كرة الأرض ويكون الجبال أوتاداً لها أنَّها حافظة لها عن الميدان والاضطراب بالزلزلة ونحوها، أمَّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله— تعالى— أو لغير ذلك من الأسباب التي يعلمها مبدعها ومنشئها؛ ويؤيده ما سيأتي من خبر ذي القرنين، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب السماء والعالم.

قوله - عليه السلام - «وكمال معرفته التصديق به» الفرق بينهما إمّا بحمل المعرفة على الإذعان بثبوت صانع في الجملة، والتصديق على الإذعان بكونه واجب الوجود أو مع سائر الصفات الكمالية أو بحمل الأول على المعرفة الفطرية والثاني على الإذعان الحاصل بالدليل، أو الأول على المعرفة الناقصة والثاني على التامة التي وصلت حدّ اليقين. وإنّا قال - عليه السلام - «وكمال التصديق به توحيده» لأنّ من لم يوحده وأثبت له شريكاً فقد حكم بما يستلزم إمكانه فلم يصدّق به بل بممكن غيره.^٧ «فن وصف الله - أي بالصفات الزائدة - فقد قرنه» أي جعل له شيئاً يقارنه دائماً. و من حكم بذلك فقد ثبته أي حكم باثنيّة الواجب إذ القديم لا يكون ممكناً، و من حكم بذلك فقد حكم بأنّه ذو أجزاء لتركيبه ممّا به الاشتراك وما به الامتياز؛ ولأنّ

٧- قوله «وكمال توحيده الإخلاص له» أي وكمال توحيده جعله مختاراً خالصاً من الدنس وتنزيهه عن شوائب العجز والنقص وتقديسه ممّا يلحق الممكنات ويعرضها من التجسّم والتركّب وغيرها من الصفات السلبية. وأمّا قوله «وكمال الإخلاص له نفي الصفات له» يحتمل أن يكون المراد به نفي المعاني والأحوال.

قال ابن ميثم: «وكمال توحيده الإخلاص له» فيها إشارة إلى أنّ التوحيد المطلق للمعارف إنّما يتمّ بالإخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كلّ ماسوى الحقّ الأول عن سنن الإيثار؛ وبيان ذلك أنّه ثبت في علم السلوك أنّ العارف مادام يلتفت مع ملاحظة جلال الله وعظمته إلى شيءٍ سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول، جاعل مع الله غيراً، حتّى أن أهل الإخلاص ليعذّبون ذلك شركاً خفياً، كما قال بعضهم:

من كان في قلبه مشقال خردلة سوى جلالك فاعلم أنّه مريض

أقول: ما قلناه أظهر وأنسب وسياق الكلام يشهد بذلك. وقال في شرح قوله «نفي الصفات عنه» بعد احتماله ما ذكرنا: قلت: قد تقرّر في مباحث القوم بيان أنّ كلّ ما يوصف به [الله] - تعالى - من الصفات الحقيقية والسلبية والإضافية اعتبارات تحدّثها عقولنا عند مقايضة ذاته - سبحانه - إلى غيرها، ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة، فيكون وصفه - تعالى - بها أمراً معلوماً من الدين ليعمّ التوحيد والتنزيه كلّ طبقة من الناس، ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص الذي ذكره [عليّ] - عليه السلام - أقصى ما تنتهي إليه القوى البشرية عند غرقها في أنوار كبرياء الله، وهو أن تعتبره فقط من غير ملاحظة شيءٍ آخر؛ وكان اثباته - عليه السلام - الصفة في موضع آخر وصفه في الكتاب العزيز وسنن النبوة إشارة إلى الاعتبارات التي ذكرناها، إذ كان من هودون درجة الإخلاص يمكن أن يعرف الله - سبحانه - بدونها. انتهى. وقال صدر المتألّهين في شرح قوله - عليه السلام -: ذلك أراد به نفي الصفات التي وجودها غير وجود الذات وإلّا فذاته بذاته مصدّق لجميع النعوت الكمالية والأوصاف الإلهية من دون قيام أمر زائد بذاته - تعالى - فرض أنّه صفة كمالية له؛ فعلمه وقدرته وإرادته وحياته وسمعه وبصره كلّها موجودة بوجود ذاته^٨، مع أنّ مفهوماتها متغايرة ومعانيها متخالفة؛ فإنّ كمال الحقيقة الوجودية في جامعيتها للمعاني الكثيرة الكمالية مع وحدة الوجود.

التوصيف بالأوصاف الزائدة الموجودة المتغايرة لا يكون إلا بسبب الأجزاء المتغايرة المختلفة؛ أو لأنَّ إله العالم ومبدعه إما أن يكون ذاته - تعالى - فقط مع قطع النظر عن هذه الصفات أو ذاته معها، والأوّل باطل لأنّ الذات الخالية عنها لا تصلح للإلهية، وكذا الثاني لأنّ واجب الوجود إذاً يصير عبارة عن كثرة مجتمعة من أمور موجودة فكان مركّباً فكان ممكناً.

قوله - عليه السلام - «ومن أشار إليه» أي بالإشارة الحسيّة فقد حدّه بالحدود الجسمانيّة أو بالإشارة العقلية فقد حدّه بالحدود العقلانيّة. «ومن حدّه فقد عدّه» أي جعله ذا عدد وأجزاء، وقيل: «عدّه من الممكنات» ولا يخفى بعده.

قوله - عليه السلام - «ولا يستوحش» كأنّ كلمة «لا» تأكيد للنفي السابق، أي ولا سكن يستوحش لفقده^٨ أوزائدة كما في قوله - تعالى -: «مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجُدَ»^٩. ويحتمل كون الجملة حالية.

قوله - عليه السلام - «وألزمها أشباحها» الضمير المنصوب في قوله «ألزمها» إما راجع إلى الغرائز أو إلى الأشياء، فعلى الأوّل المراد بالأشباح الأشخاص أي جعل الغرائز والطبائع لازمة لها، وعلى الثاني فالمراد بها إمّا الأشخاص أي ألزم الأشياء بعد كونها كليّة أشخاصها؛ أو الأرواح إذ يطلق على عالمها في الأخبار عالم الأشباح؛ وفي بعض النسخ «أسناخها» أي أصولها. قوله - عليه السلام - «بقرائنها» أي بما يقتزن بها. و«الأحناء» جمع حنو وهو الجانب والناحية.^{١٠}

ج: في خطبة أخرى له - عليه السلام - «أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جلّ أن تحلّه الصفات لشهادة العقول

٨- أراد [عليّ] عليه السلام أنّه - تعالى - متوحد بذاته ومنفرد بوحديّته، لا أنّه انفرد عن مثل له؛ إذ المتعارف من استعمال لفظة «متوحد» إطلاقها على من كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده.

٩- الأعراف: ١١.

١٠- وكلّ ما فيه اعوجاج من البدن كالضلع، أو من غير البدن وهو كناية عمّا خفي، أو من قولهم «أحناء الأمور» أي مشبهاتها. و«القرائن» ما يقتزن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض أو ما يصدر عنها من الأفعال. وقال ابن أبي الحديد: «القرائن» جمع «قرونة» وهي النفس.

أَنَّ كُلَّ مَنْ حَلَّتْهُ الصِّفَاتُ مَصْنُوعٌ، وَشَهَادَةُ الْعُقُولِ أَنَّهُ — جَلَّ جَلَالُهُ — صَانِعٌ لَيْسَ بِمَصْنُوعٍ، فَصَنَعَ اللَّهُ يَسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالْعُقُولِ يَعْقِدُ مَعْرِفَتَهُ، وَبِالْفِكْرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، جَعَلَ الْخَلْقَ دَلِيلًا عَلَيْهِ فَكَشَفَ بِهِ عَنْ رَبُّوبِيَّتِهِ؛ هُوَ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فِي أَزَلِيَّتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا نِدْلَهُ فِي رَبُّوبِيَّتِهِ؛ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ عِلْمُ أَنَّ لَاصِدًا لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُقْتَرَنَةِ عِلْمُ أَنَّ لَاقِرِينَ لَهُ.

شا: أبو الحسن الهزلي عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان، أَنَّ أمير المؤمنين — عليه السلام — قَالَ فِي الْحَثِّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ — سُبْحَانَهُ — وَالتَّوْحِيدِ لَهُ: أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتَهُ.... إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ^{١١}.

ثُمَّ أَنْشَأَ — سُبْحَانَهُ — فَتَقَ الْأَجْوَاءُ ، وَشَقَّ

الْأَرْجَاءُ ، وَسَكَئِكَ^(١١) الْهَوَاءُ ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءٌ مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ^(١٢) ، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ^(١٣) . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ . وَالزَّعْزَعِ^(١٤) الْقَاصِفَةِ ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ^(١٥) ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ^(١٦) . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا أَعْتَقَمَ مَهَبَّهَا^(١٧) ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا^(١٨) ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَضْفِيقِ^(١٩) الْمَاءِ الزَّخَّارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ . فَمَخَضَتْهُ^(٢٠) مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ^(٢١) إِلَى مَائِرِهِ^(٢٢) ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ^(٢٣) ،

فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِحٍ ، وَجَوْ مُنْفَهَقٍ ^(٢٦) ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، جَعَلَ
 سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً ^(٢٥) ، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ، وَسَمَكاً مَرْفُوعاً ،
 بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ ^(٢٦) يَنْظُمُهَا . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ،
 وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ ^(٢٧) ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً ^(٢٨) ، وَقَمَراً مُنِيراً :
 فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ ^(٢٩) مَائِرٍ .

خلق الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْأَعْلَى ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ،
 مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُونَ ^(٣٠) لَا
 يَتَزَايِلُونَ ^(٣١) ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، وَلَا
 سَهُوُ الْعُقُولِ ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءٌ عَلَى
 وَحْيِهِ ، وَالسَّيِّئَةُ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ، وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ
 لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ ^(٣٢) لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ . وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ
 السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ أَعْنَاقُهُمْ ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ
 الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِمَقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ
 أَبْصَارُهُمْ ، مُتَلَفِّعُونَ ^(٣٣) تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ
 دُونَهُمْ حُجْبُ الْعِزَّةِ ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ،
 وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِينِ ، وَلَا

يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

ايضاح: قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد ونشيرها إلى بعض ما يناسب المقام:

«المدحة» بالكسر، الحالة التي تكون المادح عليها في مدحه ، والاضافة للاختصاص الخاص أي المدحة اللائقة . نزهة جلاله، ولعل المراد عجز جميع القائلين وإن اجتمعوا. و «الاجتهاد» السعي البليغ ، العبادة. و ظاهر قوله «ولا وقت معدود ولا أجل ممدود» نفي الزمان مطلقاً عنه — تارة — كالمكان ويمكن حملها على الأزمنة المحدودة المتناهية، ولعل الأول للماضي والثاني للمستقبل. و «الفطر» الابتداء والاختراع، وأصله الشق. «ونشر الرياح» بسطها؛ وكلّ ماجاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد، ولعله إشارة إلى قلة العذاب وسعة الرحمة، ويمكن أن يراد بالرحمة هذا المطر، كما قال — سبحانه —: «وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ بُرْءَ السَّحَابِ لِيَكُنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ رَحْمَتُهُ»^{١٢}. وقرئ بالباء والنون، وقيل: زعمت العرب أن السحاب لا تلقح إلا من رياح مختلفة، فيمكن أن يكون المراد بالنشر ذلك. وقال الفراء: «النشر» من الرياح الطيبة اللينة التي تنشي السحاب، والتعميم أولى لأن رياح الرحمة كثيرة منها اللواقح ومهيجة السحب الماطرة والحابسة لها بين السماء والأرض والعاصرة لها حتى تمطر والمجرية للجواري في البحار وغيرها. و«وتد الشيء» بالتخفيف^{١٣}، أي جعله محكماً مثبتاً بالوتد. و «الصخور» جمع الصخرة، وهي الحجر العظيم الصلب. و«الميدان» بالتحريك، التحرك والاضطراب، وقد مرّ تحقيق ذلك وسيأتي بعضه.

«وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه» لعل مناسبة الاخلاص لنفي الصفات أن الاخلاص في العبادة بالنظر إلى عامة الخلق هو أن لا يقصدوا في عبادتهم غيره — تعالى — من المخلوقين، وبالنظر إلى الخواص أن يعرفوا الله بحسب وسعهم وطاقهم بالوحدانية ثم يعبدونه^{١٤}؛ فن عبد الله وحده بزعمه وزعم أن له صفات زائدة

فلم يعبد إلهاً واحداً بل آلهة كثيرة، بل لم يعبد الله أصلاً كما مرّ في الخبر: «(من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلايته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقاً)».

وقال ابن ميثم: المراد بالمعرفة المعرفة التامة التي هي غاية العارف في مراتب السلوك، وأوليتها في العقل، لكونها علة غائية، وبين الترتيب بان المعرفة تزداد بالعبادة وتلقّي الأوامر بالقبول، فيستعدّ السالك أولاً بسببها للتصديق بوجوده يقيناً ثم لتوجيهه ثم للإخلاص له ثم لنفي ماعداه عنه فيغرق في تيار بحار العظمة، وكلّ مرتبة كمال لما قبلها إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه، وبكمال المعرفة يتمّ الدين وينتهي السفر إلى الله - تعالى - . وما ذكرنا أنسب كما لا يخفى.

«كائن لاعتن حدث موجود لاعتن عدم» ظاهره الاختصاص به - سبحانه - وحدوث ماسواه، وكذا قوله - عليه السلام - «متوحد إذ لاسكن يستأنس به» يدلّ على حدوث العالم. و «الإنشاء» الخلق، والفرق بينه وبين الابتداء بأنّ الإنشاء كالخلق أعمّ من الابتداء، قال - تعالى - : «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ»^{١٥}. و «الابتداء» الخلق من غير سبق مادة ومثال وإن لم يفهم هذا الفرق من اللغة لحسن التقابل حينئذ وإن أمكن التأكيد. و «همامة النفس» اهتمامها بالأمر وقصدها إليها. و «الاضطراب» الحركة، و «الحركة في الهمامة» الانتقال من رأي إلى رأي أو من قصد أمر إلى قصد أمر آخر بحصول صورة، وفي بعض النسخ «ولاهمة نفس» بالكسر.

«أحال الأشياء لأوقاتها» في أكثر النسخ بالحاء المهملة إمّا من الإحالة بمعنى التحويل أي نقل كلاً منها إلى وقتها، فاللام بمعنى إلى والتعليل - كما قيل - بعيد، وإمّا من قولهم «حال في متن فرسه» أي وثب، فعدي بالهمزة أي أقرّ الأشياء في أوقاتها كمن أحال غيره على فرسه - كما قيل - ولا يخفى بعده، ولعله بمعنى الحوالة المعروفة أظهر؛ وفي

بعض النسخ الصحيحة بالجيم كأنه - سبحانه - حرك الأشياء وردها في العدم حتى حضر وقتها؛ وفي الاحتجاج: «أجل» بالجيم المشددة أي آخر. «ولأم بين مختلفاتها» أي جعلها ملتزمة مؤتلفة كما آلف بين العناصر المتخالفة في الطباع وبين النفوس والأبدان. «وغرغرائرها و ألزمها أسناخها»، «الغريزة» الخلق والطبيعة، و «النسخ» بكسر السين و سكون النون، الأصل؛ و في بعض النسخ «أشباحها» جمع الشبح محرّكة أي أشخاصها، و «تغريز الغرائز» إيجادها أو تخصيص كلّ بغريزة خاصة لها^{١٦} أو من «تغريز العود في الأرض لثمر» على ما قيل، والضمير المنصوب في «ألزمها» راجع إلى «الأشياء» كالسوابق والمعنى^{١٧}: جعلها بحيث لا يفارقها أصولها، أو جعل الأشخاص لازمة للكليات على النسخة الأخيرة؛ أو راجع إلى «الغرائز» أي جعل كلّ ذي غريزة أو كلّ شخص بحيث لا تفارقه غريزته غالباً أو مطلقاً.

«عالماً بها قبل ابتدائها» العامل في «عالماً» وما بعدها إمّا «ألزم» أو الأفعال الثلاثة الأخيرة على الترتيب أو الأربعة، أو العامل في الجميع قوله «أنشأ و ابتداء» بقرينة قوله «قبل ابتدائها».

«محيطاً حدودها و انتهائها» لعلّ المراد بالحدود الأطراف و التشخصات^{١٨} أو الحدود الذهنيّة، و بالانتهاء الانتهاء للامزج للمحدود^{١٩} أو انقطاع الوجود. «عارفا بقرائنها» أي ما يقتزن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض. و «أحنائها» هي جمع «حنو» أي الجانب، و «أحناء الوادي» معاطفه، و يدلّ على جواز إطلاق العارف عليه - سبحانه - ومنعه بعضهم. «ثم أنشأ - سبحانه - فتق الأجواء و شقّ الأرباء و سكائك الهواء»، «الفتق» بالفتح، الشقّ و «الجوّ» ما بين السماء و الأرض و قيل: الفضاء الواسع و «الأرباء» جمع «الرجاء» مقصوراً، وهي الناحية و «السكاك

١٦- في بعض النسخ: بها.

١٧- في بعض النسخ: فالمعنى.

١٨- في بعض النسخ: أو التشخصات.

١٩- في بعض النسخ: للحدود.

والسكاكة» بضمّتها، الهواء الملاقى عنان السماء^{٢٠}.

وقال في النهاية: «السكاك والسكاكة» الجوّ، وهو ما بين السماء والأرض، و
منه حديث عليّ - عليه السلام - «شقّ الأرجاء وسكائك الهواء». و«سكائك» جمع
«سكاكة» كذوابة وذوائب. و«الهواء» بالمدّة، ما بين السماء والأرض، ويقال: كلّ
خال هواء، ومنه قوله - تعالى -: «وَأَقْبِدْهُمْ هَوَاءً»^{٢١}. وكلمة «ثمّ» هنا إمّا
للتّرتيب الذّكرّي والتّدرّج في الكلام يكون لوجوه منها الانتقال من الإجمال إلى
التّفصيل، ومنها الاهتمام بتقديم المؤخّر أو المقارن لوجه آخر، ويستعمل الفاء أيضاً
كذلك كما مرّ مراراً، وإمّا بمعنى الواو المفيدة لمطلق الجمع كما قيل في قوله - تعالى -:
«ثُمَّ اهْتَدَى»^{٢٢}. وعلى التقديرين لا ينافي كون الماء أوّل المخلوقات كما سيأتي، والمراد
بفتق الأجواء إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية بناء على وجود المكان بمعنى البعد وجواز
الخلاء أو المراد بالجوّ البعد الموهوم، أو أحد العناصر بناء على تقدّم خلق الهواء كما هو
الظاهر ممّا سنورده من تفسير عليّ بن إبراهيم، وهذا الكلام لا تصرّح فيه بالصادر
الأوّل وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله. وقوله «وشقّ الأرجاء» كالتفسير لفتق
الأجواء أو المراد بالأرجاء الأمكنة والأفضية وبالأجواء عنصر الهواء. وقوله «وسكائك
الهواء» بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على «فتق الأجواء» أي أنشأ -
سبحانه - سكائك الهواء، والجرّ كما في بعض النسخ أظهر عطفاً على الأجواء أي أنشأ
فتق سكائك الهواء.

قال ابن ميثم: فإن قلت: إنّ الأجواء والأرجاء وسكائك الهواء أمور عدميّة
فكيف تصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة؟ قلت: إنّ هذه الأشياء عبارة عن الخلاء و
الأحياء، والخلاف في أنّ الخلاء والحيز والمكان هل هي أمور وجوديّة أو عدميّة مشهور،
فإن كانت وجوديّة كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقّها شقّ
العدم عنها، وإن كانت عدميّة كان معنى فتقها وشقّها ونسبتها إلى القدرة تقديرها

٢٠- «عنان السماء» بالفتح، ما ارتفع منها أو ما بدا للنّاظر.

٢١- إبراهيم: ٤٣.

٢٢- طه: ٨٢.

وجعلها أحياء للماء ومقرراً لها لأنه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلأ بإيجاد الله فيها الماء صار تعيينها بسبب قدرته - تعالى - فتصح نسبتها إلى إنشائه، فكان - سبحانه - شقها وفتقها بحصول الجسم فيها.

و روي أن زرارة وهشاماً اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا، فرفع بعض موالي جعفر بن محمد - عليهما السلام - إليه ذلك فقال له: إني متحير وأرى أصحابنا يختلفون فيه. فقال - عليه السلام - : «ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر والضلال». و اعلم أنه - عليه السلام - إنما أعرض عن بيان ذلك لأن أويااء الله الموكلين بإيضاح سبله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات إلا إلى أحد أمرين: أحدهما ما يؤدي إلى الهدى إزاء ظاهراً واضحاً. والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد إلى سواء السبيل. و بيان أن الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في أمر المعاد فلا يكون الجهل به ممّا يضّر في ذلك، فكان تركه^{٢٣} والاشتغال بما هو أعمّ منه أولى. [انتهى كلام ابن ميثم - رحمه الله -].^{٢٤}

«فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره»، «اللطم» في الأصل، الضرب على الوجه بباطن الراحة، و «تلاطمت الأمواج» ضرب بعضها بعضاً كأنه يلطمه، و «التيار» موج البحر ولجته، و «تراكم الشيء» اجتمع، و «زخر البحر» مّد و كثر ماؤه و ارتفعت أمواجه، أي إنه - سبحانه - خلق الماء المتلاطم الزخار في الأمواج و خلّاه و طبعه أولاً فجري في الهواء ثم أمر الريح برده و شدّه كما يدلّ عليه قوله - عليه السلام - بعد ذلك «حتى تظهر قدرته».

«حمله على متن الريح العاصفة و الزرع القاصفة»، «المتن من كلّ شيء» ما ظهر منه، و «المتن من الأرض» ما ارتفع منه و صلب، و «عصفت الريح» اشتدّ هبوبها، و «الزرعة» تحريك الشيء ليقبله و يزيله، و «ريح زرع و زعازع» أي يززع الأشياء، و «قصفه - كضربه - قصفاً» كسره، و «قصف الرعد وغيره» اشتدّ صوته أي جعل

٢٣- في (خ): ترك بيانه.

٢٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ١٤٠ - ١٤١.

الريح حال قصفها^{٢٥} حاملة له فكان متحرّكاً بمركتها، أو جعل الريح آتي من شأنها العصف والقصف. وهذه الريح غير الهواء المذكور أولاً كما سيأتي في قول الصادق— عليه السلام— في جواب الزنديق «الريح على الهواء و الهواء تمسكه القدرة»، فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه أو متأخرة عنه أو مقارنة له، ويمكن أن يكون المراد بها ما تحرّك منه كما هو المشهور.^{٢٦}

«فأمرها برده وسلّطها على شدّه وقرنها إلى حدّه» أي أمر الريح أن تحفظ الماء وترده بالمنع عن الجري الذي سبقت الإشارة إليه بقوله «فأجرى فيها ماء» فكان قبل الردّ قد خلّي و طبعه أي عن الجري الذي يقتضيه طبعه وقواها على ضبطه كالشيء المشدود وجعلها مقرونة إلى انتهائه محيطة به. ولعلّ المراد بالأمر هنا الأمر التكويني كما في قوله—[تعالى]—: «كُنْ فَيَكُونُ»^{٢٧} وقوله—[تعالى]—: «كُونُوا قِرَدَةً».^{٢٨} قال الكيدري: قوله «فأمرها» مجاز لأنّ الحكيم لا يأمر الجماد به.

«الهواء من تحتها فتتيق والماء من فوقها دفيق» أي الهواء الذي هو محلّ الريح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء، و«الماء دفيق من فوقها» أي [مصبوب] مندفق، والغرض أنّه— سبحانه— بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط وهو موضع العجب.

«ثمّ أنشأ— سبحانه— ريحاً اعتقم مهبّتها وأدام مربّتها» الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها الله محلاًّ للماء بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرواية، و«الاعتقام» أن تحفر البرّ فإذا قربت من الماء احتفرت برّاً صغيراً بقدر ما تجدّ طعم الماء، فإن كان عذباً حفرت بقيّتها ويكون «اعتقم» بمعنى صار عقيماً، ومنه: «الريح العقيم» وفي العين: «الاعتقام» الدخول في الأمر. وقال ابن ميثم تبغاً للكيدري: «الاعتقام» الشدّ والعقد.^{٢٩} ولم نجد في كتب اللغة. و«المهّب» مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان، وعلى

٢٥- في بعض النسخ: عصفها.

٢٦- وحينئذ فالمراد بكونها على الهواء عروضها له.

٢٨- البقرة: ٦٥.

٢٧- يس: ٨١.

٢٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ١٣٣.

الأول في الاسناد توسع، و «رب» يأتي بمعنى جمع و زاد ولزم و أقام؛ قيل: المعنى أن الله - تعالى - أرسلها بمقدار مخصوص تقتضيه الحكمة ولم يرسلها مطلقاً بل جعل مهبتها ضيقاً كما يحتفر البئر الصغير في الكبير؛ وقيل: المعنى جعلها عقيمة لا تلحق وهذا إنما يصح لو كان الاعتقاد بهذا المعنى متعدياً، أو كان مهبتها مرفوعاً وفي النسخ منصوب؛ وقيل: وروي «أقم» فيصح، ويحتمل أن يكون بمعنى شد مهبتها وعقده على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة؛ وقيل: على تقدير كون «اعتقم» بالتاء، المراد أنه أدخل مهبتها من العوائق و أنه أرسلها بحيث لا يعرف مهبتها من مربتها. وهو كما ترى ومعنى إدامة مربتها جعلها ملازمة لتحريك الماء وإدامة هبوبها؛ وفي بعض النسخ «مدبها» بالدال، أي جربها.

و «أعصف مجراها» أي جريانها، أو أسند إلى المحل مجازاً. «و أبعد منشأها» أي أنشأها من مبدأ بعيد، ولعله أدخل في شدتها و «المنشأ» في بعض النسخ بالهمزة على الأصل وفي بعضها بالألف للازدواج. «فأمرها بتصفيق الماء الزخار»، «الصفق» الضرب الذي يسمع له صوت، و «التصفيق» أيضاً كذلك لكن مع شدة. «وإثارة موج البحار» أي تهيجها. «فمخضته مخض السقاء»، «المخض» تحريك السقاء الذي فيه اللبن ليخرج زبده. «عصفها بالفضاء» أي عصفاً شديداً لأن العصف بالفضاء يكون أشد لعدم المانع. و «الساجي» الساكن. و «المائر» المتحرك، يقال: «مار الشيء موراً» أي تحرك وجاء و ذهب، وبه فسر قوله - تعالى -: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا»^{٣٠}. وقال الضحك: أي تموج موجاً. و «العباب» بالضم، معظم الماء وكثرته وارتفاعه، و «عب عبابه» أي ارتفع، و «عب النبت» إذا طال. و «ركام الماء» بالضم، ما تراكم منه واجتمع بعضه فوق بعض.

«فرفعه في هواء منفق» أي رفع الله ذلك الزبد بأن جعل بعضه دخاناً في هواء مفتوح مفتوح بخلق ما خلق سابقاً، أو برفع ذلك الدخان. «وفي جَوْ منفق»، و «الانفهاق» الاتساع والانفتاح.

قال ابن ميثم: إن القرآن الكريم نطق بأن السماء تكوّنت من الدخان، و

كلامه— عليه السلام— ناطق بأنها تكوّنت من الزبد، وماورد في الخبر أنّ ذلك الزبد هو الذي تكوّنت منه الأرض، فلا بدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات، فنقول: وجه الجمع بين كلامه— عليه السلام— وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر— عليه السلام— وهو قوله: «فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار» فخلق منه السماء. ولا شك أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار، واتفق المفسرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموّجه فهو إذاً استعارة للبخر الصاعد من الماء، وإذا كان كذلك فنقول: إنّ كلامه— عليه السلام— مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلّا أنّه مادامت الكثافة غالبية عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد وما لطف وغلب عليه الأجزاء الهوائية فانفصل خصّ باسم البخار وإذا كان الزبد بخاراً والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحداً، فكان البخار المنفصل هو الذي تكوّنت عنه الأرض وهو الزبد؛ وأمّا وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحّت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران: أحدهما حسّي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ البصري، والثاني معنوي وهو كون البخار أجزاءً مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدخان كذلك ولكن عن حرارة النار، فإنّ الدخان أيضاً أجزاءً مائيّة انفصلت عن جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلّا بالسبب، فلذلك صحّ استعارة اسم أحدهما للآخر [وبالله التوفيق]. [انتهى كلام ابن ميثم— رحمه الله—].^{٣١}

«جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعلياهنّ سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً»، «الكفّ» المنع، و «السقف» معروف؛ وقال الجوهري وغيره: «السقف» اسم للسما. والمعروف ههنا أنسب، و «سمك البيت» سقفه، و «سمك الله السماء سمكاً» رفعها، و «المسموكات» السماوات، أي جعل السماء السفلى موجاً ممنوعاً من

السيلان إِمَّا بِإِمْسَاكِهِ بِقُدْرَتِهِ أَوْ بِأَنْ خُلِقَ تَحْتَهُ وَحَوْلَهُ جَسَماً جَامِداً يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِنْتِشَارِ وَالسَّيْلَانِ، أَوْ بِأَنْ أَجْمَدَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ سَيَّالَةً. وَظَاهِرُ هَذَا الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ اخْتِصَاصُ الْحُكْمِ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا.

قال الكيدريّ— رحمه الله—: شَبَّهَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْمَوْجِ لِصِفَاتِهَا وَارْتِفَاعِهَا، أَوْ أَرَادَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ مَوْجاً ثُمَّ عَقَدَهَا، وَ«الْمَكْفُوفُ» الْمَمْنُوعُ مِنَ السَّقُوطِ. وَقَالَ ابْنُ مَيْمُونٍ: شَبَّهَهَا بِالْمَوْجِ فِي الِارْتِفَاعِ وَاللُّونِ الْمَوْهُومِ، وَ قِيلَ: شَبَّهَتْ بِهِ لَارْتِعَادِ الْكَوَاكِبِ حَسّاً؛ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِحِفْظِ الْعَالِيَا إِمْسَاكَهَا عَنِ النِّقْصِ وَالْهَدْمِ وَالسَّقُوطِ وَالْخُرْقِ إِلَّا بِأَمْرِهِ— سُبْحَانَهُ—.

وَقَالَ أَكْثَرُ الشَّارِحِينَ: أَيُّ عَنِ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ لَا يَنْسَابُ الْعَالِيَا بَلِ السُّفْلَى، وَ يَنْسَابُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ— تَعَالَى—: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً»^{٣٢} السَّمَاءَ الْعَالِيَا؛ وَ يَخْطُرُ بِالْبَالِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ— تَعَالَى— جَعَلَ الْجِهَةَ السُّفْلَى مِنْ كُلِّ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَوَاجَةً مَتَحَرِّكَةً وَاقِعاً أَوْ فِي النَّظَرِ، وَالْجِهَةَ الْعَالِيَا مِنْهَا سَقْفاً مَحْفُوظاً تَسْتَقَرُّ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَلَا يُمْكِنُ لِلشَّيَاطِينِ خَرْقُهَا، فَيَكُونُ ضَمِيرُ «زَيَّنَهَا» وَسَائِرُ الضَّمَائِرِ رَاجِعَةً إِلَى الْمَجْمُوعِ، فَيَنْسَابُ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ— سُبْحَانَهُ—: «وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ»^{٣٣}. وَقَدْ يَمُرُّ بِالْخَاطِرِ وَجْهٌ آخَرٌ يَنْسَابُ قَوَاعِدَ الْهَيْئَةِ وَهُوَ أَنَّهُ— عَلَيْهِ السَّلَامُ— شَبَّهَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْمَوْجِ الْمَكْفُوفِ لِكُونِ الْحَرَكَةِ الْخَاصَّةِ لِلْقَمَرِ أَسْرَعَ مِنْ جَمِيعِ الْكَوَاكِبِ، فَكَانَتْ دَائِماً فِي الْمَوْجِ وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَسْقُطُ، وَوَصَفَ الْعَالِيَا بِالْمَحْفُوظِيَّةِ لِأَنَّهُ أَبْطَأُهَا بِالْحَرَكَةِ الْخَاصَّةِ فَكَانَتْهَا مَحْفُوظَةً ثَابِتَةً، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ السَّابِقَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسُّفْلَى مِنْ كُلِّ مِنْهَا خَوَارِجُ مَرَكَزِهَا وَتَدَاوُلُهَا وَبِالْعَالِيَا مِنْهَا مُمَثَّلَاتُهَا، فَالْأَوَّلُ مَوَاجَةً لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهَا وَبِالْبَوَاقِي مَحْفُوظَةً لِبَطْوَهَا. لَكِنْ هَذَانِ الْوَجْهَانِ بَعِيدَانِ عَنِ لِسَانِ الشَّرْعِ وَ مَقَاصِدِ أَهْلِهِ، وَالْوَجْهَ الْأَوَّلُ مِمَّا أَبْدَعْنَا لَا يَخْلُو مِنْ قُوَّةٍ وَلَطَافَةٍ.

«بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَلَا دَسَارٍ يَنْظُمُهَا»، «الْعَمَدُ» بِالتَّحْرِيكِ، جَمْعُ كَثْرَةٍ

٣٢- الْأَنْبِيَاءُ: ٣٢.

٣٣- الصَّافَّاتِ: ٧.

لعمود البيت وكذا «العمد» بضمّتين وجمع القِلة «أعمدة» وقال الخليل في العين: «العمد» بضمّتين، جمع «عماد» و «الأعمدة» جمع «عمود» من حديد أو خشب. و يظهر من تذكير الفعل أنّه من أسماء الجمع. و «الدعم» بالفتح، أن يميل الشيء فتدعمه بدعام كما تدعم عروش الكرم ونحوه ليصير له مساكاً، و «الدعامة» الخشبة التي يدعم بها، و في أكثر النسخ على بناء المجرد مفتوحة العين وهو أظهر، و في بعضها «يدعّمها» بتشديد الدال على بناء الافتعال من الإذعام بمعنى الاتكاء. و «الدار» بالكسر، المسمار وجمعه «دسر»، و «نظم اللؤلؤ» جمعه في السلك، و في بعض النسخ «ينتظمها» وهو أيضاً جاء متعدّياً؛ و الضميران المنصوبان راجعان إلى السماوات أو إلى العليا أو إلى السفلى بقرينة قوله «ثمّ زينها بزينة الكواكب» حيث إنّ الظاهر إرجاع الضمير فيه إلى السفلى ليكون أوفق بقوله — تعالى —: «إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ»^{٣٤}، لكنّه بعيد لفظاً. و إرجاع الضمير إلى الجميع أظهر وتزيين البعض تزيين للجميع، و هذا ممّا يقرب الوجه الذي ذكرنا أولاً. و «الزينة» إمّا مصدر أو اسم ما^{٣٥} يزان به كالليقة لما يلاق به أي يصلح به المداد.

قال في الكشف: قوله — تعالى —: «بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» يحتملها، فعلى الأول إمّا من إضافة المصدر إلى الفاعل بأن تكون الكواكب مزينة للأفلاك، أو إلى المفعول بأن زين الله الكواكب وحسّنها لأنّها إنّما زينت السماء لحسّنها في أنفسها، وعلى الثاني فإضافتها إلى الكواكب بيانية. [انتهى كلام الزمخشري]. وتنوين الزينة كما قرئت الآية به ليس موجوداً في النسخ. وزينة الكواكب للسماء إمّا لضوئها أو للأشكال الحاصلة منها كالثريا والجوزاء ونحوهما أو باختلاف أوضاعها بحركتها أو لرؤية الناس إياها مضيئة في الليلة الظلماء أو للجميع. وقوله — تعالى —: «بِمَصَابِيحٍ»^{٣٦} في موضع آخر ممّا يؤيد بعض الوجوه؛ وسيأتي القول في حال الكواكب في محله.

«وضياء الثواقب» المراد بها إمّا الكواكب، فيكون كالتفسير لزينة الكواكب و

٣٤- الصّافات: ٦.

٣٦- فصلت: ١٢ والملك: ٥.

٣٥- في بعض النسخ: لما يزان.

الكواكب ثواقب أي مضيئة كأنها تثقب الظلمة بضوئها، أو الشهب التي ترمى بها الشياطين فتثقب الهواء بحركتها و الظلمة بنورها. «فأجرى فيها سراجاً مستطيراً و قرأ منيراً» و في بعض النسخ «وأجرى» بالواو، و المراد بالسراج الشمس، كما قال— تعالى: «مِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيرًا»^{٣٧}. قيل: لما كان الليل عبارة عن ظل الأرض و كانت الشمس سبباً لزواله كان شبيهاً بالسراج في ارتفاع الظلمة به. و«المستطير» المنتشر الضوء، و«استطار» تفرق و سطح. و «أنار الشيء و استنار» أي أضاء. وقيل: ما بالذات من النور ضوء، و ما بالعرض نور. كما قال— سبحانه: «هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا»^{٣٨}. وقيل: لأن النور أضعف من الضوء، و الاحتمالات في الضمائر السابقة جارية هنا و إن كان الأظهر عند الأكثر رجوعه إلى السفلى.

«في فلك دائر» الظرف إما بدل عن «فيها» فيفيد حركة السفلى أو العليا أو الجميع على تقادير إرجاع الضمير بالحركة اليومية أو الخاصة أو الأعم، و إما في موضع حال عن المنصوبين، فيمكن أن يكون المراد بالفلك الدائر الأفلاك الجزئية. و«الفلك» بالتحريك، كل شيء دائر، و منه «فلكة المغزل» بالتسكين و يقال: «فلك ثدي المرأة تغليكاً» إذا استدار.

«وسقف سائر ورقم مائر»، «الرقم» في الأصل، الكتاب، فعيل بمعنى مفعول؛ قال ابن الأثير: منه حديث علي— رضي الله عنه— في صفة السماء «سقف سائر ورقم مائر» يريد به وشي السماء بالنجوم. و «المائر» المتحرك، وليس هذا بالمور الذي قال الله— تعالى: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا»^{٣٩}. وهاتان الفقرتان أيضاً تدلان على حركة السماء لكن لا تنافي حركة الكواكب بنفسها أيضاً كما هو ظاهر الآية.

«ثم فتق ما بين السماوات العلى فلأ هن أطواراً من ملائكته» الظاهر أن كلمة «ثم» للترتيب المعنوي، فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس و القمر بل بعد جعلها سبعاً و خلق الكواكب فيه، و يحتمل أن يكون للترتيب الذكري و الظاهر أن المراد بفتقها فصل بعضها عن بعض فيؤيد بعض محتملات الآية كما أشرنا إليه سابقاً. و يدل

على بطلان ما ذهبت الفلاسفة^{٤٠} إليه من تماسّ الأفلاك وعدم الفصل بينها بهواء ونحوه. و«الأطوار» جمع «طور» بالفتح، وهو في الأصل التارة، قال الله - تعالى -: «وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا»^{٤١}. قيل: أي طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة. وقيل: أي حالاً بعد حال. وقيل: أي خلقكم مختلفين في الصفات: أغنياء وفقراء، وزمنى^{٤٢} وأصحاء. ولعلّ الأخير هنا أنسب. ولو كانت الملائكة مخلوقة قبل السماوات كما هو ظاهر بعض الأخبار الآتية فقبل فتقها كانوا في مكان آخر يعلمه الله.^{٤٣}

«منهم سجدوا لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون و مستبحون لا يسأمون» السجود والركوع هنا جمع «ساجد» و «راكع» و فاعل الصفة يجمع على فاعول إذا جاء مصدره عليه أيضاً. و «الانتصاب» القيام. و «الصف» ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلوة والحرب. وقال أبو عبيدة: كل شيء بين السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف، ومنه قوله - تعالى -: «وَالْقُلُوبُ صَافَاتٌ»^{٤٤} أي نشرت أجنحتها، وبالوجهين فسر قوله - تعالى -: «وَالصَّافَاتُ صَفَاءً»^{٤٥}. و«التزاييل» التباين والتفارق. و «السامة» الملالة والضجر.

«لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان»، «غشيه - كعلمه -» إذا جاءه أي لا يعرضهم. و «الفترة» الانكسار والضعف، و ظاهر الكلام اختصاص الأوصاف بهذا الصنف، ويمكن أن يكون التخصيص بها جميعاً أو ببعضها لأمر آخر غير الاختصاص. «ومنهم أمناء على وحيه» الوحي في الأصل أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاختفاء، ويكون بمعنى الكتابة والإشارة والرسالة. «وألسنه إلى رسله» أي رسلاً إليهم، كما قال - تعالى -: «اللَّهُ يَضْطَفِي مِنْ

٤٠- يعني الفلكيين.

٤١- نوح: ١٤.

٤٢- «الزمني» - وزان مرضى - جمع «الزمن» وهو المبتلى بالزمانه وهي آفة تتعطل بها القوى.

٤٣- هذا على فرض وجود مكان غير السماوات والأرض، وأما على فرض عدمه كما لا يبعد استظهاره من الآيات والروايات فلا يحصى عن الالتزام بتجرّد الملائكة.

٤٤- النور: ٤١.

٤٥- الصافات: ١.

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا»^{٤٦}. «ومختلفون بقضائه» أي^{٤٧} مقتضياته كما يأتون به في ليلة القدر وغيرها. «وأمره» أي أحكامه أو الأمور المقدرة، كما قال - تعالى - : «يَا ذِي زُرِّيهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»^{٤٨}. فالأحكام داخله في السابقتين، ويمكن تخصيص الأخير بغير الوحي أي يختلفون لتمشية قضائه وأمره^{٤٩} وتسبب أسبابها.

«ومنهم الحفظة لعباده» لعل المراد غير الحافظين عليهم الذين ذكرهم الله في قوله «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ»^{٥٠} ؛ بل من ذكرهم بقوله - سبحانه - : «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»^{٥١}. ويمكن أن يكون المراد في كلامه الكاتبين للأعمال بتقدير مضاف، وربما يفهم من بعض الأخبار اتحاد الصنفين. و «السدنة لأبواب الجنان» هم المتولون لأموال الجنان وفتح أبوابها وإغلاقها. وأصل السدانة في الكعبة وبيت الأصنام.

«ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم» و في بعض النسخ «في الأرض أقدامهم» وهو أظهر. والجمع على الأول إما باعتبار القطعات والبقاع، أو لأن كلاً من الأرضين السبع موضع قدم بعضهم، والوصف على الأول بالقياس على^{٥٢} سائر الطبقات، وعلى الثاني بالقياس إلى السماء. «والمارقة» أي الخارجة، يقال: «مرق السهم من الرمية» إذا خرج من الجانب الآخر. «من السماء العليا» أي السابعة. «والخارجة من الأفطار» أي من جوانب الأرض أوجوانب السماء «أركانهم» أي جوارحهم. فهذا بيان لضخامتهم وعرضهم. «والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم» لعل المراد بالمناسبة القرب والشباهة في العظم، ويمكن أن يراد بها التماس، فالمراد بهم حلة العرش. «ناكسة دونه» أي دون العرش «أبصارهم»، و «الناكس» المطأطي رأسه، وفي إسناده إلى الأبصار دلالة على عدم التفاتهم في التمسك يميناً وشمالاً. «متلفعون تحته بأجنحتهم»، «اللفاع» ثوب يجلل به الجسد كله كساء كان أو غيره و «تلفع بالثوب»

٤٦- الحج: ٧٥.

٤٧- في بعض النسخ: ومقتضياته.

٤٨- القدر: ٤.

٤٩- في بعض النسخ: قضاء وأمر.

٥٠- الانفطار: ١٠ - ١١.

٥١- الرعد: ١١.

٥٢- في (خ): إلى.

إذا اشتمل به. «وبين من دونهم» أي سائر الملائكة أو البشر أو الجن أو الأعم؛ وفي بعض النسخ «ناكسة» و «مضروبة» و «متلفعين» بنصب الجميع. «لايتوهمون ربهم بالتصوير» أي بأن يثبتوا لله صورة، و الغرض تقديس الملائكة عن إثباتهم لوازم الجسميّة والإمكان له — سبحانه — و التعريض و التوبيخ للمشبهين من البشر. و«النظائر» جمع «نظيرة» وهي المثل و الشبه في الأشكال و الأخلاق و الأفعال، و «النظر» المثل في كلّ شيء، وفي بعض النسخ «بالنواظر» أي بالأبصار أي لايجوزون عليه الرؤية، وفي بعضها «بالمواطن» أي الأمكنة. ٥٣

صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ^(٣٤) الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذِبِهَا وَسَبَخِهَا^(٣٥) ،
تُرْبَةً سَنَهَا^(٣٦) بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا^(٣٧) بِالْبَلَّةِ^(٣٨) حَتَّى
لَزَبَتْ^(٣٩) ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءِ^(٤٠) وَوُصُولٍ ، وَأَعْضَاءٍ
وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا^(٤١) حَتَّى صَلَصَلَتْ^(٤٢) ،
لِوَقْتِ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ^(٤٣)
إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا ، وَفَكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا^(٤٤) ،
وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ ،
وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُونًا بَطِينَةَ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ
الْمُوتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ ، مِنْ الْحَرِّ

وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ ، وَاسْتَأْدَى^(١٥) اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ
لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُنُوعِ
لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ »
أَعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ
الصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ ، وَاسْتَيْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ ،
وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ » .
ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتُهُ ،
وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَأَغْتَرَّهُ^(١٦) عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ ،
وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَاسْتَبَدَلَ
بِالْجَدَلِ^(١٧) وَجَلًّا^(١٨) ، وَبِالْإِغْتِرَارِ نَدَمًا . ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي
تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى
دَارِ الْبَلِيَّةِ ، وَتَنَاسَّلَ الذُّرِّيَّةُ .

بيان: «الحزن» بالفتح، المكان الغليظ الخشن. و «السهل» ضده. و«سنّ
الماء» صبه من غير تفريق. و «خلصت» أي صارت طينة خالصة، وفي بعض النسخ
«خضلت» بالخاء المعجمة والضاد المعجمة المكسورة أي ابتلت. «ولاطها بالبلّة» أي
جعلها ملتصقاً بعضها ببعض بسبب البلّة. و«لزبت» بالفتح أي لصقت كما قال—
تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا هُم مِّنْ طِينٍ لَّزِبٍ»^{٥٤}. و «جبل» بالفتح أي خلق. و «الأحناء»

الأطراف جمع «حنو» بالكسر.^{٥٥} و «الوصول» هي الفصول، والاعتبار مختلف. و «أجدها» أي جعلها جامدة. و «أصلدها» أي صيرها صلبة. و «صلصلت» أي صارت صلصالاً. واللام في قوله — عليه السلام — «لوقت» إِمَّا متعلّق بجبل أي خلقها لوقت نفخ الصور أو ليوم القيامة أو بمحذوف أي كائنة لوقت فينفخ حينئذ روحه فيه، و يحتمل أن يكون الوقت مدّة الحياة والأجل منتهأها أو يوم القيامة. و «مثلت» بضّم الثاء وفتحها، أي قامت منتصباً. و «إنساناً» منصوب بالحاليّة. و «يخدمها» أي يستخدمها. وقوله — عليه السلام — «معجوناً» صفة لقوله «إنساناً» أحوال عنه. و «طينة الإنسان» خلقتها و جبلته. و لعلّ المراد بالألوان الأنواع. و «استأدى وديعته» أي طلب أداءها. و «الخنوع» الذلّ والخضوع.

و المراد بقوله — عليه السلام — «وقبيله» إِمَّا ذرّيّته بأن يكون له في السماء نسل و ذرّيّة وهو خلاف ظواهر الآثار، أو طائفة خلقها الله في السماء غير الملائكة، أو يكون الإسناد إلى القبيل مجازياً لرضاهم بعد ذلك بفعله. و «اعتزتهم» أي غشيتهم. و «الشقوة» بالكسر، نقيض السعادة. و «التعزّز» التكبر. و «النظرة» بكسر الظاء، التأخير والإمهال. و «البلية» الابتلاء. و «إنجاز عدته» إعطاؤه ما وعده من الثواب على عبادته، وقيل: قد وعده الله الإبقاء. و «أرغد عيشته» أي جعلها رغداً و «الرغد من العيش» الواسع الطيب. و «المحلّة» مصدر قولك: «حلّ بالمكان» و الإسناد مجازي. و «اغتره» أي طلب غفلته و أتاه على غرة و غفلة منه. و «نفسه عليه الشيء و بالشيء بالكسر، نفاسة» إذا لم تره له أهلاً. و «نفسه به» بالكسر أيضاً، أي بخلت به. و «المقام» بالضّم، الإقامة. وقيل: في بيع اليقين بالشك وجوه:

الأول: أنّ معيشة آدم في الجنة كانت على حال يعلمها يقيناً و ما كان يعلم كيف يكون معاشه بعد مفارقتها.

الثاني: أنّ ما أخبره الله من عداوة إبليس بقوله: «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ»^{٥٦} كان يقيناً فباعه بالشكّ في نصيح إبليس إذ قال: «إِنِّي لَكُمَا لَيَمَنٌ

النَّاصِحِينَ».^{٥٧}

الثالث: أَنَّ هذا مثل قديم للعرب لمن عملا عمل لا ينفعه وترك ما ينبغي له أن يفعله.

الرابع: أَنَّ كونه في الجنة كان يقيناً فباعه بأن أكل من الشجرة فأهبط إلى دار التكليف آتياً من شأنها الشكّ في أَنَّ المصير منها إلى الجنة أو إلى النار. و«جذل» كفرح لفظاً ومعنى، وسيتضح لك ما تضمنته الخطبة في الأبواب الآتية.

بسط مقال لرفع شبهة واشكال

اعلم أَنّه أجمعت الفرقة المحقة وأكثر المخالفين على عصمة الملائكة — صلوات الله عليهم أجمعين — من صفائر الذنوب و كبائرهما، وسيأتي الكلام في ذلك في كتاب السماء والعالم، وطعن فيهم بعض الحشوية بأنهم قالوا: «أَتَجْعَلُ»^{٥٨} والاعتراض على الله من أعظم الذنوب وأيضاً نسبوا بني آدم إلى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر، ومدحوا أنفسهم بقولهم: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ»^{٥٩} وهو عجب، وأيضاً قولهم: «لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»^{٦٠} اعتذاراً والعذر دليل الذنب، وأيضاً قوله — [تعالى] —: «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{٦١} دلّ على أَنّهم كانوا كاذبين فيما قالوه، وأيضاً قوله — [تعالى] —: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ»^{٦٢} يدلّ على أَنّهم كانوا مرتابين في علمه — تعالى — بكلّ المعلومات، وأيضاً علمهم بالإفساد وسفك الدماء إمّا بالوحي وهو بعيد وإلا لم يكن لإعادة الكلام فائدة، وإمّا بالاستنباط والظنّ وهو منهى عنه.

وأجيب عن اعتراضهم على الله بأنّ غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الإنكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه، وإنّا المقصود من ذلك أمور:

منها: أَنَّ الإنسان إذا كان قاطعاً بحكمة غيره ثمّ رآه يفعل فعلاً لا يهتدي ذلك الإنسان إلى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجباً فكانت لهم قالوا: إعطاء هذه النعم

٥٧- الاعراف: ٢١.

٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢- البقرة: ٣٠ — ٣٣.

العظام من يفسد و يفسك لا تفعله إلا لوجه دقيق و سر غامض، فما أبلغ حكمتك!
ومنها: أَنْ إبداء الإشكال طلباً للجواب غير محظور، فكأنه قيل: إلهنا أنت
الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة، وتمكين السفه من السفه قبيح من الحكيم، فكيف
يمكن الجمع بين الأمرين؟ أو أَنَّ الخيرات في هذا العالم غالباً على شرورها، وترك الخير
الكثير لأجل الشرّ القليل شر كثير، فالملائكة نظروا إلى الشرور، فأجابهم الله—
تعالى— بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^{٦٣} أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها
الحكيم لأجل الشرور القليلة.

ومنها: أَنَّ سؤاهاهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله—تعالى— فإنّ العبد
المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبدٌ يعصيه.

ومنها: أَنَّ قولهم: «أَتَجْعَلُ» مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن
كان ذلك صلاحاً، نحو قول موسى: «أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»^{٦٤} أي لا تهلك،
فقال—تعالى—: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من صلاحكم و صلاح هؤلاء، فبين أنه
اختارهم السماء و هؤلاء الأرض ليرضى كل فريق بما اختار الله له.

ومنها: أَنَّ هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير «ألستم خير من
ركب المطايا» أي أنتم كذلك وإلا لم يكن مدحاً؛ فكأنهم قالوا: إنك تفعل ذلك ونحن
مع هذا نسيح بحمدك، لأننا نعلم في الجملة أنك لا تفعل إلا الصواب و الحكمة،
فقال—تعالى—: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فأنتم علمتم ظاهريهم و هو الفساد و القتل،
و أنا أعلم ظاهريهم و مافي باطنهم من الأسرار الخفية التي يقتضي اتخاذهم.

والجواب عن الغيبة أَنَّ من أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرض لحل الإشكال،
فلذلك ذكروا الفساد والسفك مع أَنَّ المراد أَنَّ مثل تلك الأفعال يصدر عن بعضهم،
ومثل هذا لا يعد غيبه؛ ولو سلم فلانسلم ذلك في حق من لم يوجد بعد، ولو سلم فيكون
غيبه للفساق وهي مجوزة، ولو سلم فلانسلم أَنَّ ذكر مثل ذلك لعلام الغيوب يكون محرماً
لاسيما من الملائكة الذين جماعة منهم مأمورون بتفتيش أحوال الخلائق وإثباتها في

الصحف وعرضها على البارئ — جلّ اسمه —.

وعن العُجب بأنّ مدح النفس غير ممنوع منه مطلقاً، كما قال — تعالى —: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^{٦٥} على أنّهم إنّما ذكروه لتتمة تقرير الشبهة.

وعن الاعتذار بأنّه لا يستلزم الذنب بل قد يكون لترك الأولى.

ثم إنّ العلماء ذكروا في إخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوهاً.

منها: أنّهم قالوا ذلك ظناً لما رأوا من حال الجنّ الذين كانوا قبل آدم — عليه السلام — في الأرض، وهو المرويّ عن ابن عباس والكلبيّ، ويؤيده ما روينا عن تفسير الإمام — عليه السلام — سابقاً، أو أنّهم عرفوا خلقته وعلوم أنّه مركّب من الأركان المتخالفة والأخلاق المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدماء.

ومنها أنّهم قالوا ذلك على اليقين، لما يروى عن ابن مسعود وغيره أنّه — تعالى — لما قال للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^{٦٦} قالوا: ربّنا وما يكون الخليفة؟ قال: تكون له ذرّية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فعند ذلك قالوا: ربّنا أنجعل فيها؛ أو أنّه — تعالى — كان قد أعلم الملائكة أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها ويسفك الدماء^{٦٧}، أو أنّه لما كتب القلم في اللوح ماهو كائن إلى يوم القيامة فلعلّهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك؛ أو لأنّ معنى الخليفة إذا كان النائب عن الله في الحكم والقضاء، والاحتياج^{٦٨} إنّما يكون عند التنازع والتظالم^{٦٩} كأنّ الاخبار عن وجود الخليفة إخبار عن وقوع الفساد والشرّ بطريق الالتزام.

وقيل: لما خلق الله التار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا: «لم خلقت هذه

٦٥- الضحى: ١١.

٦٦- البقرة: ٣٠.

٦٧- في المطبوع: وأسفكوا الدماء.

٦٨- أي والاحتياج بوجود الخليفة.

٦٩- الحديث ضعيف بمقاتل بن سليمان، والرجل هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدّي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر نزّيل مرو؛ يقال له: ابن دوال دوز، عدّوه أصحابنا في كتبهم الرجالية من البرّة ومن العامة، ورماه العامة بالكذب والتجسيم. راجع تقريب ابن حجر، ص ٥٠٥.

النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي.» ولم يكن يومئذ الله خلق إلا الملائكة، فلما قال: «إني جماعل في الأرض خليفة» عرفوا أن المعصية منهم.

وجملة القول في ذلك أنه لما ثبت بالنصوص وإجماع الفرقة المحقة عصمة الملائكة لابتدأ من تأويل ما يوهم صدور المعصية منهم على نحو ما مر في عصمة الأنبياء— عليهم السلام.^{٧٠}

[هذا بيان آخر في صفة خلق آدم— عليه السلام:—]

توضيح: «استأدى وديعته» أي طلب أداءها، والوديعة اشارة الى قوله— تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا».^{٧١} و«الخنوع» الخضوع. و«القبيل» في الأصل، الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى، فإن كانوا من أب واحد فهم قبيلة، وضم القبيل^{٧٢} هنا إلى ابليس غريب فإنه لم يكن له في هذا الوقت ذرية ولم يكن أشباهه في السماء فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجن في الارض بأن يكونوا مأمورين بالسجود أيضاً، وعدم ذكرهم في الآيات وسائر الاخبار لعدم الاعتناء بشأنهم، أو المراد به طائفة خلقها الله— تعالى— في السماء غير الملائكة، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل ذريته ويكون إسناد عدم السجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال— عليه السلام— في موضع آخر: إنما يجمع الناس الرضا والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمتهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال— سبحانه—: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِ مِينَ» (الشعراء: ١٥٧).^{٧٣}

«اعتزتهم» أي غشيتهم. و«التعزز» التكبر. و«استوهنه» أي عده وهذا ضعيفاً. «نفاسة» أي بخلاً.^{٧٤}

٧٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، ص ١٢٣ - ١٢٦.

٧١- الحجر: ٢٨.

٧٢- قد عرفت أن النسخة المطبوعة بمصر والشرح لابن أبي الحديد هما خاليان عنها.

٧٣- نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٤٢.

٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٣، باب ذكر إبليس وقصصه، ص ٢١٣.

اختيار الانبياء.

وَأَصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ^(٥٩) ،
وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ
فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ^(٥٠) مَعَهُ ، وَاجْتَالَتَهُمْ^(٥١) الشَّيَاطِينُ عَنْ
مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ ، وَوَاتَرَ^(٥٢)
إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ،
وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرَوِّهُمُ
آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ،
وَمَعَايِشَ تُخَيِّبُهُمْ ، وَآجَالَ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ^(٥٣) تُهَرِّمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ
تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ؛ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ
مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ^(٥٤) قَائِمَةٍ : رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ
قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ : مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ،
أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ : عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتْ^(٥٥) الْقُرُونُ ، وَمَضَتْ الدُّهُورُ ،
وَسَلَفَتْ الْأَبَاءُ ، وَخَلَفَتْ الْأَبْنَاءُ .

بيان: «على الوحي» أي على أذائه. «واجتالهم» أي أدارتهم تارة هكذا و
تارة هكذا. «وواتر إليهم» أي أرسلهم وتراً بعد وتر. والإضافة في «دفائن العقول»
بتقدير «في» أي العلوم الكامنة في العقول، أو بيانية أي العقول

المغمورة في الجهالات. و «الأوصاب» الأمراض. و «الأحداث» المصائب. «على ذلك نسلت» أي درجت ومضت. ٧٥.

مبعث النبي

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ^(٥٦) ، وَإِتْمَامِ نُبُوتِهِ ، مَاخُذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ ، مَشْهُورَةً سَمَاتُهُ^(٥٧) ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِدٍ^(٥٨) فِي أَسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنْ لُجْهَالَةٍ . ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلُوَى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتْ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا ، بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ^(٥٩) :

بيان: الضمير في «عدته» راجع إلى الله، و في «نبوته» إلى الرسول، ويحتمل إرجاعهما إلى الرسول بأن يكون الإضافة في عدته إضافة إلى المفعول، كما يحتمل إرجاعهما إلى الله بأن يكون المراد بقوله: نبوته النبوة التي سنها وقدرها لإصلاح الخلق.

و«السمّة» العلامة. و«الميلاد» وقت الولادة. و«الطرائق» المذاهب. و«التثتت» التفرّق و الانتشار. قوله «ملحد في اسمه» أي يطلق عليه وينسب إليه ما لا يليق به، أو يطلق اسمه على غيره. قوله «أومشير إلى غيره» كالدهرية و عبدة الأصنام. وفي قوله «ملل» و ما بعده تقدير مضاف أي ذووا ملل، أو الحمل على المبالغة، أو يقدر المضاف في المبتدأ وبعضها مؤكدة لبعض، ويمكن الفرق بوجه.^{٧٦}

القرآن والاحكام الشرعية

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ : مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ ،
وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ^(٦٠) ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ^(٦١) ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ ،
وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ ، وَمُرْسَلَهُ وَمَخْذُودَهُ^(٦٢) ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ^(٦٣) ،
مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَاخُودٍ مِثَاقٍ عَلَيْهِ ، وَمُوسَعٍ
عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ^(٦٤) ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي
السُّنَنِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَةِ أَخْذُهُ ، وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ،
وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ، مِنْ
كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ
فِي أَذْنَاهُ ، مُوسَعٍ فِي أَقْصَاهُ .

ومنها هي ذكر الحج

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ،
يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُؤَهُ الْحَمَامِ^(٦٥) ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ
عَلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً
أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ،
وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ . يُخْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَنْجَرِ عِبَادَتِهِ ،
وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْماً ،
وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا ، فَضَرَّ حَقُّهُ ، وَأَوْجَبَ حَجُّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ
وِفَادَتَهُ^(٦٦) ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » .

٢ - مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ

بعد انصرافه من صفين

وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين

أَحْمَدُهُ أَسْتَتَمَامًا لِنِعْمَتِهِ ، وَأَسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ ، وَأَسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ .
وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ ؛ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَلَا يَثِلُ^(٦٧) مَنْ

عَادَاهُ ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَزَنَ ، وَأَفْضَلُ مَا خَزَنَ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً مُتَّحِنَةً إِخْلَاصُهَا ،
مُعْتَقَدَةً مُصَاصُهَا^(٦٨) ، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا ، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا
يَلْقَانَا ، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ ،
وَمَذْحَرَةُ الشَّيْطَانِ^(٦٩) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ
الْمَشْهُورِ ، وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ ،
وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ، وَاحْتِجَاجًا
بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ^(٧٠) ، وَالنَّاسُ فِي
فِتْنٍ أَنْجَذَمَ^(٧١) فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ^(٧٢) ،
وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ^(٧٣) ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ ،
فَالْهُدَى خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمَنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ،
وَحُذِلَ الْإِيمَانُ ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ ، وَدَرَسَتْ^(٧٤)
سُبُلُهُ ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ^(٧٥) أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكَوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا
مَنَاهِلَهُ^(٧٦) ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ لِيَاوُهُ ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا^(٧٧) ،
وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا^(٧٨) ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا^(٧٩) ، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ
حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ ، فِي خَيْرٍ دَارٍ ، وَشَرٍّ جِيرَانٍ . نَوْمُهُمْ سُهُودٌ ،
وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بَارِضٍ عَالِمِهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلِهَا مُكْرَمٌ .

توضيح: قوله «والعلم المأثور» العلم إما بالكسر أو بفتحين أي ما يهتدى به و «المأثور» المقدم على غيره، والمنقول، ولا يخفى مناسبتها. و«الصادع» الظاهر الجليّ. و «المثلات» جمع «مثلة» بفتح الميم وضَمّ الثاء، العقوبة. قوله «انجذم» أي انقطع، وفي بعض النسخ بالزاي بمعنى. و«الزعزعة» الاضطراب. و «السواري» جمع «السارية» و هي الدعامة. و «النجر» الأصل والطبع. «فانهارت» أي انهدمت. و «تنكرت» أي تغيرت. و «الشُرْك» بضمّتين جمع «شركة» بفتحين وهي معظم الطريق أو وسطها. قوله «في فتن داستهم» متعلّق بقوله «سارت وقام» أو خبر ثان لقوله «والناس». و «السنابك» أطراف مقدّم الحافر. قوله «في خيردار» إما خبر ثالث، أو متعلّق بقوله «تأثّون» وما بعده. والمراد بخيرالدار مكّة وبشرّ الجيران كفّار قريش، والعالم الملجم من آمن به، والجاهل المكرم من كذّبه؛ وفيه احتمالات أخر لا يناسب المقام. وقوله — عليه السلام — «نومهم سهود و كحلهم دموع» كناية عن كثرة الفتن فيهم بحيث كانوا لا ينامون اهتماماً بأنفسهم وإعداداً لقتال عدوّهم و يبيكون على قتلاهم وما ذهب منهم من الأموال وغيرها.^{٧٧}

ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ ^(٨٠) ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ^(٨١) ، وَمَوْتِلُ ^(٨٢)
حُكْمِهِ ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ أَنْحِنَاءُ ظَهْرِهِ ،
وَأَذْهَبَ أَرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ ^(٨٣)

ومنها يعني قوما آخرين

زَرَعُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ ^(٨٤) ، لَا يُقَاسُ

بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسَوِّى بِهِمْ
مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا : هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ .
إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي ^(٨٥) ، وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي . وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ
الْوِلَايَةِ ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ ؛ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ،
وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ !

٣ - وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقِيقِيَّةِ

وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مسايرة الناس له

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ^(٨٦) فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ
مِنَ الرَّحَا . يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّبِيلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ؛ فَسَدَلْتُ ^(٨٧)
دُونَهَا ثَوْبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا ^(٨٨) . وَطَفِقتُ أَرْتَثِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ
بِيَدٍ جَدَّاءَ ^(٨٩) ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ ^(٩٠) يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ
فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْذَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ !

ترجيح الصبر

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجُّ ^(٩١) ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ،
وَفِي الْحَلْقِ شَجًا ^(٩٢) ، أَرَى تُرَاثِي ^(٩٣) نَهْبًا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ،

فَأَدْلَى بِهَا ^(٩٤) إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَى :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ^(٩٥) وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

فَيَا عَجَبًا !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا ^(٩٦) فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرٍ بَعْدَ
وَفَاتِهِ - لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا ^(٩٧) ! - فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءٍ يَغْلُظُ
كَلْمُهَا ^(٩٨) ، وَيَخْشُنُ مَسَّهَا ، وَيَكْثُرُ الْغَثَارُ ^(٩٩) فِيهَا ، وَالْأَعْتَذَارُ مِنْهَا ،
فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّغْبَةِ ^(١٠٠) إِنْ أَشْنَقَ ^(١٠١) لَهَا خَرَمٌ ^(١٠٢) ، وَإِنْ أَسْلَسَ ^(١٠٣)
لَهَا تَقَحَّمٌ ^(١٠٤) ، فَمِنْ بَيْنِي ^(١٠٥) النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ ^(١٠٦) وَشِمَاسٍ ^(١٠٧) ،
وَتَلَوْنٍ وَأَعْتِرَاضٍ ^(١٠٨) ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِخْنَةِ ؛ حَتَّى
إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَا لِلشُّورَى ^(١٠٩) !
مَتَى أَعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ
النَّظَائِرِ ^(١١٠) ! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ ^(١١١) إِذْ أَسَفُوا ، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا ؛
فَصَغَا ^(١١٢) رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيَصْغِيهِ ^(١١٣) ، وَمَالَ الْآخِرُ لِيَصْهَرِهِ ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ ^(١١٤) ،
إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ ^(١١٥) ، بَيْنَ نَشِيلِهِ ^(١١٦) وَمُعْتَلِفِهِ ^(١١٧) ،
وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ ^(١١٨) مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ ^(١١٩) ،
إِلَى أَنْ أَنْتَكَّتْ ^(١٢٠) عَلَيْهِ فَتَلَّهُ ، وَأَجْهَزَ ^(١٢١) عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ ^(١٢٢)
بِهِ بِطْنَتُهُ ^(١٢٣) !

مبايعة علي

فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ ^(١٢٤) إِلَيَّ ، يَنْثَالُونَ ^(١٢٥) عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ^(١٢٦) ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ ^(١٢٧) . فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ^(١٢٨) ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ^(١٢٩) ، وَقَسَطَ آخَرُونَ ^(١٣٠) : كَانَهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » بَلَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا ^(١٣١) فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَاقَهُمْ زِبْرُجُهَا ^(١٣٢) !

أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ^(١٣٣) ، لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ^(١٣٤) ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ^(١٣٥) ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارَأُوا ^(١٣٦) عَلَى كِطَّةٍ ^(١٣٧) ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبٍ ^(١٣٨) مَظْلُومٍ ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ^(١٣٩) ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ ^(١٤٠) !

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ^(١٤١) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً [قيل : إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها] ، فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته] قال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لو اطرَدَتْ خُطْبَتُكَ ^(١٤٢) من حيث أفضيت ^(١٤٣) !

فَقَالَ : هَيْهَاتَ يَا بَنَ عَبَّاسٍ ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^(١٤٤) هَدَرَتْ^(١٤٥) ثُمَّ قَرَّتْ^(١٤٦) !

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .



قال الشريف رضي الله عنه : قوله عليه السلام « كراكب الصعبة إن أشتق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ؛ يقال : أشتق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشتقها أيضاً : ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق » ، وإنما قال : « اشتق لها » ولم يقل « أشتقها » لأنه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام .
المدارك:

مع و ع : الطالقاني، عن الجلودي، عن أحمد بن عمار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد، عن علي بن حذيفة^{٧٨}، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

ها: الحفّار، عن أبي القاسم الدعبلّي، عن أبيه، عن أخيه دعبل، عن محمد بن سلامة الشاميّ، عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه — عليهم السلام — ، و الباقر — عليه السلام — عن ابن عباس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين ، فقال : « والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة » ، وذكر نحوه بأدنى تغيير .

شا: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال : كنت عند أمير المؤمنين — عليه السلام — بالرجبة فذكر الخلافة وتقديم من تقدّم عليه فتنفّس الصعداء ثم قال : « أم والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة... » ، وساق الخبر إلى آخره .

إيضاح: هذه الخطبة من مشهورات خطبه — صلوات الله عليه — روتها الخاصة والعامة في كتبهم وشرحوها وضبطوا كلماتها كما عرفت رواية الشيخ الجليل المفيد و شيخ الطائفة والصدوق، و رواها السيد الرضي — رضي الله عنه — في نهج البلاغة والطبرسي في الاحتجاج — قدس الله أرواحهم — و روى الشيخ قطب الدين الراوندي — قدس سره — في شرحه على نهج البلاغة بهذا السند: أخبرني الشيخ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم، عن الحاجب أبي الوفا محمد بن بديع والحسين بن أحمد بن عبد الرحمن، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الإصفهاني، عن سليمان بن أحمد الطبراني، عن أحمد بن علي الآباد، عن اسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقي، عن خليل بن دعلج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال كتّامع علي — عليه السلام — بالرحبة فجرى ذكرى الخلافة و من تقدّم عليه فيها، فقال: «أما والله لقد تقمّصها فلان...» إلى آخر الخطبة.

و من أهل الخلاف رواها ابن الجوزي في مناقبه، و ابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد، و أبو علي الجبائي في كتابه، و ابن الخشاب في درسه على ما حكاه بعض الأصحاب، و الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب المواعظ و الزواجر على ما ذكره صاحب الطرائف؛ و فسر ابن الأثير في النهاية لفظ الشقشقة ثم قال: و منه حديث علي — عليه السلام — في خطبة له: «تلك شقشقة هدرت ثم قرّت»، و شرح كثيراً من ألفاظها.

وقال الفيروز آبادي في القاموس عند تفسيرها: «الشقشقة» بالكسر، شيء كالرية يخرج البعير من فيه إذا هاج. و الخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس لما قال: لو أطر دت مقاتلك من حيث أفضيت: «يا ابن عباس! هيات، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت».

وقال عبد الحميد ابن أبي الحديد رداً على من قال: إنها تأليف السيد الرضي: قد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة و كان في دولة مقتدر قبل أن يخلق السيد الرضي بمدة طويلة،

ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الامامية وكان من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي ومات قبل أن يكون الرضي موجوداً. ثم حكى عن شيخه مصدق الواسطي أنه قال: لما قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب قلت له: أتقول: إنها منحولة؟

فقال: لا والله، وإني لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدق.

قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي!

فقال لي: أتى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب؟! قد وقفنا

على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور.

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب قد صتفت قبل أن يخلق

الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرف أنها خطوط من هو من العلماء و

أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبوأحمد والد الرضي.^{٧٩}

وقال ابن ميثم البحراني - قدس سره -: وجدت هذه الخطبة بنسخة عليها

خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد

الرضي بنيف و ستين سنة. انتهى.^{٨٠}

ومن الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أن القاضي عبد الجبار

الذي هو من متعصبي المعتزلة قد تصدى في كتاب المغني لتأويل بعض كلمات الخطبة

ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدم عليه ولم ينكر استناد الخطبة إليه.

وذكر السيد المرتضي - رضي الله عنه - كلامه في الشافي وزيفه وهو أكبر من

أخيه الرضي - قدس الله روحهما - وقاضي القضاة متقدم عليها؛ ولو كان يجد للقدح في

استناد الخطبة إليه - عليه السلام - مساعاً لما تمسك بالتأويلات الركيكة في مقام

الاعتذار وقدح في صحتها كما فعل في كثير من الروايات المشهورة وكفى للمنصف

وجودها في تصانيف الصدوق - رحمه الله - وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلثمائة

٧٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، ط بيروت.

٨٠- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٥٢.

وكان مولد الرضيّ - رضي الله عنه - سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.^{٨١}

ولنشرح الخطبة ثانياً لمزيد الإيضاح والتبيين وللإشارة إلى ما ذكره في تفسيرها وشرحها بعض المحققين ونبي الشرح على ما أورده السيّد - قدس سرّه - في النهج ليظهر مواضع الاختلاف بينه وبين ما سلف من الروايات مستعيناً بخالق البريات.

قال السيّد: ومن خطبة له - عليه السلام - المعروفة بالشَّقِيقِيَّة: «أما والله لقد تقمّصها فلان» أي اتخذها قيصاً، وفي التشبيه بالقميص الملاصق للبدن دون سائر الأثواب تنبيه على شدة حرصه عليها، والضمير راجع إلى الخلافة كما ظهر من سائر الروايات. و«فلان» كناية عن أبي بكر و كان في نسخة ابن أبي الحديد: «ابن أبي قُحافة»^{٨٢} بضمّ القاف وتخفيف الحاء كما في بعض الروايات الأخرى، وفي بعضها «أخوتيم»؛ والظاهر أنّ التعبير بالكناية نوع تقية من السيّد - رحمه الله -، والنسخة المقروءة عليه كانت متعدّدة فلعلّه عدل في بعضها عن الكناية لزوال الخوف، ويمكن أن تكون التقية من النساخ ويدلّ على أنّ الكناية ليست من لفظه - عليه السلام -.

إنّ قاضي القضاة في المغني تصدّى لدفع دلالة تعبيره - عليه السلام - عن أبي بكر بابن أبي قحافة دون الألقاب المادحة على استخفاف به بأنّه قد كانت العادة في ذلك الزمان أن يستمي أحدهم صاحبه ويكتّبه ويضيفه إلى أبيه حتّى كانوا ربّما قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وآله -: يا محمّد! فليس في ذلك استخفاف ولا دلالة على الوضع.

فأجاب السيّد - رضي الله عنه - بما في الشافي عنه بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم والتبجيل وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من يريد تعظيمه؛ وقوله «أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان ينادى باسمه» فعاذ الله، ما كان ينادي باسمه إلّا شاكّ فيه أو جاهل من طغام الأعراب؛ وقوله «إنّ

٨١- الظاهر أنّ مراده بالصدوق عليّ بن بابويه (المتوفى سنة ٣٢٩) والد أبي جعفر الصدوق - رحمه الله - وإلّا فوفاة الصدوق كانت سنة ٣٨١، فتأمّل.

٨٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٥١، ط بيروت.

ذلك عادة العرب» فلاشك أنّ ذلك عادتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصديق ونحوه.

«وإنّه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى» الواو للحال، و «قطب الرّحى» الحديد المصوبة في وسط السفلى من حجري الرّحى التي تدور حولها العليا، أي تَقَمَّص الخلافة مع علمه: أنّي مدار أمرها ولا تنتظم إلّا بي ولا عوض لها عتيّ كما أنّ الرّحى لا تدور إلّا بالقطب ولا عوض لها عنه. وقال ابن أبي الحديد: عندي أنّه أراد أمراً آخر وهو أنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها ومجروحها كما أنّ القطب وسط دائرة الرّحى، ولا يخفى نقصان التشبيه حينئذ.

وقال في المغني: أراد أنّه أهل لها و أنّه أصلح منه للقيام بها؛ يبيّن ذلك أنّ القطب من الرّحى لا يستقلّ بنفسه ولا بدّ في تمامه من الرّحى فنّه بذلك على أنّه أحقّ وإن كان قد تَقَمَّصها.

ورده السيّد رضي الله عنه— بأنّ هذا التّأويل مع أنّه لا يجري في غير هذا اللفظ من الألفاظ المروية عنه— عليه السلام— فاسد لأنّ مفاد هذا الكلام ليس إلّا التفرّد في الاستحقاق وأنّ غيره لا يقوم مقامه، لا أنّه أهل للأمر وموضع له. وقوله «إنّ القطب لا يستقلّ بنفسه» تأويل على عكس المراد فإنّ الاستفادة من هذا الكلام عند من يعرف اللّغة عدم انتظام دوران الرّحى بدون القطب، لا عدم استقلال القطب بدون الرّحى.

«بنحدر عتيّ السّيل، ولا يرقى إلّيّ الطير»، «انحدر السّيل» لعلّه كناية عن إفاضة العلوم والكمالات وسائر التّعمّ الدنيويّة والأخرويّة على الموادّ القابلة. وقيل: المعنى أنّي فوق السّيل بحيث لا يرتفع إلّيّ وهو كما ترى. ثمّ إنّّه— عليه السلام— ترقى في الوصف بالعلوّ بقوله «ولا يرقى إلّيّ الطير»، فإنّ مرقى الطير أعلى من منحدر السّيل فكيف مالا يرقى إليه، والغرض إثبات أعلى مراتب الكمال للدّلالة على بطلان خلافة من تَقَمَّصها لقبّح تفضيل المفضول.

«فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً» يقال: «سدل الثّوب يسدله» بالضمّ، أي أرخاه و أرسله. «و دون الشيء» أمامه وقريب منه. والمعنى: ضربت

بيني وبينها حجاباً وأعرضت عنها ويشت منها. و«الكشح» ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع، ويقال: «فلان طوى كشحه» أي أعرض مهاجراً ومال عني. وقيل: أراد غير ذلك وهو أن من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أن من أكل وشبع فقد ملأ كشحه.

«وظفقت أرثني بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء»، «طفق في كذا» أي أخذ وشرع. و«أرثني في الأمر» أي أفكر في طلب الأصلاح وهو افعل من روية القلب أو من الرأي. و«الصولة» الحملة والوثبة. و«الجذاء» بالجيم والذال المعجمة، المقطوعة والمكسورة أيضاً كما ذكره الجوهري. وقال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام —: «أصول بيد جذاء» كتي به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد. ويروي بالحاء المهملة وفسره في موضعه باليد القصيرة التي لا تمتد إلى ما يراد، قال: وكأنّها بالجيم أشبه. و«الطخية» بالضم كما صحّح في أكثر النسخ، الظلمة أو الغيم؛ وفي بعضها بالفتح. في القاموس: «الطخية» الظلمة، و يثلاث، ولم يذكر الجوهري سوى الضمّ وفسره بالسحاب. وفي النهاية: «الطخية» الظلمة والغيم. و«العمياء» تأنيث الأعمى وصفه الطخية بها لأنّ الرائي لا يبصر فيها شيئاً، يقال: «مفازة عمياء» أي لا يهتدي فيها الدليل، وهي مبالغة في وصف الظلمة بالشدّة. وحاصل المعنى أنّي لما رأيت الخلافة في يد من لم يكن أهلاً لها كنت متفكراً مردداً بين قتالهم بلا أعوان وبين معاينة الخلق على جهالة وضلالة وشدّة.

«يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقي ربّه» يقال: «هرم» — كفرج — أي بلغ أقصى الكبر. و«الشيب» بالفتح، بياض الشعر. و«الكدح» الكدّ والعمل والسعي. والجُمْل الثلاثة أوصاف للطخية العمياء، وإيجابها لهمم الكبير وشيب الصغير إمّا لكثرة الشدائد فيها فإنّها ممّا يسرع بالهرم والشيب أو لظول مدّتها وتمادي أيامها ولياليها أولاً لمؤمرين جميعاً؛ وعلى الوجهين الأولين فسر قوله — تعالى —: «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانُ شِيبًا». ^{٨٣} وكدح المؤمن يمكن أن يراد به لاذعه

أعني التعب ومقاساة الشدة في الوصول إلى حقه؛ وقيل: يسعى فلا يصل إلى حقه فالكدح بمعناه؛ وقيل: المراد به أن المؤمن المجتهد في الذب عن الحق والأمر بالمعروف يسمى فيه ويكذ ويقاسي الشدائد حتى يموت. وفي رواية الشيخ والطبرسي: «يرضع فيها الصغير، ويدب فيها الكبير» وهو كناية عن طول المدة أيضاً أي يمتد إلى أن يدب كبيراً من كان يرضع صغيراً؛ يقال: «دب يدب ديباً» أي مشى على هيئته. «فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً»، كلمة «ها» في «هاتا» للتنبيه و«تا» للإشارة إلى المؤنث؛ أشير بها إلى الطخية الموصوفة. و«أحجى» أي أولى وأجدر وأحق، من قولهم «حجى بالمكان» إذا أقام و ثبت؛ ذكره في النهاية. وقيل: أي أليق وأقرب بالحجى وهو العقل. و«القذى» جمع «قذاة» وهي ما يسقط في العين وفي الشراب أيضاً من ثبن أوتراب أو وسخ. و«الشجى» ما اعترض في الحلق ونشب من عظم ونحوه. و«التراث» ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل من الواو. و«التهب» السلب والغارة والغنيمة. والجملة بيان لوجود القذى والشجى.

وفي رواية الشيخين والطبرسي: «فرأيت الصبر» وفي رواية الشيخ: «تراث محمد - صلى الله عليه وآله - نهياً» وفي تلخيص الشافعي: «من أن أرى تراثي نهياً». والحاصل أنني بعد التردد في القتال استقر رأيي على أن الصبر أجدر وذلك لأداء القتال إلى استيصال آل الرسول - صلى الله عليه وآله - كلمة الإسلام لغلبة الأعداء.

وقال بعض الشارحين: في الكلام تقديم وتأخير والتقدير: ولا يرق إليّ الظير فطفقت أرثي بين كذا وكذا فرأيت الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وصبرت وفي العين قذى... إلى آخر الفصل. لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوي عنها كشحاً ثم يرتي. والتقديم والتأخير شائع في لغة العرب، قال الله - تعالى -: «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَئِيمًا».^{٨٤}

انتهى. ويمكن أن يقال: سدل الثوب وطّي الكشح لم يكن على وجه البتّ وتصميم العزم على الترك، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبّر في عاقبة الأمر، ولعلّ الفقرتين بهذا المعنى أنسب.

«حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده» قيل: تقديره مضى على سبيله، وأدلى بها إلى فلان أي ألقاها إليه ودفعها. والتعبير بلفظ «فلان» كما مرّ. وفي نسخة ابن أبي الحديد بلفظ ابن الخطاب^{٨٥} وفي بعض الروايات إلى عمر. و«إدلاؤه إليه بها» نصبه للخلافة. وكان ابن الخطاب يسمّي نفسه خليفة أبي بكر، ويكتب إلى عمّاله: من خليفة أبي بكر... حتى جاءه لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم، فقالا لعمر بن العاص: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فخاطبه عمرو بن العاص بأمر المؤمنين، فجرى ذلك في المكاتب من يومئذ؛ ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب.

ثمّ تمثّل — عليه السلام — بقول الأعشى:

شَتَان مَيُومِي عَلَى كُورِهَا ٥ وَ يَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

تمثّل بالبيت أشده للمثّل، والأعشى ميمون بن جندل. و«شَتَان» اسم فعل وفيه معنى التعجّب. و«الكور» بالضم، رحل البعير بأداته والضمير راجع إلى الناقة. و«حَيَّان» كان صاحب حصن باليمامة وكان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قومه يصله كسرى في كلّ سنة وكان في رفاهية ونعمة مصوناً من وعثاء السفر، لم يكن يسافر أبداً، وكان الأعشى يناديه وكان أخوه جابر أصغر سنّاً منه. يروى أنّ حَيَّان عاتب الأعشى في نسبته إلى أخيه فاعتذر بأن اضطرّني إلى ذلك، فلم يقبل عذره.

ومعنى البيت كما أفاده السيّد المرتضى — رضي الله عنه — إظهار البعد بين يومه ويوم حَيَّان لكونه في شدّة من حرّ الهواجر وكون حَيَّان في راحة وخفض، وكذا غرضه — عليه السلام — بيان البعد بين يومه صابراً على القذى والشجى وبين يومهم فائزين بما طلبوا من الدنيا. وهذا هو الظاهر المطابق للبيت التالي له، وهو ممّا تمثّل به — عليه السلام — على ما في بعض النسخ وهو قوله:

أرمى بها البسيد^{٨٦} إذ هجرت وأنت بين القرو والعاصر
و«البيد» بالكسر، جمع البداء وهي المفازة. و«التهجير» السير في الهاجرة و
هي نصف النهار عند شدة الحر. و«القرو» قرح من الخشب وقيل: إناء صغير أو جانة
للشرب. و«العاصر» الذي يعصر العنب للخمر؛ أي أنا في شدة حرّ الشمس أسوق
ناقتي في الفيا في وأنت في عيش وشرب. وقال بعض الشارحين: المعنى: ما أبعد ما بين
يومي على كور الناقة أدأب وأنصب وبين يومي منادماً حيان أخي جابري خفض و
دعة. فالغرض عن التمثّل إظهار البعد بين يومه — عليه السلام — بعد وفات الرسول —
صلّى الله عليه وآله — مقهوراً ممنوعاً عن حقّه وبين يومه في صحبة النبي — صلّى الله
عليه وآله —. «فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته» أصل
«يا عجباً» يا عجيبي قلبت الياء ألفاً كأنّ المتكلّم ينادي عجبه ويقول له: أحضر فهذا أو
إنّ حضورك. و«بينا» هي «بين» الظرفيّة أشبعت فتحها فصارت ألفاً وتقع بعدها
إذا الفجائية غالباً. و«الاستقالة» طلب الإقالة وهو في البيع فسخه للندم، وتكون في
البيعة والعهد أيضاً. واستقالته قوله بعد ما بويح: «أقيلوني فليست بخيركم وعليّ —
عليه السلام — فيكم». وقد روى خبر الاستقالة الطبريّ في تاريخه، والبلاذريّ في
أنساب الأشراف، والسمعانيّ في الفضائل، وأبو عبيدة في بعض مصنفاته على ما حكاه
بعض أصحابنا، ولم يقدح الفخر الرازيّ في نهاية العقول في صحته وإن أجاب عنه
بوجه ضعيف، وكفى كلامه — عليه السلام — شاهداً على صحته. وكون العقد لآخر بين
أوقات الاستقالة لتزليل اشتراكهما في التحقيق والوجود منزلة اتّحاد الزمان أو لأنّ
الظاهر من حال المستقبل لعلمه بأنّ الخلافة حقّ لغيره بقاء ندمه وكونه متأسفاً دائماً
خصوصاً عند ظهور أمارة الموت. وقوله «بعد وفاته» ليس ظرفاً لنفس العقد بل لترتب
الآثار على المعقود بخلاف قوله «في حياته»، والمشهور أنّه لما احتضر أحضر عثمان و
أمره أن يكتب عهداً و كان يمليه عليه فلمّا بلغ قوله «أما بعد» أغمى عليه، فكتب
عثمان: «قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب»؛ فأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ!

فقرأه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي؟
قال: نعم.
قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

ثم أتم العهد وأمره أن يقرأه على الناس. وذهب إلى عذاب الله في ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاثة عشر على ما ذكره ابن أبي الحديد. و قال في الاستيعاب: قول الأكثر أنه توفي عشي يوم الثلاثاء المذكور. وقيل: ليلته، وقيل: عشي يوم الاثنين. قال: ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ أوسع ليالٍ، وقيل: أكثر من ذلك إلى عشرين يوماً. والسبب على ما حكاها عن الواقدي أنه اغتسل في يوم بارد فحمّ ومرض خمسة عشر يوماً، وقيل: سلّ، وقيل: سمّ. وغسلته زوجته أساء بنت غُميس وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن ليلاً في بيت عائشة.
«لشدة تشظرا ضرعيها» اللام جواب القسم المقدّر، و«شدة» أي صار شديداً، وكلمة «ما» مصدرية والمصدر فاعل شدة، ولا يستعمل هذا الفعل إلا في التعجب. و«تشظرا» إمّا مأخوذ من «الشطّر» بالفتح بمعنى النصف، يقال: «فلان شطر ماله» أي نصفه. فالمعنى: أخذ كلّ واحد منها نصفاً من ضرعي الخلافة. وإما منه بمعنى خلف الناقة بالكسر، أي حلمة ضرعها، يقال: «شطر ناقته تشطيراً» إذا صرّ خلفين من أخلافها، أي شدّ عليها الصرار وهو خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضع منه الولد؛ وللناقة أربعة أخلاف خلفان قدامان وهما اللذان يليان السرة وخلفان آخران؛ وسمّى — عليه السلام — خلفين منها ضرعاً لاشتراكهما في الحلب دفعة، ولم نجد التشطر على صيغة التفعل في كلام اللغويين.

وفي رواية المفيد — رحمه الله — وغيره «شاطرا» على صيغة المفاعلة، يقال: «شاطرت ناقتي» إذا احتلبت شطراً وتركّت الآخر، و«شاطرت فلاناً مالي» إذا ناصفته. وفي كثير من روايات السقيفة إنه — عليه السلام — قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السقيفة: «احلب حلباً لك شطره، اشددوله اليوم يرده عليك غداً». وقدمه عمر أمر البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ثم نصّ أبو بكر عليه لما حضراً جلّه وكان قد استقصاه

في خلافته وجعله وزيراً في أمرها مساهماً في وزرها، فالمشاطرة تحتمل الوجهين. وفي رواية الشيخ والطبرسي ذكر التمثل في هذا الموضع بعد قوله «ضرعها».

«فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها» وليست «فيها» في كثير من النسخ و«الحوزة» بالفتح، الناحية والطبيعة. و«الغلظ» ضد الرقة. و«الكلم» بالفتح، الجرح، وفي الإسناد توسع. وخشونة المس والإيذاء والإضرار وهي في غير ما يستفاد من الخشناء فإنها عبارة عن كون الحوزة بحيث لا ينال ماعندها ولا يفوز بالنجاح من قصدها، كذا قيل؛ وقال بعض الشراح: يمكن أن يكون من في «الاعتذار منها» للتعليل، أي ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجل تلك الحوزة. وقال بعض الأفاضل: الظاهر أن المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولي للخلافة بالأرض الخشناء في ناحية الطريق المستوي، و تشبيه الخلافة بالراكب السائر فيها أو بالناقة، أي أخرجها عن مسيرها المستوي وهو من يستحقها إلى تلك الناحية الحزنة فيكثر عثارها أوعثار مطيها فيها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئة من خشونة الناحية، وهو في الحقيقة اعتذار من الناحية فالعائر والمعتذر حينئذ هي الخلافة توسعاً والضمير المجرور في منها راجع إلى الحوزة أو إلى العثرات المفهومة من كثرة العثار، ومن صلة للاعتذار أو للصفة المقدرة للاعتذار أو حالاً عن يكثر، أي الناشئ أو ناشياً منها؛ وعلى ما في كثير من النسخ يكون الظرف المتضمن لضمير الموصوف أعني «فيها» محذوفاً. و العثار والاعتذار على النسختين إشارة إلى الخطأ في الأحكام وغيرها والرجوع عنها كقصة الحاملة والمجنونة وميراث الجد وغيرها.

وفي الاحتجاج: «فصيرها والله في ناحية خشناء يحفومسها، ويغلظ كلمها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم، يكثر فيها العثار، و يقل فيها الاعتذار»، فالمعنى أنه كان يعثر كثيراً ولا يعتذر منها لعدم المبالاة أو للجهل أولئك لم يكن لعثراته عذر حتى يعتذر، فالمراد بالاعتذار إبداء العذر ممن كان معذوراً ولم يكن مقصراً. وفي رواية الشيخ - رحمه الله - «فقددها والله في ناحية خشناء يخشن مسها». وفي بعض النسخ: «يخشى مسها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار والاعتذار فيها، صاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها عصفت به».

«فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم» الصعبة من النوق غير المنقادة. و «أشنق بغيره» أي جذب رأسها بالزمام، ويقال: «أشنق البعير بنفسه» إذا رفع رأسه، يتعدّى ولا يتعدّى، واللغة المشهورة «شنق» — كنصر — متعدّياً بنفسه، ويستعملان باللام كما صرح به في النهاية.

قال السيّد — رحمه الله — في النهج بعد إتمام الخطبة: قوله — عليه السلام — في هذه الخطبة «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم» يريد أنّه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها؛ يقال: «أشنق الناقة» إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه، وشنقها أيضاً. ذكر ذلك ابن سكّيت في إصلاح المنطق، وإنّما قال: «أشنق لها» ولم يقل «أشنقها» لأنّه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكانّه — عليه السلام — قال: إن رفع رأسها بالزمام بمعنى أمسكه عليها. انتهى. فاللام للازدواج. و «الحزم» الشقّ، يقال: «خرّم فلاناً» — كضرب — أي شقّ وترة أنفه، وهي مابين منخريه، فخرم هو كفرح، والمفعول محذوف وهو ضمير الصعبة كما يظهر من كلام بعض اللغويين أو أنفها كما يدلّ عليه كلام السيّد وابن الاثير وبعض الشارحين. و «أسلس لها» أي أرخى زمامها لها. و «تقحّم» أي رمى نفسه في مهلكة، و «تقحّم الانسان الأمر» أي رمى فيها من غير روية. وذكروا في بيان المعنى وجوهاً:

منها: أنّ الضمير في «صاحبها» يعود إلى الخوذة المكتنى بها عن الخليفة أو أخلافه، والمراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار وغيره؛ والمعنى أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة فلو تسرّع إلى إنكار القبائح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينها وفساد الحال، ولوسكت وخلاه وما يصنع أدّى إلى خسران المال.

و منها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الخوذة، والمراد بصاحبها نفسه — عليه السلام — والمعنى أنّ قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل وفساد أمر الخلافة رأساً وتفرّق نظام المسلمين، وسكوتي عنه يورث التقحّم في موارد الذلّ و

الصغار.

ومنها: أَنَّ الضمير راجع إلى الخلافة، وصاحبها من تولى أمرها مراعيًا للحق و ما يجب عليه، والمعنى أَنَّ المتولي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحق وزجر الناس عما يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم وتفرقهم عنه لشدة الميل إلى الباطل، وإن فرط في المحافظة على شرائطها ألقاه التفريط في موارد الهلكة؛ وضعف هذا الوجه وبعده واضح.

هذا ما قيل من الوجوه ولعلّ الأول أظهر ويمكن فيه تخصيص صاحب به— عليه السلام— فالغرض بيان مقاساته الشدائد في أيام تلك الحوزة الخشنة للمصاحبة، وقد كان يرجع إليه— عليه السلام— بعد ظهور الشناعة في العثرات ويستشير في الأمور للأغراض.

ويحتمل عندي وجه آخر وهو أن يكون المراد بالصاحب عمر، و بالحوزة سوء أخلاقه، ويحتمل إرجاع الضمير إلى الخلافة؛ والحاصل أنه كان لجهله بالأمر وعدم استحقاقه للخلافة و اشتباه الأمور عليه كراكب الصعبة فكان يقع في أمور لا يمكنه التخلص منها، أولم يكن شيء من أموره خالياً عن المفسدة، فإذا استعمل الجرأة و الجلادة و الغلظة كانت على خلاف الحق، وإن استعمل اللين كان للمداهنة في الدين.

«فني الناس— لعمر الله— بخبط و شماس، و تلون و اعتراض»، «مني» على المجهول، أي ابتلى. و«العمر» بالضمّ و الفتح، مصدر «عمر الرجل» بالكسر، إذا عاش زماناً طويلاً، ولا يستعمل في القسم إلا «العمر» بالفتح، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء واللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف، والتقدير «لعمر الله قسمي»، وإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر. والمعنى على التقديرين: أحلف ببقاء الله ودوامه. و «الخبط» بالفتح، السير على غير معرفة و في غير جادة. و«الشماس» بالكسر، النفار، يقال: «شمس الفرس شموماً و شماساً» أي منع ظهره فهو فرس شمس بالفتح و به شماس. و«التلون» في الإنسان أن لا يثبت على خلق واحد. و«الاعتراض» السير على

غير استقامة كأنه يسير عرضاً؛ والغرض بيان شدة ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله واستبداده برأيه مع تسرعه إلى الحكم وإيذائهم بحذته وبالخشونة في الأقوال والأفعال الموجبة لنفارهم عنه وبالنفار عن الناس كالفرس الشموس، والتلون في الآراء والأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوي وبالخروج عن الجادة المستقيمة التي شرعها الله لعباده، أو بالوقوع في الناس في مشهدهم ومغيبهم، أو بالحمل على الأمور الصعبة والتكاليف الشاقة، ويحتمل أن يكون الأربعة أوصافاً للناس في مدة خلافته، فإن خروج الوالي عن الجادة يستلزم خروج الرعية عنها أحياناً، وكذا تلونه واعتراضه يوجب تلونهم واعتراضهم على بعض الوجوه، وخشونته يستلزم نفارهم. وسيأتي تفاصيل تلك الأمور في الأبواب الآتية إن شاء الله - تعالى -.

«فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم»، وفي تلخيص الشافي: «زعم أنني سادسهم»؛ و «المحنة» البلية التي يمتحن بها الإنسان. و «الزعم» مثله، قريب من الظن، وقال ابن اثير، إنها يقال: زعموا في حديث لاسنده ولا ثبت فيه. وقال الزنجشيري: هي مالا يوثق به من الأحاديث. و روي عن الصادق - عليه السلام - أنه قال: «كلّ زعم في القرآن كذب». وكانت مدة غضبه للخلافة على مافي الاستيعاب عشر سنين وستة أشهر، وقال: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي وغيره: ثلاث بقين منه، طعنه أبولؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة. واشتهرين الشيعة أنه قتل في التاسع من ربيع الأول، وسيأتي فيه بعض الروايات والجماعة الذين أشار - عليه السلام - إليهم أهل مجلس الشورى وهم ستة على المشهور: علي - عليه السلام - وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف. وقال الطبري لم يكن طلحة ممن ذكر في الشورى ولا كان يومئذ بالمدينة. وقال أحمد بن أعثم: لم يكن بالمدينة، فقال عمر: انتظروا بطلحة ثلاثة أيام فإن جاء وإلا فاختاروا رجلاً من الخمسة.

«فيا لله وللشورى»، «الشورى» - كبشرى - مصدر بمعنى المشورة، واللام في «فيا لله» مفتوحة لدخولها على المستغاث، أدخلت للدلالة على اختصاصها بالنداء

للاستغاثة، وأما في «وللشورى» فكسورة دخلت على المستغاث له، والواو زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً، قيل: كأنه قال: «فياالعمر وللشورى، أولي و للشورى» ونحوه؛ و الأظهر فيالله لما أصابني عنه أو لنوائب الدهر عامة وللشورى خاصة، والاستغاثة للتألم من الاقتران بمن لايدانيه في الفضائل ولايستأهل للخلافة. و سياأتي قصة الشورى في بابها.

«متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!». وفي رواية الشيخ وغيره «فياالشورى، والله متى اعترض الريب في مع الأولين فأنا الآن أقرن». وفي الاحتجاج «مع الأولين منهم حتى صرت الآن يقرن بي هذه النظائر». يقال: «اعترض الشيء» أي صار عارضاً كالخشب المعترضة في النهر. و«الريب» الشك. و المراد بالأول أبوبكر، و «أقرن إليهم» على لفظ المجهول، أي أجعل قريباً لهم وجميع بيني وبينهم. و النظائر الخمسة أصحاب الشورى، وقيل: الأربعة، كماسياأتي. والتعبير عنهم بالنظائر لأن عمر جعلهم نظائر له — عليه السلام —، أولكون كل منهم نظير الآخرين.

«لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذطاروا». وفي رواية الشيخ: «ولكنني أسففت مع القوم حيث أسفوا، وطرت مع القوم حيث طاروا.» قال في النهاية في شرح هذه الفقرة: «أسفت الطائر» إذا دنا من الأرض، و«أسفت الرجل للأمر» إذا قاربه. و«طرت» أي ارتفعت استعمالاً للكلي في أكمل الأفراد بقرينة المقابلة. وقال بعض الشارحين: أي لكنني طلبت الأمر إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزل لآته حقّي ولم أستنكف من طلبه، و الأظهر أن المعنى أنني جريت معهم على ماجروا، و دخلت في الشورى مع أنهم لم يكونوا نظراء لي، وتركت المنازعة للمصلحة؛ أوالأعم من ذلك بأن تكلمت معهم في الاحتجاج أيضاً بما يوافق رأيهم و بنيت الكلام على تسليم حقيقة ماضى من الأمور الباطلة، وأتممت الحجة عليهم على هذا الوجه.

«فصنى رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصره، مع هن و هن»، «الصفي» الميل، و منه: «أصغت إليه» إذا ملت بسمعك ونحوه، و«الضغن» بالكسر،

الحقد والعداوة. و «الصهر» بالكسر، حرمة الختونة، وقال الخليل: «الأصهار» أهل بيت المرأة، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً. و «هن» على وزن أخ، كلمة كناية ومعناه شيء، وأصله هنو؛ وقال الشيخ الرضي - رضي الله عنه -: «الهن» الشيء المنكر الذي يستهجن ذكره من العورة، والفعل القبيح وغير ذلك. والذي مال للضغن سعد بن أبي وقاص لأنه - عليه السلام - قتل أباه يوم بدر وسعد أحد من قعد عن بيعة أمير المؤمنين - عليه السلام - عند رجوع الأمراء؛ كذا قال الراوندي - رحمه الله -، وردّه ابن أبي الحديد بأنّ أباً وقاص - واسمه مالك بن وهيب - مات - في الجاهلية حتف أنفه، وقال: المراد به طلحة وضغنه لأنه تيمى وابن عمّ أبي بكر، وكان في نفوس بني هاشم حقد^{٨٧} شديد من بني تيم لأجل الخلافة وبالعكس، والرواية التي جاءت بأنّ طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى وإن صحت، فذو الضغن هو سعد لأنّ أمّه حنة بنت سفيان بن أميّة بن عبد شمس، والضغنة التي كانت عنده من قبل أخواله الذين قتلهم عليّ - عليه السلام - ولم يعرف أنّه - عليه السلام - قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه. والذي مال لصهره هو عبد الرحمن لأنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبد الرحمن وهي أخت عثمان من أمّه أروى بنت كوز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. وفي بعض نسخ كتب الصدوق - رحمه الله - «فقال رجل بضبعه» بالضاد المعجمة والباء، وفي بعضها باللام. وقال الجوهري: «الضبع» العضد و«ضبعت الخيل» مدت أظباعها في سيرها. وقال الأصمعي: «الضبع» أن يهوي بجافره إلى عضده وكذا في ضبع فلان بالضم، أي في كنفه وناحيته، وقال: يقال: «ضلعتك مع فلان» أي ميلك معه وهواك، ويقال: «خاصمت فلاناً فكان ضلعتك عليّ» أي ميلك. وفي رواية الشيخ: «فقال رجل لضغنه، وأصغى آخر لصهره». ولعلّ المراد بالكناية رجاءه أن ينتقل الأمر إليه بعد عثمان وينتفع بخلافته والانتساب إليه باكتساب الأموال والاستطالة والترقّع على الناس، أو نوع من الانحراف عنه - عليه السلام - وقد عدّ من المنحرفين، أو غير ذلك ممّا

هو— عليه السلام— أعلم به. ويحتمل أن يكون الظرف متعلقاً بالمعطوف و المعطوف عليه كليهما فالكناية تشتمل ذا الضغن أيضاً.

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنوأييه يخضعون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». وفي رواية الشيخ: «أن قام الثالث نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه منها، وأسرع معه بنوأييه في مال الله يخضعونه». و «الحِضْن» بالكسر، مادون الإبط إلى الكشح. و«النفع» بالجيم، الرفع يقال: «بغير منتفع الجنين» إذا امتلأ من الأكل فارتفع جنباه، و«رجل منتفع الجنين» إذا افتخر بما ليس فيه؛ وظاهر المقام التشبيه بالبعير. وقال ابن الأثير: كُتِيَ به عن التعاضم و الخيلاء، قال: و يروى «نافخاً» بالحاء المعجمة، أي منتفخاً مستعداً لأن يعمل عمله من الشرّ والظاهر على هذه الرواية أن المراد كثرة الأكل. و «النثيل» الروث. و «المعتلف» بالفتح، موضع الاعتلاف و هو أكل الدابة العلف، أي كان همه الأكل والرجع كالبهائم، وقدمر تفسير ما في رواية الصدوق —رحمه الله—. قال في القاموس: «النَّثِيل» بالكسر، وعاء قضيب البعير أو القضيب نفسه. و «الخضم» الأكل بجميع الفم، ويقابله القضم أي بأطراف الأسنان.

وقال في النهاية: في حديث عليّ — عليه السلام — «فقام معه بنوأييه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». «الخضم» الأكل بأقصى الأضراس، و«القضم» بأدناها، ومنه حديث أبي ذر: «تأكلون خضماً، وتأكل قضمأ» وقيل: «الخضم» خاصّ بالشيء الرطب و«القضم» باليابس، والفعل «خضم» — كعلم — على قول الجوهري وابن الأثير، وفي القاموس: كسمع وضرب. و أعرب المضارع في النسخ على الوجهين جميعاً. وقالوا: «النبتة» بالكسر، ضرب من فعل النبات، يقال: إنه لحسن الثبته، والكلام إشارة إلى تصرف عثمان و بني أمية في بيت مال المسلمين وإعطائه الجوائز وإقطاعه القطايع كما سيأتي إن شاء الله.

«إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته». و في الاحتجاج: «إلى أن كبت به بطنته، وأجهز عليه عمله». و «الانتكاث» الانتقاض،

يقال: «نكث فلان العهد والحبل فانتكث» أي نقضه فانقضض. و«قتل الحبل» برمه وليّ شقيّه. و «الإجهاز» إتمام قتل الجريح وإسراعه، وقيل: فيه إيحاء إلى ما أصابه قبل القتل. من طعن أسنة الألسنة وحقوقه عن أعين الناس. و «كبا الفرس» سقط على وجهه و «كبابه»... أسقطه. و «البطنة» الكظة أي الامتلاء من الطعام. والحاصل أنه استمرت أفعالهم المذكورة إلى أن رجع عليه حيله وتدابيره ولحقه وخامة العاقبة فوثبوا عليه و قتلوه كما سيأتي بيانه.

«فما راعني إلّا والناس ينثالون عليّ من كلّ جانب». وفي الاحتجاج: «إلّا والناس رسل إلىّ كعرف الضبع يسألوني [أن] أبايعهم و انثالوا عليّ حقّي». وفي رواية الشيخ: «فما راعني من الناس إلّا وهم رسل كعرف الضبع يسألوني أبايعهم و آبي ذلك و انثالوا عليّ». و «الرّوع» بالفتح، الفزع والخوف، يقال: «رعت فلاناً وروّعته فارتاع» أي أفزعته ففزع و «راعني الشيء» أي أعجبني، والأوّل هنا أنسب. و «الثول» صبّ ما في الإناء و «انثال» انصبّ، وفي بعض النسخ الصحيحة: «والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون». و «العرف» الشعر الغليظ النابت على عنق الدابة، و «عرف الضبع» ممّا يضرب به المثل في الازدحام، وفي القاموس: «الرّسل» محرّكة، القطيع من كلّ شيء و «الرّسل» بالفتح، المترسل من الشعر، و «قدرسل — كفرج — رسلاً» أي ما أفزعني حالة إلّا حالة ازدحام الناس للبيعة، وذلك لعلمهم بقبح العدول عنه — عليه السلام — إلى غيره.

«حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفائي». «الوطء» الدّوس بالقدم. و «الحسنان» السبطان — صلوات الله عليهما. — ونقل عن السيّد المرتضى — رضي الله عنه — أنّه قال: روى أبو عمرو أنّهما الإبهامان، وأنشد للشفريّ: «مهضومة الكشحين حزماء الحسن». و روي أنّه — صلوات الله عليه — كان يومئذ جالساً محتبياً وهي جلسة رسول الله — صلى الله عليه وآله — المسماة بالفرفصاء فاجتمعوا لبياعوه، زاحوا حتّى وطئوا إبهاميه وشقّوا ذيله. قال: ولم يعن الحسن والحسين — عليهما السلام — وهما رجلان كسائر الحاضرين. و «عطف الرجل» بالكسر، جانباه، فالمراد شقّ جانبي قهقهه.

عليه السلام — أوردائه جلوس الناس أو وضع الأقدام وزحامهم حوله، وقيل: أراد خدش جانبه — عليه السلام — لشدة الاصطكاك و الزحام. و في بعض النسخ الصحيحة: «وشقَّ عِطافي» وهو بالكسر الرداء و هو أنسب.

«مجتمعين حولي كربوضة الغنم»، «الربيض و الربضة» الغنم المجتمعة في مربضها أي مأوها، وقيل: إشارة إلى بلادهم و نقصان عقولهم لأن الغنم توصف بقلّة الفطنة.

«فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرت أخرى، وفسق آخرون». و في رواية الشيخ و الاحتجاج: «وقسط آخرون». «نهض» — كمنع — قام و «النكث» النقص. و «المروق» الخروج. و «فسق الرجل» — كنصر و ضرب — فجر، وأصله الخروج. و «القسط» العدل و الجور، والمراد به هنا الثاني، والمراد بالتاكث أصحاب الجمل — و قدروي أنه — عليه السلام — كان يتلو وقت مبايعتهم: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ»^{٨٨} — وبالمارقة أصحاب النهروان و بالفاسقة أو القاسطة أصحاب صفين. و سياقي إخبار النبي — صلى الله عليه و آله — بهم و بقتاله — عليه السلام — معهم.

كانهم لم يسمعو الله — سبحانه — يقول: «يُنَلِّكَ الدَّارَ الْآخِرَةَ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^{٨٩} الظاهر رجوع ضمير الجمع إلى الخلفاء الثلاثة لا إلى الطوائف كما توهم إذ الغرض من الخطبة ذكرهم لا الطوائف وهو المناسب لما بعد الآية لاسيما ضمير الجمع في «سمعوها ووعوها». والغرض تشبيههم في الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا و زخارفها للأغراض الفاسدة بمن أعرض عن نعيم الآخرة لعدم سماع الآية و شرائط الفوز بثوابها؛ و المشار إليها في الآية هي الجنة و الإشارة للتعظيم، أي تلك الدار التي بلغك وصفها. و «العلو» هو التكبر على عباد الله و الغلبة عليهم و الاستكبار عن العبادة. و «الفساد» الدعاء إلى عبادة غير الله أو أخذ المال

٨٨- الفتح: ١٠.

٨٩- القصص: ٨٣.

وقتل النفس بغير حقّ أو العمل بالمعاصي والظلم على الناس. والآية لما كانت بعد قصّة قارون وقبله قصّة فرعون فقيل: العلو إشارة إلى كفر فرعون لقوله - تعالى -: «عملاً في الأرض»^{٩٠} والفساد إلى بغي قارون لقوله - تعالى -: «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ»^{٩١}. ففي كلامه يحتمل كون الأول إشارة إلى الأولين، والثاني إلى الثالث، أو الجميع إليهم جميعاً، أو إلى جميع من ذكر في الخطبة كما قيل.

«بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها». وفي رواية الشيخ: «بلى والله لقد سمعوها ولكن راقهم دنياهم، وأعجبهم زبرجها». «وعى الحديث» - كرمى - فهمه وحفظه. و «حلى فلان بعيني و في عيني» بالكسر، إذا أعجبك، وكذلك «حلى - بالفتح - يحلّ حلاوة». و «راقني الشيء» أعجبني. و «الزبرج» الزينة من وشي أو جواهر أو نحو ذلك، قال الجوهري: ويقال: الذهب. وفي النهاية: الزينة والذهب والسحاب.

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر». وفي رواية الشيخ: «لولا حضور الناصر، ولزوم الحجة، وما أخذ الله من أولياء الأمر». «الفلق» الشق. و «برأ» أي خلق، وقيل: قلما يستعمل في غير الحيوان. و «النسمة» محرّكة، الإنسان أو النفس والروح، والظاهر أن المراد بفلق الحبة شقّها وإخراج الثبات منها، وقيل خلقها، وقيل: هو الشقّ الذي في الحب. و «حضور الحاضر» إمّا وجود من حضر للبيعة فابعد كالتفسير له، أو تحقّق البيعة على ما قيل، أو حضوره - سبحانه - وعلمه، أو حضور الوقت الذي وقته الرسول - صلى الله عليه و آله - للقيام بالأمر.

«وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم»، كلمة «ما» مصدرية والجملة في محلّ نصب لكونها مفعولاً لـ «أخذ»، أو موصولة والعائد مقدّم. الجملة بيان لما أخذه الله بتقدير حرف الجرّ، أو بدل منه، أو عطف بيان له. و «العلماء»

إِذَا الْأُنْمَةُ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ — أَوَّلَ الْأَعْمِ فَيَدَلُّ عَلَى وَجُوبِ الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَانِ الْغِيَةِ لِمَنْ جُمِعَ الشَّرَاطُ؛ وَفِي الْاِحْتِجَاجِ: «عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ أَنْ لَا يَقْرَأُوا» وَ«الْمَقَارَّةُ» — عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ — أَنْ تَقَرَّمَعَ صَاحِبُكَ وَتَسْكُنَ، وَقِيلَ: إِقْرَارُ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَمْرِ وَتَرَاضِيهِمَا بِهِ. وَ«الْكُظَّةُ» مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ الْاِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ. وَ«السَّغْبُ» بِالتَّحْرِيكِ، الْجُوعُ.

«لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا» الضَّمَاثِرُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْخِلَافَةِ. وَ«الْغَارِبُ» مَا بَيْنَ السَّنَامِ وَالْعُنُقِ أَوْ مُقَدِّمُ السَّنَامِ. وَ«إِلْقَاءُ الْحَبْلِ عَلَيْهِ» تَرْشِيحٌ لِتَشْبِيهِ الْخِلَافَةِ بِالنَّاقَةِ الَّتِي يَتْرَكُهَا رَاعِيهَا لِتَرْعَى حَيْثُ تَشَاءُ وَلَا يَبَالِي مَنْ يَأْخُذُهَا وَمَا يَصِيبُهَا، وَذَكَرَ الْحَبْلَ تَخْيِيلًا. وَ«الْكَأْسُ» إِنَاءٌ فِيهِ شَرَابٌ أَوْ مُطْلَقًا. وَسَقَا بِكَأْسٍ أَوَّلِهَا تَرَكُهَا وَالإِعْرَاضُ عَنْهَا لِعَدَمِ التَّاصِرِ، وَقَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ: التَّعْبِيرُ بِالْكَأْسِ لَوْقُوعِ النَّاسِ بِذَلِكَ التَّرَكِّ فِي حَيْرَةٍ تَشَبَّهُ السَّكْرَ.

«وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عِزٍّ». وَفِي الْاِحْتِجَاجِ: «وَلَأَلْفُوا دُنْيَاهُمْ أَهْوَنُ عِنْدِي». قَوْلُهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — «أَلْفَيْتُمْ» أَيَّ وَجَدْتُمْ، وَإِضَافَةُ الدُّنْيَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ لِمُتَّكِنِهَا فِي ضَمَائِرِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ فِيهَا، وَالْإِشَارَةُ لِلتَّحْقِيرِ. وَ«الزَّهْدُ» خِلَافُ الرَّغْبَةِ، وَ«الزَّهِيدُ» الْقَلِيلُ، وَصِيغَةُ التَّفْضِيلِ عَلَى الْأَوَّلِ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ كَأَشْهَرِ وَأَشْغَلُ. وَ«الْعِزُّ» بِالْفَتْحِ، أَنْثَى الْمَعَزِ، وَ«عَفْطُهَا» مَا يُخْرَجُ مِنْ أَنْفِهَا عِنْدَ التَّنْثَرَةِ وَهِيَ مِنْهَا شَبَهُ الْعَطْسَةِ؛ كَذَا قَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ. وَأُورِدَ عَلَيْهِ أَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْعِزِّ النِّفْطَةُ بِالنُّونِ وَفِي النَّعْجَةِ الْعَفْطَةُ بِالْعَيْنِ، صَرَّحَ بِهِ الْجَوْهَرِيُّ وَالْحَلِيلُ فِي الْعَيْنِ، وَقَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ: الْعَفْطَةُ مِنَ الشَّاةِ كَالْعَطَاسِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: أَيُّ ضَرْطَةِ عِزٍّ.

«قَالُوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَنَاقَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَائَتِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ — رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ —: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ أَطْرَدْتَ مَقَالَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ. فَقَالَ لَهُ: هِيَاتِ يَا بَنَ عَبَّاسٍ! تِلْكَ شَقِشَقَةٌ هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ». «أَهْلُ السَّوَادِ» سَاكِنُوا الْقُرَى، وَتَسْمَى الْقُرَى سَوَادًا

لخضرتها بالزرع و الأشجار، والعرب تسمي الأخضر أسود. و«ناول» أعطاه، و يحتمل أن يكون «أطردت» على صيغة الخطاب من باب الإفعال، ونصب المقالة على المفعولية أوعلى صيغة المؤنث الغائب من باب الافتعال و رفع المقالة على الفاعلية والجزاء محذوف أي كان حسناً، أو كلمة «لو» للتمني. وقدمر تفسير «الشَّقِيقَةُ» بالكسر. و«هدير الجمل» ترديده الصوت في حنجرته و إسناده إلى الشَّقِيقَةُ تجوز. و «قَرَّت» أي سكنت، وقيل: في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير في السامعين كما ينبغي، أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنها سلطنة، أو لإشعار بانقضاء مدّته — عليه السلام — فإنّها كانت في قرب شهادته — عليه السلام —، أولنوع من التقية، أولغيرها.

«قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسني على ذلك الكلام ألا يكون أميرالمومنين — عليه السلام — بلغ منه حيث أراد»، «الأسف» بالتحريك، أشدّ الحزن، والفعل كعلم، و«قطّ» من الظروف الزمانية بمعنى أبدأ. وحكى ابن أبي الحديد عن ابن الحشّاب أنّه قال: لوسمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه لتتأسّف؟ والله مارجع عن الأولين ولاعن الآخرين.^{٩٢}

أقول. إنّما أطنبت الكلام في شرح تلك الخطبة الجليلة لكثرة جدواها وقوة الاحتجاج بها على المخالفين وشهرتها بين جميع المسلمين وإن لم نوفّ في كلّ فقرة حقّ شرحها حذراً من كثرة الإطناب وتعوّيلاً على ما بيّنته في سائر الأبواب.^{٩٣}

٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٥، ط بيروت.

٩٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، كتاب «الفتن والمحن»، ص ١٥٤، ط تبريز.

٤ - خطبة الإمام علي عليه السلام

وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم
ويقال : إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير

بِنَا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ^(١٤٧) ذُرْوَةَ الْعُلْيَاءِ ، وَبِنَا
أَفْجَرْتُمْ^(١٤٨) عَنِ السَّرَارِ^(١٤٩) . وَقُرَّ^(١٥٠) سَمْعُ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ^(١٥١) ، وَكَيْفَ
يُرَاعِي النَّبَأَ^(١٥٢) مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ ؟ رُبِطَ جَنَانٌ^(١٥٣) لَمْ يُفَارِقْهُ
الْخَفَقَانُ . مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّكُمْ^(١٥٤) بِحِلْيَةِ
الْمُغْتَرِّينَ^(١٥٥) ، حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ^(١٥٦) ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ
النَّبِيِّ . أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ^(١٥٧) ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ
وَلَا دَلِيلَ ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ^(١٥٨) .

الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ^(١٥٩) ذَاتَ الْبَيَانِ ! عَزَبَ^(١٦٠) رَأْيُ أَمْرِي
تَخَلَّفَ عَنِّي ! مَا شَكَّكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ خِيفَةً^(١٦١) عَلَى نَفْسِهِ ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَالِ وَدَوَلِ الضَّلَالِ !
الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا^(١٦٢) عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ !
بيان^{٩٤} : قوله - عليه السلام - : « وَتَسَنَّمْتُمْ العُلْيَاءَ » أي ركبتم سنامها، وسنام

٩٤- هذه الخطبة رواها من «الإرشاد» للمفيد - رحمه الله - وفسره ثم قال : «ورواه في النهج بأدنى تغيير»، ونحن نذكر ذلك
التفسير في شرحنا هذا.

كلّ شيء أعلاه، أي بتلك الهداية على قدركم. «وبنا انفجرتم» وروي «أفجرتم»، قال ابن أبي الحديد: هو نحو «أغد البعير» أي صرتم ذوي فجر. ^{٩٥} و«عن» للمجازاة أي منتقلين عن السرار. و«السرار» الليلة و الليلتان يسترفيهما القمر في آخر الشهر. أقول: وعلى الرواية الأخرى لعلّ المعنى: انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل. «وقرسمع» دعاء على السمع الذي لم يفقه كلام الداعي إلى الله بالثقل و الصمّ. «كيف يراعي للغبّة» أي من أصمته الصيحة القويّة فإنّه لم يسمع الصوت الضعيف، والمعنى: من لم ينتفع بالمواعظ الجليّة كيف ينتفع بالعبر الضعيفة، ولعلّه كناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى دعاء الله ورسوله. «ربط جنان» دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله و الإشفاق من عذابه بالسكينة والثبات و الاطمئنان، والتقدير: ربط جنان نفسه؛ و من روى بضمّ الراء فالمعنى: ربط الله جناناً كانت كذلك وهو أظهر. «الخفقان» بالتحريك، التحرك والاضطراب. «مازلت أنتظربكم» الخطاب لبقية أصحاب الجمل أومع المقتولين أو الأخير فقط و إضافة عواقب الغدر بيانية أولاميّة. و«التوسّم» التفرّس، أي كنت أتفرّس منكم أنكم ستغتربون بالشبه الباطلة.

«سترني عنكم جلباب الدين» أي الدين حال بينكم و بيني فلم تعرفوا ما أقوى عليه من الغلظة عليكم و قتلكم، وسترني عن أعين قلوبكم ما وقفني عليه الدين من الرفق و الشفقة وسحب ذيل العفوى على الجرائم، و يحتمل أن يكون المعنى: إظهاركم شعار الإسلام عصمكم مني مع علمي بنفاقكم فأجريتكم مجرى المخلصين، وهذا أنسب بما رواه بعضهم «ستركم عني». «وبصرنكم صدق النية» أي يجعلني بصيراً بكم إخلاصي لله — تعالى — و به صارت مرآة نفسي صافية كما قال النبي — صلى الله عليه وآله —: «المؤمن ينظر بنور الله»، ذكره ابن ميثم ^{٩٦} والراوندي. و يحتمل أن يكون المراد بصدق النية العلم الصادق الحاصل له — عليه السلام — بنفاقهم من العلامات كما

٩٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٨، ط بيروت.

٩٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٧٣، ط بيروت.

قال الله - تعالى - : «فَلَعَزَفْتُهُمْ بِسَيِّمَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ»^{١٧}. أي أنزلكم منزلة المخلصين لظاهر إسلامكم مع علمي واقعاً بنفاقكم.

و قال الراوندي - رحمه الله - : ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون المعنى : إنما أخفي رتبتي ومنزلي عليكم ما أنا متباطئة التخلق بأخلاق الديانة وهو أنه لا يعرفهم نفسه لِمفاخرها ومآثرها فيكون من باب قوله «إِنَّ هَيْهَنَا لَعِلْمًا جَمًّا لَوَأَصَبْتَ لَهُ حَمْلَةً»، وعلى هذا يكون معناه : إنكم إن قد صدقت نيّاتكم ونظرتم بعين صحيحة وأنصفتموني أبصرتم منزلتي.

«أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ» أي قمت لكم على جادة طريق الحق حيث يضل من تنكب عنه ولا دليل غيري، وحيث تحتفرون الآبار لتحصيل الماء. «وَلَا تُثْمِيهِونَ» أي لا تجدون ماءً. «الْيَوْمَ أَنْطَقَ لَكُمْ الْعَجَاءَ» كُتِبَ بِالْعَجَاءِ ذات البيان عن العبر الواضحة وماحلّ لقوم فسقوا عن أمر ربّهم وعمّا هو واضح من كمال فضله - عليه السلام - وعن حال الدين ومقتضى أوامر الله - تعالى - فإنّ هذه الأمور عجاء لانطق لها مقالاً ذات البيان حالاً. وَلَمَّا بَيَّنَّهَا - عليه السلام - لهم وعرفهم مايقوله لسان حالها فكأنّه - عليه السلام - أنطقها لهم، وقيل : «الْعَجَاءَ» صفة لمحذوف، أي الكلمات العجاء، والمراد بها مافي هذه الخطبة من الرموز التي لانطق لها مع أنها ذات بيان عند أولي الألباب. «عَزَبَ» أي بعد، ويحتمل الإخبار والدعاء. و«أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً» أضمر. «الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا» أي أنا واقف على سبيل الحق وأنتم على الباطل. «مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ» لعلّ المراد من كان على الحق وأيقن ذلك واعتمد على ربّه لايبالي بما وقع عليه كما أنّ من وثق بماء لم يفرغه عطشه.

وقال الشارحون : أي إن سكنتم إلى قولي ووثقتم به كنتم أبعد عن الضلال و أقرب الى اليقين.

و قال القطب الراوندي - رحمه الله - : أخبرنا بهذه الخطبة جماعة عن جعفر الدوريسيّ، عن أبيه محمّد بن العباس، عن محمّد بن عليّ بن موسى، عن محمّد بن

عليّ الاسترآباديّ، عن عليّ بن محمّد بن سيّار، عن أبيه، عن الحسن العسكريّ، عن
آبائه، عن أميرالمؤمنين — عليهم السلام —.^{٩٨}

٥ - (خطبة أمير المؤمنين عليه السلام)

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان
ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة (وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر
في السقيفة، وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه)

النهى عن الفتنة

أَيُّهَا النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ
الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تَبَجَّانَ الْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوْ
اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ . هَذَا مَاءُ آجِنٍ^(١٦٣) ، وَلُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا . وَمُجْتَنِي
الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا^(١٦٤) كَالزَّرَّارِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ .

خلق وعلمه

فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا :
جَزَعٌ^(١٦٥) مِنَ الْمَوْتِ ! هَيْهَاتَ^(١٦٦) بَعْدَ اللَّتْبَا وَالَّتِي^(١٦٧) ! وَاللَّهِ لَا بَنُ

أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِشَدِيٍّ أُمِّهِ ، بَلْ أُنْدَمَجَتْ^(١٦٨) عَلَى
مَكْتُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ أَضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ^(١٦٩) فِي الطَّوِيِّ^(١٧٠)
الْبَعِيدَةِ !

٦ -

لما اشر عليه بالا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لها القتال
وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع

وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّذَمِ^(١٧١) ، حَتَّى يَصِلَ
إِلَيْهَا طَالِبُهَا ، وَيَخْتَلِهَا^(١٧٢) رَاصِدُهَا^(١٧٣) ، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالسُّمُوقِ
إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ^(١٧٤) أَبَدًا ،
حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي . فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَذْفُوعًا عَنْ حَقِّي ، مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ ،
مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا

بيان: «اللدن» صوت الحجر أو العصا أو غيرها يضرب بها الأرض ضرباً ليس
بشديد، يحكى أن الضبع يستغل في حجرها بمثل ذلك فيسكن حتى يصاد، ويضرب
بها المثل في الحق.^{٩٩}

٧ -

يُدم فيها أتباع الشيطان

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ^(١٧٥) ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكَ^(١٧٦) ،
فَبَاضَ وَفَرَّخَ^(١٧٧) فِي صُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرَجَ^(١٧٨) فِي حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ
بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِالسِّنَتِهِمْ ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ^(١٧٩) ، وَزَيَّنَ لَهُمُ
الْخَطْلَ^(١٨٠) ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ^(١٨١) الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ
بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ !

بيان: «ملاك الأمر» بالكسر، ما يقوم به. و«الأشراك» إمّا جمع «شريك» أي عدّهم من شركائه في إضلال الناس، أو جمع «شرك» بالتحريك، أي جعلهم حبال لا صطياد الخلق. «فباض وفرّخ» كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. و«الدب» المشى الضعيف و«الدرج» أقوى منه، وهما كنايةتان عن تربيتهم الباطل و ملازمة الشيطان لهم حتى صاروا كالوالدة له.^{١٧٥} و«الزلل» في الأعمال، و«الخطل» في الأقوال. و الباء في «ركب بهم» للتعدية، والضمير في «سلطانه» راجع إلى «من» أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله له من السلطان على الأعمال والأقوال، أو إلى الشيطان فيما جعله الله، أي كأنهم الأصل في سلطانه وقدرته على الإضلال.^{١٨١}

٨ — وَمِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في البيعة ثانية

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ ،
وَادَّعَى الْوَلِيْعَةَ^(١٨٢) . فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرِفُ ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا

١٠٠- في بعض النسخ: حتى صاروا كالوالدين.

١٠١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمياني و ص ٦٦٠، ط تبريز.

خَرَجَ مِنْهُ .

بيان: «الوليعة» البطانة، والأمريسّر ويكتم. قال ابن أبي الحديد: ١٠٢ كان الزبير يقول: بايعت بيدي لابقلي، وكان يدّعي تارة أنه أكره عليها ويدّعي أنه ورى في البيعة تورية، فقال — عليه السلام —: بعد الإقرار لا يسمع دعوى بلائينة ولا برهان. ١٠٣

٩ — وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَكَانَ يَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ أَكْرَهُ عَلَيْهَا وَيَدْعِي أَنَّهُ وَرَى فِي

فِي صِفَتِهِ وَصِفَةِ خَصْمِهِ وَيَقَالُ إِنَّهَا فِي أَصْحَابِ الْمَجْل

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا^(١٨٣) ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ^(١٨٤) ؛ وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوْقِعَ^(١٨٥) ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

بيان: يقال: «أرعد الرجل وأبرق» إذا تَوَعَّد وتهَدَّد. قوله — عليه السلام — «حتى نوقع» لعلّ المعنى: لسنا نهْدِد حتى نعلم أننا سنوقع. قوله — عليه السلام — «حتى نمطر» أي إذا أوقعنا بخصمنا أو عدنا حينئذ بالإيقاع غيره من خصومنا. ١٠٤

١٠ — وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَكَانَ يَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ أَكْرَهُ عَلَيْهَا وَيَدْعِي أَنَّهُ وَرَى فِي

يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَوْ يَكْنِي بِهِ عَنْ قَوْمٍ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ^(١٨٦) ، وَإِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي^(١٨٧) ، وَلَا لُبُّسَ عَلَيَّ . وَأَيْنُمُ

١٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣٠، ط بيروت.

١٠٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط تبريز.

١٠٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمپاني وص ٣٧٦، ط تبريز.

اللَّهُ لِأَفْرَطَنَ^(١٨٨) لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ^(١٨٩) ! لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ^(١٩٠)، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له — عليه السلام — لما بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم^{١٠٥}.
و «الرَّجُل» جمع راجل. و قال ابن أبي الحديد في قوله — عليه السلام — «لأفراطن لهم»: من رواها بفتح الهمزة فأصله «فرط» ثلاثي، يقال: «فرط القوم» سبقهم، ورجل فرط يسبق القوم إلى البر فيبتي لهم الأرشية والدلاء، ومنه قوله — عليه السلام — «أنا فرطكم على الحوض» و يكون التقدير: لأفراطن لهم إلى حوض فخذف الجار وعدي الفعل بنفسه كقوله — تعالى —: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ»^{١٠٦} ويكون اللام في «لهم» إمّا للتقوية كقوله «يؤمن للمؤمنين» أي يؤمن المؤمنين، أو يكون اللام للتعليل أي لأجلهم، ومن رواها «لأفراطن» بضم الهمزة فهو من «أفرط المزايدة» أي ملأها. و «الماتح» المستقي، «متح يمتح» بالفتح. و «الماتح» بالياء الذي ينزل إلى البر فيملا الدلو. و قال: «أنا ماتحه» أي خبر به، كما يقول من يدعى معرفة الدار: «أنا باني هذه الدار»^{١٠٧}.

وحاصل المعنى: لأملأن لهم حياض حرب، وأولأسبقتهم إلى حياض حرب أنا متدرّب بها مجرّب لها، إذا وردوها لا يصدرون عنها، يعني قتلهم ومن فرمنا لا يعود إليها^{١٠٨}.

١١ —

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

١٠٥- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٨٥، ط بيروت.

١٠٦- الأعراف: ١٥٥.

١٠٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤١، ط بيروت.

١٠٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمباني وص ٣٧٦، ط تبريز.

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ! عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ^(١١١). أَعِزَّ^(١١٢) اللَّهُ جُمُجُمَتَكَ.
تَدُ^(١١٣) فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ. أَرَمَ بَبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَضَّ بَبَصْرِكَ^(١١٤)،
وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

بيان: قوله — عليه السلام — «تزول الجبال» خبر فيه معنى الشرط، فالمعنى: إن زالت الجبال فلا تزال. و «التواجد» أقصى الأضراس، وقيل: الأضراس كلها. والعضُّ على التاجد يستلزم أمرين: أحدهما رفع الرعدة والاضطراب في حال الخوف كما يشاهد ذلك في حال البرد، وثانيهما أن الضرب في الرأس لا يؤثر مع ذلك كما ذكر — عليه السلام — في موضع آخر: «عضوا على النواجذ فإنه أبني للسيوف عن الهام»؛ فيحتمل أن يراد به شدة الحنق والغضب. قوله — عليه السلام — «أعرالله» أمر من الإعارة، أي ابذلها في طاعة الله. والجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ، قيل: ذلك إشعار بأنه لا يقتل في ذلك الحرب لأن العارية مردودة بخلاف الموقال: «بع الله جمجمتك» وهذا الوجه وإن كان لطيفاً لكن الظاهر أن إطلاق الإعارة باعتبار الحياة عند ربهم وفي جنة التعيم. قوله عليه السلام — «تد» أي أثبتنا في الأرض كالوتد. قوله — عليه السلام — «ارم ببصرك» أي اجعل مطمح نظرك أقصى القوم ولا تقصر نظرك على الأدنى وأجل عليهم فإذا حلت وعزمت فلا تنظر إلى شوكتهم وسلاحهم، ولا بتال ما أمامك. قوله — عليه السلام — «وغض ببصرك» أي عن بريق السيوف ولعانها لئلا يحصل خوف بسببه. ١٠٩

١٢ —

لما أظفروه الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن
أخي فلدنا كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَهْوَى^(١٩٥) أَخِيكَ مَعَنَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
 فَقَدْ شَهِدْنَا ، وَلَقَدْ شَهِدْنَا ! فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ
 وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ^(١٩٦) ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .
 بيان: «سيرعف بهم الزمان»، «الرُعاف» الدم الخارج من أنف الإنسان،
 والمعنى: سيخرجهم الزمان من العدم إلى الوجود، من قبيل الإسناد إلى الظرف
 أو الشرط. ١١٠

١٣ - وَمِنْ أَمْرِ الْبَصَرِ

في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَاتَّبَاعَ الْبَهِيمَةِ^(١٩٧) ؛ رَعَا^(١٩٨) فَاجَبْتُمْ ،
 وَعُقِرَ^(١٩٩) فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقُ^(٢٠٠) ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقُ ، وَدِينُكُمْ
 نِفَاقُ ، وَمَاؤُكُمْ زَعَاقُ^(٢٠١) ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنُ^(٢٠٢) بِذَنْبِهِ ،
 وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكُ بَرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجُ
 سَفِينَةٍ^(٢٠٣) قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَغَرِقَ مَنْ
 فِي ضِمْنِهَا .

وفي رواية : : وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا
 كَجُوجِ سَفِينَةٍ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ^(٢٠٤)

وفي رواية : كَجُوجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ^(٢٠٥)

وفي رواية أخرى : بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ^(٢٠٦) بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةٌ : أَقْرَبُهَا مِنْ
الْمَاءِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ السَّمَاءِ ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ ، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا
بِذَنْبِهِ ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرَيْتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا
الْمَاءُ ، حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرْفُ الْمَسْجِدِ^(٢٠٧) ، كَأَنَّهُ جُوجُو طَيْرٍ
فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ !

١٤ —

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ ،
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ^(٢٠٨) ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ^(٢٠٩) لِنَابِلٍ^(٢١٠) ، وَأَكْلَةٌ لِكَلِيلٍ ،
وَقَرِيسَةٌ لِمَصَائِلٍ^(٢١١) .

[البيان التالي للخطبتين رقم ١٣ و ١٤]

بيان : «وَأَتْبَاعُ الْبَيْمَةِ» لأنَّ جمل عايشة كان راية عسكر البصرة. و «الرغاء»

صوت الإبل.

قوله — عليه السلام — «أَخْلَاقُكُمْ دَقَاقٌ» قال ابن أبي الحديد : «الدَّقُّ من كَلَّ

شيء» حقيره وصغيره، يصفهم باللوم، وفي الحديث : إِنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي

أحب أن أنكح فلانة إلا أن في أخلاق أهلها دقة، فقال له: «إياك و خضرآء
الدمن».^{١١١}

و «الشقاق» الخلاف والافتراق. و «الزقاق» المالح، و سبب ملوحة مائهم
قربهم من البحر و امتزاج مائه بمائهم، قيل: ذكرها في معرض ذمهم لعلّه من سوء
اختيارهم هذا الموضع أو كونها سبباً لسوء المزاج والبلادة وغير ذلك كما تقوله الأطباء.
قوله — عليه السلام — «بين أظهركم» أي بينكم على وجه الاستظهار
والاستناد إليكم، و أما كونه مرتناً بذنبه فلأنّ المقيم بينهم لابدّ و أن ينخرط في سلوكهم
و يكتسب من رذائل أخلاقهم فيكون موثقاً بذنوبه، أو إنّ كونه بينهم يجري مجرى
العقوبة بذنبه، والخارج من بينهم لحقه رحمة الله فوقه لذلك. و «جؤجؤ السفينة»
صدرها، و يقال: «جثم الطائر جثوماً» و هو بمنزلة البروك للإبل.

و قال ابن ميثم: و أما وقوع الخبر عنه فالمنقول أنّها غرقت في أيام القادر بالله و
في أيام القائم غرقت بأجمعها، و غرق من في ضمنها، و خربت دورها، ولم يبق إلا
مسجدها الجامع. قال: و يمكن أن يكون المراد بقرها من الماء و بعدها من السماء كون
موضعها هابطاً قريباً من البحر، و قيل: المراد ببعدها من السماء كونها بعيدة من دائرة
معدل التهار فإنّ الأرصاد دلت على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن معدل التهار الأبلّة و
الأبلّة قسبة البصرة، و قيل: المراد بعدها عن سماء الرّحة مستعدة لنزول العذاب.^{١١٢}
انتهى.

ولعلّ مراده أنّها أبعد بلاد العرب عن المعدل و إلا فظاهر أنّ الأبلّة ليست أبعد
موضع في المعمورة و «الأبلّة» بضّم الهمزة والباء وتشديد اللّام المفتوحة، إحدى الجئات
الأربع و هي الموضع الذي فيه الدور و الأبنية الآن. و «السّفه» رذيلة مقابل الحلم. و
«التّابل» ذوالنّبل. و «الأمكلة» المأكول. و «الفريسة» ما يفترسه السبع. و «الصّولة»
الحملة و الوثبة.^{١١٣}

١١١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٥٢، ط بيروت.

١١٢- شرح النهج لابن ميثم، ج ١، ص ٢٩٣ — ٢٩٤، ط بيروت.

١١٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٥، ط كمپاني و ص ٤١٤، ط تبريز.

١٥ — وَمِنْ أَمْرِهِ

فما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه (٢١٢)

وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ ، وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ ، لَرَدَدْتُهُ ،
فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ !

١٦ — وَمِنْ أَمْرِهِ

لما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تقول إليه أحوالهم
وفيها يقسمهم إلى أقسام

ذِمَّتِي^(٢١٣) بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً^(٢١٤) . وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ^(٢١٥) . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ
الْعَبْرُ^(٢١٦) عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ^(٢١٧) ، حَجَزَتْهُ^(٢١٨) التَّقْوَىٰ عَنْ تَقَحُّمِ
الشُّبُهَاتِ^(٢١٩) . أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ غَادَتْ كَهَيْئَتِهَا^(٢٢٠) يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ
نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ^(٢٢١) بَلْبَلَةً ،
وَلَتُغْرِبُنَّ^(٢٢٢) غَرْبَلَةً ، وَلَتُسَاطُنَّ^(٢٢٣) سَوَاطِئَ الْقِدْرِ^(٢٢٤) ، حَتَّىٰ يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ
أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا ،
وَلَيَقْصُرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا . وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّةً^(٢٢٥) ، وَلَا كَذَبْتُ

كُذِبَتْ ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَبِلُ شُمُسٌ^(٢٢٦) حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا^(٢٢٧) ، فَتَقَحَّمَتْ^(٢٢٨) بِهِمْ فِي النَّارِ . أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ^(٢٢٩) ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأَغْطُوا أَرْزَمَتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْتُنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَيْتُنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ !

قال السيد الشريف : وأقول : إن في هذا الكلام الأذى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به. وفيه - مع الحال التي وصفنا - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجها إنسان^(٢٣٠)، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق^(٢٣١). وما يتغفلها إلا العالمون.

ومن هذه الخطبة وفيها يقسم الناس الى ثلاثة اصناف

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ! سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ^(٢٣٢) ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنْ أَدْعَى ، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى . مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ . وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ . لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ^(٢٣٣) أَصْلٍ ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتَرُوا

فِي بُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدُ
حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلْمُ إِلَّا نَفْسَهُ .

بيان: «الزعم» الكفيل. «إن من صرحت» أي كشفت. و«المثلاث»
العقوبات. و«قحم في الأمر وتقمحه» رمى بنفسه فيه. و«الشبهات» ما اشتبه حقيقته
وحليته، وقيل: أراد بالشبهات ما يتوهم كونه حقاً ثابتاً باقياً من الأمور الزائلة الفانية.
وقدمر تفسير باقي الكلام في باب شكايته — عليه السلام — ١١٤

١٧ — مِنَ الْمَثَلَاتِ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل
وفيها : أبغض الخلاق إلى الله صنفان

الصنف الأول : إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ
اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ^(٢٣٤) ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ^(٢٣٥) ، مَشْغُوفٌ^(٢٣٦)
بِكَلَامٍ بِدْعَةٍ^(٢٣٧) ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ
عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ أَفْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ،
حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ^(٢٣٨) .

الصنف الثاني : وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا^(٢٣٩) ، مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ^(٢٤٠) ،
عَادٌ^(٢٤١) فِي أَغْبَاشِ^(٢٤٢) الْفِتْنَةِ ، عَمٌ^(٢٤٣) بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ^(٢٤٤) ؛ قَدْ
سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ ؛ مَا قَلَّ

مِنْهُ خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ ، حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ ^(٢٤٥) ، وَآكُثَرَ ^(٢٤٦) مِنْ
 غَيْرِ طَائِلٍ ^(٢٤٧) ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصٍ ^(٢٤٨) مِمَّا
 أَلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ ^(٢٤٩) ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشَوًا ^(٢٥٠)
 رَثًا ^(٢٥١) مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ
 الْأَنْكَبُوتِ : لَا يَذْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ؛ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ خَبَّاطٌ ^(٢٥٢)
 جَهَالَاتٍ ، عَاشَ ^(٢٥٣) رَكَّابُ عَشَوَاتٍ ^(٢٥٤) ، لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ
 بِضُرْسٍ قَاطِعٍ . يَذْرُو ^(٢٥٥) الرُّوَايَاتِ ذَرَوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ ^(٢٥٦) .
 لَا مَلِي ^(٢٥٧) - وَاللَّهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا أَهْلُ لِمَا قُرِظَ بِهِ ^(٢٥٨) ،
 لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِّمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا
 لِغَيْرِهِ ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ آكُتِمَ بِهِ ^(٢٥٩) لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ،
 تَضَرُّخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءَ ، وَتَعَجُّ مِنْهُ أَلْمَوَارِيثُ ^(٢٦٠) . إِلَى اللَّهِ أَشْكُو
 مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جُهَالًا ، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ ^(٢٦١)
 مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقَ ^(٢٦٢) بَيْعًا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا
 مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
 وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ !

شا: روى ثقة أهل النقل عند العامة والخاصة عن أمير المؤمنين -

عليه السلام - كلام افتتاحه: الحمد لله والصلاة على نبيه؛ أما بعد، فذمتي بما أقول رهينة

وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ عنه سنخ أصل، وإن الخير كله فيمن عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، وأن أبغض الخلق عند الله رجل وكله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج فيها بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدى من كان قبله، مضلٌّ لمن اقتدى به، حمال خطأ يا غيره، رهين بخطيئته، قد قش جهلاً في جهال غشوه، غار بأغباش الفتنة، عمى عن الهدى، قد سمّاه أشباه الناس عالماً، ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر ممّا^{١١٥} قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن واستكثر من غير طائل، جلس للناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع عليه، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ؟! ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه، وإن أظلم عليه أمر اکتّم به لما يعلم من نفسه من الجهل والنقص والضرورة كيلا يقال: إنه لا يعلم، ثم أقدم بغير علم فهو خائف عشوات، ركّاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، ولا يعصّ في العلم بضرس قاطع فيغتم، يدري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم به الحلال، لا يسلم باصدار ما عليه ورد، ولا يندم على ما منه فرط.

أيها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته، فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى محمد خاتم النبيين في عترة محمد— صلى الله عليه وآله—، فأين يُناه بكم؟ بل أين تذهبون. يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة فهذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا في هاتيك من نجا كذلك ينجو في هذي^{١١٦} من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً، وما أنا من المتكلفين. الويل لمن تخلف ثم

١١٥- في النهج: من جمع ما قلّ منه.

١١٦- في الإرشاد المطبوع المصحح: هذه.

الويل لمن تخلف. أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم — صلى الله عليه وآله — حيث يقول في حجة الوداع: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا.

نهج: مرسلأ مثله.

إيضاح: «فدمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم»، «الذمة» العهد والأمان و الضمان والحرمة والحق. أي حرمتي أوضماني أو حقوقي عند الله مرهونة لحقيّة ما أقوله. قال في النهاية: وفي حديث عليّ — عليه السلام —: «دمتي رهينة وأنا به زعيم» أي ضماني وعهدي رهن في الوفاء به. وقال: «الزعيم» الكفيل. «إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم»، قال الجزري: «هاج النبت هياجاً» أي يبس واصفرّ، ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: لا يهيج على التقوى زرع قوم. أراد من عمل لله عملاً لم يفسد عمله ولا يبطل كما يهيج الزرع فيهلك. «ولا يظمأ عنه سنخ أصل»، «الظمأ» شدة العطش؛ قال الجزري: وفي حديث عليّ — عليه السلام —: «ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل» السنخ والأصل واحد فلما اختلف اللفظان أضاف أحدهما إلى الآخر.

أقول: الفقرتان متقاربتان في المعنى، ويحتمل أن يكون المراد بهما عدم فوت المنافع الدنيويّة أيضاً بالتقوى، ويحتمل أن يراد بإحداها إحداها وبالآخرى الأخرى. وفي نهج البلاغة: «لا يهلك على التقوى سنخ أصل، ولا يظمأ عليها زرع قوم».

«وإنّ الخير كلّهُ فيمن عرف قدره» قال ابن ميثم: أي مقداره ومنزلته بالنسبة إلى مخلوقات الله — تعالى — وآنه أي شيء منها، ولأني شيء خلق، وما طوره المرسوم له في كتاب ربّه وسنن أنبيائه.

«جائر عن قصد السبيل»، «الجائر» الضالّ عن الطريق، و«القصد» استقامة الطريق ووسطه، وفي بعض نسخ الكافي: «حائر» بالحاء المهملة من الحيرة. «مشغوف بكلام بدعة»، قال الجوهريّ: «الشفاف» غلاف القلب وهو جلدة دون الحجاب،

يقال: «شغفه الحب» أي بلغ شغافه. «قد لهج فيها بالصوم والصلاة»، قال الجوهري: «اللهج بالشيء» الولوع به، وضمير فيها راجع إلى البدعة أي هو حريص في مبتدعات الصلاة والصوم، و«فيها» غير موجود في الكافي. «ضالٌّ عن هدى من كان قبله» هدى بضمّ الهاء وفتح الدال أوفتح الهاء وسكون الدال. وفي النهج بعد ذلك: مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته. وفي الكافي: و بعد موته.

«رهين بخطيته» أي هو مرهون بها، قال المطرزي: «هورهين بكذا» أي مأخوذه. «قد قش جهلاً في جهال». وفي الكتابين: ورجل قش جهلاً. و«القمش» جمع الشيء المتفرّق. «غشوه» أي أحاطوا به وليس فيها. «غارٌ بأغباش الفتنة»، قال الجوهري: «الغباش» ظلمة آخر الليل والجمع «أغباش» أي غفل وانخدع واغترّ بسبب ظلمة الفتن والجهالات أوفيا. «ولم يغن فيه يوماً سالماً»، قال الجزري: وفي حديث عليّ — عليه السلام —: «ورجل سمّاه الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً تاماً» من قولك «غنيت بالمكان أغني» إذا أقت به. انتهى.

قوله «سالماً» أي من النقص بأن يكون نعتاً لليوم، أو سالماً من الجهل بأن يكون حالاً عن ضمير الفاعل. «بكر فاستكثر ممّا قلّ منه خير ممّا كثر» أي خرج في الطلب بكرة، كناية عن شدة طلبه واهتمامه في كلّ يوم أوفى أوّل العمر وابتداء الطلب، و«ما» موصولة، وهي مع صلتها صفة محذوف أي من شيء ماقلّ منه خير ممّا كثر، ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية أيضاً وقيل: «قلّ» مبتدأ بتقدير «أن» و«خير» خبره، كقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ والمراد بذلك الشيء إمّا الشبهات المضلّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، أو زهرات الدنيا. «حتّى إذا ارتوى من آجن»، «الآجن» الماء المتعفن المتغيّر، استعير للآراء الباطلة والأهواء الفاسدة. «واستكثر من غير طائل»، قال الجوهري: «هذا أمر لا طائل فيه» إذا لم يكن فيه غناء ومزية.

وان نزلت به إحدى الملهمّات — وفي الكتابين: المبهمات — هيأها حشواً، أي كثيراً لأفائدة فيها. «ثمّ قطع عليه» أي جزم به. «فهو من لبس الشبهات في مثل غزل

العنكبوت»، قال ابن ميثم: وجه هذا التمثيل أنَّ الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلَّ قضية مبهمّة تكثُر فتلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه لذباب الواقع فيه، فكالمالاً يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلص من تلك الشبهات.

أقول: ويحتمل أيضاً أن يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها وظهور بطلانها، لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدرّون على التخلص منها لجهلهم وضعف يقينهم، والأوّل أنسب بما بعده.

«لا يرى أنَّ من وراء ما بلغ مذهباً» أي أنّه لو فورجهله يظنّ أنّه بلغ غاية العلم فلبس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد مذهب و موضع تفكّر. «فهو خائض عشوات» أي يخوض ويدخل في ظلمات الجهالات والفتن. «خبّاط جهالات»، «الخبط» المشي على غير استواء، أي خبّاط في الجهالات أو بسببها. «ولا يعضّ في العلم بضرس قاطع» كناية عن عدم إتقانه للقوانين الشرعيّة وإحاطته بها، يقال: «لم يعضّ فلان على الأمر الفلانيّ بضرس» إذا لم يحكمه. «يذري الروايات ذروالريح الهشيم»، قال الفيروز آبادي: «ذرت الريح الشيء ذرواً وأذرتّه وذرتّه» أطارته وأذهبتّه. وقال: «الهشيم» نبت يابس متكسّر، أو يابس كلّ كلاء و كلّ شجر، و وجه التشبيه صدور فعل بلارويّة من غير أن يعود إلى الفاعل نفع وفائدة، فإنّ هذا الرجل المتصفّح للروايات ليس له بصيرة بها ولا شعور بوجه العمل بها بل هو يمرّ على رواية بعد أخرى ويمشي عليها من غير فائدة، كما أنّ الريح التي تذري الهشيم لاشعورها بفعلها، ولا يعود إليها من ذلك نفع وإنّما أتى الذرو مكان الإذراء لا تحاد معنيهما. وفي بعض الروايات: يذروا الرواية. قال الجزريّ: يقال: «ذرتّه الريح و أذرتّه تذروه و تذريه» إذا أطارته، ومنه حديث عليّ - عليه السلام - : «يذرو الرواية ذروالريح الهشيم» أي يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت.

«تبكي منه المواريث و تصرخ منه الدماء». الظاهر أنّهما على المجاز، ويحتمل

حذف المضاف أي أهل المواريث وأهل الدماء. «لايسلم بإصدارما عليه ورد» أي لايسلم عن الخطأ في إرجاع ما عليه ورد من المسائل أي في جوابها. وفي الكتابين: «لاملي» — والله — بإصدارما عليه ورد» أي لايستحق ذلك ولايقوي عليه. قال الجزري: «الملي» بالهمز، الثقة الغني وقد ملّفه هو المليء بين الملاّء بالمد — وقد أوقع الناس بترك الهمزة وتشديد الياء — ومنه حديث علي — عليه السلام —: «لاملي» — والله — بإصدارما ورد عليه».

«ولايندم على مامنه فرط» أي لايندم على ما قصر فيه. وفي الكافي: «ولا هو أهل لما منه فرط» بالتخفيف، أي سبق على الناس وتقدّم عليهم بسببه من ادّعاء العلم، وليست هذه الفقرة أصلاً في نهج البلاغة؛ وقال ابن أبي الحديد: في كتاب ابن قتيبة: «ولأهل لما فرط به» أي ليس بمستحقّ للمدح الذي مدح به. ثمّ اعلم أنّه على نسخة المنقول عنه جميع تلك الأوصاف لصنف واحد من الناس، وعلى ما في الكتابين من زيادة: ورجل عند قوله: «قش جهلاً»؛ فالفرق بين الرجلين إمّا بأن يكون المراد بالأوّل الضالّ في أصول العقائد كالمشبهة والمجبرة، والثاني هو المتفقّه في فروع الشرعيّات وليس بأهل لذلك، أو بان يكون المراد بالأوّل من نصب نفسه لسائر مناصب الإفادة دون منصب القضاء، والثاني من نصب نفسه له.

«فأين يُتاه بكم» من «التيه» بمعنى التحيّر والضلّال، أي أين يذهب الشيطان أو الناس بكم متحيّرين؟! بل أين تذهبون؟! إضراب عمّا يفهم سابقاً من أنّ الداعي لهم على ذلك غيرهم، وأنهم مجبورون على ذلك، أي بل أنتم باختياركم تذهبون عن الحقّ إلى الباطل. «يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة»، «النسخ» الإزالة والتغيير، أي كنتم في أصلاب من ركب سفينة نوح فأنزلتم عن تلك الأصلاب فاعتبروا بحال أجدادكم وتفكّروا في كيفيّة نجاتهم فإنّ مثل أهل البيت كمثل سفينة نوح. و«تي» و«ذي» للإشارة إلى المؤنث. «قسماً حقّاً» أي أقسم قسماً حقّاً. «وما أنا من المتكلّفين» أي المتصنعين بمالست من أهله، ولست ممّن يدعي الباطل ويقول الشيء من غير حقيقة.

«إني تارك فيكم الثقلين»، قال الجزري: فيه: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ستأهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقل ويقال لكل خطير نفيس: ثقل. فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما. «ما إن تمسكتم بهما» بدل من الثقلين. «وإنهما لن يفترقا» يدل على أن لفظ القرآن ومعناه عندهم — عليهم السلام —.^{١١٧} «ألهذا» أي سبيل الحق الذي أريتكموه «عذب فرائ» أي شديد العذوبة، و«هذا» أي سبيل الباطل الذي حذرتكموه «ملح أجاج» أي مالح شديد الملوحة والمرارة.^{١١٨}

١٨ —

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا
وفيه يلم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن

ذم أهل الرواي

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ،
ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ،
ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ^(٢٦٣) ، فَيُصَوِّبُ
آرَاءَهُمْ جَمِيعاً - وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ ! وَنَبِيِّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ !
أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْاِخْتِلَافِ فَاطَاعُوهُ ! أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ

١١٧- الظاهر أن هذه الاستفادة منه - رحمه الله - انتصار للأخبار الدالة على تحريف الكتاب مع أن قوله «لن يفترقا» إنما يدل على أن المعارف القرآنية بمقتضاها عند أهل البيت - عليهم السلام - ولا نظير فيه إلى التفرقة بين لفظ القرآن ومعناه وعدمها كما هو ظاهر. ط

فَعَصَوُهُ !

المحكم للقرآن

أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وَفِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » . وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ ^(٢٦٤) وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْسَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

١٩ —

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

مَا يُذَرِّبُكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ! حَائِكُ أَبْنُ حَائِكِ ! مُنَافِقُ أَبْنُ كَافِرٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ

أُخْرَى ! فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسْبُكَ ! وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمْ أَلْحَتَفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمُقْتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ !

قال السيد الشريف : يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة . وأما قوله : دل على قومه السيف : فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة ، غرّ فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، وكان قومه بعد ذلك يسمونه « عُرْفَ النار » وهو اسم للغادر عندهم .

بيان: قال الشُّرَّاح: الكلام الذي اعترضه الأشعث أنه — عليه السلام — كان يذكر في خطبته أمرا الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال له: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا به! فنادري أي الأمرين أرشد؟ فصفق — عليه السلام — إحدى يديه على الأخرى وقال: «هذا جزاء من ترك العقدة» و كان مراده — عليه السلام —: هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم، فظنّ الأشعث أنه — عليه السلام — أراد: هذا جزائي حيث تركت الحزم والرأي. وقيل: كان مراده — عليه السلام —: هذا جزائي حيث وافقتكم على ما أئزمتوني من التحكيم، وكان موافقته — عليه السلام — لهم خوفاً منهم على أن يقتلوه فجعل الأشعث أوتجأهل أنّ المصلحة قد تترك لأمر أعظم منها فاعترضه.

قوله — عليه السلام — «حائك بن حائك» قيل: كان الأشعث وأبوه ينسجان برود اليمن؛ وقيل: إنه كان من أكابر كندة و أبناء ملوكها، وإنّا عبّر عنه — عليه السلام — بذلك لأنّه إذا كان مشى يحرك منكببيه ويفحج بين رجله، وهذه المشية تعرف بالحياكة، وعلى هذا فلعلّ الأقرب أنّه كناية عن نقصان عقله. وذكر ابن أبي الحديد أنّ أهل اليمن يعيرون بالحياكة وليس هذا ممّا يخصّ الأشعث. ١١٩

وأما التعبير بالحياكة فقيل: إنه لنقصان عقولهم، وقيل لأنّه مظنة الخيانة والكذب؛ ويمكن أن يكون المراد بالحياكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذاباً

كما روي عن أبي عبد الله — عليه السلام — أنه ذكر عنده — عليه السلام — «أن الحائك ملعون» فقال: إنها ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله — صلى الله عليه وآله —.

قوله — عليه السلام — «لقد أسرك» إلى قوله «فما فداك» أي مانحاك من الوقوع فيها مالك ولا حسبك، ولم يردا الفداء الحقيقي فإن مراداً لما قتلت أباه خرج الأشعث طالباً بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، وهذا هو المراد بأسره في الكفر، وأما أسره في الإسلام فإنه لما قبض رسول الله ارتدّ بحضر موت ومنع أهلها تسليم الصدقة، فبعث أبو بكر إليه زياد بن ليلى ثم اردفه بعكرمة بن أبي جهل في جَم غفير من المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كندة قتلاً شديداً، فالتجأ بقومه إلى حصنهم، وبلغ بهم جهد العطش فبعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله ولبعض قومه ولم يطلبه لنفسه، فلما نزل أسره زياد وبعث به مقيداً إلى أبي بكر فأطلقه أبو بكر ووجهه أخته أم فروة.

قوله — عليه السلام — «دل على قومه»، قال ابن ميثم: إشارة إلى غدره بقومه، فإن الأشعث لما طلب الأمان من زياد طلبه لنفريسير من وجوه قومه فظنّ الباكون أنه طلبه لجمعهم فنزلوا على ذلك الظنّ، فلما دخل زياد الحصن ذكره الأمان فقال الأشعث: لم يطلب الأمان إلا العشرة من قومه فقتل منهم من قتل حتى وافاه كتاب أبي بكر بالكف عنهم وحملهم إليه، فحملهم.

وقال ابن أبي الحديد^{١٢٠}: فيما ذكره السيّد لم نعرف في التواريخ هذا ولا شبهه، و أين كندة واليمامة؟ كندة بالين واليمامة لبني حنيفة، ولأعلم من أين نقله السيّد — رضي الله عنه —. ١٢١

١٢٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٩٦، ط بيروت.

١٢١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمپاني و ص ٥٧١، ط تبريز.

٢٠ - ﴿وَمَنْ يَفْرَرْ مِنْ فِتْنَةِ رَبِّهِ فَلَا يَكُنْ مِنَ الْغَاثِ﴾

وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ^(٢٦٥) ،
وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ، وَقَرِيبٌ مِمَّا
يُطْرَحُ الْحِجَابُ ! وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ،
وَهُدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ ، وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ : لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبَرُ^(٢٦٦) ،
وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ^(٢٦٧) إِلَّا
الْبَشَرُ .

٢١ - ﴿وَمَنْ يَفْرَرْ مِنْ فِتْنَةِ رَبِّهِ فَلَا يَكُنْ مِنَ الْغَاثِ﴾

وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ^(٢٦٨) تَحْدُوكُمْ^(٢٦٩) . تَخَفُّوْا^(٢٧٠)
تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

قال السيد الشريف : أقول : إن هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام
رسول الله صلى الله عليه وآله ، بكل كلام مال به راجحاً ، وبرز عليه مايقاً . فأما قوله عليه
السلام : « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً ، وما
أبعد غورها من كلمة ! وأنفع^(٢٧١) نطقها^(٢٧٢) من حكمة ! وقد نبهنا في كتاب « الخصائص »
على عظم قدرها وشرف جوهرها .

٢٢ - خطبة الجمعة

حين بلغه خبر الناكثين ببيعته
وفيها يلزم عليهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددم بالحرب
دم الناكثين

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ^(٢٧٣) ، وَأَسْتَجَلَبَ جَلَبَهُ^(٢٧٤) ، لِيَعُودَ
الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ^(٢٧٥) وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا
عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا^(٢٧٦) .

دم عثمان

وإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ : فَلَيْنَ كُنْتُ
شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَكِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي ، فَمَا
الْتَبِعَهُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ، يَرْتَضِعُونَ أَمَّا
قَدْ فَطَمْتُ^(٢٧٧) ، وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ . يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي ! مَنْ دَعَا !
وَالْإِمَامَ أَحْيَبَ ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ .

التهديد بالحرب

فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ، وَنَاصِرًا
لِلْحَقِّ ! وَمِنْ أَلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرَزَ لِلطَّعَانِ ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ !
هَبْلَتُهُمْ^(٢٧٨) أَلْهَبُولُ^(٢٧٩) ! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُّ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ

بِالضَّرْبِ ! وَإِنِّي لَعَلِّي يَقِينُ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

بيان: قوله «قد ذم» يروى بالتخفيف والشديد وأصله الحث والترغيب. و«الجلب» الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف. قوله —عليه السلام— «إلى أوطانه» يروى: «ليعود الجور إلى قطابه». و«القطاب» مزاج الخمر بالماء، أي ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان، ويجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب وهو مدخل الرأس فيه، أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه. و«النصاب» الأصل. والذي أنكره، قتل عثمان. و«التَّصَف» بالكسر، الاسم من الانصاف.

قوله —عليه السلام— «يرتضعون أمّاً» أي يطلبون» الشيء بعد فواته لأنّ الأمّ إذا قُطعت ولدها فقد انقضى رضاعها، ولعلّ المراد به أنّ طلبهم لدم عثمان لغولا فائدة فيه. وقال ابن ميثم: استعار لفظة الأمّ للخلافة فبيت المال لبنها، والمسلمون أولادها المرتضعون، وكنتي بارتضاعهم لها عن طلبهم منه —عليه السلام— من الصلات و التفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم، وكونها قد فطمت عن منعه —عليه السلام—.

وقوله —عليه السلام— «يُحْيُونَ بدعة قد أُميتت» إشارة إلى ذلك التفضيل فيكون بمنزلة التأكيد للقرينة السابقة، ويحتمل أن يكون المراد بالأمّ التي قد فطمت ما كان عاداتهم في الجاهليّة من الحميّة والغضب وإثارة الفتن وبفطامها اندراسها بالإسلام فيكون ما بعده كال تفسير له. والنداء في قوله —عليه السلام— «ياخية الداعي» كالنداء في قوله —تعالى—: «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ»^{١٢٢}. أي يا خيبة احضري فهذا أوانك، والداعي هو أحد الثلاثة: طلحة والزبير وعائشة. ثم قال على سبيل الاستحقار لهم: «من دعا، وإلى ما أُجيب» أي أحقر بقوم دعاهم هذا الداعي و أقبح بالأمر الذي أجابوه إليه فافحشه وأرذله. وقال الجوهري: «هبلته أمّه» بكسر الباء، أي ثكلته، و«الهبول من النساء» الثكول.

قوله —عليه السلام— «لقد كنت» قال ابن أبي الحديد: أي مازلت لا أهدد بالحرب، والواو زائدة، وهذه كلمة فصيحة كثيراً ما يستعملها العرب، وقد ورد في القرآن

العزير «كان» بمعنى «مازال» في قوله «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا». ١٢٣

أقول: قال ابن ميثم — رحمه الله — بعد إيراد تلك الفقرات: أكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا أنه — عليه السلام — خطبها حين بلغه أن الطلحة والزبير خلعا بيعته، وفيه زيادة ونقصان ونحن نوردها بتمامها وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله:

أيها الناس! إن الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره، والله ما صلحت دين ولا دنيا إلّا به، وقد جمع الشيطان حزبه، واستجلب خيله ومن أطاعه ليعود له دينه وسنته. وقد رأيت أموراً قد تمخّضت، والله ما أنكروا عليّ منكرأ ولا جعلوا بيني وبينهم نصفأ، وإنهم ليطالبون حقأ تركوه، ودماً سفكوه. فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه، وإن كانوا لولوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم، وإنّ أول عدلهم لعلّ أنفسهم، ولا أعتذر ممّا فعلت، ولا أتبرأ ممّا صنعت، وإنّ معي لبصيرتي، ما لبست ولا لبس عليّ، وإنّها للفئة الباغية فيها الحمّ والحمة طالت جلبتها، وانكفت جونتها، ليعودنّ الباطل إلى نصابه. يا خيبة الداعي، لوقيل: ما أنكر من ذلك، وما أمامه وفيمن سنته، والله إذا لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه، وما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج، والله ماتاب من قتلوه قبل موته ولا تنصّل عن خطيئته وما اعتذر إليهم فعذّروه، ولا دعا فنصروه، وأيم الله لأقرطنّ لهم حوضأ أنا ماتحه لا يصدرون عنه برّي ولا يعبئون حسوة أبدأ، وإنّها لطيبة نفسي بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم، وإني داعيهم فعذّر إليهم، فإن تابوا وقبلوا وأجابوا وأتابوا فالتوبة مبدولة والحقّ مقبول وليس عليّ كفيل، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصر المؤمن، ومع كلّ صحيفة شاهدها وكتابتها. والله إنّ الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وهم مبطلون.

وقال — رحمه الله —: «تمخّضت» تحرّكت. و «التبّة» ما يلحق الإنسان من درك. و «الحمّ» بفتح الحاء وتشديد الميم، بقية الالية التي أذيت وأخذ دهنها. و

«الحمة» السوداء، وهما استعارتان لأراذل الناس وعوامهم لمشابهتهم حَمَّ الألية وما اسودَّ منها في قَلَّة المنفعة والخير. و«الجلبة» الأصوات. و«جوتها» بالضم، سوادها. و«انكفت واستكفت» أي استدارت. و«زاح وانزاح» تنحى. و«تنصل من الذنب» تبرأ منه. و«العَبّ» الشرب من غير مصّ. و«الحسوة» بضمّ الحاء، قدوما يحسى مرة واحدة. و«الجلاد» المضاربة بالسيف. و«المبول» الثكلى، و«الهبل» الشكّل.

واعلم أنّه — عليه السلام — نبّه أولاً على فضل الجهاد لأنّ غرضه استفادهم لقتال أهل البصرة. وقوله «وقد رأيت أموراً» إشارة الى تعيين ما يستنفرهم إليه وهوما يحسّ به من مخالفة القوم ورهبتهم لقتاله. وقوله «والله ما أنكروا» إشارة الى بطلان ما ادّعوه منكرأ ونسبوه إليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه، فأنكروأولاً إنكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذي زعموا أنّه منكر و لمآلم يكن منكرأ كان ذلك الإنكار عليه هو المنكر.

وقوله «وإنهم ليطلبون» إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركاء فيه. روى الطبري في تاريخه أنّ عليّاً عليه السلام — كان في مال بخير لَمّا أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره، فبعث عثمان إليه يشكو أمر طلحة، فقال: أنا أكفيكه، فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس، فقال له: يا طلحة ما هذا للأمر الذي صنعت بعثمان؟ فقال طلحة يا أبا الحسن! أبعد أن مسّ الحزام الطَّبْيَيْنِ! فانصرف عليٌّ — عليه السلام — إلى بيت المال فأمر بفتحته فلم يجدوا المفتاح، فكسر الباب و فرّق مافيه على الناس، فانصرفوا من عند طلحة حتّى بقي وحده، فسّر عثمان بذلك، وجاء طلحة إلى عثمان فقال له يا أمير المؤمنين! إنّي أردت أمراً فحال الله ببني وبينه وقد جثت تائباً فقال: والله ما جثت تائباً ولكن جثت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة.

وروى الطبري أيضاً أنّه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً فقال له طلحة يوماً: قد تيّأ مآلك فاقبضه، فقال: هولك معونة على مروّتك. فلَمّا حضر عثمان، قال عليٌّ — عليه السلام — لطلحة: أنشدك الله أن لا كففت عن عثمان، فقال: لا والله حتّى

تعطي بنو أمية الحق من أنفسها. فكان على بعد ذلك يقول: لحا لله ابن الصعبة، أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل. وروي أن الزبير لما برز لعلّي — عليه السلام — يوم الجمل قال له: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان، فقال له: أنت وطلحة وليتماه، وإنا توبتكم من ذلك أن تقدم نفسك وتسلمها إلى ورثته. و بالجملة فدخلوهم في قتل عثمان ظاهر.

قوله — عليه السلام — «وإن أول عدلهم» أي إن العدل الذي يزعمون أنهم يقيمونه في الدم المطلوب. ينبغي أن يضعوه أولاً على أنفسهم. قوله «ولا أعتذر» أي الاعتذار الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار والتبرء منه. وقوله «طالت جليتها» كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم و توعددهم بالقتال. «وانكفت جونتها» أي استدار سوادها واجتمع كناية عن تجمع جماعتهم لما يقصدون. وقوله — عليه السلام — «ليعودن» توعددهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية، واستفار إلى القتال. وقوله «يا خيبة الداعي» خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله و من دعا. «وإلى ما أجيب» استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله و التاصرير إذ كانوا عوام الناس ورعاهم، وللمدعو إليه و هو الباطل الذي دعوا لنصرته.

وقوله «لوقيل» إلى قوله «وانقطع لسانه» متصلة معناه، لوسأل سائل مجادلاً لهؤلاء الدعاة إلى الباطل عما أنكروه من أمري وعن إمامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم التي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم بأنني أنا إمامهم وفي سنتهم، فانزاح باطلهم الذي أتوا به، وانقطع لسانه على الاستعارة، أو يحذف المضاف، أي لسان صاحبه. و قوله «وما أظن» عطف على قوله «وانقطع لسانه». و«واضح» مبتدأ و«فيه» خبره، و الجملة في محل نصب مفعول ثانٍ لـ «أظن»، أي ما أظن لوسأل السائل عن ذاك أن الطريق الذي يرتكبه المحيب له فيه مجال بين و مسلك واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب انقطع. وقوله «والله ماتاب» إلى قوله «فنصروه» إشارة إلى عثمان و ذم لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يعذروه، ودعاهم إلى نصرته في

حصاره فلم ينصروه مع تمكّنهم من ذلك. وقوله «ولا يعبّون حسوة» كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الأمر أوشىء منه. وقوله «وإنّها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم» نفسي منصوب بدلاً من الضمير المتصل بأن، أو بإضمار فعل تفسيراً له. و«حجة الله» إشارة إلى الأوامر الصادرة بقتل الفئة الباغية كقوله — تعالى: — «فَقَاتِلُوا آلِي نَبِيِّ»^{١٢٤} أي إني راضي بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون. وقوله «وليس عليّ كفيل» أي لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصفح والإمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن. و«شافياً» و«ناصرأ» منصوبان على التمييز. وقوله «ومع كلّ صحيفة» الواو للحال، أي إنّهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حدّ السيف، والملائكة الكرام الكاتبون يكتب كلّ منهم أعمال من وكلّ به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة^{١٢٥}. انتهى.

قوله «من اعتذر إليهم» الظاهر أنّه حمل الكلام على الاستفهام الإنكاري، ويحتمل وجهاً آخر بأن يكون المراد نفي توبته وتنصّله واعتذاره ودعوته فليستحقّ النصر، لكن ما ذكره أوفق بالأخبار. والضمير في «أنّها» يحتمل أن يكون للقصة.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى أبو مخنف عن مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال: لما رجعت رسل عليّ — عليه السلام — من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذّنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال:

أيّها الناس! إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرفعوا ويرجعوا، ووبختهم بنكتهم، وعرفتهم بغيمهم فلم يستحيوا، وقد بعثوا إليّ أن أبرز للظعان وأصبر للجلاد، إنّما تميتك نفسك أمانيّ الباطل وتعدك الغرور، ألهبتم الهبول لقد كنت وما أهّدت بالحرب ولا أهرب بالضرب، ولقد أنصف القارة من رامها، فليعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديماً وعرفوا نكايتي فقد [فكيف - خ ل] رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حدّ المشركين، وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم وإني لعلّ ما وعدني ربّي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني.

أيها الناس! إنَّ الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات، إنَّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش. اللهمَّ إنَّ طلحة نكث بيعتي وألب على عثمان حتى قتله ثم عضهني به ورماني. اللهمَّ فلا تمهله، اللهمَّ إنَّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليّ عدوي فاكفيته اليوم بما شئت.

قال: وروى أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة عليّ — عليه السلام — فررت بجكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله — صلى الله عليه وآله — إذ انودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج عليّ — عليه السلام — متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال:

أما بعد، فإنه لما قبض الله نبيّه قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذا تنزى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين ممّا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويور الدين لكتنا على غير ما كتألم عليه، فولّى الأمر ولادة لم يألوها الناس خيراً، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين متي لأمركم وفراسة تصدقني عمّا في قلوب كثير منكم؛ وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع — تعلمون ذلك — وقد نكثا وغدرا وهضا إلى البصرة بعايشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللهمَّ فخذهما بما عملا أخذه رابية ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقلّ لهما عشرة، ولا تمهلها فواقاً فإنهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه، اللهمَّ إنني أقتضيك وعدك فإنك قلت وقولك الحق لمن بنى عليه لينصرته الله، اللهمَّ فأنجزي موعدك ولا تكلني إلى نفسي إنك على كلّ شيء قدير.

ثم نزل.

وروى الكلبي، قال: لما أراد علي - عليه السلام - السير إلى البصرة، قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله:

إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهٖ اسْتَأْثَرَتْ عَلَيْنَا قَرِيْشٌ بِالْأَمْرِ وَدَفَعْتَنَا عَنْ حَقِّ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ النَّاسِ كَافَّةً فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَالنَّاسَ حَدِيثُوا عَهْدَ الْإِسْلَامِ، وَالِدِينَ يَمْخِضُ مَخْضُ الْوُطْبِ يَفْسِدُهُ أَدْنَى وَهْنٍ وَيَعْكِسُهُ أَقَلُّ خَلْقٍ، فَوَلَّى الْأَمْرَ قَوْمٌ لَمْ يَأْلَوْا فِي أَمْرِهِمْ اجْتِهَاداً ثُمَّ انْتَقَلَوْا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ، وَاللَّهُ وَلَّى تَمْحِيشَ سَيِّئَاتِهِمْ وَالْعَفْوَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ. فَمَا بِالْطَّلْحَةِ وَالزَّبِيرِ وَلَيْسَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ سَبِيلٌ لَمْ يَصْبِرَا عَلَيَّ حَوْلًا وَلَا شَهْرًا حَتَّى وَثَبَا وَمَرَقَا وَنَازَعَانِي أَمْرًا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهَا إِلَيْهِ سَبِيلًا بَعْدَ أَنْ بَايَعَا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرِهِينَ يَرْتَضِعَانِ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ وَيَحْيِيَّانِ بَدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ، أَدَمَ عِثْمَانُ زَعْمًا وَاللَّهُ مَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَفِيهِمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَّ أَنْفُسَهُمْ وَأَنَا رَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ فَاءَا وَأَنَا بَابَا فَحَظَّهْمَا أَحْرَزَا وَأَنْفُسُهُمَا غَنَّا وَأَعْظَمَ بِهَا غَنِيمَةً وَإِنْ أَبَا أَعْطَيْتُهُمَا حَذَّ السِّيفِ وَكَفَى بِهِ نَاصِرًا لِحَقِّ وَشَافِيًا مِنْ بَاطِلٍ.

ثُمَّ نَزَلَ.

وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت علياً - عليه السلام - بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتفت بساج يخضب فقال في خطبته:

الحمد لله على كلِّ أمرٍ وحالٍ في الغدوِّ والآصالِ وأشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ابتعته رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب جبلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدوُّ الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها، وأخذ به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها، إمام الهدى النبي المصطفى - صلى الله عليه وآله - فلقد صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، وآمن به السبل، وحقن به الدماء، وألَّف به بين ذي الضغائن الواغرة في الصدور حتى أتاه اليقين، ثم قبضه الله إليه حيداً. ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم ونلت مني حتى إذا كان من أمره

ما كان أتيتموني لتبايعوني، فقلت: لاجاجة لي في ذلك، ودخلت منزلي، فاستخرجت مني فقبضت يدي فبسطتموها، وتداكتم عليّ حتى ظننت أنكم قاتلي وأنّ بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله - سبحانه - أنني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد - صلى الله عليه وآله - ولقد سمعته - صلى الله عليه وآله - يقول: «ما من وإل يلي شيئاً من أمر أمتي إلّا أتى به من يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلاً نجاً، وإن كان جائراً هوى». حتى اجتمع عليّ ملائكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجهها والنكث في أعينها، ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفاً عائشة وخدعاها وشخص معها أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، وياعجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيها عليّ وهما يعلمان أنني لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يومان الطفام والأعراب أنهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرنا عليّ منكرأ ولا جعلنا بيني وبينهم نصفاً، وإن دم عثمان لمصوب بها ومطلوب منها، يا خيبة الداعي إلام دعا وبماذا أجيب؟ والله إنهما لعلّ ضلالة صماء وجهالة عمية، وإن الشيطان قد ذمر لها حزبه واستجلب منها خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه فقال:

اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألباعتي وفكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساء فيما عملا وأملا.

قال أبو مخنف: فقام إليه الأشر ففقال:

الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجل، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ولقد أصبت ووقفت وأنت ابن عم نبيّنا وصهره ووصيه وأول مصدق به

ومصلّ معه، شهدت مشاهدته كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأئمة فمن أتبعك أصاب حظّه واستبشر بفلجه، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أئمة الهاوية. لعمرى يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت، فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيّدا من أنفسهما فإنّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه، وأشهد الله لأنّ لم يدخلوا فيما خرجا منه لنلحقهما بعثمان، فإنّ سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنّا أمس.

ثمّ قعد. ١٢٦

توضيح: «ارعوى عن القبيح» أي كف. وقال الجوهري: «القارة» قبيلة سمّوا قارة لإجماعهم والتفافهم لما أراد ابن الشداخ أن يفرّقهم في بني كنانة وهم رماة؛ وفي المثل: «أنصف القارة من رامها». وقال الجوهري: «نكيت في العدو نكاية» إذا قتلت فيهم وجرحت. وقال: «عضه عضها» رماه بالهتان. وقال: «التنزي» التوثب والتسرّع. انتهى. وفي بعض النسخ: «اذانبرى اعترض» وهو أصوب.

و «السوقة» خلاف الملك. قوله — عليه السلام — «لم يألوا الناس خيراً فيه تقيةً ومصلحة، قال الجوهري: «ألا يألوا» أي قصر، وفلان لا يألوك نصحاً وقال: قال الفرّاء في قوله — تعالى —: «أخذةً رأيته»^{١٢٧} أي زائدة، كقولك: «أربيت» إذا أخذت أكثر ممّا أعطيت. وقال: «الفواق والفواق» ما بين الحلبتين من الوقت لأنّهما تحلب ثمّ ترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثمّ تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً. قوله — عليه السلام — «لمن بغى عليه» أي قال في حقّ من بغى عليه، والمقول لينصرته الله، و

١٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٥ - ٣١١، ط بيروت.

١٢٧- الحاقّة: ١٠.

الآية هكذا: «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ».^{١٢٨} و«الوطب» بالفتح، الزق الذي يكون فيه السمن واللبن، والمراد بالخلق إما قدم اللبن و مضي زمان عليه أو خلق الزق فإنه يفسد اللبن. و«أعظم بها» للتعجب، أي ما أعظمها. و«الجزل» بالتحريك، الفرغ. «لمعصوب بها» أي مشدود عليها.^{١٢٩}

[هذا بيان آخر في شرح جزء من هذه الخطبة:]

بيان: قوله — عليه السلام — «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» هي هنا تامة، والواو للحال، أي خلقت و وجدت بهذه الصفة.^{١٣٠} ويجوز أن تكون الواو زائدة و «كان» ناقصة و خبرها «ما أهدد». و«تجرد في الأرض» أي جذفه؛ ذكره الجوهري. و قال في النهاية في حديث علي — عليه السلام —: «أراد أن يغالط بما أجلب فيه» يقال: «أجلبوا عليه» إذا تجمعوا وتألبوا، و«أجلبه» أي أعانه، و«أجلب عليه» إذا صاح به واستحثه.

وقال الجوهري: «لبست عليه الأمر ألبس» وقال: «أعذر» أي هارذاعذر. و في النهاية: فأنهها شيء دون العرش، أي مامنعها و كفها عن الوصول إليه. و«الركود» السكون والثبات.^{١٣١}

٢٣ — خطبة أبي القاسم

وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتاديب الأغنياء بالشفقة

تهذيب الفقراء.

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى

١٢٨-الحج: ٦٠.

١٢٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٢، ط كمياني و ص ٣٧٦، ط تبريز.

١٣٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٥، ط بيروت.

١٣١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤١١، ط كمياني و ص ٣٨٦، ط تبريز.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً^(٢٨٠) فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ ، وَيُغْرَى بِهَا لِشَأْمِ النَّاسِ ، كَانَ كَالْفَالِجِ^(٢٨١) الْيَاسِرِ^(٢٨٢) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ . وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنْ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . وَإِنَّ أَلَمَالِ وَالْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْتُ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنْ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ^(٢٨٣) ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ بِكَلِّهِ اللَّهُ^(٢٨٤) لِمَنْ عَمِلَ لَهُ . نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

تأديب الاغنيا.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ عِثْرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً^(٢٨٥) مِنْ وَرَائِهِ ، وَالْمُهْمُ لِشِعْثِهِ^(٢٨٦) ، وَأَعْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ

إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانَ الصَّدَقِ^(٢٨٧) يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ
مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ .

ومنها : أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ^(٢٨٨)
أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ^(٢٨٩) ؛ وَمَنْ
يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتُقْبِضُ
مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ؛ وَمَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ

قال السيد الشريف : أقول : الغفيرة ها هنا الزيادة والكثرة ، من قولهم للجمع الكثير :
الجم الغفير ، والجماء الغفير . ويروى « عِفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ » والعِفْوَةُ : الخيار من
الشيء ، يقال : أَكَلْتُ عِفْوَةَ الطَّعَامِ ، أي خياره . وما أحسن المعنى الذي أراده عليه
السلام بقوله : « وَمَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ... » إلى تمام الكلام ، فإن المسك خيره عن
عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة ؛ فإذا احتاج إلى نصرتهم ، واضطر إلى مرافقتهم^(٢٩٠) ،
فعلوا عن نصره ، وتناقلوا عن صوته ، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة ، وتناهض الأقدام
الجمعة .

٢٤ — مِنْ خُطْبَةِ الْعَمَلِ فِي السَّلَامَةِ

وهي كلمة جامعة له ، فيها تسويغ قتال المخالف ، والدعوة إلى طاعة الله ،
والترقي فيها لضمان الفوز

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ الْغَيَّ^(٢٩١) ، مِنْ
إِذْهَانٍ^(٢٩٢) وَلَا إِيهَانٍ^(٢٩٣) . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ
اللَّهِ^(٢٩٤) ، وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ^(٢٩٥) ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ^(٢٩٦) ،

فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ^(٢٩٧) آجَلًا ، إِنْ لَمْ تُنَحِّوْهُ عَاجِلًا .

بيان: قيل: إنما قال ذلك في ردِّ قول من قال: إنَّ مصانعتي — عليه السلام — لمحاربيته ومخالفيه ومداهنتهم أولى من محاربتهم.

قوله — عليه السلام — «وخابط الغي» ذكر المخاطبة هنا للمبالغة من الجانبين. و «الإدهان» المصانعة. و «نهجه» أوضحه. قوله — عليه السلام — «عصبه بكم» أي أناطه وربطه بكم وجعله كالعصاة التي تشدُّها الرأس. و «المنحة» العطية. ١٣٢

٢٥ — وَخَطَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت^(٢٩٨) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عامله على اليمن ، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بُسرُ بن أبي أرطاة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجرًا بتناقل أصحابه عن الجهاد ، ومخالفتهم له في الرأي ، فقال :

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ ، أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا^(٢٩٩) ، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ ، تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ^(٣٠٠) فَقَبَّحَكَ اللَّهُ !
وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضْرٍ^(٣٠١) — مِنْ ذَا الْإِنَاءِ — قَلِيلٍ
ثم قال عليه السلام :

أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ^(٣٠٢) ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ

سَيِّدَ الْوَنِّ مِنْكُمْ^(٣٠٣) بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ،
وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ .
فَلَوْ أَتَمَمْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ^(٣٠٤) لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ^(٣٠٥) .
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّوْنِي ، وَسَمِئْتُهُمْ وَسَمِئُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ
خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ^(٣٠٦) كَمَا يُمَاطُ
الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي
فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ .

هُنَالِكَ ، لَوْ دَعَوْتُ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر

قال السيد الشريف : أقول : الأرمية جمع رَمَى وهو السحاب ، والحميم ها هنا : وقت
الصيف ، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً ، وأسرع خُفُوفاً^(٣٠٧) ،
لأنه لا ماء فيه ، وإنما يكون السحاب ثقیل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لا يكون في الأكثر إلا
زمان الشتاء ، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دُعُوا ، والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل
على ذلك قوله :

« هنالك ، لو دعوت ، أتاك منهم ... »

بيان: قوله — عليه السلام — «ماهي إلا الكوفة» أي ما ملكتي إلا الكوفة.
«أقبضها وأبسطها» أتصرف فيها كما يتصرف الإنسان في ثوبه بقبضه وبسطه، و
الكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرفي فيها مع حقارتها، ويحتمل أن يكون
المراد عدم التمكن التام من التصرف فيها لنفاق أهلها كمن لا يقدر على لبس ثوب بل

على قبضه وبسطه، أو المراد بالبسط بث أهلها للقتال عند طاعتهم، وبالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة، وفي قوله «إن لم تكوني» التفات. قوله—عليه السلام—: «تهب أعاصيرك» الجملة في موضع الحال، وخبر كان محذوف، ولفظ الأعاصير على حقيقته فإن الكوفة معروفة بهبوب الأعصار فيها، ويحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير إن لم تكوني إلا أنت عدة لي وجثة ألقى بها العدو وحظاً من الملك والخلافة مع ما فيك من المدام فقبحاً لك وبعداً؛ ويمكن أن يقدم المستثنى منه حالاً، أي إن لم تكوني على حال إلا أن تهب فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدو. و«الإعصار» ريح تهب وتمتد من الأرض كالعمود نحو السماء، وقيل: كل ريح فيها العصار، وهو الغبار الشديد.

و«الوضر» بفتح الضاد، الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل، ويستعار لكل بقية من شيء يقل الانتفاع بها، واستعار بلفظ الإناء للعالم وبلفظ الوضر القليل لما فيها لحقارتها. وروي «من ذا الألاء» فإنما أراد: إنني على بقية من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الألاء مع عدم انتفاعه بشيء آخر، فإن الألاء—كسحاب—شجر حسن المنظر مرط الطعم.

قوله—عليه السلام—«قد اطلع الين» أي غلبها وغزاها وأغار عليها، من الاطلاع وهو الإشراف من مكان عال. قوله—عليه السلام—«سيد الون منكم» أي يغلبونكم وليكون لهم الدولة عليكم. ولعل التفرق عن الحق ومعصية الإمام واحد أتى بها تأكيداً، وقيل: المراد بالحق الذي تفرقوا، تصرفهم في النية والغنائم وغيرها بإذن الإمام، و«أداء الأمانة» الوفاء بالعهد والبيعة أو مطلقاً. و«الصلاح في البلاد» ترك التعرض للناس وتهيج الفتن. و«القعب» القدح الضخم. قوله—عليه السلام—«أن يذهب بعلاقته» الضمير المستتر راجع إلى الأحد، والباء للتعدية، أولى القعب والباء بمعنى مع.

وقوله—عليه السلام—«خيراً منهم، وشرّاً مني» صيغة أفعّل فيه بمنزلة في قوله—تعالى—: «أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» ١٣٣ على سبيل التنزل والتهكم أو أريد

بالصيغة أصل الصفة بدون تفضيل، ولعل المراد بقوله «خيراً منهم» قوم صالحون ينصرونه ويوقعون لطاعته أو مابعد الموت من مرافقة النبي — صلى الله عليه وآله — وغيره من الأنبياء — عليهم السلام — وتمنيته — عليه السلام — لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيد الأول؛ ويروى أن اليوم الذي دعا فيه — عليه السلام — ولد الحجاج، وروي أنه ولد بعد ذلك بمدة يسيرة، وفعل الحجاج بأهل الكوفة مشهور، ويقال: «ماث زيد الملح في الماء» أي أذابه. قوله: «لوددت» البيت لأبي جندب الهزلي، وبنوفراس حي مشهور بالشجاعة. و«الجفول» الإسراع، و«الخفوف» العجلة. ١٣٤

٢٦ — خطبته عليه السلام

وفيهما يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له

العرب قبل البعثة

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ،
وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ،
مُنِيخُونَ^(٣٠٨) بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ^(٣٠٩) ، وَحَيَاتٍ صُمٍ^(٣١٠) ، تَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ
وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ^(٣١١) ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ .
الْأَضْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ ، وَالْأَثَامُ بِكُمْ مَغْصُوبَةٌ^(٣١٢) .

ومنها صفة قبل البيعة له

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ،

وَأَغْضَبْتُ^(٣١٣) عَلَى الْقَدَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا^(٣١٤) ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ^(٣١٥) ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ .

ومنها . وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا ، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ، وَخَزِيَتْ^(٣١٦) أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ^(٣١٧) ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا^(٣١٨) ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَهَا^(٣١٩) ، وَعَلَا سَنَاها^(٣٢٠) ، وَاسْتَشْعِرُوا^(٣٢١) الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

بيان: قوله — عليه السلام — «شردار» أي باعتبار شمول الكفر والضلالة، أو باعتبار أن أكثرها البوادي، ولقلة المعمورة وقلّة الماء فلا ينافي كونها خيردار للصالحين لشرافة المكان، ويحتمل أن يكون المراد الدار المجازية أي دار الجاهلية. و«الاناحة» الإقامة بالمكان. و«الحية الصماء» التي لا تنزجر بالصوت كأنها لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة، وقيل: يجوز أن يعنى بالحجارة والحيات المجاز، يقال للأعداء حيات وإنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام. و«الجشب» الطعام الغليظ الخشن والذي لإدام معه. قوله — عليه السلام — «معصوبة» أي مشدودة^{١٣٥}.

[البيان الثاني في شرح الخطبة:]

بيان: قوله — عليه السلام — «ولم يبايع» قال الشارحون: إشارة إلى ما اشتهر من أن أمير المؤمنين — عليه السلام — لَمَّا نَزَلَ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ كِتَابًا يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَدَعَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْطَلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ فَأَجَابُوهُ وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَخُوهُ بِالْإِسْتِعَانَةِ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ تَبَاعَدَ عَنْهُ وَجَعَلَ يَمْدَحُ عَلِيًّا فِي وَجْهِهِ حَتَّى رَضِيَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يُعْطِيَهُ الْمَصْرَ فَبَايَعَهُ، فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ — عليه السلام — «أَنْ يُؤْتِيَ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا». ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِالْإِدْعَاءِ عَلَى الْبَائِعِ

لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن أو شيء مما يأمله، والحقه بالتوبيخ للمبتاع وهو معاوية بذكر هوان أمانته عليه وهي بلاد المسلمين وأموالهم، ويحتمل أن يكون إسناد الحزبي إلى الأمانة إسناداً مجازياً، وذهب بعض الشارحين إلى أن المراد بالبائع معاوية وبالمبتاع عمرو، وهو ضعيف لأن الثمن إذا كان مصراً فالمبتاع هو معاوية. كذا ذكر ابن ميثم^{١٣٦}!

وقال ابن أبي الحديد: وفي أكثر النسخ «فلاظفرت يدالمبائع» بميم المفاعلة، و الظاهر ماروينا^{١٣٧}.

قوله — عليه السلام — «فقد شَبَّ لظاها» أى أوقدت نارها وأثيرت، وروى بالبناء للفاعل أي ارتفع لهبا. و«السنا» بالقصر، الضوء. أقول: قال ابن أبي الحديد^{١٣٨}: روى ابن قتيبة في عيون الأخبار، قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً فضحك، فقال: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين! أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك حين إيدائك^{١٣٩} سواتك يوم ابن أبي طالب [— عليه السلام —]، والله لقد وجدته متاناً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! أما والله إننى لعن ممينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك وانتفخ سَجْرُك وبدامنك ما أكره ذكره، فن نفسك أضحك أوفزع^{١٤٠}.

[البيان الثالث في شرح الخطبة:]

بيان: «الكظم» بفتح الظاء، مخرج النفس. قوله — عليه السلام —: «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» المراد بالثمرة إما الرسول — صلى الله عليه وآله — والإضاعة عدم اتباع نصبه، أو أمير المؤمنين وأهل البيت — عليهم السلام — تشبيهاً له — صلى الله عليه وآله — بالأغصان، أو اتباع الحق الموجب للتمسك به دون غيره كما قيل؛ والغرض

١٣٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢٧، ط بيروت.

١٣٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٦٠ - ٦١، ط بيروت.

١٣٨- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٠٧، ط بيروت.

١٣٩- في بعض النسخ: أبدأت.

١٤٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٣٣، ط كمپاني وص ٤٩٤، ط تبريز.

إلزام قريش بما تمسكوا به من قرابته — صلى الله عليه وآله — فإن تم، فالحق لمن هو أقرب وأخص وإلا فالأنصار على دعواهم. ١٤١

٢٧ — (كتاب الجهاد)

وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا . وفيها يذكر فضل الجهاد ، ويستنهض الناس ، ويذكر علمه بالحرب ، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته

فضل الجهاد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ، وَجَنَّتُهُ^(٣٢٢) الْوَثِيقَةُ . فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ^(٣٢٣) أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ ، وَشَمِلَهُ أَلْبَاسُ الْبَلَاءِ ، وَدَيْثُ^(٣٢٤) بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاعَةِ^(٣٢٥) ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ^(٣٢٦) ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ^(٣٢٧) بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيَمَ الْخَسْفِ^(٣٢٨) ، وَمُنِعَ النَّصْفَ^(٣٢٩) .

استنهاض الناس

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ : اغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ^(٣٣٠) إِلَّا ذَلُّوا . فَتَوَاكَلْتُمْ^(٣٣١) وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنْتُ

عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ^(٣٣٢) ، وَمَمْلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ . وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ
خَيْلُهُ الْأَنْبَارُ^(٣٣٣) ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ
مَسَالِحِهَا^(٣٣٤) ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ
الْمُسْلِمَةِ ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ^(٣٣٥) ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا^(٣٣٦) وَقُلُوبَهَا^(٣٣٧)
وَقَلَائِدَهَا وَرُعُوشَهَا^(٣٣٨) ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ^(٣٣٩) .
ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(٣٤٠) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ^(٣٤١) ، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ
دَمٌ ؛ فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ،
بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا ؛ فَيَا عَجَبًا ! عَجَبًا - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ
وَيَجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ
حَقِّكُمْ ! فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا^(٣٤٢) ، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا^(٣٤٣) يُرْمَى : يُغَارُ
عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ !
فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ : هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ^(٣٤٤) ،
أَمَهَلْنَا يُسَبِّخُ عَنَّا الْحَرُّ^(٣٤٥) ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ
قُلْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ^(٣٤٦) ، أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ ؛ كُلُّ هَذَا
فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ ؛ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ
مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ !

يَا أَشْبَاهَ الرُّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ^(٣٤٧) ،
لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبَتْ
سَدَمًا ^(٣٤٨) . قَاتَلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا ^(٣٤٩) ، وَشَحَنْتُمْ ^(٣٥٠)
صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغْبَ ^(٣٥١) التَّهْمَامِ ^(٣٥٢) أَنْفَاسًا ^(٣٥٣) ، وَأَفْسَدْتُمْ
عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِضْيَانِ وَالْخِذْلَانِ ؛ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي
طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ .
لِلَّهِ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا ^(٣٥٤) ، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا
مِنِّي ! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَانَدَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى
السُّتَيْنِ ^(٣٥٥) ! وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ !

بيان: قال ابن ميثم وغيره ^{١٤٢}: هذه الخطبة مشهورة ذكرها أبو العباس المبرد وغيره، والسبب المشهور لها أنه ورد عليه من الأنبار فأخبره أن سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية إلى الأنبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري، فصعد - عليه السلام - المنبر وخطب الناس و قال:

إِنَّ أَحَاكِمَ الْبَكْرِيِّ قَدْ أُصِيبَ بِالْأَنْبَارِ، فَانْتَدَبُوا إِلَيْهِمْ حَتَّى تَلَاقَوْهُمْ، فَإِنْ أَصَبْتُمْ مِنْهُمْ طَرَفًا أَنْكَلْتُمُوهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ أَبَدًا مَابَقُوا.

ثم سكت رجاء أن يجيبوه بشيء، فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشrafهم وقالوا: ترجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك، فقال ماتكفوني ولا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى منزله؛ فبعث سعيد بن قيس الحمداني في ثمانية آلاف في طلب سفيان فخرج حتى

انتهى إلى أداني أرض قنسرين ورجع، وكان— عليه السلام— في ذلك الوقت عليلاً لا يقوى على القيام في الناس بما يريد من القول فجلس بباب السُّلَّة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين— عليهما السلام— وعبد الله بن جعفر، ودعا سعيداً مولاه فدفع إليه كتاباً كتب فيه هذه الخطبة وأمره أن يقرأه على الناس بحيث يسمع ويسمعونه. وفي رواية المبرد: إنَّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار وقتل حسان خرج مغضباً يجرّ داءه حتى أتى النخيلة ومعه الناس، وقرأوا به من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي— صلى الله عليه وآله—. ١٤٣ ثم ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح والبيان.

قوله — عليه السلام — «باب من أبواب الجنة» روي عن النبي — صلى الله عليه وآله — أنه قال: «للجنة باب يقال له: باب المجاهدين؛ يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم». وفيه: «لخاصّة أوليائه، وسوّغهم كرامة منه لهم، ونعمة ذخرها، والجهاد لباس التقوى» فقوله — عليه السلام — «نعمة» عطف على «باب» أو على «كرامة». قوله — عليه السلام — «وهو لباس التقوى» أي به يتقى في الدنيا من غلبة الأعادي وفي الآخرة من النار، أو هو يدفع المضار عن التقوى ويحرسها، أو عن أهلها بحذف المضاف؛ وكونه تأويلاً لقوله تعالى: «وَلِبَاسُ التَّقْوَى»^{١٤٤}، يحتاج إلى تكلف ما. «ودرع الله» أي درع جعلها الله لحفظ عباده والمراد درع الحديد، وهي مؤنثة وقد تذكّر «الحصينة» الواقعة. و الجنة — بالضم — كلُّ ما وقاك واستترت به. و «الوثيقة» المحكمة، «فن تركه» في فيه: «رغبة عنه» أي كراهة له بغير علة. «لباس الدّل» الإضافة للبيان. قوله — عليه السلام — «وشمله البلاء» ربّما يقرأ بالتاء وهي كساء تغطى به، والفعل أظهر

١٤٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٣١، ط بيروت.

١٤٤- الأعراف: ٢٦.

كما هو المضبوط.

قوله — عليه السلام — «وديث بالصغار» أي ذلّ كامراً؛ و «الصغار» الذلّ والضميم. و «القماء» ممدودة، الذلّ و الصغار، ورواه الراونديّ مقصوراً و هو غير معروف. و في في: «القماء». قوله — عليه السلام — «و ضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروزآبادي: «و ضربت عليه بالسداد» سدت عليه الطرق و عميت عليه مذهبها؛ و في بعض النسخ: «بالإسهاب»، يقال: «أسهب الرجل» على البناء للمفعول، إذا ذهب عقله من أذى يلحقه. «و أدلى الحق منه» أي يغلب الحق عليه فيصيبه الوبال لترك الحق، كقوله — عليه السلام — في الصحيفة «أدل لنا ولا تدل منا» و «الادالة» الغلبة. و الباء في قوله «بتضييع الجهاد» للسببية. و قال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام —: «من ترك الجهاد ألبسه الله الذلّة». «وسيم الخسف»، «الخسف» النقصان والهوان، وأصله أن تحبس الدابة على غير علف، ثم استعير لموضع الهوان.^{١٤٥} و «سيم» كلف و أزم. «و منع النصف» أي لا يتمكّن من الانتصاف و الانتقام. و «غقر الشيء» أصله و وسطه. و «تواكل القدم» اتكل بعضهم على بعض^{١٤٦} و ترك الأمر إليه. و «تخاذلوا» أي خذل بعضهم بعضاً. و «شتت» أي فرقت، قال ابن أبي الحديد: ما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة، فهو بالشين المعجمة، و ما كان إرسالاً غير متفرق فبالسين المهملة.^{١٤٧}

وكلمة «على» في «ملكت عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر و الغلبة، أي أخذوا الأوطان منكم بالقهر. و «أخوغامد» هوسفيان بن عوف الغامدي. و «الأنبار» بلد قديم من بلاد العراق. و «حسان» من أصحابه — عليه السلام — كان والياً عليه. و «المسالخ» جمع المسلحة و هي الحدود التي يرتب فيها ذوو الأسلحة لدفع العدو كالثغر. و «الحجل» بكسر الحاء و فتحها، الخلخال. و «القلب» بالقسم، السوار المصمت. و

١٤٥- في بعض النسخ: ثم استعير فوضع موضع الهوان.

١٤٦- في بعض النسخ: تكل بعضهم بعضاً.

١٤٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٧٨، ط بيروت.

«الرعاث» جمع «رعة»، بفتح الراء وسكون العين وفتحها، وهي القرط، والرعاث أيضاً ضرب من الحلبيّ والخرز. و «الاسترجاع» قول «إنا لله وإنا إليه راجعون»، و قيل: ترديد الصوت في البكاء. و «الاسترحام» مناشدة الرحم، أي قول «أنشدك الله والرحم» وقيل: طلب الرحم وهو بعيد. قوله — عليه السلام — «وافرين» أي تامين، يقال: «وفر الشيء» أي تمّ و «وفرت الشيء» أي أتممته، و في رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. و «الكلم» الجراحة.

قوله — عليه السلام — «فيا عجباً» أصله يا عجبى، أي احضر هنا أوانك ؛ و عجباً منصوب بالمصدرية، أي أيها الناس تعجبوا منهم عجباً. والقسم معترض بين الصفة والموصوف. و «الترح» محرّكة، ضدّ الفرح. و «حارة القيظ» بتشديد الراء، شدة حرّه، وربّما خفّفت للضرورة في الشعر. و «صبارة الشتاء» بتشديد الراء، شدة برده. و في القاموس: «تسبخ الحرّ» فتر وسكن، كسبخ تسبيخاً. و «الحلوم» جمع «الحلم» بالكسر وهوالأناة والعقل. و «ربّات الحجال» النساء، أي صواحبا أو اللاتي ربّين فيها. و في بعض النسخ بنصب الحلوم والعقول، في الكلام تقدير، أي ياذوي حلوم الأطفال وذوي عقول النساء؛ و في بعضها بضمّها، أي حلومكم حلوم الأطفال، و عقولكم عقول النساء.

قوله — عليه السلام — «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفاً أي عرفتكم معرفة. «أعقبت ذمّاً» أي ذمتي إياكم وإياها. و في بعض النسخ: «سدماً» وهو بالتحريك الهمّ أومع ندم أو غيظ. و «مقاتلة الله» كناية عن اللعن والإبعاد. و «القيح» العصيد بلادم. قوله — عليه السلام — «وشحنتم» أي ملأتم. و «النفب» جمع «نفبة» وهي الجرعة. و «التهام» بفتح التاء، الهمّ. «أنفاساً» أي جرعة جرعة. قوله — عليه السلام — «لله أبوهم» كلمة مدح ولعلّها استعملت هنا للتعجب. و «المراس» بالكسر، العلاج. و الضمائر الثلاثة للحرب، وهي مؤنثة و قد يذكر. قوله — عليه السلام — «ذوّقت» بتشديد الراء، أي زدت. ١٤٨

٢٨ — ﴿مَنْ حَبَّلَ إِلَىٰ ذُنُوبِهِ حَبْلًا شَدِيدًا﴾

وهو فصل من الخطبة التي أولها « الحمد لله غير مقنوط من رحمته »
وفيه أحد عشر تنبيها

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرَتْ ، وَآذَنْتُ^(٣٥٦) بِوَدَاعِ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ
قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعِ^(٣٥٧) ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِصْمَارَ^(٣٥٨) ، وَغَدًا
السَّبَّاقَ ، وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ^(٣٥٩) ، وَالْغَايَةَ النَّارَ ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ
قَبْلَ مَنِيَّتِهِ^(٣٦٠) ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ^(٣٦١) ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي
أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ
فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ
حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ ، وَضُرَّهُ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرِّغْبَةِ
كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرِّهْبَةِ^(٣٦٢) ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا
كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ
لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى ، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ
أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(٣٦٣) ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
أَثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا
مَا تَخْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ^(٣٦٤) . غَدًا .

قال السيد الشريف — رضي الله عنه — وأقول : إنه لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى
الزهد في الدنيا ، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال ،

وقادحاً زناد الانعاط والازدجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام : « أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ » فإن فيه — مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر المعنى ، وصادق التمثيل ، وواقع التشبيه — سرّاً عجيباً ، ومعنى لطيفاً ، وهو قوله عليه السلام : « وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ ، وَالْغَايَةُ النَّارُ » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، ولم يقل : « السَّبَقَةُ النَّارُ » كما قال : « السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ » ؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار ، نعوذ بالله منها ! فلم يجوز أن يقول : « وَالسَّبَقَةُ النَّارُ » بل قال : « وَالْغَايَةُ النَّارُ » : لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها ، ومن يسره ذلك ، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً ، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل ، قال الله تعالى : « قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال : سبقتكم — بسكون الباء — إلى النار ، فتأمل ذلك ، فباطنه عجيب ، وغوره بعيد لطيف . وكذلك أكثر كلامه عليه السلام . وفي بعض النسخ : وقد جاء في رواية أخرى « وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ » — بضم السين — والسبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض ، والمعنيان متقاربان ، لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود .

٢٩ — (خطب في يوم الجمعة)

بعد غارة الضحالك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكين
وفيهما يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف

أَيُّهَا النَّاسُ ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ^(٣٦٥) ، كَلَامُكُمْ
يُوهِي^(٣٦٦) الصَّمَّ الصَّلَابَ^(٣٦٧) ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فَيْكُمْ الْأَعْدَاءَ ! تَقُولُونَ
فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ^(٣٦٨) ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حِيْدِي

حَيَادٍ^(٣٦٩)! مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا أَسْتَرَحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ ،
 أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ^(٣٧٠) ، وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ^(٣٧١) ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ
 الْمَطُولِ^(٣٧٢) . لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ ! وَلَا يُذْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ! أَيُّ
 دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ
 مَنْ غَرَزْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ - وَاللَّهِ - بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ^(٣٧٣) ،
 وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ^(٣٧٤) نَاصِلِ^(٣٧٥) . أَضَبَحْتَ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ
 قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ؟ مَا
 دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا طِبِّكُمْ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقُولَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ! وَغَفْلَةٍ
 مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ! وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ !؟

بيان: قال الشراح: لَمَّا سَمِعَ معاوية اختلاف الناس على علي
 —عليه السلام— وتفرقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضحاك بن قيس في
 أربعة آلاف وأوغراليه بالنهب والغارة، فأقبل يقتل وينهب حتى مرَّ بالعلبية وأغار
 على الحاج فأخذ أمتعتهم وقتل عمرو بن عَمِيس بن مسعود صاحب رسول الله —صلى
 الله عليه وآله— وقتل معه ناساً من أصحابه فلَمَّا بلغ ذلك عليّاً —عليه السلام—
 استصرخ أصحابه واستشارهم إلى لقاء العدو فتلكأوا ورأى منهم فشلاً فخطبهم بهذه الخطبة^{١٤٩}
 و«الوهي» الضعف، و«وهي الحجر و السقاء» —كوقى— أي انشق،
 و«أوهاه» شقّه. و«الصمُّ و الصّلاب» من أوصاف الحجارة، و«الصخرة الصماء»
 التي ليس فيها صدع ولا خرق. و«كيت و كيت» كناية عن القول.

قوله —عليه السلام— «حيدي حيا» قال ابن أبي الحديد: هي كلمة يقولها

١٤٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥٠، ط بيروت، وأيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١١٣، ط بيروت.
 وقد رواه العلامة عن «الغارات» للثقي.

المهارب الفارّ، وهي نظير قولهم «فيحي فياح» أي اتّسعي. ١٥٠ وقال ابن ميثم: «حياد» اسم للغارة، والمعنى اعدلي عتّا أيتها الحرب، ويحتمل أن يكون «حياد» من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتنحي مترّين بلفظين مختلفين. ١٥١

أقول: قسم الشيخ الرضوي — رحمه الله — صيغة فعال المبنيّ إلى أربعة أقسام وعلمتها ما كانت صفة للمؤنث غير لازمة للنداء، وعلمت هذا القسم حياد وفياح، و قال: «حيدي حياد» أي ارجعي ياراجعة، وجعل حذف حرف النداء عن «حياد» وأمّالها دليلاً على أنّها أعلام للأجناس وحينئذ لا يكون «حياد» اسماً للغارة ولا بمعنى الأمر، وهي وأمّالها مبنية على الكسر. و«العزة» الغلبة والشدة، وفي الإسناد إلى الدعوة توسّع. و«لا استراح» أي ما وجد الراحة. وقاساه: كابده. و الباء في قوله — عليه السلام — «بأضاليل» متعلّقة بأعاليل، أي يتعلّلون بالأضاليل التي لاجدوى لها. وقال ابن ميثم — رحمه الله —: أعاليل وأضاليل جمع أعالل وأضلال وهما جمع «علة» اسم ما يتعلّل به من مرض أو غيره، و«ضلة» اسم الضلال، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي إذا دعوتكم إلى القتال تعلّمتم وهي أعاليل باطلة ضالة عن سبيل الله. ١٥٢ قوله — عليه السلام — «دفاع» قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون تشبيهاً لدفاعهم بدفاع ذي الذين المطول فيكون منصوباً بحذف الجارّ، ويحتمل أن يكون استعارة لدفاعهم ليكون مرفوعاً. ١٥٣

و«المطول» كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه. و«الضيم» الظلم. قوله — عليه السلام — «أتي دار بعد داركم» أي دار الاسلام أو العراق، أي إذا أخرجكم العدو عن دياركم ومساكنكم فن أتي دار أو في أتي دار تمنعونهم؛ وفي بعض النسخ: «تمتعون» على التفعل بحذف إحدى التائين، أي بأتي دارتنتفعون. «المغرور» أي الكامل الغرور، وأليس المغرور إلا من غررتموه، والتعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهم.

١٥٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١١١، ط بيروت.

١٥١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥٠، ط بيروت.

١٥٢ و ١٥٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥١، ط بيروت.

وقال ابن ميثم: «والأحيب» أشد خيبة وهي الحرمان. ١٥٤ و«السهم الأخيب» التي لا غنم لها في الميسر كالثلاثة المستاة بالأوغار، أو التي فيها غرم كآتي لم تخرج حتى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة؛ ويكون إطلاق الفوز على حصولها مجازاً من باب إطلاق أحد الضدين على الآخر. و«الأفوق» السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. و«الناصل» الذي لا تنصل فيه. و«الإيعاد» والوعيد في الشر غالباً كالوعد والعدة في الخير، وعدم الإيعاد إما لعدم الطمع في نصرهم أو لعدم خوف العدو منهم. و«البال» الحال والشأن.

قوله — عليه السلام — «ما طبّكم؟» أي ما علاجكم ، وقيل: أي ما عادتكم. قوله — عليه السلام — «أقولاً بغير علم!» نصب المصادر بالأفعال المقدرة، وقولهم «بغير علم» قولهم إنا نفعل بالخصوم كذا وكذا، مع أنه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب، أودعواهم الإيمان والطاعة مع عدم الإطاعة، فكأنهم لا يذعنون بما يقولون؛ وفي بعض النسخ: «بغير عمل» وهو أظهر. و«غفلة» أي عما يصلحكم من غير ورع يحجزكم عن محارم الله. وينبّهكم عن الغفلة؛ وفي بعض النسخ: «وعفة من غير ورع! وطمعاً في غير حق». لعله — عليه السلام — كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم طمعهم في أن يعطيهم زيادة على ما يستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله. ١٥٥

٣٠ — وَمِنْ أَمْرِ النَّاسِ بِالنَّهْيِ عَنْ الْفِعْلِ

في معنى قتل عثمان

وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا ، غَيْرَ أَنَّ
مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ

١٥٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٥١، ط بيروت.

١٥٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٣، ط كمپاني وص ٦٣٢، ط تبريز.

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصْرُهُ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ ،
أَسْثَائِرَ فِاسَاءِ الْأَثَرَةِ^(٣٧٦) ، وَجَزِغْتُمْ فَاسَأْتُمْ الْجَزَعَ^(٣٧٧) ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ
وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَلْزِغِ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: معناه أَنَّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه لأنَّ
الَّذِينَ نَصَرُوهُ كَانُوا فَسَاقًا كَمُرَّوَانِ بْنِ الْحَكَمِ وَ أَضْرَوَاهُ ، وَ خَذَلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَ
الْأَنْصَارُ^{١٥٦}

و«المستأثر بالشيء» المستبد به، أي أساء عثمان في استغلاله برأيه في الخلافة
وإحداث ما أحدث. قوله —عليه السلام— «لله حكم واقع» أي ثابت محقق في
علمه — تعالى —، فالحكم يحتمل الدنيوي والأخروي، أوسيقع ويتحقق خارجاً في
الآخرة أو في الدنيا لأنَّ مجموعه لم يتحقق بعد وإن تحقق بعضه^{١٥٧}.

٣١ — وَمِنْ أَمْرِ الْمُهَاجِرِينَ

لَمَّا أَنْفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الزُّبَيْرِ يَسْتَفِينُهُ إِلَى طَاعَتِهِ قَبْلَ حَرْبِ الْمُجَمَلِ

لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّيْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ^(٣٧٨)
بِرَكَبِ الصَّغْبِ^(٣٧٩) وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ . وَلَكِنْ أَلْقِ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ
الْبَيْنُ غَرِيكَةً^(٣٨٠) ، فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَارِ
وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ^(٣٨١)

قال السيد الشريف : وهو — عليه السلام — أوّل من سمعت منه هذه الكلمة ، أعني :

١٥٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٢٨، ط بيروت.

١٥٧- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٦، ط كمپاني و ص ٣٥٤، ط تبريز.

« فما عدا مما بدا » .

بيان: «يستفيئه» أي يسترجعه. «إن تلقه تجده» في رواية «إن تلفه» بالفاء، أي تجده. «عاقصاً» أي عاطفاً قد التوى قرناه على أذنيه، يقال: «عقص شعره» أي ضفره وفتله. والأعقص من التيوس وغيرها ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه؛ و «عاقصاً» إما مفعول ثانٍ لـ «تجده»، أو حال عن الثور. «يركب الصعب» أي يستهين بالمستصعب من الأمور. و «العريكة» الطبيعة. والتعبير بابن الخال كقول هارون لموسى — عليه السلام — «يابن أم» للاستمالة بالإذكار بالنسب والرحم.

قوله — عليه السلام — «فاعدامتاً بدا» قال ابن أبي الحديد: معنى الكلام: فاصرفك عما بدامنك، أي ظهر، أي ما الذي صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها؛ و «من» ههنا بمعنى «عن»، وقد جاءت في كثير من كلامهم، وحذف ضمير المفعول كثير جداً. وقال الراوندي: له معنيان، أحدها: ما الذي منعك مما كان قد بدامنك من البيعة قبل هذه الحالة. الثاني: ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للإنسان؛ ويكون المفعول الأول لـ «عدا» محذوفاً يدل عليه الكلام، أي ماعداك، يريد مامنعك عما كان بدالك من نصرتي. ١٥٨

وقال ابن ميثم^{١٥٩}: أقول: هذه الوجوه وإن احتملت أن تكون تفسيراً إلا أنّ في كلّ منها عدولاً عن الظاهر، والحق أن يقال: إنّ «عدا» بمعنى جاوز، و «من» لبيان الجنس، والمراد: ما الذي جاوزبك عن بيعتي ممّا بدالك بعدها من الأمور التي ظهرت لك، وحينئذ تبقى الألفاظ على أوضاعها الأصلية مع استقامة المعنى وحسنه.

وروي عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده — عليهم السلام —، قال: سألت ابن عباس عن تلك الرسالة فقال: بعثني فأتيت الزبير، فقلت له، فقال: إنني أريد ما تريد، كأنه يقول الملك، ولم يزدني على ذلك فرجعت إلى أمير المؤمنين —

١٥٨- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٦٣ — ١٦٤، ط بيروت.

١٥٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٦١ — ٦٢، ط بيروت.

عليه السلام — فأخبرته. ١٦٠

٣٢ — (خطبته في يوم الجمعة)

وفيها يصف زمانه بالجور ، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف ، ثم يزهد في الدنيا

معنى جور الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ^(٣٨٢) ، وَزَمَنٍ كُنُودٍ ^(٣٨٣) ؛
يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا
عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً ^(٣٨٤) حَتَّى تَحُلَّ بِنَا .

اصناف المسيئين

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ ^(٣٨٥) ، وَنَضِيزٌ وَفَرِهِ ^(٣٨٦) ، وَمِنْهُمْ الْمُضْلِي
لِسَيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ ^(٣٨٧) وَرَجْلِهِ ^(٣٨٨) ، قَدْ أَشْرَطَ
نَفْسَهُ ^(٣٨٩) ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ ^(٣٩٠) لِحُطَامٍ ^(٣٩١) يَنْتَهِزُهُ ^(٣٩٢) ، أَوْ مِقْنَبٍ ^(٣٩٣)
يَقُودُهُ ، أَوْ مَنَبَرٍ يَفْرَعُهُ ^(٣٩٤) . وَلِبِئْسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ
ثَمَنًا ، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا ! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ،
وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ ^(٣٩٥) مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ

خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ
 اللَّهِ ذَرِيعَةً^(٣٩٦) إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولُهُ
 نَفْسِهِ^(٣٩٧) ، وَأَنْقَطَعَ سَبَبُهُ ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِأَسْمِ
 الْقِنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِ^(٣٩٨)
 وَلَا مَغْدَى^(٣٩٩)

الراغبون هي الله

وَبَقِيَ رِجَالُ غَضٍّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ
 الْمَخْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ^(٤٠٠) ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ^(٤٠١) ، وَسَاكِتٍ
 مَكْمُومٍ^(٤٠٢) ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَتُكْلَانٍ^(٤٠٣) مُوجِعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ^(٤٠٤)
 التَّقِيَّةُ^(٤٠٥) ، وَشَمَلَتْهُمْ الذَّلَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ^(٤٠٦) ، أَفْوَاهُهُمْ
 ضَامِرَةٌ^(٤٠٧) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ^(٤٠٨) ، قَدْ وَعْظُوا حَتَّى مَلُّوا^(٤٠٩) ، وَقَهَرُوا
 حَتَّى ذَلُّوا ، وَقَتِلُوا حَتَّى قَلُّوا .

التزويد هي الدنيا

فَلَنَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةٍ^(٤١٠) الْقَرَطِ^(٤١١) ، وَقُرَاضَةٍ
 الْجَلَمِ^(٤١٢) ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ؛
 وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ^(٤١٣) .

قال الشريف - رضي الله عنه - : أقول : وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام^(٤١٤) ! وأين العذب من الأجاج ! وقد دلّ على ذلك الدليل الخريّت^(٤١٥) ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب « البيان والتبيين » وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها ، جملة أنه قال : وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه ، وبمذهبه في تصنيف الناس ، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف ، أليق . قال : ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ومذاهب العبّاد !

بيان : «عند عن الطريق» - كنصر - عدل و مال ، و «العنود» فعول بمعنى فاعل ، و قيل : مفاعل . والزمن اسم لقليل الوقت و كثيره . و قيل : الشديد بمعنى البخيل ؛ و في بعض النسخ : «وزمن كنود» و هو الكفور ، و قيل : اللوام ؛ و وصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله . و «عدّ المحسن مسيئاً» إمّا لعدم الإذعان بالحق ، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة كزعم العابد مرائياً . و «العتو» الاستكبار و مجاوزة الحدّ .

قوله - عليه السلام - «لا تنتفع» التعبير بلفظ المتكلم مع الغير من قبيل «إياك أعني واسمعي يا جاره» وعدم الانتفاع بالعلم لترك العمل وعدم السؤال لعدم العلم بفضله مع عدم الرغبة في العمل به . و «القارعة» الخطب العظيم والداهية . و «مهانة النفس» حقارتها ، من «مهن» أو «هان» . و «كلّ» حدّ السيف وغيره إذا وقف عن القطع . و «نضيض وفره» أي قلّة ماله ، وهذا القسم هم المريدون للدنيا غير القادرين عليها . و «المجلب» اسم فاعل من «أجلب عليهم» أي تجمّع وتآلب ، وكذلك إذا صاح به واستحثّه ، و «أجلبه» أي أعانه . و «الرجل» جمع راجل . «قد أشرط نفسه» أي هيأها وأعدّها للفساد في الأرض . و «الحطام» المال ، وأصله ماتكسر من اليبس . و «الانتهاز» الاختلاس والاستلاب بقدر الإمكان . و «المقنب» بكسر الميم وفتح النون ، الجمع من الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين . «يفرعه» أي يعلوه .

و«عمل الدنيا» ما يفعله المكلف فيها، أو ما يصير بانضمام القربة والتوصل به إلى الطاعة طاعةً. و«قد طامن» أي خفض، ويقال: «طامن منه» أي سكنه. و«قارب من خطوه» أي لم يسرع ومشى رويداً. و«شمر» أي قصر ثوبه، أوقفه إظهاراً لمتابعة السنة. و«زخرف» أي زين، «للأمانة» أي لأن يجعلوه أميناً على أموالهم وأعراضهم، ويحتمل تعلقه بالآخر وبجميع. «واتخذ ستر الله» أي التقوى والعمل بشرائع الدين، فإن الله حرم تتبع عورات من ظاهره الصلاح وذكر عيوبه. قال الكيدري في كتاب المضاف والمنسوب: «ستر الله» الإسلام والشيب والكعبة وضماثر صدور الناس، يعني جعل ظاهر الإسلام وما يحبه صدره بحيث لا يطلع عليه مخلوق وسيلةً وطريقاً إلى معصية الله. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنه اتخذ ستر الله على عيوبه حيث لم يفضحه ولم يطلع الناس على بواطنه ذريعةً إلى أن يخدع الناس. و«الضؤولة» الحقارة. و«السبب» الحبل وما يتوصل به إلى غيره. و«المراح» المكان الذي تأوي إليه الماشية في الليل. و«التمغدى» ما تأوي إليه بالغداة، ولعلّ المعنى: ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولاليله كليلهم في العبادات. و«المرجع» بكسر الجيم، مصدر أو اسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد، أو القيامة، أو الرجوع إليهما. وغضّ البصر عن المعاصي أو الأعمّ لخشوعهم أوللحياء أو أبصار قلوبهم عما سوى الله. و«الشريد» الطريد. و«الناذ» المنفرد، والمراد به المتوخش من الناس الذاهب في الأرض إقماً لعدم صبره على رؤية المنكرات أولكثره أذى الظالمين في الأوطان لإنكاره المنكر وأشباه ذلك. و«قعه» ضربه بالمقعدة وقهره وذلّه. و«المكعوم» الذي لا يمكنه الكلام كأنه شَدّ فوه من التقية بالكعام الذي يجعل في فم البعير عند الهياج. و«الثكل» الحزن على فقد الأقارب، ولعلّ المعنى أن بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، وبعضهم لم يترك ذلك وينكر منكرأ ثم يخاف مما يجري عليه بعد ذلك، ومنهم من هو بينهم ولا ينههم تقية ومعرض عنهم ومشتغل بالدعاء، ومنهم من هو بينهم بالضرورة ويرى أعمالهم ولا يؤثر نيه فيهم فهو كالشكلان الموجع.

و«خل ذكره وصوته» خفي. «فهم في بحر أجاج» كناية عن عدم استماعهم بالدنيا كالسباح في ماء مالح فإنه لا يمكنه التروى منه وشربه وإن بلغ غاية العطش. «أفواههم ضامزة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة، أو بالراء المهملة كناية عن صومهم وعدم أكلهم من المحرمات والشبهات، قال الكيدري: أي ساترة خفية من الضمير، ويروى بالزاي، أي مشدودة بالسكوت. و«قلوبهم قرحة» لكثرة المنكرات مع عدم تمكنهم من إنكارها، وألخوفهم من الله أومن الناس. و«القرظ» ورق السلم يدبغ به، و«حثالته» ما يسقط منه. و«الجلّم» المقصّ يجرّ به أوبار الإبل، و«قراضته» ما يسقط من قرضه وقطعه. «وارفضوها ذميمة» أي اتركوا ماحاله الحقارة والذمامة. و«الشعف» الحب الشديد. ١٤١

٣٣ - خطبة في يوم الجمعة

عند خروجه لقتال أهل البصرة ، وفيها حكمة مبعث الرسل ،
ثم يذكر فضله ويلم الخارجين

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بندي قار وهو يخصف نعله^(١٦١) ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ! فقال عليه السلام : والله ليهي أحب إليّ من امرتكم ، إلا أن أقيم حقاً ، أو أدفع باطلاً ، ثم خرج فخطب الناس فقال :

حكمة بعتة النبي

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ

يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ^(٤١٧) ،
وَبَلَغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتِ قَنَاتُهُمْ^(٤١٨) ، وَأَطْمَأْنَنْتْ صَفَاتُهُمْ^(٤١٩) .

فضل علي

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا^(٤٢٠) حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَذَائِفِيرِهَا^(٤٢١) : مَا
عَجَزْتُ وَلَا جُبُنْتُ ، وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا ؛ فَلَا تَنْقُبَنَّ^(٤٢٢) الْبَاطِلَ
حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ .

توبيخ الخارجين عليه

مَالِي وَلِقْرِيشٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، وَلَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ،
وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ ! وَاللَّهِ مَا تَنْقِسُ مِنَّا
قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حِيزِنَا ، فَكَانُوا كَمَا
قَالَ الْأَوَّلُ :

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شَرْبَكَ الْمَخْضِ^(٤٢٣) صَاحِبَا
وَأَكَلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةِ الْبُجْبَرَا
وَنَحْنُ وَهْبَنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ عَلِيًّا ، وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا

بيان: قوله — عليه السلام — «حتى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ» أي أسكنهم منزلتهم التي
خلقوا لأجلها من الإسلام و الإيمان والعلم وسائر الكمالات بحسب استعداداتهم.

و«المنجاة» محلّ النجاة. و«القناة» الرمح و«استقامتها» كناية عن القوة والغلبة و الدولة. و«الصفاء» الحجر الأملس المنبسط، استعيرت لحالهم التي كانوا عليها من النهب والغارة والخوف والتزلزل، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل، فاطمأنت أحوالهم وسكنوا في مواطنهم بسبب مقدمه —صلى الله عليه وآله—. ١٦٢

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «ذوقار» موضع قريب من البصرة. «حتى بؤاهم» أي أسكنهم محلّتهم، أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه.

وقال ابن ميثم: المراد بالقناة القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم، مجازاً من باب إطلاق السبب على المسبّب، فإنّ الرمح أو الظهر سبب للقوة والغلبة. ١٦٣

و«الصفاء» الحجارة الملساء، أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنهب والغارة وأمثالها. «إن كنت لفي ساقتها» هي جمع «سائق» كحائك وحاكّة، ثمّ استعملت للأخير لأنّ السائق إنّما يكون في آخر الركب والجيش، وشبه —عليه السلام— أمر الجاهليّة إمّا بعجاجة ثائرة أو بكتيبة مقبلة للحرب، فقال: إني طردتها فولّت بين يديّ، أطردها حتى لم يبق منها شيء. «لمثلها» أي لثل تلك الحالة التي كنت عليها معهم في زمن الرسول —صلى الله عليه وآله—.

«فلا نقبّن» في بعض النسخ «لأبقرنّ الباطل حتى أخرج الحقّ من خاصرته». شبه —عليه السلام— الباطل بحيوان ابتلع جوهرًا ثميناً أعزّ منه فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع.

وفي نسخة ابن أبي الحديد بعد قوله —عليه السلام— «صاحبهم اليوم»: «والله ماتنقم متاقريش إلا أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا كما قال الأول:

أدّمت لعمرى شريك المحض صابجا وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن عليّا وحطنا حولك الجرد والسمرا ١٦٤

١٦٢- بحار الانوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا —صلى الله عليه وآله—، ص ٢٢٦.

١٦٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٧٣، ط بيروت.

١٦٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٨٥، ط بيروت.

أقول: «المقشرة» التمرة التي أُخرج منها نواتها. و«البُجر» بالضم، الأمر العظيم والعجب، ولعله هنا كناية عن الكثرة أو الحسن أو اللطافة، ويحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق، يقال: «بجر - كفرج - فهو بجر» امتلاً بطنه من اللبن والماء ولم يرو، و«تبجر النبيذ» ألح في شربه، وكثير بجر اتباع. و«الجرد» بالضم، جمع «الأجرد» وهو الفرس الذي رقت شعرته وقصرت وهو مدح. و«السمر» جمع «الأسمر» وهو الرُّمَح. ١٤٥

نهج: أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمدًا - صلى الله عليه وآله - وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ولا وحياً، فقاتل بن أطماعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر الساعة أن تنزل بهم؛ يحسر الحسير، ويقف الكسير، فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلّا هالكاً لا خير فيه حتى أراهم منجاتهم وبؤاهم محلتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. ١٤٦

إيضاح: قوله «وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً» أي في زمانه - صلى الله عليه وسلم - وماقاربه، فلا ينافي بعثة هود وصالح وشعيب - عليهم السلام - في العرب؛ وأما خالد بن سنان فلو ثبت بعثته فلم يكن يقرأ كتاباً ويدعي شريعة، وإنما نبوته كانت مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لهم كتب ولا شرائع، مع أنه يمكن أن يكون المراد الزمان الذي بعده.

قوله - عليه السلام - «و يبادر الساعة أن تنزل بهم» أي يسارع إلى هدايتهم و تسليحهم لسبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله. قوله - عليه السلام - «يحسر الحسير»، «الحسير» الذي أعصى في طريقه، والغرض وصفه - صلى الله عليه وسلم - بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي أنه كان يسير في آخرهم، ويفتقد المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه إلّا مالا يمكن إيصاله ولا يرجى؛ أو المراد من وقف

١٦٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٧، ط كمپاني وص ٣٨٢، ط تبريز.

١٦٦- روى العلامة جزءاً من الخطبة المذكورة بهذه الصورة وفسرها؛ فنحن أوردناه هنا لتكمل بحثنا هذا.

قدم عقله في السلوك إلى الله؛ أو انكسر لضلاله كان — صلى الله عليه وآله — هو المقيم له على المحجة البيضاء ويهديه حتى يوصله إلى الغاية المطلوبة إلّا من لا يرجى فيه الخير كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما. و«منجاتهم» نجاتهم، أو محلّ نجاتهم. و«محلّتهم» منزلهم. و«استدارة رحاهم» كناية عن اجتماعهم و اتساق أمورهم. ١٤٧

٣٤ — ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾

في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج ،
وفيها يتأفف بالناس ، وينصح لهم بطريق السداد

أَفْ لَكُمْ^(١٢١) ! لَقَدْ سَمِئْتُ عِتَابَكُمْ ! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ
الْآخِرَةِ عَوْضًا ؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ
دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ^(١٢٥) ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ^(١٢٦) ، وَمِنْ الذُّهُولِ
فِي سَكْرَةٍ. يُرْتَجَّ^(١٢٧) عَلَيْكُمْ حَوَارِي^(١٢٨) فَتَغْمَهُونَ^(١٢٩) ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ
مَالُوسَةٌ^(١٣٠) ، فَانْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي^(١٣١) ،
وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يَمَالُ^(١٣٢) بِكُمْ ، وَلَا زَوَافِرٍ^(١٣٣) عِزٌّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ
إِلَّا كَابِلٌ ضَلَّ رُعَاتُهَا ، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ،
لَبِئْسَ — لَعَمْرُ اللَّهِ — سَعْرٌ^(١٣٤) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ،
وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ^(١٣٥) ؛ لَا يَنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ
سَاهُونَ ، غَلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ ! وَآيَمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ

حَمِيسٌ^(٤٣٦) أَلُوغِي^(٤٣٧) ، وَأَسْتَحَرَّ الْمَوْتَ^(٤٣٨) ، قَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ
 أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجَ الرَّأْسِ^(٤٣٩) . وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ
 يَغْرُقُ لَحْمَهُ^(٤٤٠) ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِى^(٤٤١) جِلْدَهُ ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ،
 ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ^(٤٤٢) . أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ؛
 فَإِنَّمَا أَنَا فَوَ اللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ^(٤٤٣) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ
 أَلْهَامٍ^(٤٤٤) ، وَتَطِيحُ^(٤٤٥) السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ
 مَا يَشَاءُ .

طريق السلام

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ
 فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ^(٤٤٦) عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ،
 وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا . وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ
 فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُكُمْ .

بيان: روي أنه عليه السلام - خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمرا الخوارج ،
 وقد كان قام بالنهوان فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد، فإن الله - تعالى - قد أحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من
 أهل الشام.

فقالوا له : قد نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدتنا،
 ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به.

فأجابهم : يا قوم! ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تترتدوا على

أدباركم فتقلبوا خاسرين.

فتلکأوا عليه وقالوا: إِنَّ البرد شديد.

فقال: إِنَّهم يجدون البرد كما تجدون؛ ثم تلا قوله — تعالى —: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَأَنَّا لَنَبْدُلُكَ مَا دَاثَمُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ».^{١٦٨}

فقام ناس منهم واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أياماً ثم يخرج، فرجع بهم غير راضٍ وأنزلهم نخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم و يقلوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتى لم يبق معه إلا قليل، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال:

أيها الناس! استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا ينصرونه، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به، وجفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلالة، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله وكنى بالله وكيلاً.

فلم ينفروا فتركهم أياماً ثم خطبهم بهذه الخطبة.

و«أف» بالضم والتشديد والتنوين، كلمة تضجرو تكره، ولغاتها أربعون، منها كسر الفاء كما في بعض النسخ. و«عوضاً» و«خلفاً» نصبها على التمييز. و«دوران أعينهم» إقنا للخوف من العدو أوللحيرة والتردد بين مخالفته — عليه السلام — والإقدام على الحرب، وفي كليهما خطر عندهم. و«الغمرة» الشدة، وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل. و«السكر» بالفتح، ضد الصحو، والاسم بالضم، وسكرة الموت شدته وغشيته، وفي الكلام إشارة إلى قوله — تعالى —: «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ»^{١٦٩}. «يرتج عليكم حوارى» أي يغلق عليكم

محاورتي و مخاطبتي. و«الألس» الجنون واختلاط العقل، يقال: ألس فهو مألوس. «سجيس الليالي» كلمة يقال للأبد، تقول: لأفعله سجيس الليالي، أي أبداً.

«يمال بكم» أي يستند إليكم و يمال بكم إلى العدو، أو الباء بمعنى إلى. و«زوافر الرجل» أنصاره وعشيرته، و«زفرت الحمل» حملته؛ و«زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفاً على المجرور، وفي بعضها بالنصب عطفاً على الظرف. و«الإبل» اسم للجمع. «ضَلَّ رعاتها» أي ضاع وفقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أولم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها. «لبئس — لعمر الله —» اللام جواب القسم، و التكرير للتأكيد، و«العمر» بالفتح، العمر وهو قسم ببقاء الله. و«الشعر» اسم جمع لساعر، و«إسعار التار و سعرها» إيقادها. و«الامتعاض» الغضب. و«إيم» مخفف «أيم» وهو جمع يمين، أي ايم الله قسمي. و«حس» — كفرح — اشتد. و«الوغا» الأصوات و الجلبة ومنه قيل للحرب: وغا. و«استحرّ الموت» أي اشتد و كثر.

«قد انفرجتم» أي تفرقتم. و«انفراج الرأس» مثل لشدة التفرق؛ قيل: أول من تكلم به أكثم بن صيفي في وصية له: يا بني! لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ. وفي معناه أقوال؛ الأول: قال ابن دريد: معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه. الثاني: قال المفضل: الرأس اسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها: بيت الرأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد يضرب به المثل. الثالث: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان بعيداً عن الالتيام والعود إلى الصحة. الرابع: قيل: معناه انفرجتم عني رأساً، وردّ بأنّ رأساً لا يعرف. الخامس: قيل: المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه. السادس: قيل: «الرأس» الرجل العزيز لأنّ الأعرّاء لا يبالون بمفارقة أحد. السابع: قيل: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فإنّه في غاية الشدة نحو قوله — عليه السلام — في موضع آخر «انفراج المرأة عن قبلها» وبعده واضح.

و«عرق اللحم» — كنصر — أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. و«هشم

العظم» - كضرب - كسره. و «فريت الشيء» قطعتة و «الجوانح» الاضلاع التي تحت الترائب وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر، وماضمت عليه هو القلب، والمذكورات كنايات عن النهب والأسروالاستئصال وأنواع الضرر.

قوله - عليه السلام - «فكن ذاك إن شئت» قال ابن أبي الحديد: خاطب من يمكن عدوّه من نفسه خطاباً عاماً، لكن الرواية وردت بأنّه - عليه السلام - خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه قال لعليّ - عليه السلام - حين يلوم الناس على تقاعدهم: هلّا فعلت فعل ابن عقّان؟ فقال: إنّ فعل ابن عقّان مخزاة على من لادين له، ولا وثيقة معه، إنّ امرأاً أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفري جلده، لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت، فأما أنا فدون أن أعطي ذاك ضرباً بالمشرقية... إلى آخر الفصل. ١٧٠ انتهى.

أقول: سيأتي تمام القول برواية المفيد. ١٧١

«فأما أنا فوالله» الظاهر أنّ خبر «أنا» الجملة التي خبرها «دون» و المبتدأ «ضرب» وذلك إشارة إلى تمكين العدو، أو فعل ما فعله عثمان. و «المشرقية» بفتح الميم والزاء، سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. و «فراش الهام» العظام الرقيقة تلي القحف. و «طاح يطيح» أي سقط. و «أوزعه بالشيء» أغراه. و «سكع» - كمنع وفرح -: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد الله و تحيّر كتسكع. «كيلا تجهلوا» أي تبقوا على الجهالة. ١٧٢

٣٥ - خطبة في بيان سبب الهوى

بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكيم
وفيها حمد الله على بلائه ، ثم بيان سبب الهوى

١٧٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٩١، ط بيروت.

١٧١- راجع الأمالي للمفيد - رحمه الله -، المجلس الثامن عشر، ص ١٤٥، تحت رقم ٦، ط جماعة المدرّسين بقم.

١٧٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٤، ط كمپاني و ص ٦٣٢، ط تبريز.

الحمد على البلاء.

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ^(٤٤٧) ، وَالْحَدَثِ^(٤٤٨) الْجَلِيلِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

سبب البلوى

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ ثَوْرُ الْحَسْرَةِ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي^(٤٤٩) ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ^(٤٥٠) أَمْرًا! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءِ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةِ ، حَتَّى أَرْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ^(٤٥١) ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ^(٤٥٢) :

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى^(٤٥٣) فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ .

بيان: «الخطب» الأمر العظيم. و«الفادح» الثقيل. وقال الجوهري: «المجرب» الذي قد جرّبه الأمور وأحكمته، فإن كسرت الرّاء جعلته فاعلاً إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. قوله — عليه السلام — و«نخلت» أي أخلصت وصفيت من نخلت الدقيق بالمنخل. قوله — عليه السلام — «لو كان يطاع» هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه؛ وأصل المثل أن قصيراً كان مولى الجذيمة بن الأبرش بعض ملوك العرب وقد كان جذيمة قتل أبا الزبّا ملكة الجزيرة، فبعثت إليه ليتزوج بها خدعة، وسألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن أخته،

وقد كان قصير أشار عليه بأن لا يتوجه إليها فلم يقبل، فلما قرب من الجزيرة استقبلته جنود الزبابة العدة ولم ير منهم إكراماً له، فأشار عليه قصير بالرجوع وقال: من شأن النساء الغدر، فلم يقبل، فلما دخل عليها قتله، فعندها قال قصير: «لا يطاع لقصير أمر» فصار مثلاً لكل ناصح عصى.

وقال ابن ميثم: وقد يتوهم أن جواب «لو» ههنا مقدم، والحق أن جوابها محذوف، والتعبير أني أمرتكم ونصحت لكم فلو أطمعتموني لفعلتم ما أمرتكم به. فقوله — عليه السلام — «فأبيت...» إلى آخره في تقدير استثناء لنقيض التالي وتقديره: لكنكم أبيتم عليّ إباء المخالفين^{١٧٣}. انتهى.

ولعل الأنسب على تقدير الجواب أن يقال: لو أطمعتموني لما أصابتكم حسرة وندامة، أولكان حسناً ونحوهما، ويحتمل أن يكون للثمتي فلا يحتاج إلى تقدير جواب على بعض الأقوال.

وقال في القاموس: «الانتباز» التنحي وتحيز كل من الفريقين في الحرب كالمنابذة.

قوله — عليه السلام — «حتى ارتاب الناصح» لعله محمول على المبالغة، أي لو كان ناصح غيري لارتاب. قوله — عليه السلام — «وضنّ الزند بقدحه»، «الزند» العود الذي يقدح به النار؛ قيل: هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجدها قابلاً عارفاً بحقها. و «أخوهوازن» هو الدريد بن الصمة، والبيت من قصيدة له في الحماسة، وقصته أن أخاه عبدالله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم واستاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى، قال: والله لأبرح حتى أنحر النقيعة — وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة — فقال أخوه: لا تفعل فإنّ القوم في طلبك، وأبى عليه وأقام وأنحر النقيعة وبات. فلما أصبح هجم القوم عليه وطعن عبدالله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد، فنهذه عنه القوم حتى طعن هو أيضاً وصرع وقتل عبدالله، و حال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح، فأنشد القصيدة. ومطابقة المثل للمضرب ظاهرة.^{١٧٤}

١٧٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٨٧، ط بيروت.

١٧٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٩٥، ط كمپاني وص ٥٤٩، ط تبريز.

٣٦ - ﴿وَلَا تُصْبِحُوا صَرَعَىٰ﴾

في تخويف أهل النهروان^(١٥٤)

فَإِنَّا نَذِيرُ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعَىٰ^(١٥٥) بِإِثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَفْضَامٍ^(١٥٦) هَذَا الْغَائِطِ^(١٥٧)، عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحْتُ^(١٥٨) بِكُمْ الدَّارَ، وَآخَتَبَلَكُمْ^(١٥٩) الْمَقْدَارَ^(١٦٠)، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَابْتَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُتَنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمُ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ^(١٦١)، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ^(١٦٢)؛ وَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا^(١٦٣)، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

بيان: «الأفهام» جمع «هضم» وهو المطمئن من الوادي. و «الغائط» ماسفلت من الأرض. و «السلطان» الحجة؛ ولعل المراد بالبيينة الحجة الشرعية و بالسلطان الدليل العقلي. وقال الجوهري: «طاح يطوح ويطيح» هلك وسقط وكذلك إذا تاه في الأرض، و «طوَّحه» أي تَوَّهه وذهب به ههنا وههنا. والمراد بالدار الدنيا. «واختبلكم» أي أوقعكم في الحبال. و «المقدار» قضاء الله وقدره. و «الهام» جمع الهامة وهي الرأس، و «خَفَّتْهَا» كناية عن قلة العقل وعن الطيش وعدم الثبات في الرأي. و «الأحلام» جمع «حلم» بالكسر، وهوالأناة والعقل. و «لأبالك» كلمة تستعمل في المدح كثيراً و في الذم أيضاً وفي معرض التعجب، و الظاهر هنا الذم أوالتعجب. و «البجر» الأمر العظيم والداهية، ويروى «هجرأ» وهوالساقط من القول، ويروى «عرأ» و «العرو» معرفة الإثم.^{١٧٥}

٣٧ —

يجري مجرى الخطبة

وفيه يذكر فضائله — عليه السلام — قاله بعد وقعة النهروان

فَقُمْتُ بِأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا^(٤٦٣)، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا^(٤٦٤)، وَنَطَقْتُ حِينَ تَغْتَعُوا^(٤٦٥)، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتًا^(٤٦٦)، فَطَرْتُ بِعَنَانِهَا^(٤٦٧)، وَأَسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا^(٤٦٨). كَأَلْجَبَلٍ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَزٍ وَلَا لِقَائِلٍ فِي مَغْمَزٍ^(٤٦٩). الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ. رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا أَلِمِثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

بيان: «التعنتة» الاضطراب في الكلام من حصر أوعى. و«الفوت» السبق

إلى الشيء. والضميران في «عنانها و رهانها» راجعان إلى الفضيلة بقرينة المقام. و«الاستبداد» الانفراد. قوله — عليه السلام — «فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي» أي طاعتي لرسول الله — صلى الله عليه وآله — فيما أمرني به من ترك القتال معهم إذا غضبوا خلافتي ولم أجد ناصراً سبقت بيعتي وصارت سبباً لها، وميثاق الرسول في ذلك كان في عني؛ أو المعنى: لما أطاعني الناس لم أجد بدءاً من قبول بيعتهم لي، فصار ميثاق بيعتهم في عني؛ أو طاعتي لغيري سبقت وغلبت بيعة الناس لي في زمن الرسول وصار الأمر ظاهراً بالعكس. فحصل لغيري من خلفاء الجور في عني الميثاق. كذا خطر بالبال وهو عندي

أظهر؛ وقيل: المراد بالطاعة طاعته لله ولرسوله، وبالميثاق بالبيعة بيعته للخلفاء، أي لا يضرني بيعتي لهم ولا يلزمني القيام بلوازمها، فإن طاعتي لله قد سبقت بيعتي، فإني أول من أطاع الله وآمن به وبرسوله، فلا يلزمني مبايعتي لهم مع كونها خلاف ما أمر الله ورسوله به. ١٧٤

٣٨ —

وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها

وَلَا نَمَّا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاوُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَنَتُ الْهَدَى^(١٧٠) ، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحْبَبَهُ .

٣٩ —

خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر ،

وفيها يبدى عنده ، ويستنهض الناس لنصرته

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ^(١٧١) وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ ؟ أَمَّا دِينُ يَجْمَعُكُمْ ، وَلَا حِمِيَّةَ تُخَشِّكُمْ^(١٧٢) ! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحًا^(١٧٣) ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا^(١٧٤) ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ

الْمَسَاءَةِ ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ
 إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ^(١٧٥) جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ^(١٧٦) ، وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ
 النَّضْوِ الْأَذْبَرِ^(١٧٧) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ « كَأَنَّمَا
 يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » .

قال السيد الشريف : أقول : قوله عليه السلام : « مُتَذَائِبٌ » أي مضطرب ، من
 قولهم : تذاوتت الريح ، أي اضطرب هبوبها . ومنه سمي الذئب ذئباً ، لاضطراب مشيته .

٤٠ — وَمِنْ خِصَالِ الْإِسْلَامِ

في الخوارج لما منع قولهم : « لا حكم إلا لله »

قال عليه السلام ، كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا
 لِلَّهِ ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ
 أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبْلَغُ
 اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ
 السَّبِيلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ، وَيُسْتَرَاخَ
 مِنْ فَاجِرٍ .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

وقال : أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَعْتَمِتُ فِيهَا الشَّقِيُّ ؛ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُذْرِكَ مَنِيَّتُهُ .

بيان: قوله —عليه السلام— «كلمة حق» الظاهر أن المراد بالكلمة قولهم: «لا حكم إلا لله»، والباطل الذي أريد بها المعنى الذي قصدوه لاميضهم من كلام بعض الشارحين من أن دعاء أصحاب معاوية إيتاكم إلى كتاب الله كلمة حق، لكن مقصودهم بها ليس العمل بكتاب الله بل فتوركم عن الحرب وتفرق أهوائكم؛ ومعناها الحق حصر الحكم حقيقة فيه —سبحانه— إذ حكم غيره —تعالى— إنها يجب متابعة لأنه حكمه —تعالى—.^{١٧٧}

قوله —عليه السلام— «وإنه لابد للناس — الخ» قال بعض الشارحين^{١٧٨}: الألفاظ كلها ترجع إلى إمرة الفاجر؛ قال: «يعمل فيها المؤمن» أي ليست بمانعة للمؤمن من العمل. «و يستمتع فيها الكافر» أي يتمتع بمدته. «و يبلغ الله فيها الأجل» لأن إمارة الفاجر كإمارة البر في أن المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقت للانسان. وقال بعضهم^{١٧٩}: الضمير في «إمرته» راجع إلى الأمير مطلقاً، فالإمرة التي يعمل فيها المؤمن الإمرة البرة، والتي يستمتع فيها الكافر الفاجرة، والمراد بعمل المؤمن في إمرة البر عمله على وفق أوامر الله ونواهيها، وباستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهاكه في اللذات الحاضرة. «و يبلغ الله فيها الأجل» أي في إمرة الأمير سواء كان برّاً أو فاجراً، وفائدتها تذكير العصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم به؛ ويؤيد هذا الوجه الرواية الأخرى.

ويمكن أن يكون^١ منى أنه لابد في انتظام أمور المعاش أمير برّاً وفاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جئات النعيم، ويتمتع فيها الكافر ليكون حجة عليه، ولعله

١٧٧- ويمكن أن يكون المعنى: الحق الذي لم يريده حصر الحكم الذي يجب إطاعته من حيث إنه حكم به ذلك الحاكم؛ فلا ينافي صدق الحكم من غير تجويز على حكم الرسول والإمام وقضاة العدل لإطلاق الحكم مطلقاً على حكمهم في كثير من الآيات والأخبار. وقد شتوا تجويز الحكم مطلقاً، ونفي الإمرة من لوازمه، فتدبر. منه - رحمه الله -.

١٧٨- المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد؛ فراجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٠٩،

١٧٩- المراد من «بعضهم» هو ابن ميثم في شرحه للنهج، ج ٢، ص ١٠٣، ط بيروت.

أظهر لفظاً.

ومعنى قوله —عليه السلام— «حتى يستريح»:

كلمة «حتى» إقبالبيان الغاية، والمعنى: تستمر تلك الحال حتى يستريح البر من الأمراء، وهو الظاهر أو مطلقاً، ويستريح الناس من الأمير الفاجر أو مطلقاً بالموت أو العزل، وفيها راحة للبر لأن الآخرة خير من الأولى ولا يجري الأمور غالباً على مراده ولا يستلذ كالفاجر بالانهماك في الشهوات، وراحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جورهِ وإن انتظم به نظام الكل في المعاش.

وأما لترتب الغاية، أي حتى يستريح البر من الناس في دولة البر من الأمراء ويستريح الناس مطلقاً من بني بعض الفجار ومن الشرور والمكاره في دولة الأمير مطلقاً برأ كان أوفاجراً، ولا ينافي ذلك إصابة المكروه من فاجر أحياناً.

قوله —عليه السلام— «حكم الله أنتظر» أي جريان القضاء بقتلهم وحلول وقته. قوله —عليه السلام— «إلى أن تنقطع مدته» أي مدة دولته وأحياته. ١٨٠

٤١ — (خطب عليه السلام)

وفيها ينهى عن الفدر ويحذر منه

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَامُ الصُّدُقِ (١٧٨)، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً (١٧٩) أَوْقَى (١٨٠) مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدَرَ كَيْسًا (١٨١)، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقُلُوبَ (١٨٢) وَجَهَ الْحِيَلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ

فُرِصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ^(١٨٣)

بيان: «الوفاء» لزوم العهد والبقاء عليه كما ينبغي، ويكون في الأفعال والأقوال. و «الصدق» يعمّ العهد وغيره، فبينها عموم من وجه، وقد يقال: الوفاء في الإنشاء والصدق في الأخبار، ولا يجتمعان؛ ويردّه صادق الوعد وإن كان مجازاً، أو المراد تلازمها غالباً مع تشاركهما في الفضل وترتب الآثار الحسنة. و «المرجع» مصدر، أي الرجوع إلى الله، أو اسم مكان. و «الكيس» الفطنة والذكاء. و الضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أو الغدر. و «الحَوْلُ القُلْب» هو الذي كثر تحوُّله وتقلُّبه في الأمور وجرَّها وعرف وجوهها. و «الوجه» الجهة، والضمير في «دونه» يعود إليه، أي قبل الوصول إليه، أو إلى الحَوْل أي أمامه. وفي بعض النسخ: «دونها» فيعود إلى الحيلة.

«رأي عين» أي رؤية معانية، فهو منصوب على المصدر من «يدع» بتقدير موصوف، أي يتركها تركاً معانياً غير ناش عن غفلة؛ أو على الحالية، أي حال كونها مرتبة له. وجوّز بعضهم في قوله— تعالى—: «يَرْوُونَهُمْ مِثْلَيْنِهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ»^{١٨١} أن يكون ظرف مكان. و «الحريجة» التحرّج وهو التحرّز، من «الحرج» والاسم، وقيل: «الحريجة» التقوى.^{١٨٢}

٤٢ — وَمَنْ يَتَّبِعِ الْهَوَىٰ وَطُولَ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا

وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ ، وَطُولُ الْأَمَلِ^(١٨٤) ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً^(١٨٥) ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا

١٨١- آل عمران: ١٣.

١٨٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٣٨، ط كهباني.

صُبَابَةٌ^(٤٨٧) كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَهَا صَابُهَا^(٤٨٧) . أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ ، وَلَا عَمَلَ .

قال الشريف: أقول: الخداء، السريعة، ومن الناس من يرويه وجاهداً^(٤٨٨)

٤٣ —

وقد أثار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَكُمْ ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْذُوعًا أَوْ عَاصِيًا . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاءِ^(٤٨٩) فَأَرَوْدُوا^(٤٩٠) ، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ^(٤٩١)

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ^(٤٩٢) ، وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرِ فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالْأَحَدِ أَخَذَتْ أَخَذًا ، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا^(٤٩٣) ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا .

بيان: جرير بن عبد الله البجلي كان عاملاً لعثمان على ثغر همدان فلما صار الأمر إليه طلبه فأجاب بالسمع والطاعة وقدم إليه — عليه السلام — فأرسله إلى معاوية. وروي أنه — عليه السلام — لما أراد بعثه قال جرير: والله يا أمير المؤمنين ما أذخر من نصرتي شيئاً وما أطمع لك في معاوية، فقال — عليه السلام —: قصدي حجة أقيمها. ثم كتب معه:

فإن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام...
إلى آخر ما مَرَّ برواية نصر بن مزاحم.^{١٨٣}
فأجابه معاوية:

أما بعد، فلمعري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنتك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولمعري ما حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أباعك، ولا حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأنهم أطاعوك ولم يظلمك أهل الشام، فأما شرفك في الإسلام وقربتك من النبيّ - صلى الله عليه وآله - وموضعك من قريش فلست أدفعه. وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل:

أرى الشام يكره أهل العراق وأهل العراق لها كارهونا
ويروى أن الكتاب الذي كتبه — عليه السلام — مع جرير كانت صورته:
إنّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير، والسلام.

وقال لجرير: «صن نفسك عن خداعه، فإن سلم إليك الأمر وتوجّه إليّ فأقم أنت بالشام، وإن تعلّل بشيء فارجع». فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلّل بمشاورة أهل الشام وغير ذلك فرجع جرير.

فكتب معاوية في إثره في ظهر كتاب عليّ — عليه السلام —:
من ولّك حتي تغزني؟! والسلام.

و يقال: أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسرفتحه.

والمراد بالخير الطاعة، و«الأناة» — كالقناة — اسم من الثاني. و«أرودوا»
علي صيغة الإفعال، أي أرفقوا. و«الإعداد» التهيئة كالاستعداد، وربّما يتوهم التنافي
بين ذكر مفسدة الاستعداد أولاً وعدم كراهة الإعداد ثانياً؛ ودُفع بوجوه:
منها: أنّه كره استعداد نفسه بجمع العسكر وعرضهم وتحريضهم على القتال
دون إعداد أصحابه بإصلاح كلّ منهم فرسه وأسلحته.
ومنها: أنّ المكره إظهار الإعداد دون الإعداد سرّاً. وتركنا بعض الوجوه
لوهنها.

و«ضرب الأنف والعين» مثل للعرب يراد منه الاستقصاء في البحث و
التأمل. و«قلب الظهر و البطن» التأمل في ظاهر الأمر وباطنه. وإطلاق الكفر هنا
على المبالغة، أو بالمعنى الذي يطلق على ترك الفرائض وفعل الكبائر كما سيأتي في أبواب
الإيمان والكفر. ويحتمل على بُعد اختصاص ذلك بالإمام.
والمراد بالوالي عثمان، وبالأحداث البدع والأموال المنكرة. و«أوجد الناس
مقالاً» أي أبدى لهم طريقاً إليه بأحداثه؛ وتفسير «أوجد» ههنا بأغضب — كما قيل —
غريب. و«نقموا» — كضربوا — أي عتبوا و طعنوا عليه. ١٨٤

٤٤ — وَمِنْ أَمْرِ الشَّيْبَانِي إِلَى مَعَاوِيَةَ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع
سبني بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام واعتقهم ،
فلما طالبه بالمال خاس به (٤٩٤) وهرب إلى الشام

قَبَّحَ اللَّهُ^(١٩٥) مَصْقَلَةَ ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ! فَمَا
أَنْطَقَ مَا دَحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ^(١٩٦) ، وَلَوْ
أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ^(١٩٧) ، وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ^(١٩٨) .

بيان: أقول: قد مضى هذا الكلام ومضت قصته في أبواب أحوال الخوارج. و
قال الشراح: «بنوناجية» ينسبون أنفسهم إلى قريش، وقريش تدفعهم عنه وينسبونهم
إلى ناجية وهي أمهم، وقد عدا وامن المبغضين لعلّي — عليه السلام —، واختلفت الرواية
في سببهم، ففي بعضها أنه لما انقضى أمراجل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني
ناجية، فبعث إليهم عليّ — عليه السلام — رجلاً من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم
وقال لهم: ما لكم عسكركم وقد دخل في الطاعة غيركم؟
فاfterقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كُتْنَا نصارى فأسلمنا ونيابح، فأمرهم، فاعتزلوا.
وفرقة قالوا: كُتْنَا نصارى فلم نسلم وخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا،
قهرونا فأخرجونا كرهاً فخرجنا معهم، فهزموا فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه و
نعطيك الجزية كما أعطيناهم؛ فقال: اعتزلوا! فاعتزلوا.
وفرقة قالوا: كُتْنَا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيك الجزية
كالنصارى؛ فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام! فأبوا، فقاتل مقاتلهم و سبي
ذرائعهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين^{١٨٥}.

وفي بعضها: أَنَّ أَمِيرًا مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — كَانَ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ، وَلَمَّا
انْقَضَى أَمْرُ الْحَرْبِ لَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، وَرَجَعَ الْبَاقُونَ إِلَى
الْإِسْلَامِ، وَاسْتَرْقَ مِنَ النَّصَارَى مِنْهُمْ الَّذِينَ سَاعَدُوا فِي الْحَرْبِ وَشَاهَرُوا السِّيفَ عَلَى
جَيْشِ الْإِمَامِ، ثُمَّ أَقْبِلَ بِالْأَسَارِيِّ حَتَّى مَرَّ عَلَى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ وَهُوَ عَامِلٌ
لِعَلِيِّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَلَى أَرْدَشِيرَ خُرَّهَ وَهُمْ خَمْسَمِائَةِ إِنْسَانٍ ، فَبَكَتْ إِلَيْهِ النِّسَاءُ

والصبيان وتصايح الرجال وسألوا أن يشتريهم ويعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم، فأرسل إليه أمير المؤمنين — عليه السلام — أبا حرة الحنفي ليأخذ منه المال فأدّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي، فهرب إلى معاوية، فقبل له — عليه السلام —: اردد الأسارى في الرق فقال: ليس ذلك في القضاء بحق، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي ديناً عليه. ١٨٦

أقول: فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدين عن الإسلام ولا يجوز سبي ذرارهم عندنا وعند الجمهور أيضاً إلا أن أبا حنيفة قال بجواز استرقاق المرأة المرتدة إذا ألحقت بدار الحرب، وأيضاً ما فيها من أنه قدم بالأسارى إلى عليّ — عليه السلام — يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق، وقد قال بعض الأصحاب بجواز سبي البغاة إلا أن الظاهر أنه مع إظهار الكفر والارتداد لا يبقى حكم البغي، والصحيح ما في الرواية الثانية من أن الأسارى كانت من النصارى.

و«خاس به» أي غدر وخان، و«خاس بالوعد» أي أخلف. و«قبحه الله» أي نحاه عن الخير. و«السادة» جمع السيد، ويطلق على الربّ و المالك و الشريف والفاضل والكرّم والحليم ومتحمّل الأذى من قومه و الرئيس والمقدّم.

قوله — عليه السلام — «حتى أسكته» قيل: كلمة «حتى» تحتل أن تكون بمعنى اللام، أي أنه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهر به، فإن إسكاته لوقصد لا يتصور إلا بعد إنطاقه وهلم يتم فعله الذي يطلب به إنطاق مادحه فكيف يقصد إسكاته بهر به؟ و يحتمل أن يكون المراد أنه لسرعة اتّباعه الفضيلة بالرديلة كأنه جمع بين غايتين متنافيتين. و «التبكيّت» التقرّيع و التعنيف و التوبيخ و استقبال الرجل بما يكره. و «الميسور» ما يتيسر، وقيل: مصدر على مفعول، وقيل: الغنى والسعة. و «الوفور» بالضمّ، مصدر «وفر المال» — ككرم و وعد — أي تمّ وزاد؛ وفي بعض النسخ: «موفورة» وهو الشيء التام، أي انتظرنا حصول الموفور في يده؛ والغرض دفع عذره في الحرب وهو توهم التشديد عليه. ١٨٧

١٨٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٣٦، ط بيروت.

١٨٧- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٧٧، ط كمباني، ص ٦٢٥، ط تبريز.

٤٥ - ﴿قَدْ خَلَّاهُ مِنْ أَشَدِّ عَذَابِ النَّارِ﴾

وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر ، وفيها يحمد الله ويلم الدنيا
حمد الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ^(٥٩٩) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوفٌ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا
مَأْيُوسٌ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ^(٥٠٠) عَنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ
مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

دم الدنيا

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِي^(٥٠١) لَهَا الْفَنَاءُ ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ^(٥٠٢) ، وَهِيَ
حُلُوةٌ خَضِرَاءُ ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ ، وَالتَّبَسَّتْ^(٥٠٣) بِقَلْبِ النَّاطِرِ ؛
فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ
الْكَفَافِ^(٥٠٤) ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ^(٥٠٥) .

٤٦ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَاسِهِمْ هَاهُنَا ذَاهِبُونَ﴾

عند عزمه على المسير إلى الشام

وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب

اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ^(٥٠٦) ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ^(٥٠٧) ، وَسُوْءِ
الْمَنْظَرِ فِي الْاَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . اَللّٰهُمَّ اَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَاَنْتَ

الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا ، وَالْمُسْتَضْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .

قال السيد الشريف رضي الله عنه : وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام ؛ من قوله : « وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ » إلى آخر الفصل .

بيان: قال ابن ميثم: روي أنه دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجهاً إلى حرب معاوية. و«الوعشاء» المشقة^{١٨٨}
و«الكآبة» الحزن. و«المنقلب» مصدر «انقلب منقلباً» رجع. و«سوء المنظر»
هو أن يرى في نفسه أو أهله أو ماله ما يكرهه.^{١٨٩}

٤٧ — وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ^(٥٠٨) الْعُكَاطِي^(٥٠٩) ، تُغَرِّكِينَ
بِالنَّوَازِلِ^(٥١٠) ، وَتُغَرِّكِينَ بِالزَّلَازِلِ ، وَلَأَنِّي لَا عَلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ
سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ !

بيان: «الأديم» الجلد أو مدبوغه، و«عكاظ» بالضم، موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع في كل سنة وقيمون به سوقاً مدة شهر ويتعاطون أي يتفاحرون ويتناشدون، وينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه، والأديم العكاظي مستحکم الدباغ

١٨٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ١٢١، ط بيروت.

١٨٩- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٧٣، ط كنيان، و ص ٤٣٨، ط تبريز.

شديد المدة، وذلك وجه الشبه. و «العرك» كذلك والحكّ، و«عركه» أي حمل عليه الشرّ، و«عركت القوم في الحرب» إذا مارسهم حتى أتعبتهم. و «النوازل» المصائب و الشدائد. و«الزلازل» البلايا. و «تركيبين» — على بناء المجهول كالفعلين السابقين — أي تُجعلين مركوبة لها أوها على أن تكون الباء للسببية كالسابقة. والشدائد التي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير.

وروي عن أمير المؤمنين — عليه السلام — أنه قال: هذه مدينتنا ومحلتنا ومقرّ شيعتنا. و عن الصادق — عليه السلام — أنه قال: تربة تحبّنا ونحبّها. و عنه — عليه السلام —: اللهم ارم من رماها، و عاد من عاداها.

وقال محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح النهج: فن الجابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد، وقد جمع الناس في المسجد ليلعن عليّاً — صلوات الله عليه — فخرج الحاجب وقال: انصرفوا، فإنّ الأمير مشغول، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة! و ابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام، والحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيات في بطنه حتى هلك، وعمر بن هبيرة و ابنه يوسف وقد أصابها البرص، وخالد القسريّ و قد حبس فطولب حتى مات جوعاً. وأمّا الذين رماهم الله بقاتل فعبد الله بن زياد، و مصعب بن الزبير، وأبوالسرايا وغيرهم قتلوا جميعاً، ويزيد بن المهلب قتل على أسوأ حال. ١٩٠

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «العُكاظ» بالضمّ، اسم موضع بناحية مكة. و «الأديم العكاظي» دباغ شديد المدة؛ استعارة لما ينال الكوفة من العنف والخبط وشدة الظلم. ١٩١

١٩٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٢١٠.

١٩١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٠٠، كتاب المزار، ص ٣٨٥.

٤٨ - خطبة أبي عبد الله (عليه السلام)

عند المسير إلى الشام

قيل: إنه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ^(٥١١) لَيْلٌ وَغَسَقَ^(٥١٢) ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ
نَجْمٌ وَخَفَقَ^(٥١٣) ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ ، وَلَا مُكَافٍ الْإِفْضَالِ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي^(٥١٤) ، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمَلْطَاطِ^(٥١٥) ،
حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ^(٥١٦)
مِنْكُمْ ، مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ^(٥١٧) دَجَلَةَ ، فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ،
وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ^(٥١٨) الْقُوَّةِ لَكُمْ .

قال السيد الشريف: أقول: يعني - عليه السلام - بالملطاط ها هنا السمت الذي أمرهم بلزومه، وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنظفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها.

بيان: قال ابن ميثم: روي أنه - عليه السلام - خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجّهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين. ١٩٢
و«وقب الليل» أي دخل. و«غسق» أي أظلم. و«لاح» أي ظهر. و«خفق»
النجم وأخفق» إذا انحط في المغرب وغاب. و«كافأته مكافأة و كفاء» أي جازيته،
وكل شيء ساوى شيئاً فهو مكافئ له. و«الإفضال» الاحسان. و«مقدمة الجيش»
بالكسر وقديفتح، أوله و متقدموه. و«النظفة» بالضم، الماء الصافي قلّ أوكثر.
و«الشردمة» بالكسر، القليل من الناس، و الجار متعلق بمحذوف، أي متوجّهاً إليهم. و

«أوطن المكان ووطنه واستوطنه» اتخذته وطناً، والمراد بهم قوم من أهل المدائن؛ روي أنهم كانوا ثمانمائة رجل. و«الكنف» بالتحريك، الجانب والناحية. و«نهض» — كمنع — قام، و«أنهضه غيره» أقامه. و«الأمداد» جمع «مدد» بالتحريك، وهو المعين والناصر.

وقال ابن أبي الحديد: وزاد أصحاب السير في هذه الخطبة:

وقد أمرت على مصر عقبة بن عمر، ولم آلكم إلّا^{١٩٣} نفسي، فإياكم والتخلف والترتبص فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي وأمرته أن لا يترك متخلفاً إلّا ألحقه بكم عاجلاً إن شاء الله.

وروي نصر بن مزاحم عوض قوله «عدوكم»، «إلى عدو الله»^{١٩٤}. أقول: وجدت في كتاب صفين زيادة وهي:

الحمد لله غير مفقود التعم ولا مكافأ الإفضال، وأشهد أن لا إله إلّا الله، ونحن على ذلكم من الشاهدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد... الخ.

وقال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين! والله ما يتخلف عنكم إلا ظنين، ولا يترتبص بك إلّا منافق، فرّ مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلفين.

فقال: قد أمرته بأمر، وليس بمقصر إن شاء الله.

قال: وقال مالك بن حبيب — وهو آخذ بعنان دابته — عليه السلام: يا أمير المؤمنين! أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتحلفني في حشر الرجال؟ فقال له علي — عليه السلام: — إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، وأنت ههنا أعظم غناءً منك عنهم لو كنت معهم. قال: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

١٩٣- في المصدر: ولا.

١٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠١ - ٢٠٢، ط بيروت.

قال نصر: ثم سار— عليه السلام— حتى انتهى إلى مدينة بهر سير وإذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى ويتمثل بقول الأسود بن يعفر: جرت الرياح على محل ديارهم فكأنها كانوا على ميعاده فقال— عليه السلام—: ألا قلت: كم تركوا من جثات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية؛ إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم، انزلوا بهذه الفجوة. ١٩٥

٤٩ — وَمِنْ كَلِمَاتِ الْحَمْدِ

وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الالهي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ^(٥١٩) خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ^(٥٢٠) الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ : سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ . فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ . لَمْ يُطْلَعْ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا !

بيان: «بطن خفيات الأمور» أي علم بواطنها، وقيل: أي دخل بواطن الأمور الخفية أي هو أخفى عند العقول منها. قوله — عليه السلام — «فلا عين من لم يره» أي لا تنكر وجوده عين من لم يره لشهادة فطرته على ظهور وجوده، أو أنه لا سبيل من جهة عدم إبطاره إلى إنكاره، إذ كان حظ العين إدراك ما صحت إدراكه بها لا مطلقاً.

قوله — عليه السلام — «يبصره» أي يحيط بكنهه. قوله — عليه السلام — «إقرار» أي تشهد أعلام وجوده لغاية ظهورها ووضوحها على أن الجاحد إنها يحجب بلسانه لا بقلبه كما مرّ مراراً. ١٩٦

٥٠ — وَمِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ

وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن

إِنَّمَا بَدْءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالُ رِجَالًا ، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ . فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفَ عَلَى الْمُتَرَادِينَ^(٥٢١) ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ؛ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ^(٥٢٢) ، وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ ، فَيُمَزَّجَانِ ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو^(٥٢٣) الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .

٥١ — وَمِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة^(٥٢٣)
الفرات بصفتين ومنعوم الماء

قَدْ اسْتَطَعْتُمْ كُمْ الْقِتَالَ^(٥٢٤) ، فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛
أَوْ رَوْوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوُوا مِنَ الْمَاءِ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ،
وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئْمَةً^(٥٢٥) مِنْ الْغَوَاةِ ،
وَعَمَسَ^(٥٢٦) عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ^(٥٢٧) الْمَنِيَّةِ .

٥٢ — خطبة في الدنيا والآخرة

وهي في التزميد في الدنيا ، وثواب الله للزاهد ، ونعم الله على الخالق

اللتزميد في الدنيا

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ، وَآذَنْتْ بِانْقِصَاءِ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا^(٥٢٨)
وَأَذْفَرَتْ حَدَاءَ^(٥٢٩) ، فَهِيَ تَحْفِزُ^(٥٣٠) بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا ، وَتَحْدُو^(٥٣١)
بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ، وَقَدْ أَمَرَ^(٥٣٢) فِيهَا مَا كَانَ حُلُوءًا^(٥٣٣) ، وَكَدِرَ مِنْهَا
مَا كَانَ صَفْوًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ^(٥٣٤) أَوْ جُرْعَةٌ
كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ^(٥٣٥) ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدَيَانُ^(٥٣٦) لَمْ يَنْقَعِ^(٥٣٧) . فَهَازِمُوعَا^(٥٣٨)
عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ^(٥٣٩) عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ ؛ وَلَا
يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ

ثواب الزاهد

فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلَدِ الْعِجَالِ^(٥٤٠) ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ^(٥٤١) ،

وَجَارَتْكُمْ جُؤَارٌ^(٥١٢) مُتَبَتِّلِي^(٥١٣) الرُّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ، أَلْتِمَسَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةِ عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرَانَ
سَيِّئَةٍ أَحْصَنَهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظْتَهَا رُسُلُهُ ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ
مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ .

نعم الله

وَنَالَهُ لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْبِيَاءًا^(٥١٤) ، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ
إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً ، مَا جَزَتْ
أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ
الْعِظَامُ ، وَهَذَا إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

٥٣ - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرْيَانَ﴾

في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية

وَمِنْ تَمَامِ الْأَضْحِيَّةِ^(٥١٥) اسْتَشْرَفُ أَفْنِهَا^(٥١٦) ، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا ، فَإِذَا
سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأَضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ
الْقُرْنِ^(٥١٧) تَجَرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسَكِ^(٥١٨)

قال السيد الشريف : والمنسك ها هنا المذبح .

٥٤ - من خطب علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفيهما يصف أصحابه بصفين حين طال منهم له من قتال أهل الشام

فَتَدَاكُّوا^(١٩٦) عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلُ الْهَيْمِ^(١٩٧) يَوْمَ وَرِدِهَا^(١٩٨) ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا^(١٩٩) ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ ، فَمَا وَجَدْتُني يَسْغُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ .

بيان: قال ابن ميثم: هذا إشارة إلى صفة أصحابه بصفين لما طال منهم^{١٩٧} من قتال أهل الشام.^{١٩٨} كما هو الظاهر من آخر الكلام، لكن كثير من الشواهد تدل على أنه لبيان حالة البيعة كما سيأتي بعضهم لاسيما ما كان في نسخة ابن أبي الحديد فإنه ذكر العنوان هكذا: ومن كلام له — عليه السلام — في ذكر البيعة.^{١٩٩}

قوله — عليه السلام — «تدأكوا» أي دك بعضهم بعضاً، و«الدك» هو الدق، وقيل أصله الكسر. و«الهم» العطاش. و«الورد» بالكسر، النصيب من الماء و الإشراف عليه؛ وفي بعض النسخ: «ورودها» وهو حضورها لشرب الماء. و«أرسلها» أي أهلكها وأطلقها. و «الثاني» جمع «مثناة» بفتح الميم وكسرها، وهي حبل من صوف أو شعر أو غيره تثني ويعقل بها البعير. و«قاتلي» على صيغة الجمع مضافة إلى ياء المتكلم. و«وجدتني» على صيغة المتكلم، وجملة «يسعني» مفعول ثان، والضمير في

١٩٧- في المصدر: منه لهم.

١٩٨- شرح النج لابن ميثم، ج ٢، ص ١١٤، ط بيروت.

١٩٩- شرح النج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦، ط بيروت.

قتالهم يعود إلى معاوية وأصحابه على الأول، وإلى الناكثين على الثاني. و«المعالجة»
الزائلة. و«موتات الدنيا» شدائدها وأهوالها ومتاعبها بقرينة «موتات الآخرة»،
ويحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت، وبالثانية الشدائد التي هي أشد من الموت. ٢٠٠

٥٥ — وَمِنْ أَمْرِ الْمَوْتِ

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي ؛ دَخَلْتُ
إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللَّهِ
مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي ،
وَتَعْشُوْا^(٥٥٣) إِلَى ضَوْئِي ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا ،
وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ^(٥٥٤) بِآثَامِهَا .

توضيح: «استبطأ» أي عذّه بطيئاً وزعم أن المصلحة في التعجيل. روى ابن
ميثم أنه — عليه السلام — لما ملك الماء بصفين وسمح بأهل الشام في المشاركة كما سبق
مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه من عنده أحد، قال له أهل العراق: يا
أمير المؤمنين! خلّفنا نساءنا وذرائنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً،
فأذن لنا في القتال فإنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهية الموت، ومنهم من يظنّ
أنك في شك من قتال أهل الشام، فأجابهم — عليه السلام — بذلك.

و«كلّ» مرفوع و«كراهية» منصوب في أكثر النسخ وروي «كلّ ذلك»
بالنصب وهو مفعول فعل مقدّر، أي تفعل كلّ ذلك، و«كراهية» منصوب بأنّه مفعول
لأجله؛ ومن رواه بالرفع أجاز في كراهية الرفع والنصب، أمّا الرفع فبالخبرية، وأمّا

النصب فلكونه مفعولاً له للخبر المحذوف. و «عشى النار وإليها عشواً وعشواً» رآها ليلاً من بعيد ببصر ضعيف فقصدها، ويقال لكل قاصد «عاش» وفيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام. و «تبوء بآثامها» أي ترجع إلى ربها متلبسة بمعاصيها. ٢٠١

٥٦ —

يصف اصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا
وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى
اللِّقْمِ^(٥٥٥) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ^(٥٥٦) ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ؛
وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوَّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ^(٥٥٧) الْفَحْلَيْنِ ،
يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا^(٥٥٨) : أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ ، فَمَرَّةً
لَنَا مِنْ عَدُوَّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوَّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُوْنَا
الْكِبْتَ^(٥٥٩) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٥٦٠) ،
وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ،
وَلَا أَخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَإِنَّمُ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا^(٥٦١) ، وَلَتُنْبِغُنَّهَا نَدَمًا !

توضيح: «اللقم» منهج الطريق. و «المضض» حرقه الألم. «يتصاولان» أي يحمل كل من القرنين على صاحبه. و«التخالس» التسالب. «أنفسهما» أي كل منهما

يختلس نفس صاحبه أو نفسه من يد صاحبه، والأول أظهر. و«المنون» الموت. و«الكبت» الإذلال و الصرف. و«الجران» مقدم عنق البعير من منحره إلى مذبجه، والقائه كناية عن استقراره في قلوب عباد الله كالبعير الذي أخذ مكانه واستقر فيه. و«تبوأ وطنه» سكن فيه، ولعله شبه الإسلام بالرجل الخائف المنزل الذي استقر في وطنه بعد خوفه. «لتحتلبتها» الضمير المؤنث مبهم يرجع في المعنى إلى أفعالهم، وكذا في قوله «لتتبعنها» شبهها بالناقة التي أصيب ضرعها بأفة من تفريط صاحبها فيها، والمقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلاً و آجلاً. ٢٠٢

٥٧ —

في صفة رجل ملموم ، ثم في فضله هو عليه السلام

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ^(٥٦٢) عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ^(٥٦٣) ، مُنْدَحِقُ
الْبَطْنِ^(٥٦٤) ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَكِنْ
تَقْتُلُوهُ ! أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي ؛ فَأَمَّا السَّبُّ فُسْبُونِي ،
فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي ؛ فَإِنِّي
وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ .

أقول: قال ابن أبي الحديد: «مندحق البطن» بارزها، و«الدحوق من النوق» التي يخرج رحها بعد الولادة. و«سيظهر» سيغلب. و«رحب البلعوم» واسعه. وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام — عنى زياداً، وكثير منهم يقول: إنه عنى الحجاج، وقال قوم: إنه عنى المغيرة بن شعبة، والأشبه عندي أنه عنى معاوية لأنه كان

موصوفاً بأنهم وكثرة الأكل و كان بطناً. ٢٠٣

ثم قال: وروى صاحب كتاب الغارات عن يوسف بن كليب المسعودي، عن يحيى بن سليمان العدوي ٢٠٤ عن أبي مريم الأنصاري عن محمد بن علي الباقر — عليه السلام —، قال: خطب عليّ — عليه السلام — على منبر الكوفة فقال:

سيعرض عليكم سبّي وستذبحون عليه، فإن عرض عليكم سبّي فستبوني وإن عرض عليكم البراءة متي فإني على دين محمد — صلى الله عليه وآله —.

و لم يقل: فلا تبرؤوا منّي.

وقال أيضاً: حدثني أحمد بن المفضل عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد — عليها السلام —، قال: قال عليّ — عليه السلام —: ليذبحن ٢٠٥ على سبّي — وأشار بيده إلى حلقه — ثم قال: فإن أمروكم بسبّي فستبوني وإن أمروكم أن تبرؤوا ٢٠٦ متي فإني على دين محمد — صلى الله عليه وآله — ولم ينههم عن إظهار البراءة. ثم قال: إنه أباح لهم سبّه عند الإكراه لأن الله — تعالى — قد أباح عند الإكراه التلفظ بكلمة الكفر فقال [الله]: «إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ٢٠٧. وأما قوله «فإنّه لي زكاة ولكم نجلة» فعناه أنكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك، ومعنى الزكاة يحتمل أمرين: أحدهما ماورد في الأخبار النبوية أنّ سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته، الثاني أن يريد أنّ سبّهم لي لا ينقص في الدنيا من قدري بل أزيد به شرفاً وعلو قدر وشياع ذكره، فالزكاة بمعنى التماء والزيادة.

فان قيل: فأني فرق بين السبّ والبراءة وكيف أجاز لهم السبّ ومنعهم من التبرّي ٢٠٨ والسبّ أحش من التبرّي؟

فالجواب: أما الذي يقوله أصحابنا في ذلك فإنّه لافرق عندهم بين السبّ و

٢٠٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٧، ط بيروت.

٢٠٤- في المصدر: العبدى.

٢٠٥- في المصدر: والله لتذبحن.

٢٠٦- في المصدر: أن تبرؤوا.

٢٠٧- النحل: ١٠٦.

٢٠٨- في المصدر: عن التبرّي.

التبرّي منه في أنّ كلّاً منها فسق وحرام وكبيرة وأنّ المكروه عليها يجوز له فعلها عند خوفه على نفسه كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف، ويجوز أن لا يفعلها وإن قتل إذا قصد بذلك إعزاز الدين كما يجوز له أن يسلم نفسه للقتل ولا يظهر كلمة الكفر إعزازاً للدين، وإنّما استغفحش — عليه السلام — البراءة لأنّ هذه اللفظة ماوردت في القرآن العزيز إلّا من المشركين ألا ترى إلى قوله — تعالى —: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».^{٢٠٩} وقال الله — تعالى —: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ».^{٢١٠} فقد صارت بحكم العرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة، فإذا يحمل هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على تحريم لفظ السب وإن كان حكمها واحداً، ألا ترى أنّ إلقاء المصحف في العذبة^{٢١١} أفحش من إلقائه في دَنّ الشراب وإن كانا جميعاً محرّمين وكان حكمها واحداً، فأما الامامية فتروي عنه أنّه قال: «إذا عرضتم على البراءة منّا فذّوا الأعناق». ويقولون: إنّهُ لا يجوز التبرّي عنه وإن كان الخالف صادقاً وأنّ عليه الكفارة ويقولون: إنّ للبراءة من الله ومن الرسول ومن إحدى الأئمة حكماً واحداً ويقولون: الاكراه على السب يبيح إظهاره ولا يجوز الاستسلام للقتل ويجوز أن يظهر التبرّي^{٢١٢}، والأولى أن يستسلم للقتل.

فإن قيل: كيف علّل نهيهم من البراءة منه بقوله «فإنّي ولدت على الفطرة» فإنّ هذا التعليل لا يختصّ به لأنّ كلّ ولد يولد على الفطرة وإنّما أبواه يهودانه وينصرانه؟ والجواب أنّه علّل نهيهم من البراءة منه بجموع أمور وهو كونه ولد على الفطرة وسبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يعلّل بأحد هذا الجموع ومراده هنا بالولادة على الفطرة أنّه لم يولد في الجاهلية لأنّه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبي أرسل لأربعين مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّه مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يخاطبه أحد، وكان ذلك إرهاباً

٢٠٩- التوبة: ١.

٢١٠- التوبة: ٣.

٢١١- في المصدر: في القدر.

٢١٢- في المصدر: وأنّا الإكراه على البراءة فإنّه يجوز معه الاستسلام للقتل ويجوز أن يظهر التبرّي.

لرسالته^{٢١٣} فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته — صلى الله عليه وآله — المولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة وليس بمولود في جاهلية محضة، ففارقت حاله حال من يدعي له من الصحابة مماثلته في الفضل، وقدروي أن السنة التي ولد فيها هذه السنة التي بدئ فيها رسول الله — صلى الله عليه وآله — فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً ولم يخاطب منها^{٢١٤} بشيء، وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبثّل والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله — صلى الله عليه وآله — يتيمّن بتلك السنة وبولادة علي عليه السلام — فيها، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته — وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً —: «لقد ولدنا^{٢١٥} مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة». وكان كما قال — صلوات الله عليه — فإنه كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغم عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام ورست^{٢١٦} دعائمه وتمهّدت قواعده.

وفي المسألة تفصيل آخر وهو أن يعني بقوله «فإنّي ولدت على الفطرة» التي لم تتغيّر ولم تحل، وذلك أن معنى قول النبي — صلى الله عليه وآله — «كلّ مولود يولد على الفطرة» أن كلّ مولود فإنّ الله — تعالى — قد هيّأه بالعقل الذي خلقه فيه وبصحّة الحواسّ والمشاعر لأن يتعلّم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك ولكنّ التربية والعقيدة في الوالدين والألف لاعتقادهما وحسن الظنّ فيها يصدّه عمّا فطر عليه؛ وأمير المؤمنين — عليه السلام — دون غيره ولد على الفطرة التي لم تحل ولم يصدّه عن مقتضاها مانع لامن جانب الأبوين ولامن جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة ولكنّه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها.

٢١٣- «أرخص الحائط» بنى رخصه، وهو أوّل من الطين الذي بينى عليه.

٢١٤- في المصدر: ولم يخاطب فيها.

٢١٥- في المصدر: لقد ولدنا الليلة.

٢١٦- «رسا الشيء وأرسي» ثبت ورسخ.

ويمكن أن يفسر أنه أراد بالفطرة العصمة، وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً ولا كان كافراً طرفه عين، ولا غلطاً ولا غلطاً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين وهذا تفسير الإمامية: ٢١٧ انتهى كلامه.

وأقول: الأخبار في البراءة من طرق الخاصة والعامة مختلفة، والأظهر في الجمع بينها أن يقال بجواز التكلم بها عند الضرورة الشديدة وجواز الإمتناع عنه وتحمل ما تترتب عليه، وأما أن أيهما أولى ففيه إشكال، بل لا يبعد القول بذلك في السب أيضاً. وذهب إلى مذكرونا في البراءة جماعة من علمائنا. وأما مانسبه ابن أبي الحديد إليهم جميعاً من تحريم القول بالبراءة فلعله اشتبه عليه ما ذكره من تحريم الحلف بالبراءة اختياراً، فإنهم قطعوا بتحريم ذلك وإن كان صادقاً، ولا تعلق له بأحكام المضطر.

وقال الشيخ الشهيد في قواعده: التقية تنقسم بانقسام الأحكام الخمسة، فالواجب إذا علم أو ظن نزول الضرر بتركها به أو ببعض المؤمنين، والمستحب إذا كان لا يخاف ضرراً عاجلاً ويتوهم ضرراً آجلاً أو ضرراً سهلاً، أو كان تقية في المستحب كالترتيب في تسبيح الزهراء — عليها السلام — وترك بعض فصول الأذان، والمكروه التقية في المستحب حيث لا ضرر عاجلاً ولا آجلاً، ويخاف منه الالتباس على عوام المذهب. والحرام التقية حيث يؤمن الضرر عاجلاً وآجلاً أو في قتل مسلم، قال أبو جعفر — عليه السلام —: «إنما جعلت التقية ليحقن بها الدماء فإذا بلغ الدم فلا تقية». والمباح التقية في بعض المباحات التي رجحها العامة ٢١٨ ولا يصل بتركها ضرر: ٢١٩

ثم قال — رحمه الله —: التقية يبيح كل شيء حتى إظهار كلمة الكفر، ولوتركها حينئذ أثم إلا في هذا المقام ومقام التبري من أهل البيت — عليهم السلام — فإنه لا يَأْثم بتركها بل صبره إما مباح أو مستحب، وخصوصاً إذا كان ممن يقتدى به. ٢٢٠

٢١٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٦ - ١١٦، ط بيروت.

٢١٨- في المصدر: يرجحها العامة وفي (م) و(د): رتبها العامة.

٢١٩- في المصدر: ولا يصير تركها ضرراً.

٢٢٠- القواعد والفوائد، ص ٢٦١.

وقال الشيخ أمين الدين الطبرسي: قال أصحابنا: التقية جائزة في الأحوال كلها^{٢٢١} عند الضرورة، وربما وجب فيها لضرب من اللطف والاستصلاح، وليس يجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين. قال المفيد - رضي الله عنه -: إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، وتجاوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً و معفواً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها. وقال الشيخ أبوجعفر الطوسي - رحمه الله -: ظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصته في جواز الإفصاح بالحق عنده^{٢٢٢}. انتهى.

أقول: سيأتي تمام القول في ذلك في باب التقية إن شاء الله - تعالى. -^{٢٢٣}

٥٨ - ﴿مَنْ عَادَ الْكُفْرَ﴾

كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: ان لا حكم إلا لله

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ^(٥٦٥) ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آثِرٌ^(٥٦٦) . أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ ! « لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ! » فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بَ^(٥٦٧) ، وَارْجِعُوا عَلَى آثِرِ الْأَعْقَابِ^(٥٦٨) . أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَآثَرَةً^(٥٦٩) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً .

٢٢١- في المصدر: في الأقوال كلها.

٢٢٢- مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٣٠.

٢٢٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٩، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣٢٥ - ٣٣٠.

قال الشريف : قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروى على ثلاثة أوجه :

أحدها أن يكون كما ذكرناه : «آبر» بالراء، من قولهم للذي يأبر النخل - أي : يصلحه - ويروى «آبر» وهو الذي يأثر الحديث ويرويه أي يحكيه ، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال : لا بقي منكم مخبر ! ويروى «آبر» - بالزاي المعجمة - وهو الواثب . والهاك أيضاً يقال له : آبر .

بيان: روي أنه -عليه السلام- كلمهم بهذا الكلام لما اعتزلوا وتنادوا من كل ناحية: «لاحكم إلا لله، الحكم لله يا علي لالك» وقالوا: «بان لنا خطأنا فرجعنا وتبنا، فارجع إليه أنت وتب». وقال بعضهم: «أشهد على نفسك بالكفر، ثم تب منه حتى نطيعك». و«الحاصب» الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي صغار الحصباء، وإصابة الحاصب كناية عن العذاب، وقيل: أي أصابكم حجارة من السماء. و«الأوب» بالفتح، و«الإياب» بالكسر، الرجوع. و«الأعقاب» مؤخر الأقدام، و«أثرها» بالتحريك، علامتها، والرجوع على العقب هو القهقري، فهو كالتأكيد للسابق؛ قيل: هو أمرهم بالإياب والرجوع إلى الحق من حيث خرجوا منه قهراً كأنّ القاهر يضرب في وجوههم يردّهم على أعقابهم، والرجوع هكذا شرّاً لأنواع، وقيل: هودعاء عليهم بالذلّ وانعكاس الحال.

أقول: ويحتمل أن يكون الأمر على التهديد كقوله - تعالى -: «وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَمَلَكُمُ»^{٢٢٤}. و«الأثرة» بالتحريك، الاسم من قولك: «فلان يستأثر على أصحابه» أي يختار لنفسه أشياء حسنة ويخصّ نفسه بها، و«الاستئثار» الانفراد بالشيء، أو من «آثر يؤثر إثارة» إذا أعطى، أي يفضل الظالمون غيركم عليكم في نصيبكم ويعطونهم دونكم. وقيل: يجوز أن يكون المراد بالآبر النمام.^{٢٢٥}

٥٩ — وَالْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له :
إن القوم عبروا جسر النهر وان !

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّظْفَةِ ، وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ .

قال الشريف : يعي بالنظفة ماء النهر ، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جداً . وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه .

بيان: وقال ابن أبي الحديد^{٢٢٦}: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهومن معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب التي لا يحتمل التلبس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب من غير زيادة ولا نقصان، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره ولمشاهدة الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلافه من غلا، حتى نسب إلى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى — عليه السلام —. انتهى. ^{٢٢٧}

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

و«النهر» بفتح النون و الراء وجوّز تثليث الراء، ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل بين واسط وبغداد. و«الصرع» الطرح على الأرض، و«المصرع» يكون مصدراً وموضعاً، والمراد هنا مواضع هلاكهم. و«الإفلات والتفلّت والانفلات» التخلص من الشيء فجأة من غير تمكّث.

وهذا الخبر من معجزاته — عليه السلام — المتواترة، وروي أنه لما قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعة تفرقوا في البلاد، ووجدوا المقتول من أصحابه — عليه السلام — ثمانية، ويمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التعبير بعدم

٢٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤١٣، ط بيروت.

٢٢٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٤٨.

هلاک العشرة للمشاکلة والمناسبة بین القرینتین. ٢٢٨

٦٠ —

لما قتل الخوارج فقیل له : یا امیر المؤمنین ، هلك القوم بأجمعهم !

كَلَّا وَاللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ نُطِفُ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ^(٥٧٠) ،
كُلَّمَا نَجَمَ^(٥٧١) مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ .
بیان: «نجم» طلع و ظهر. و «القرن» كناية عن رؤسائهم. و «قطعه»
قتله. ٢٢٩

[هذا بیان آخر فی شرح الکلام:]

توضیح: «القرار والقرارة» بالفتح، ماقر فيه شيء و سكن، والمراد هنا
الأرحام. و «نجم» كنصر، ظهر وطلع. و «القرن» كناية عن الرئيس وهو في الإنسان
موضع قرن الحيوان من رأسه، و «قطع القرن» استئصال رؤسائهم و قتلهم.
و «اللصوص» بالضم، جمع «لص» مثلثة. و «إسلب» الاختلاس. روي أن جماعة من
الخوارج لم يحضروا القتال ولم يظفر بهم أمير المؤمنين — عليه السلام —؛ وأما المفلتون من
القتل، فانهزم اثنان منهم إلى عَمَّان و اثنان إلى كِرمَان و اثنان إلى سَجِسْتَان و اثنان إلى
الجزيرة و واحد إلى تَلَّ «مَوَزِن» فظهرت بدعهم في البلاد وصاروا نحواً من عشرين فرقة
وكبارهاست: الأزارقة أصحاب دافع بن الأزرق وهم أكبر الفرق، غلبوا على الأهواز و
بعض بلاد فارس و كِرمَان في أيام عبدالله بن الزبير؛ والتجندات رئيسهم نجدة بن عامر
الحنفي؛ و البهسية أصحاب أبي بهس هيصم بن جابر، وكان بالحجاز وقتل في زمن
الوليد؛ و العجاردة أصحاب عبدالكريم بن عجرد؛ و الإباضية أصحاب عبدالله بن إياض

٢٢٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٠٤، ط كمياني و ص ٥٥٧، ط تبريز.

٢٢٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٥٥.

· قتل في أيام مروان بن محمد؛ والثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر. وتفصيل خرافاتهم
مذكور في كتب المقالات. ٢٣٠

٦١ —

لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ ، كَمَنْ
طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَهُ .

قال الشريف : يعني معاوية وأصحابه .

بيان: لعل المراد: لا تقتلوا الخوارج بعدي مادام ملك معاوية وأضرابه، كما
يظهر من التعليل، وقد كان يسبه —عليه السلام— ويرأمنه في الجمع والأعياد، ولم يكن
إنكاره للحق عن شبهة كالخوارج، ولم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه، ولم يكن مجتهداً
في العبادة وحفظ قوانين الشرع مثلهم فكان أولى بالجهاد. ٢٣١

٦٢ —

لما خُوف من الفيلة (٥٧٢)

وَأَنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةٌ^(٥٧٣) ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي أَنْفَرَجْتُ عَنِّْي
وَأَسْلَمْتَنِي ؛ فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ^(٥٧٤) ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلِمُ^(٥٧٥) .

٦٣ —

يحلر من فتنة الدنيا

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا :

٢٣٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمياني وص ٥٧٢، ط تبريز.

٢٣١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢١، ط كمياني وص ٥٧٢، ط تبريز.

أَبْتَلِي النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً ، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَى الظِّلُّ ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً^(٥٧٦) حَتَّى قَلَصَ^(٥٧٧) ، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ .

٦٤ — وَمِنْ خُطَبِ الْمَلِكِ السَّلَامِ

في المبادرة إلى صالح الأعمال

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ^(٥٧٨) ، وَابْتَاعُوا^(٥٧٩) مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا^(٥٨٠) فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ^(٥٨١) ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ^(٥٨٢) ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَاَنْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى^(٥٨٣) ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا أَلَمُوتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ . وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِيمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيدَةٍ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ . وَإِنَّ غَايَةَ يَخْذُوهُ^(٥٨٤) الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَحَرِي^(٥٨٥) بِسُرْعَةِ الْأَوْتَةِ^(٥٨٦) . وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشُّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ . فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا ، مِنْ الدُّنْيَا ، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا^(٥٨٧) . فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ

مُوكَّلٌ بِهِ ، يُزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا^(٥٨٨) ،
 إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ
 ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ !
 نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ^(٥٨٩) ، وَلَا تُقْصِرُ
 بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً .

٦٥ — (خطبة في يوم الجمعة)

وفيها مباحث لطيفة من العلم الالهي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا ، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
 آخِرًا ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا ؛ كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ
 غَيْرُهُ قَلِيلٌ ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ
 مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ بِقَدِيرٌ
 وَيَعْجِزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ بَصْمٌ^(٥٩٠) عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيُصَمُّهُ
 كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا ، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ
 خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ
 غَيْرُهُ ظَاهِرٌ . لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوْفٍ مِنْ
 عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ^(٥٩١) مُثَاوِرٍ^(٥٩٢) ، وَلَا شَرِيكَ مُكَاثِرٍ^(٥٩٣) ،
 وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ^(٥٩٤) ؛ وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ^(٥٩٥) ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ^(٥٩٦) ،

لَمْ يَخْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ : هُوَ كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْأَ^(٥٩٧) عَنْهَا فَيُقَالَ : هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ^(٥٩٨) . لَمْ يُوْذَ^(٥٩٩) خَلْقُ مَا أَيْتَدَأَ ، وَلَا تَذْبِيرُ مَا ذَرَأَ^(٦٠٠) ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ^(٦٠١) عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ ، بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ^(٦٠٢) . الْمَأْمُولُ مَعَ النُّقْمِ ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النُّعْمِ !

بيان: قوله —عليه السلام— «لم تسبق له حال حالاً» إمام بني على مامر من عدم كونه —تعالى— زمانياً، فإنَّ السبق والتقدم و التأخر إنما تلحق الزمانيات المتغيرات، وهو —تعالى— خارج عن الزمان؛ أو المعنى أنه ليس فيه تبدل حال وتغير صفة بل كل ما يستحقه من الصفات الذاتية الكمالية يستحقها أزلاً وأبداً فلا يمكن أن يقال: كان استحقاقه للأولية قبل استحقاقه للآخرية، أو كان ظاهراً ثم صار باطناً بل كان أزلاً متصفاً بجميع ما يستحقه من الكمالات، وليس محلاً للحوادث و المتغيرات؛ أو أنه لا يتوقف اتصافه بصفة على اتصافه بأخرى بل كلها ثابتة لذاته من غير ترتيب بينها ولعلَّ الأوسط أظهر.

قوله —عليه السلام— «كلّ مسمّى بالوحدة. غيره قليل» قيل: المعنى أنه —تعالى— لا يوصف بالقلّة وإن كان واحداً إذ المشهور من معنى الواحد كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عاداً لها ومكياً، وهو الذي تلحقه القلّة والكثرة الإضافيتان، فإنّ كلّ واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة إلى الكثرة التي تصلح أن تكون مبدأ لها، ولما كان —تعالى— منزهاً عن الوصف بالقلّة والكثرة لما يستلزمه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة الإمكان أثبت القلّة لكلّ ماسواه فاستلزم إثباتها لغيره في معرض المدح له نفياً عنه؛ وقيل: إنّ المراد بالقليل الحقير لأنّ أهل العرف يحقرون القليل و يستعظمون الكثير.

أقول: الأظهر أنّ المراد أنّ الوحدة الحقيقية مخصوصة به —تعالى—، وإنّما يطلق على غيره بمعنى مجازي مؤوّل بقلّة معاني الكثرة فإنّ للكثرة معانٍ مختلفة: الكثرة بحسب

الأجناس أو الأنواع أو الأصناف أو الأفراد و الأشخاص أو الأعضاء أو الأجزاء الخارجية أو العقلية أو الصفات العارضة؛ فيقال للجنس: جنس واحد مع اشتماله على جميع أنواع التكثرات لكون كثرته أقل مما اشتمل على التكثر الجنسي أيضاً وهكذا فظهر أن معنى الواحد في غيره - تعالى - يرجع إلى القليل، ولذا قال - عليه السلام - : كل مستى بالوحدة إشارة إلى أن غيره - تعالى - ليس بواحد حقيقة. هذا ما خطر بالبال والله يعلم. وقدم تفسير سائر الفقرات ونظائرها مراراً. ٢٣٢

٦٦ -

في تعليم الحرب والمقاتلة

والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الحرير أو أول اللقاء بصفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ^(٦٠٣) ، وَتَجَلَّبُوا ^(٦٠٤) السَّكِينَةَ ، وَعَظُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ ^(٦٠٥) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى ^(٦٠٦) لِّلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ^(٦٠٧) .
وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ ^(٦٠٨) ، وَقَلِّقُوا ^(٦٠٩) السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا ^(٦١٠) قَبْلَ سَلِّهَا .
وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ ^(٦١١) ، وَأَطْعِنُوا الشَّرَرَ ^(٦١٢) ، وَنَافِحُوا بِالطُّبِّ ^(٦١٣) ، وَصَلُّوا
السُّيُوفَ بِالْخُطَا ^(٦١٤) ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ
اللَّهِ . فَعَاوِدُوا الْكُرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ^(٦١٥) ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ^(٦١٦) ،
وَنَارُ يَوْمِ الْحِسَابِ . وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَأَمْسُوا إِلَى الْمَوْتِ
مَشْيًا سُجْحًا ^(٦١٧) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(٦١٨) ،
فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ ^(٦١٩) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(٦٢٠) ، وَقَدْ قَدَّمَ
لِلوُثْبَةِ يَدًا ، وَآخَرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا . فَصَمْدًا صَمْدًا ^(٦٢١) ! حَتَّى يَنْجَلِيَ

لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ» وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَبْرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» (١٩٢).

إيضاح: قال بعض الشارحين: هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين -عليه السلام- في اليوم الذي كانت عشيتة ليلة الحرير في كثير من الروايات. وفي رواية نصر بن مزاحم: إنه خطب به أول أيام الحرب بصقّين وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين^{٢٣٣} و«المعشر» الجماعة. و«استشعار الحشية» أن يجعلوا الخوف من الله -عز وجل- ملازماً لهم كالشعار وهو من اللباس ما يلي شعر الجسد، ويحتمل على بعد أن يراد به إخفاء الخوف عن العدو إذا لم يمكن سلبه عن النفس. و«الجلباب» بالكسر، القميص أو ثوب واسع للمرأة دون الملحقة، أو الملحقة أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها و«تجلب» أي اتخذ. و«السكينة» الوقاء والتأني في الحركة والسير.

و«النواجد» أقاصي الأضراس وهي أربعة بعد الأرحاء، وقيل: هي الضواحك التي تبدو عند الضحك ، وقيل: أنياب، وقيل: التي يليها، وقيل: الأضراس كلها. «نبا السيف عن الضريبة» إذا لم يعمل فيها. و«الهام» جمع هامة وهي رأس كل شيء. والأمر إما محمول على الحقيقة لأن هذا العضّ تصلّب الأعصاب والعضلات فيكون تأثير السيف في الرأس أقلّ، أو كناية عن شدّة الاهتمام بأمر الحرب، أو الصبر و تسكين القلب وترك الاضطراب فإنه أشدّ إبعاداً لسيف العدو عن الرأس وأقرب إلى النصر. والضمير في قوله «وإنه» يعود إلى المصدر الذي دلّ عليه «عضّوا» كقولك: من أحسن كان خيراً له. و«اللائمة» بفتح اللام والهمزة الساكنة، الدرع، وقيل: جميع آلات الحرب والسلاح، و«إكمال اللأمة» على الأول أن يزداد عليها البيضة والسواعد ونحوها واتخاذها كاملة شاملة للجسد. و«القلقلة» التحريك. و«الغمد» بالكسر، جفن السيف. و«سلّ السيف» إخراجه عن الغمد، وقيل: «سلّها» أي قبل وقت الحاجة إلى سلّها.

و«اللمحظ» النظر بمؤخر العين. و«الحرّ» بسكون الزاي، النظر بلحظ العين.

و«الشزر» بالفتح، الطعن عن اليمين و الشمال، وقيل: أكثر ما يستعمل في الطعن عن اليمين خاصة؛ وقال ابن الأثير في النهاية في حديث عليّ —عليه السلام—: «الحظوا الشزر، واطعنوا اليسر» و «الشزر» النظر بمؤخر العين و هو نظر الغضبان، و«اليسر» بالفتح، الطعن حذاء الوجه، والحزر والشزر صفتان لمصدرين محذوفين أي الحظوا خطأ خزرأ، و اطعنوا طعنأ شزرأ، واللام للعهد. وفائدة الأمر الأول واضحة فإنّ النظر بمؤخر العين يهتج الحمية والغضب و يدفع طمع العدو و يغفله عن التعرض، وبملاّ العين يورث الجبن وعلامة له عند العدو و يصير سبباً لتحززه وأخذاً هبته و التوجّه إلى القرن. وأمّا الأمر الثاني فقليل: إنه يوسّع المجال على الطاعن، و أكثر المناقشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه وعن شماله، ويمكن أن تكون الفائدة أنّ احتراز العدو عن الطعن حذاء الوجه أسهل والغفلة عنه أقلّ؛ هذا على ما في الأصل، وما في النهاية يخالفه.

و«المنافحة» المضاربة والمدافعة. و«الظبي» جمع «ظُبة» بالضمّ فيها، وهي طرف السيف وحده، و يطلق على حدة السيف والسنان؛ قيل: المعنى: قاتلوا بالسيوف، وأصله أن يقرب أحداً المتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفع كلّ منهما أي رحبه و نفسه إلى صاحبه، وقيل: أي ضاربوا بأطراف السيوف، وفائدته أنّ مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من حربه، و أيضاً لا يؤثر الضرب كما ينبغي مع القرب المفرط.

قوله —عليه السلام— «وصلوا السيوف بالخطأ» وصل الشيء بالشيء جعله متصلاً به. و«الخطي» جمع «خطوة» بالضمّ فيها، والمعنى: إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدموا تلحقوا ولا تصبروا حتّى يلحقكم العدو، وهذا التقدّم يورث إلقاء الرعب في قلب العدو.

وروي أنّه قيل له —عليه السلام— في بعض الغزوات: ما أقصر سيفك! فقال: أطوله بخطوة. وفي رواية ابن الأثير «صلّوا السيوف بالخطي، والرّماح بالنبل» أي إذا لم تلحقهم بالرماح فارموهم بالسهام. و المراد بكونهم بعين الله أنّه —سبحانه— يرهم و يعلم أعمالهم، والباء مثلها في قولك: «أنت بمرأى متي و مسمع» أي بحيث أراك و أسمع كلامك، فيكون تمهيداً للنهي عن الفرار و أنّه —سبحانه— يحفظهم و ينصرهم

لكونهم على الحقّ كما يناسب كونهم مع ابن عمّ الرسول — صَلَّى الله عليه وآله —. و«الكرّ» الرجوع و الحملة، ومعاودته عند التحرّف للقتال أو التحيّر إلى فئة أو عند الفرار جيناً لو كان، أو المراد: لا تقصروا على حملة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحلوا كرة بعد أخرى.

و«الأعقاب» جمع «عقب» بالضمّ وبضمتين، أي العاقبة، والمعنى أنّ الفرار عار في عاقبة أمركم و ما يتحدث به الناس في مستقبل الزمان على ما قيل، أو جمع «عقب» — ككتف — أو «عقب» بالفتح، أي الولد وولد الولد، والمعنى أنّ الفرار ممّا يعيّر به أولادكم. و«طاب نفسي بالشيء و طيب به نفساً» إذا لم يكرهك عليه أحد، والتعديّة بـ«عن» لتضمين معنى التجافي والتجاوز، و«نفساً» منصوب على التمييز، وإفراده مع عدم اللبس أولى؛ ولعلّ المعنى: وطنوا أنفسكم على بذلها في سبيل الله، وارضوا به للحياة الباقية و اللذات الدائمة. و«السُّجُح» بضمتين، السهل. و«سواد الناس» عاقبتهم، والمراد معظم القوم المجتمعين على معاوية. و«الرواق» — ككتاب — الفصطاط و القبّة، وقيل: هوماين يدي البيت. و«المطّب» المشدود بالأطناب، والمراد مضرب معاوية وكان في قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام. و«تَبَّج الشيء» بالتحريك، وسطه ومعظمه. و«كمن» — كنصر وسمع — أي استخفى. و«كسر الخبأ» بالكسر، الشقّة السفلى يرفع أحياناً ويرخي أخرى. و«الوثبة» الطفرة. و«نكص» — كنصر وضرب — أي رجع.

و«الشیطان» هو إبليس لامعاوية — كما قيل — لأنّه كان بارزاً في الصدر لا كاسناً في الكسر إلّا أن يكون ذلك لبيان جبنه. وتقديم اليد للوثبة و تأخير الرجل للنكوص لاينافي إرادة إبليس فإنّه كان من رفقاء معاوية و أصحابه يشب بوثوبهم و يرجع برجوعهم، ويمكن أن يراد بوثبته طمعه في غلبة أصحاب معاوية و تحريضهم على القتال و بالنكوص مايقابله، ويحتمل أن يراد بالشیطان عمرو بن العاص، والأوّل أظهر، وحمله على القوة الوهميّة — كما قيل — من الأوهام الفاسدة. و«الصمد» بالفتح، القصد، وناصبه محذوف، والتأكيد للتحريض على قصد العدو والصبر على الجهاد،

أوالتقرب إلى الله - تعالى - وإخلاص النية في الأعمال التي من أجلها الجهاد. و«انجلي الشيء و تجلّى» أي انكشف وظهر. و«عمود الحق» لعله للتشبيه بالفجر الأول، وفيه إشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغي. «وأنتم الأعلون» الوالوالحال، أي الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحق. «والله معكم» أي بالنصر والحيطة أو لأنكم أنصاره. و«لن يترككم» أي لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم بل يوفيكهم أجوركم، وقيل: أي لا يضيع أعمالكم، من «وترت الرجل» إذا قتلت له حيماً. ولعلّ حاصل المعنى: اقصدوا ربكم بأعمالكم التي منها جهاد أعدائكم، واخلصوا نياتكم حتى ينجلي لكم أنكم على الحق كما قال - تعالى - : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»^{٢٣٤}. والجملة الحالية تفيد أنهم على الحق ومن أنصار الله و حزبه، أو اقصدوا أعداءكم بتصميم العزم حتى يظهر آية النصر وينجز الله لكم ما وعد من الظفر، ووعد الحق، ويمكن أن يراد بالحق الطريقة المستقيمة وأن يكون الظفر سبباً لظهوره للقوم.^{٢٣٥}

٦٧ —

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة^(٦٢٣) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال عليه السلام : ما قالت الأنصار ؟ قالوا ، قالت : منا أمير ومنكم أمير ؛ قال عليه السلام : فَهَلَّا آخَتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؟ قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟

٢٣٤- العنكبوت: ٦٩.

٢٣٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٠٧، ط كفاي وص ٤٧١، ط تبريز.

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قَالُوا : احتجت بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : اَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الشَّعْرَةَ .

بيان: قوله —عليه السلام— «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الشرة» المراد بالثرة إما الرسول —صلى الله عليه وآله— و«الاضاعة» عدم اتباع نصبه، أو أمير المؤمنين وأهل البيت —عليهم السلام— تشبيها له —صلى الله عليه وآله— بالأغصان أو اتباع الحق الموجب للتمسك به دون غيره، كما قيل. والغرض الزام قريش بما تمسكوا به من قرابته —صلى الله عليه وآله— فإن تم فالحق لمن هو أقرب وأخص وإلا فالأنصار على دعواهم. ٢٣٦

٦٨ —

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنِ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ^(٦٢٤) ، وَلَا أَنَهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بَلَا دَمٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا ، وَكَانَ لِي رَيْبًا .

بيان: «لَمَّا قَلَدَ» أي جعله واليها كأن ولايتها قلادة في عنقه لأنه مسؤول عن خيرها وشرها، ويقال: «ملكه عليه» أي أخذه منه قهراً واستولى عليه. و «انهاز الفرصة» إما تأكيد لتخلية العرصة، والمراد بهما تمكين العدو وعدم التدبير في دفعه كما ينبغي، أو التخلية كناية عن الفرار والانهاز عن تمكين الأعداء. وعدم استحقاق الذم لكون هذا التمكين عن عجزه لاعن التقصير والتواني. و «كان إليّ حبيباً» أي كنت أحبه، ومحبوبه — عليه السلام — لا يستحق الذم. و «ربيب الرجل» ابن امرأته من غيره. وأُمّ محمّد أسماء بنت عميس كانت عند جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله، ولَمَّا استشهد جعفر تزوّجها أبوبكر فولدت له محمّداً ثم تزوّجها أمير المؤمنين — عليه السلام — ونشأ محمّد في حجره ورضع الولاء والتشيع، وكان جارياً عنده — عليه السلام — مجرى بعض ولده. وأما هاشم فهو ابن عتبة أبي وقاص وهو المرقال، سُمّي به لأنه كان يُرقل في الحرب أي يسرع، قتل بصفين — رضي الله عنه — ٢٣٧.

٦٩ —

في توبيخ بعض أصحابه

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبِكَارُ الْعَمِدَةَ^(٦٢٥)، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةَ^(٦٢٦)!
كُلَّمَا حِيصَتْ^(٦٢٧) مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكْتَ^(٦٢٨) مِنْ آخَرٍ، كُلَّمَا أَطْلَّ عَلَيْكُمْ
مَنْسِرٌ^(٦٢٩) مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ^(٦٣٠)
أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا^(٦٣١). الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ

نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ^(٦٣٢) . إِنَّكُمْ - وَاللَّهِ -
لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ ^(٦٣٣) ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا
يُضِلُّكُمْ ، وَيَقِيمُ أَوْدَكُمْ ^(٦٣٤) ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِضْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ
نَفْسِي . أَضَرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ ^(٦٣٥) ، وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ ^(٦٣٦) ! لَا تَعْرِفُونَ
الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَمَا يُبْطِلُكُمُ الْحَقُّ !

إيضاح: «البكار» بالكسر، جمع «بكر» بالفتح، وهو الفتى من الإبل.
و«العمدة» بكسر الميم، من «العمد» الورم والدبر، وقيل: «العمدة» التي كسرها ثقل
حملها، وقيل: التي قد انشدخت أسنمتها من داخل وظهرها صحيح. و«الثياب
المتداعية» الخلقة التي تتخرق فكأنه يدعو الباقي إلى الانحراق. و«حاص الثوب يحوصه
حوصاً» خاطه. و«تهتكت» أي تخرقت. و«أطلّ عليكم» أي أقبل إليكم ودنا منكم،
وفي بعض النسخ بالمهملة أي أشرف. و«المنسر» - كمجلس وكمنبر - القطعة من
الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير. و«الجحر» بالضم، كل شيء يحتفره السباع والهوام
لأنفسها، و«جحر الضب» - كمنع - أي دخله، و«جحره غيره» أدخله فأنجحر و
تجحر وكذلك «أجحره». و«الضبع» مؤنثة. و«وجارها» بالكسر، جحرها.
و«الأفوق» العكسور الفوق. و«التاصل» المنزوع النصل. و«الباحة» الساحة.
و«الراية» العلم. و«الأود» بالتحريك، العوج. والمراد بما يصلحهم إقامة مراسم
السياسة من القتل والتعذيب والحيل والتدابير المخالفة لأمر الله - تعالى - .
و«الضراعة» الذل والاستكانة. و«التعس» الهلاك والانحطاط. و«الجدّة» البخت و
الحظ والغرض الدعاء عليهم بالحزني والخيبة.

قوله - عليه السلام - «لا تعرفون الحق» المراد بالحق إما أوامر الله - تعالى -
وأمر الآخرة، وبالباطل زخارف الدنيا، أو الحق متابعته - عليه السلام - ونصره،
والباطل عصيانه وترك نصرته، أو الحق الدلائل الدالة على فرض طاعته، والباطل
الشبه الفاسدة كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة. والمعرفة إما العلم أو العمل بما يقتضيه

من نصرة الحق وإنكار المنكر. ٢٣٨

٧٠ -

في سحرة (٦٣٧) اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي (٦٣٨) وَأَنَا جَالِسٌ ، فَسَنَحَ (٦٣٩) لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : « أَذْعُ عَلَيْهِمْ » فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ رِبِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الشريف : يعني بالأود الاعوجاج ، وباللد الخصام . وهذا من أفصح الكلام .

بيان : «السحرة» بالضم، السحر الأعلى. و«ملك العين» كناية عن غلبه النوم. و«سنح لي» أي رأيته في المنام، أو مررتي معترضاً. وبناء التفضيل في «شراً» على اعتقاد القوم فإنهم لما لم يطيعوه حق الطاعة فكأنهم زعموا فيه شراً. ٢٣٩

٧١ -

في ذم أهل العراق

وفيهما يوجبهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم ، ثم تكديبهم له

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا

٢٣٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٥، ط كمباني وص ٦٣٤، ط تبريز.

٢٣٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٥، ط كمباني وص ٦٣٤، ط تبريز.

أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ^(٦٤٠) وَمَاتَ قِيَمُهَا^(٦٤١) ، وَطَالَ تَأْيِمُهَا^(٦٤٢) ، وَوَرِثَهَا
 أَبْعَدُهَا . أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْنُكُمْ أَخْتِيَارًا ؛ وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا . وَلَقَدْ
 بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلَيَّ يَكْذِبُ ، قَاتِلُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ! فَعَلَى مَنْ
 أَكْذَبُ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ
 مَنْ صَدَّقَهُ ! كَلَّا وَاللَّهِ ، لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ
 أَهْلِهَا . وَيَلُ أُمِّهِ^(٦٤٣) كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ . « وَلَتَعْلَمَنَّ
 نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ » .

توضيح: «أملصت» أَلَقْتُ ولدها ميتاً، و«الملاص» معتادته. و«قيم المرأة» زوجها لأنه يقوم بأمرها. و«تأيم المرأة» خلوها من الزوج. و«أبعدها» من لم يكن قرابة الولد ونحوه، والتشبيه بالمرأة الموصوفة لأنهم تحملوا مشاق الحرب فلما قرب الظفر رضوا بالتحكيم وحرموا الظفر وصار بعضهم خوارج و بعضهم شكاكاً. والمراد بالسوق الاضطراب، كأنَّ القضاء ساقه — عليه السلام — إليهم فإنه — عليه السلام — خرج لقتال أهل الجمل واحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة واتصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشام فاضطرَّ إلى المقام بينهم؛ وفي بعض النسخ «ولاجئكم شوقاً».

و«قاتلكم الله» أي قتلکم الله و لعنکم الله. و«كلًا» للردع و الإنكار أو بمعنى حقاً. و«اللهجة» اللسان أو يتجوز بها عن الكلام، والمراد ما لهجته — عليه السلام — أي ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها ولستم أهلًا لفهمها، أو لهجة رسول الله — صلى الله عليه وآله — أي سمعت كلامه — صلى الله عليه وآله — ولم تسمعه، ولو سمعتموه لم تكونوا من أهله.

و«الويل» حلول الشر وكلمة عذاب أو واد في جهنم، وإضافته إلى الأم دعاء عليها بأن تصاب بأولادها من قبيل ثكلته أمه، والضمير راجع إلى المكذب، وقيل: إلى مادَّة عليه الكلام من العلم الذي خصه به الرسول — صلى الله عليه وآله — وقال

هذه الكلمة قد تطلق للتعجب والاستعظام، يقال: «ويل أمّه فارساً» و مرادهم أتعظيم والمدح. و«كيلاً» انتصب لأنه مصدر في موضع الحال التمييز، أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً ولا أطلب لذلك ثمناً لوجدت حاملاً للعلم، وقيل: الكلمة تستعمل للترحم و التعجب والضمير راجع إلى الجاهل المكذب فالمفاد الترحم عليهم لجهلهم أوالتعجب من قوة جهلهم أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها. و قال في النهاية: قد يرد الويل بمعنى التعجب ومنه الحديث: «ويل أمّه مسعر حرب» تعجباً من شجاعته وجرأته وإقدامه، ومنه حديث عليّ —عليه السلام—: «ويل أمّه كيلاً بغير ثمن لوأنّ له وعاءً» أي يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً، وقيل «وي» كلمة مفردة، ولأمّه مفردة، وهي كلمة تفجع وتعجب وحذفت الهمزة من أمّه تخفيفاً وألقت حركتها على اللام وينصب ما بعدها على التمييز. انتهى.

و«الحين» بالكسر، الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أوقصر، والمعنى: لتعلمن ثمرة تكذيبكم وإعراضكم عما أبين لكم، إني صادق فيما أقول. ٢٤٠

٧٢ — وَمِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله
وفيه بيان صفات الله سبحانه وصفة النبي والدعاء له
صفات الله

اللَّهُمَّ دَاحِيَّ الْمَذْحُوتِ^(٦٤٤) ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ^(٦٤٥) ، وَجَابِلَ
الْقُلُوبِ^(٦٤٦) عَلَى فِطْرَتِهَا^(٦٤٧) : شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا .

صفة النبي

أَجْعَلْ شَرَائِفَ^(٦٤٨) صَلَوَاتِكَ ، وَنَوَامِي^(٦٤٩) بَرَكَاتِكَ ، عَلَى مُحَمَّدٍ

عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ^(٦٥٠) لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْغَلَقَ^(٦٥١) ،
وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ^(٦٥٢) ، وَالِدَّامِغِ
صَوَلَاتِ الْأَضَالِيلِ^(٦٥٣) ، كَمَا حُمِلَ فَاضْطَلَعَ^(٦٥٤) ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ ،
مُسْتَوْفِزًا^(٦٥٥) فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ^(٦٥٦) عَنْ قُدَمٍ^(٦٥٧) ، وَلَا وَاهٍ^(٦٥٨)
فِي عَزْمٍ ، وَاعِيًا^(٦٥٩) لِيُوحِيكَ ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ ؛
حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ^(٦٦٠) ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَاطِطِ^(٦٦١) ، وَهَدَيْتَ
بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ^(٦٦٢) الْفِتَنِ وَالْآثَامِ ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ
الْأَعْلَامِ^(٦٦٣) ، وَنَبَرَاتِ الْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ
عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ^(٦٦٤) ، وَشَهِيدُكَ^(٦٦٥) يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِثُكَ^(٦٦٦) بِالْحَقِّ ،
وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ .

الدعاء للنبي

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ^(٦٦٧) ؛ وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ^(٦٦٨)
مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ،
وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ، وَأَجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ
الْمَقَالَةِ ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطْبَةٍ فَضْلٍ . اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي
بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ^(٦٦٩) ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ^(٦٧٠) ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ ،
وَرَخَاءِ الدَّعَةِ^(٦٧١) ، وَمُنْتَهَى الطَّمَانِينَةِ ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ^(٦٧٢) .

تبين: «الخاتم لما سبق» أي الوحي والرسالة. و«الفتاح لما انغلق» يقال: «انغلق واستغلق» إذا عسرفتحه، أي فتح ما انغلق وأبهم على الناس من مسائل الدين و التوحيد والشرائع، والسبيل إلى الله—تعالى—. و«المعلن الحق بالحق» أي مظهر الدين بالمعجزات، أو بالحرب و الخصومة، يقال: «حاق فلاناً فحقه» أي خاصمه فغلبه، أو بالبيان الواضح، أو بعضه ببعض، فإنّ بالأصول تظهر الفروع، أو بمعونة الحق—تعالى—. و«الجيشات» جمع «جيشة» من «جاشت القدر» إذا ارتفع غليانها. و«الأباطيل» جمع «باطل» على غير قياس، أي دافع ثوران الباطل و فتن المشركين وما كانت عادة لهم من الغارات و الحروب. و«الدماغ» المهلك، من «دمغه» إذا شجّه حتى بلغ الدماغ، وفيه الهلاك. و«الأضاليل» أيضاً جمع «ضال» على غير قياس. و«الصولة» الحملة و الوثبة والسطوة. قوله— عليه السلام — «كما حمل» الكاف للتعليل، أي صلّ عليه لذلك أو للتشبيه، أي صلاة تشبه وتناسب ما فعل. قوله «فاضطلع» أي قوى على حمله، من الضلاعة، وهي القوة. قوله «مستوفزاً» أي مستعجلاً، و«النكول» الرجوع. و«القدم» بالضمّ، التقدّم والإقدام، أي لم يرجع عن التقدّم في الجهاد وغيره من أمور الدين. و«الوهي» الضعف. وتقول: «وعيت الحديث» إذا حفظته وفهمته. و«مضى في الأمر» نفذ، أي كان مصرّاً في إنفاذ أمرك وإجرائه. ويقال: «ورى الزند» أي خزجت ناره، وأوريته أنا. و«القبس» الشعلة و«القباس» الذي يطلب النار، والمراد بالقبس هنانور الحق، أي أشعل أنوار الدين حتّى ظهر الحق للمقتبسين. قوله «للخابط» أي الذي يخبط لولأضوء نوره. قوله «بعد خوضات الفتن»، «خاض الماء» دخله، أي بعد أن خاضوا في الفتن أطواراً. و«الأعلام» جمع «علم» وهو ما يستدلّ به على الطريق من منار وجبل ونحوهما. و«الموضحات» يحتمل الفتح و الكسر كما لا يخفى. و «نيرات الأحكام» أي الأحكام الواضحة الحقّة، و«المأمون» تأكيد، والمراد بالعلم المخزون الأمور التي لا تتعلق بالتكاليف لأنّها لا يخزن عن المكلفين. قوله— عليه السلام — «وشهيدك» أي شاهدك على الخلق. قوله «وبعيتك» أي مبعوثك بالدين الثابت. ٢٤١

٧٣ —

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أَخَذَ مروان بن الحكم أَسِيرًا يومَ الجمل ، فاستشفع^(٦٧٣) الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فكلماه فيه ، فخلى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام :

أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةٌ^(٦٧٤) ، لَوْ بَايَعْنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ^(٦٧٥) . أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ^(٦٧٦) ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ !

توضيح: «كفت يهودية» أي من شأنها الغدر والمكر، فإنه من شأنهم. و«السبة» الإست. و«الإمرة» بالكسر، الولاية. و«كباش القوم» رئيسهم، والتشبيه لمدة ملكه بلعقة الكلب أنفه للتنبيه على قصر أمرها، وكانت مدة إمرته أربعة أشهر وعشرًا، وروي ستة أشهر؛ و«الأكباش الأربعة» أربعة ذكور لصلبه، وهم عبد الملك وولي الخلافة، وعبد العزيز وولي مصر، وبشر وولي العراق، ومحمد وولي الجزيرة؛ ويحتمل أن يريد بالأربعة أولاد عبد الملك، وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام — لعنهم الله —، وكلهم ولي الخلافة ولم يلها أربعة إخوة إلّا هم. و«اليوم الأحمر» كناية عن شدته، ومن لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر، ولعله لكون الحمرة وصف الدم كُتِيَ به عن القتل، ويروى: موتاً أحمر. ٢٤٢

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

إيضاح: الحكم بن أبي العاص أومروان هو الذي طرده رسول الله — صلى الله عليه وآله — وآواه عثمان كماماً. والضمير في «إنها» يعود إلى الكفت المفهوم من البيعة لجريان العادة بأن يضع المبايع كفه في كفت المبتاع، والنسبة إلى اليهود لشيوخ الغدر فيهم. و«السبة» بالفتح، الإست، أي لوبائع في الظاهر لغدر في الباطن، وذكر السبة إهانة له. و«الإمرة» بالكسر، مصدر كالإمارة، وقيل: اسم. و«لعهقه» — كسمعه — لحسه، والغرض قصر مدة إمارته، وكانت تسعة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: أربعة أشهر وعشرة أيام. و«الكبش» بالفتح، الحمل إذا خرجت رباعيته، و«كبش القوم» رئيسهم. وفسر الأكثر الأكبش ببني عبد الملك: الوليد وسليمان ويزيد وهشام؛ ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء، وقيل هم بنومروان لصلبه: عبد الملك الذي ولي الخلافة، وعبد العزيز الذي ولي مصر، وبشر الذي ولي العراق، ومحمد الذي ولي الجزيرة، ولكل منهم آثار مشهورة. و«الولد» بالتحريك، مفرد وجمع. و«اليوم الأحمر» الشديد؛ وفي بعض النسخ: «موتاً أحمر» وهو كناية عن القتل. ٢٤٣

٧٤ — وَمِنْ خُطَبِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، أَلْتِمَاساً لِأَجْرِ
ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرَجِهِ (٦٧٧)

بيان: قوله — عليه السلام — «أني أحق بها» أي بالخلافة، والتفضيل كما في

قوله — تعالى —: «قُلْ أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» ^{٢٤٤}. و«الجزور عليه — عليه السلام — خاصة» غصب حقّه، وفيه دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقاً. والتسليم على التقدير المفروض وهو سلامة أمور المسلمين وإن لم يتحقّق الفرض لرعاية مصالح الإسلام والتقية. و«التماساً» مفعولاً له للتسليم. و«التنافس» الرغبة في النفيس المرغوب للانفراد به. و«الزخرف» بالضم، الذهب وكمال حسن الشيء. و«الزبرج» بالكسر، الزينة. ^{٢٤٥}

٧٥ —

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوْ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي ^(٦٧٨) ؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَالُ
سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي ! وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي . أَنَا حَجِيجُ
الْمَارِقِينَ ^(٦٧٩) ، وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ ^(٦٨٠) ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُغْرَضُ
الْأَمْثَالُ ^(٦٨١) ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ !

توضيح: «قرفه» — كضربه — أي اتهمه. و«وزعه عنه» صرفه وكفه.
و«السابقة» الفضيلة والتقدم، والمراد باللسان القول. و«الحجيج» المغالب بإظهار
الحجة. و«المارقون» الخارجون من الدين. و«الخصيم» الخصم. و«المرتابون» الشاكون
في الدين أوفي إمامته أوفي كلّ حقّ. و«المحاجة» المحاصمة إمّا في الدنيا أوفيها وفي
الآخرة.

وقال بعض الشارحين ^{٢٤٦} للنهج: روي عن النبيّ — صلى الله عليه وآله — أنه

٢٤٤ — الفرقان: ١٥.

٢٤٥ — بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمپاني وص ١٧١، ط تبريز.

٢٤٦ — المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد في شرحه للنهج، ج ٦، ص ١٧٠، ط بيروت.

سئل عن قوله — تعالى —: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»^{٢٤٧} فقال: عليّ و حمزة و عبيدة و عتبة و شيبة و الوليد... إلى آخر ما مرّ في الأخبار الكثيرة في غزوة بدر.
قال: وكان عليّ — عليه السلام — يكثر من قوله «أنا حجيج المارقين»؛ و يشير إلى هذا المعنى، وأشار إلى ذلك بقوله «على كتاب الله تعرض الأمثال» يريد قوله [—تعالى—]: «هَذَانِ خَصْمَانِ...» الآية.

وقال بعضهم: لمّا كان في أقواله و أفعاله — عليه السلام — ما يشبه الأمر بالقتل أوفعله فأوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه — عليه السلام —: «اللّه قتله و أنا معه»، و كتخلفه في داره عن الخروج يوم قتل، فقال: ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله، فإن دلّ على كون شيء من ذلك قتلاً فليحكم به و لا فلا.
و يحتمل أن يراد بالأمثال الحجج أو الأحاديث كما ذكرها في القاموس، أي ما أحتجّ به في مخاصمة المارقين و المرتابين ما يختصمون به في مخاصمتي ينبغي عرضها على كتاب الله حتّى يظهر صحتها أو فسادها؛ أو ما يسندون إليّ في أمر عثمان و ما يروى في أمري و أمر عثمان يعرض على كتاب الله.
و «بما في الصدور» أي بالنيّات و العقائد، أو بما يعلمه الله من مكنون الضمائر — لا على وفق ما يظهره المتخاصمان عند الاحتجاج — يجازي الله العباد.^{٢٤٨}

٧٦ — ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾

في الحث على العمل الصالح

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا^(٦٨٢) فَوَعَى^(٦٨٣)، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا^(٦٨٤)،
وَأَخَذَ بِحُجْزَةٍ^(٦٨٥) هَادٍ فَنَجَا. رَاقِبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا،

وَعَمِلَ صَالِحاً . اِكْتَسَبَ مَذْخُوراً^(٦٨٦) ، وَاجْتَنَبَ مَخْذُوراً ، وَرَمَى غَرَضاً ، وَأَحْرَزَ عَوْضاً . كَابَرَ هَوَاهُ^(٦٨٧) ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ . جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى عُدَّةً وَقَاتِيَهُ . رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ^(٦٨٨) ، وَلَزِمَ الْمَحْجَةَ^(٦٨٩) الْبَيْضَاءَ . اِغْتَنَمَ اَلْمَهْلَ^(٦٩٠) ، وَبَادَرَ اَلْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنْ اَلْعَمَلِ .

توضيح: «سمع حكماً» بالضم، أي حكمة وعلماً نافعاً. «فوعى» أي حفظ علماً وعملاً، و«الرشاد» الصلاح وهو خلاف الغي والضلال، وهو إصابة الصواب. و«رشد» — كتعب وقتل — والاسم «الرشاد»؛ كذا في المصباح. «فدنا» أي من الداعي أو الحق. و«الحجزة» بالضم، موضع شد الإزار ثم قيل للإزار: «حجزة» للمجاورة، والأخذ بالحجزة مستعار للاعتصام والالتجاء والتمسك بأحد. «فنجأ» أي خلاص من الضلالة وعواقبها. و«المراقبة» التردد والمحافظة، و«مراقبة الرب» التردد لأمره والعمل به والإقبال بالقلب إليه.

«قدّم خالصاً» أي عملاً خالصاً لله لم يشبهه رثاء ولا سمعة، و«تقديمه» فعله قبل أن يخرج الأمر من يده وبعثه إلى دار الجزاء قبل الوصول إليه. و«الاكتساب» الكسب. و«المذخور» الشيء النفيس المعد لوقت الحاجة إليه، وهو الأعمال الصالحة. و«المحذور» ما يحترز منه من سيئات الأعمال والأخلاق. و«الغرض» الهدف والمراد رمية إصابة الحق كمن رمى الغرض في المراماة ففاز بالسبق، وهو المراد باحراز العوض أي الفوز بالثواب، وقيل: المراد به أن يقصد بفعله غرضاً صحيحاً.^{٢٤٩}



وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقًا،
وَاللَّهُ لَشِنْ بَقِيَتْ لَهُمْ لَأَنْفُضْنَهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةَ !
قال الشريف : ويروى « التراب الوذمة » ، وهو على القلب (٦٩١).

قال الشريف : وقوله عليه السلام «لَيُفَوِّقُونَنِي» أي: يعطوني من المال قليلاً كَفُوقِ الناقة ، وهو الحلبة الواحدة من لبنها . والوِذَامُ : جمع وَذَمَة ، وهي الحُزَّة (٦٩٢) من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض .

بيان: «الحُزَّة» بالضم، هي القطعة من اللحم وغيره، وقيل: خاصة بالكبد، وقيل: قطعة من اللحم قطعت طولاً. و«الكرش» - ككتف - كما في النسخ و بالكسر، لكلّ مجترّ بمنزلة المعدة للإنسان، وهي مؤنثة. و«نفض الثوب وغيره» تحريكه ليسقط منه التراب وغيره.

وقال ابن الأثير في النهاية: «التراب» جمع «تَرَب» تخفيف «تَرَب» يريد اللحم التي تعفرت بسقوطها في التراب. و«الوذمة» المنقطعة الأوام، وهي السيور التي يشدّها عرى الدلو. قال الأصمعيّ: سألت شعبة عن هذا الحرف فقال: ليس هو هكذا، إنّها هو «نفض القصاب الوذام التربة» وهي التي قد سقطت في التراب. وقيل: الكروش كلّها تسمّى تربة، لأنّها يحصل فيها التراب من المرتع. و«الوذمة» التي أدخل باطنها، والكروش وذمة لأنّها مخمّلة، ويقال: أدخلها الوذم. ومعنى الحديث: لئن وليتهم لأطهرتهم من الدنس، ولأُطَيَّبَنَّهُمْ من [بعد] الخبث: وقيل: أراد بالقصاب السبع، والتراب أصل ذراع الشاة، والسبع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان ثم نفّضها. انتهى.

والظاهر أنّ المراد من النفض منعهم من غضب الأموال وأخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة ودفع بغيرهم وظلمهم ومجازاتهم بسيئات أعمالهم.

وقال ابن أبي الحديد^{٢٥٠}: اعلم أنّ أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج الإصفهاني في كتاب الأغاني بإسناد رفعه إلى الحرب بن حبيش، قال: بعثني سعيد بن

العاص وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى أهل المدينة وبعث معي هدية إلى عليّ — عليه السلام — وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا أمير المؤمنين. فلما أتيت عليّاً — عليه السلام — وقرأ كتابه، قال: لشدّما تخطر^{٢٥١} عليّ بنو أمية تراث محمد — صلى الله عليه وآله — أما والله لئن وليتها لأنفضها بنفس القصاب التراب الزومة.

قال أبو الفرج: وهذا خطأ، وإنّما هو الودام التربة.

قال: وحدثني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة بإسناد ذكره في الكتاب: أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عايشة مولاه إلى عليّ بن أبي طالب — عليه السلام — بصلة، فقال عليّ — عليه السلام —: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة، والله لئن بقيت لأنفضنها كما أنفض القصاب التراب الزومة.^{٢٥٢}

٧٨ — وَمِنْ عِلَلِ السَّلامِ

من كلمات كان ، عليه السلام ، يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَاَيْتُ^(٦٩٣) مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي . اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ^(٦٩٤) ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ^(٦٩٥) ، وَشَهَوَاتِ
الْجَنَانِ^(٦٩٦) ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ^(٦٩٧) .

٢٥١- في المصدر: يظهره

٢٥٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧١، ط كمياني، ص ٣٤٩، ط تبريز.

٧٩ — وَمِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، وقد قال له : إن سرت يا أمير المؤمنين ، في هذا الوقت ، خشيت ألا تظفر بمرادك ، من طريق علم النجوم

فقال عليه السلام

أَتَزَعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ^(٦٩٨) ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَعْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ ؛ وَتَبَتَّغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ، لِأَنَّكَ - بِزَعْمِكَ - أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ ، وَأَمِنَ الضَّرَّ !!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ^(٦٩٩) ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ! سِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ .

بيان: «فن صدقك بهذا» كأنه أسقط السيد [رحمه الله—] من الرواية شيئاً

كما هو دأبه، وقدمَ تمامه. وعلى ما تقدّم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابة، وإن لم يكن سقط هنا شيء فيتمثل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عز وجل: «وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا»^{٢٥٣} ولقوله — سبحانه —: «قُلْ

لَا يَغْلِبُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ»^{٢٥٤} وقوله — جلّ وعلا —: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَغْلِبُهَا إِلَّا هُوَ»^{٢٥٥} وما أفاد مثل هذا المعنى؛ ويمكن حل الكلام على وجه آخر وهو أن قول المنجم بأنّ صرف السوء ونزول الضرّ تابع للساعة، سواء قال بأنّ الأوضاع العلوية مؤثرة تامة في السفليات ولا يجوز تخلف الآثار عنها، أو قال بأنّها مؤثّرات ناقصة ولكن باقي المؤثّرات أمور لا يتطرق إليها التغيّر، أو قال بأنّها علامات تدلّ على وقوع الحوادث حتماً فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنّه — سبحانه — يحوما يشاء ويثبت، وأنّه يقبض ويبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يفرغ من الأمر، وهو — تعالى — كلّ يوم في شأن، والظاهر من أحوال المنجمين السابقين وكلماتهم، جلّهم بل كلّهم، أنّهم لا يقولون بالتخلف وقوعاً أو إمكاناً، فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن وما علم من الدين والإيمان من هذا الوجه، ولو كان منهم من يقول بجواز التخلف ووقوعه بقدرة الله واختياره، وأنّه تزول نحوسة الساعات بالتوكّل والدعاء والتوسّل والتصدّق، وينقلب السعد نحساً والنحس سعداً، بأنّ الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أنّ الله — سبحانه — لم تتعلّق حكمته بتبديل أحكامها كان كلامه — عليه السلام — مخصوصاً بمن لم يكن كذلك؛ فالمراد بقوله «صرف عنه السوء وحاق به الضرّ» أي حتماً. قوله — عليه السلام — «(في قولك) أي على قولك، أو بسبب قولك، أو هي للظرفيّة المجازيّة.

«إلا ما يهتدى به» إشارة إلى قوله — سبحانه — «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ التَّجْوِمَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»^{٢٥٦}. و«الكهانة» بالفتح، مصدر قولك «كهن» بالضّم، أي صار كاهناً، ويقال: «كهن يكهن كهانة» مثل كتب يكتب كتابة، إذا تكهن. والحرفة الكهانة بالكسر، وهي عمل يوجب طاعة بعض الجنّ له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة، وهو قريب من السحر. قيل: قد كان في العرب كهنة كشقّ وسطيح وغيرهما، فمنهم من يزعم أنّ له تابعا من الجنّ ورثياً يليق إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنّه يعرف الأمور بمقتدات وأسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصّونه باسم العراف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان

الضلالة ونحوهما. ودعوة علم النجوم إلى الكهانة إما لأنه ينجّر أمر المنجم إلى الرغبة في تعلّم الكهانة و التكتسب به، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن. والسرّ قيل: هو كلام أو كتابة أوقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنه عقد الرجل عن زوجته، وإلقاء البغضاء بين الناس، ومنه استخدام الملائكة والجنّ واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب، واستحضارهم وتلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة وكشف الغائب على لسانه. [انتهى]. والظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر، وسيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت وماروت وتام تحقيقه في باب الكبائر. ووجه الشبه في تشبيه المنجم بالكاهن إما الاشتراك في الإخبار عن الغائبات، أو في الكذب والإخبار بالظنّ والتخمين والاستناد إلى الإشارات الضعيفة والمناسبات السخيفة، أو في العدول والانحراف عن سبيل الحقّ والتمسك في نيل المطالب ودرك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة وصدّهم عن التوسّل إلى الله — تعالى — بالدعاء والصدقة و سائر أصناف الطاعة، أو في البعد عن المغفرة والرحمة. ويجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين الأخيرين، والمشبه به في التشبيهات أقوى، ونتيجة الجميع دخول النار. ويمكن أن يكون قوله «والكافر في النار» إشارة إلى وجه الشبه وإن كان بعيداً، والمراد إما الخلود أو الدخول والأخير أظهر وإن كان تحقّقه في الكافر في ضمن الخلود.

وقال ابن ميثم^{٢٥٧} — رحمه الله — في شرح هذا الكلام منه — عليه السلام —: اعلم أنّ الذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبوية عن تعلّم^{٢٥٨} النجوم أمران:

أحدهما اشتغال متعلّمها^{٢٥٩} بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب والأوقات والاشتغال بالفرع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفرع إلى الله — تعالى — والغفلة عن الرجوع إليه فيما يهّم من الأحوال وقد علمت أنّ ذلك يضاّد المطلوب الشارع، إذ كان غرضه ليس إلّا دوام

٢٥٧- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢١٦ — ٢٢٠، ط بيروت.

٢٥٨- في (خ): تعلّم.

٢٥٩- في (خ): متعلّمها.

التفات الخلق إلى الله وتذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثاني أنّ الأحكام النجومية إخبارات عن أمور، وهي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبية، وأكثر الخلق من العوامّ أو النساء والصبيان لا يميّزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به، فكان تعلّم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات، إذ الإخبار عن الكائنات منها، وكذا في عظمة بارئهم ويشكّكهم في عموم صدق قوله — تعالى —: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»^{٢٦٠} [وقوله — تعالى —]: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»^{٢٦١} وقوله [— تعالى —]: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ —» الآية^{٢٦٢}. فالمنجم إذا حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأيّ أرض تموت، وذلك عين التكذيب للقرآن و كأنّ هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها. وأمّا مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أنّ أهل النظر إمّا متكلمون إمّا معتزلة أو أشعرية.

أمّا المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على أحد الأمرين: أحدهما أنّ الشريعة كذّبه وعندهم أنّ كلّ حكم شرعيّ فيشتمل على وجه عقليّ وإن لم يعلم عين ذلك الوجه، والثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أوفساد.

وأمّا الأشعرية فهم وإن قالوا لا مؤثّر في الوجود إلا الله — تعالى — وزعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب، إلا أنّه لا مانع على مذهبهم أن يجعل الله — تعالى — اتصال نجم بنجم أو حركته علامة على كون كائن أوفساده، وذلك ممّا لا يبطل على المنجم قاعدة، فيرجعون أيضاً إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه ومناقشته في ذلك.

وأمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت في أصولهم أنّ كلّ كائن فاسد في هذا العالم فلا بدّ له من أسباب أربعة: فاعليّ ومادّيّ وصوريّ وغائيّ. أمّا السبب الفاعليّ القريب فالحرركات السماوية والذي هو أسبق منها فالحرك ك لها إلى أن ينتهي إلى الجود

الإلهي المعطي لكلّ قابل ما يستحقّه، وأمّا سببه المادّي فهو القابل لصورته، وتنهي القوابل إلى القابل الأوّل وهو مادة العناصر المشتركة بينها، وأمّا الصوريّ فصورته التي تقبلها مادته، وأمّا الغائيّ فهي التي لأجلها وجد. أمّا الحركات السماوية فإنّ من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك، ومنها ما يحتاج إلى بعض دورة، ومنها ما يحتاج إلى جملة من أدواره. واتّصالاته. وأمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضاً أنّ قبولها لكلّ كائن معيّن مشروط باستعداد معيّن له، وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه، وهكذا قبل كلّ [صورة] صورة معدّة لحصول الصورة بعدها وكلّ صورة منها أيضاً يستند إلى الاتّصالات والحركات الفلكية، ولكلّ استعداد معيّن زمان معيّن وحركة معيّنة واتّصال معيّن يختصه لا يبي بدركها القوّة البشرية.

إذا عرفت ذلك فنقول: الأحكام النجومية إمّا أن تكون جزئية أو كلية.

أمّا الجزئية فإنّ يحكم مثلاً بأنّ هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا، وظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهة أسبابه، أمّا الفاعلية فإنّ يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتّصال المعيّن سبب للملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلاً وأنّه لا سبب فاعليّ لذلك إلّا هو، والأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أو هو مع غيره؛ أقصى ما في الباب أن يقال: إنّما كانت هذه الدورة وهذا الاتّصال سبباً لهذا الكائن لأنّها كانت سبباً لمثله في الوقت الفلانيّ، لكن هذا أيضاً باطل لأنّ كونها سبباً للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقاً دورة واتّصلاً، بل لعلّه أن يكون لخصوصيّة كونها تلك المعيّنة التي لا تعود بعينها فيما بعد، وحينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث لأنّ المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها، والثاني أيضاً باطل لأنّ العقل يحزم بأنّه لا اطلاع له على أنّه لا مقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلّا الاتّصال المعيّن، وكيف وقد ثبت أنّ من الكائنات ما يفتقر إلى أكثر من اتّصال واحد ودورة واحدة أو أقلّ. وأمّا القابلية فإنّ يعلم أنّ المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن واستجمعت جميع شرائط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والأرضية، وظاهر أنّ الإحاطة بذلك غير ممكنة للانسان.

وأما أحكامهم الكليّة فكان [كما] يقال كلّما حصلت الدورة الفلانيّة كان كذا، فالمنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متكرّرة، ولذلك يعدّلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربة، وقد علمت أنّ التجربة تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ والعقل يحصل منها حكماً كليّاً كحكمه بأنّ كلّ نار محرقة، فإنّه لمّا أمكن للعقل استنباط الإحراق بواسطة الحسّ أمكنه الجزم الكليّ بذلك.

فأما التشكّلات الفلكيّة و الاتّصالات الكوكبيّة المقتضية لكون ما يكون، فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت وإن جاز أن يكون تشكّلات وعودات متقاربة الأحوال ومتشابهة إلّا أنّه لا يمكن للانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت، وذلك أنّ حساب المنجّم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهور والأيام و الساعات والدرج و الدقائق وأجزائها وتنقسم الحركة بإزائها ورفع بينها نسبة عدديّة، وكلّ هذه أمور غير حقيقيّة وإنّما تؤخذ على سبيل التقريب؛ أقصى ما في الباب أنّ التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة، ومع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكليّ الثابت الذي لا يتغيّر باستمرار أثرها على وتيرة واحدة؟

ثمّ لو سلّمنا أنّه لا يظهر تفاوت أصلاً إلّا أنّ العلم بعود تلك الدورة لا يقتضي بمجرد العلم بعود الأثر السابق لتوقّف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد و سائر أسبابه العلويّة والسفليّة، وعلى ضبطها فإنّ العلم التجريبيّ إنّما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكرّرها، وكلّ ذلك ممّا لا سبيل للقوّة البشريّة إلى ضبطه، فكيف يمكن دعوى التجربة؟

ثمّ قال: واعلم أنّ الذي ذكرناه ليس لإبّيان أنّ الأصول التي يبني عليها الأحكاميون أحكامهم وما يخضعون به في المستقبل أصول غير موثوق بها، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام والجزم بها، وهذا لا ينافي كون تلك القواعد ممهدة بالتقريب، كقسمة الزمان وحركة الفلك والسنة والشهر واليوم مأخوذاً عنها حساب يبني عليه

مصالح إما دينية كمعرفة أوقات العبادات كالصوم والحج ونحوها وأدنيوية كآجال المداينات وسائر المعاملات وكمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة و السفر و أسباب المعاش، وكذلك معرفة قوانين تقريية من أوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافرون في برّ أو بحر، فإنّ ذلك القدر منها غير محرم، بل لعلّه من الأمور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفسد التي تشتمل عليها الأحكام كما سبق؛ ولذلك امتنّ الله - تعالى - على عباده بخلق الكواكب في قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»^{٢٦٣} وقوله «لِتَعْلَمُوا عَددَ السَّيِّئِ وَالْحَسَابِ»^{٢٦٤}.

أقول: وروى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط ممّا أورده السيّد - رحمه الله - نقلاً من كتاب صفين لابن ديزيل مرسلًا، قال: عزم عليّ - عليه السلام - على الخروج من الكوفة إلى الحوررية وكان في أصحابه منجم، فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذىً وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عليّ - عليه السلام - :أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت.

فقال - عليه السلام - : فن صدّقك بهذا فقد كذب بالقرآن، قال الله - تعالى - : «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية^{٢٦٥}.

ثم قال - عليه السلام - : إنّ محمداً - صلى الله عليه وآله - ما كان يدعي علم ما ادّعت علمه، أنزع من أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سارفيها، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سارفيها؟ فن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله - جلّ وعزّ - في صرف المكروه عنه، وينبغي للموقن بأمرك أن يوليكم الحمد دون الله - جلّ جلاله - لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من

سارفيها وصرفته عن الساعة التي يحق السوء بمن سارفيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدّاً ونذّاً. اللهم! لا طير إلا طيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا إله غيرك.

ثم قال: بل نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا.

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس! إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن، والكاهن كالكاfer، والكاfer في النار. أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً مابقيت، ولا حرمتك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنه المنجم فظفر بأهل النهر، وظهر عليهم ثم قال: لوسرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سارفي الساعة التي أمرها المنجم و ظفر وظهر. أما إنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وآله — منجم ولاننا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر. أيها الناس! توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي مَن سواه. ٢٦٦

وأقول: قال السيد الجليل علي بن طاووس — رحمه الله — في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلاً من النهج: إنني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه — رحمه الله — حديث المنجم الذي عرض لمولانا علي — عليه السلام — عند مسيره إلى النهروان مسنداً عن محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي القرشي، عن نصر بن مزاحم المقرئ، عن عمر ابن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحر، قال: «لما أراد أمير المؤمنين — عليه السلام — المسير إلى النهروان أتاه منجم...» ثم ذكر حديثه.

فأقول: إن في هذا الحديث عذّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت — عليهم السلام — على روايتهم، ويمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و

شهادتهم، وفيهم عمر بن سعد ابن أبي وقاص مقاتل الحسين — عليه السلام —، فإن أخباره ورواياته مهجورة ولا يلتصت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه؛ ثم طعن في الرواية بأنها لو كانت صحيحة لكان — عليه السلام — قد حُكِمَ في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنه من أصحابه أيضاً بأحكام الكفار، إما بكونه مرتدّاً عن الفطرة فيقتله في الحال، أو برّدته عن غير الفطرة فيتوبه، أو يمتنع من التوبة فيقتل لأن الرواية قد تضمنت أن المنجم كالكافر. أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأن الرواية تضمنت أنه كالكاهن والساحر.

وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنه حكم على هذا المنجم أحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعد ولا عزّره، بل قال: سيروا على اسم الله. والمنجم من جملتهم لأنه صاحبه، وهذا يدلّك على تباعد الرواية من صحة النقل، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل.

ثم قال: ومما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الرواي فيها «إنّ من صدّقك فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله» ونعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش وكثير من النحوس و يشرّون بالسلامة، ما ألزم من ذلك أن يولّهم الحمد دون ربههم.

ثم إنّنا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوّد من أهل الكهانة والسحرة، فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدعية التعوّد منه، وما عرفنا في الأدعية التعوّد من النجوم والمنجم إلى وقتنا هذا؛ ومن التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير منها وغيرها من صفات النبي — صلى الله عليه وآله — أنه لم يكن كاهناً ولا ساحراً، وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم، فلو كان المنجم كالكاهن والساحر ما كان يبعد أن يتضمّن بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات. [انتهى].

وأقول: أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة والعامة ولذا أورده السيّد في النهج، إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين؛ وضعف سند الرواية التي أورده الصدوق — رحمه الله — لا يدلّ على ضعف سائر الأسانيد، وعمر بن

سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين — عليه السلام — كما يظهر من كتابه كتاب الصّفين الذي عندنا فإن أكثر مارواه فيه رواه عن هذا الرجل، وفي كثير من المواضع «عمرو» مكان «عمر» ولم يكن الملعون من جملة رواة الحديث وجملة الأخبار، حتى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة؛ و أيضاً رواية نصر عنه بعيدة جداً، فإن نصرّاً كان من أصحاب الباقر — عليه السلام — والمعلون لم يبق بعد شهادة الحسين — عليه السلام — إلا قليلاً، والشواهد على كونه غيره كثيرة لا تخفى على المتدرب في الأخبار العارف بأحوال الرجال، وهذا من السيد — رحمه الله — غريب.

وأما قوله «أنّه — عليه السلام — لم يحكم بكفر المنجم فيرد عليه» أنّ الظاهر من التشبيه بالكافر أنّه ليس بكافر، وإنّما يدلّ على اشتراكه معه في بعض الصفات لافي جميع الأحكام حتى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة، على أنّه — عليه السلام — لم يشبهه بالكافر بل بالمشبه بالكافر. وأما قوله «ولا أبعد ولا عزّه» فيه أنّه قد ظهر ممّا رواه ابن أبي الحديد الإيعاد بالحبس المؤبد والتحريم من العطاء، ولم يعلم أنّه أصرّ المنجم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحقّ تعزيراً أو نكالاً، وعدم اشتمال رواية السيد على هذه الزيادة لا يدلّ على عدمها، فإنّ عادة السيد الاختصار على ما اختاره من كلامه — عليه السلام — بزعمه لاستيفاء النقل والرواية، مع أنّ عدم النقل في مثل هذا لا يدلّ على العدم؛ وكونه من أصحابه وبينهم لا يدلّ على كونه مرضياً، فإنّ جيشه — عليه السلام — كان مشتملاً على كثير من الخوارج و المنافقين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد وغيره أنّه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين ومثراً أكثر الفتن وأما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بين، فإنّ ما يهدي إليه الطلائع ونحوهم ليست أموراً يترتب عليها صرف السوء ونيل المحبوب حتماً، بل يتوقّف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع، وكلّ ذلك لا يتيسر الظفرها إلا بفضل مسبب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجم من أنّ الظفر يترتب حتماً على الخروج في الساعة التي اختاره وأما عدم التعوّد من النجوم والمنجم فلا أنّ المنجم إنّما يعود

ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنه يترتب منها ضرر كثير على الناس، مع أن الدعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات — وأوردناه في هذا الباب — يتضمن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم وطلب الاختيارات منها وأما عدم وصف النبي صلى الله عليه وآله — بأنه لم يكن منجماً لأن الكفار إنما كانوا يصفونه — صلى الله عليه وآله — بالسحر والكهانة والشعر، فورد براءته عنها ردّاً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم، مع أنه كان عالماً بالحق من علم النجوم وكان من فضائله. ٢٤٧

٨٠ — (من خطبته عليه السلام)

بعد فراغه من حرب الجمل ، في ذم النساء ببيان نقصهن

مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ أَمْرَاتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ . فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَظْمَنَ فِي الْمُنْكَرِ .

توضيح: الغرض ذم عايشة وتوبيخ من تبعها وإرشاد الناس إلى ترك طاعة النساء. و«نقصان الإيمان بالقعود عن الصلاة والصيام» لعله مبني على أن الأعمال أجزاء الإيمان وقعودهن وإن كان بأمر الله — تعالى — إلا أن سقوط التكليف لنوع من النقص فيهن، وكذا الحال في الشهادة والميراث. و«ترك طاعتهن في المعروف» إما

بالعدول إلى فرد آخر منه، أو فعله على وجه يظهر أنه ليس لطاعته بل لكونه معروفاً،
أوترك بعض المستحبات فيكون الترك حينئذٍ مستحباً كما ورد تركها في بعض الأحوال
كحال الملل. ٢٤٨

٨١ — ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

في الزهد

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قَصْرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ ، وَالتَّوَرُّعُ ^(٧٠٠)
عِنْدَ الْمَحَارِمِ ، فَإِنْ عَزَبَ ^(٧٠١) ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ،
وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَدْ أَعْدَرَ ^(٧٠٢) اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ
مُسْفِرَةٍ ^(٧٠٣) ظَاهِرَةٍ ، وَكُتِبَ بَارِزَةُ الْعَذْرِ ^(٧٠٤) وَاضِحَةً .

٨٢ — ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

في ذم صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ ^(٧٠٥) ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ،
وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ . مَنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ،
وَمَنْ سَاعَاهَا ^(٧٠٦) فَاتَتْهُ ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ ^(٧٠٧) ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا
بَصَرَتُهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ .

قال الشريف: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ» وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا تُبلغ غايته ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن إليه قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ» فإنه يحدد الفرق بين «أبصر بها» و«أبصر إليها» واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً! صلوات الله وسلامه عليه.

٨٣ — (خطبة الجمعة) السلام

وهي الخطبة العجيبة وتسمى «الغراء»

وفيها نعت الله جل شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الاعراض، ثم فضله عليه السلام في التذكير

صفته جل شأنه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ^(٧٠٨) ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ^(٧٠٩) ، مَانِحٍ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشِفٍ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزَلٍ^(٧١٠) . أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نَعْمِهِ^(٧١١) ، وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا^(٧١٢) ، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا ، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ^(٧١٣) وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ^(٧١٤) .

الوصية بالتقوى

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ^(٧١٥) ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ^(٧١٦) ، وَأَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ^(٧١٧) ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ^(٧١٨) ، وَأَحَاطَ

بِكُمُ الْإِحْصَاءِ^(٧١٩) ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ^(٧٢٠) ، وَآثَرَ كُمُ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ ،
وَالرَّفْدِ^(٧٢١) الرَّوَافِغِ^(٧٢٢) ، وَأَنْذَرَ كُمُ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ^(٧٢٣) ،
فَأَحْصَا كُمُ عَدَدًا ، وَوَضَعَ لَكُمُ مَدَدًا^(٧٢٤) ، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ^(٧٢٥) ، وَدَارِ
غِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا .

التفسير من الدنيا

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ^(٧٢٦) مَشْرَبُهَا ، رَدِغٌ^(٧٢٧) مَشْرَعُهَا ، يُوْنِقٌ^(٧٢٨) مَنْظَرُهَا ،
وَيُؤَبِقٌ^(٧٢٩) مَخْبَرُهَا . غُرُورٌ حَائِلٌ^(٧٣٠) ، وَضُوءٌ آفِلٌ^(٧٣١) ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ،
وَسِنَادٌ مَائِلٌ^(٧٣٢) ، حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا ، وَأَطْمَأَنَّ نَاكِيرُهَا^(٧٣٣) ، قَمَصَتْ
بَارِجُهَا^(٧٣٤) ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا^(٧٣٥) ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا^(٧٣٦) ،
وَأَعْلَقَتْ^(٧٣٧) الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ^(٧٣٨) قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ^(٧٣٩) ،
وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ^(٧٤٠) وَثَوَابِ الْعَمَلِ^(٧٤١) ، وَكَذَلِكَ
الْخَلْفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ^(٧٤٢) ، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا^(٧٤٣) ، وَلَا
يَرْغَوِي الْبَاقُونَ^(٧٤٤) اجْتِرَامًا^(٧٤٥) ، يَخْتَدُونَ مِثَالًا^(٧٤٦) ، وَيَمْضُونَ
أَرْسَالًا^(٧٤٧) ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُورِ الْفَنَاءِ^(٧٤٨) .

بعد الموت البعث

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَصَّصَتِ الدُّهُورُ ، وَأَزِفَ النُّشُورُ^(٧٤٩) ،
أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ^(٧٥٠) الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ^(٧٥١)

السَّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ ^(٧٥٢) إِلَى مَعَادِهِ ،
 رَعِيلاً صُمُوتاً ^(٧٥٣) ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ ^(٧٥٤) ، وَيُسْمِعُهُمُ
 الدَّاعِي ، عَلَيْهِمُ لَبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ ^(٧٥٥) ، وَضَرَعُ ^(٧٥٦) الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ .
 قَدْ ضَلَّتِ الْحِيلُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَهَوَتْ الْأَفْئِدَةُ ^(٧٥٧) كَاطِمَةً ^(٧٥٨) ،
 وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً ^(٧٥٩) ، وَالْجَمُّ الْعَرَقُ ^(٧٦٠) ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ ^(٧٦١) ،
 وَأُرْعِدَتِ ^(٧٦٢) الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي ^(٧٦٣) إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ ^(٧٦٤) ،
 وَمُقَايَظَةِ ^(٧٦٥) الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ ^(٧٦٦) الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ .

تنبيه الخلق

عِبَادُ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ أَقْتِسَاراً ^(٧٦٧) ، وَمَقْبُوضُونَ
 اخْتِصَاراً ^(٧٦٨) ، وَمُضْمَنُونَ أَجْدَاثاً ^(٧٦٩) ، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً ^(٧٧٠) ، وَمَبْعُوثُونَ
 أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ^(٧٧١) ، وَمُمَيِّزُونَ حِسَاباً ^(٧٧٢) . قَدْ أُنْهَلُوا فِي
 طَلَبِ الْمَخْرَجِ ، وَهَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ^(٧٧٣) ، وَعُمِّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ ^(٧٧٤) ،
 وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ الرِّيبِ ^(٧٧٥) ، وَخُلُّوا لِمُضْمَارِ الْجِبَادِ ^(٧٧٦) ، وَرَوِيَّةِ
 الْأَرْتِيَادِ ^(٧٧٧) ، وَأَنَاقَةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُتَرَادِ ^(٧٧٨) . فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ
 الْمَهَلِ ^(٧٧٩) .

فضل التذكير

فِيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً ^(٧٨٠) ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً
 زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً ، وَآرَاءَ عَازِمَةً ، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً ! فَاتَّقُوا اللَّهَ

تَقِيَّةً مِنْ سَمِعَ فَخْشَعَ ، وَأَقْتَرَفَ ^(٧٨١) ، فَاعْتَرَفَ ، وَوَجَلَ ^(٧٨٢) ، فَعَمِلَ ،
وَحَازَرَ فَبَادَرَ ^(٧٨٣) ، وَأَيَّقَنَ فَأَخْسَنَ ، وَعَبَّرَ فَاعْتَبَرَ ^(٧٨٤) ، وَحَذَّرَ فَحَذَرَ ،
وَزَجَرَ فَازْدَجَرَ ^(٧٨٥) ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ^(٧٨٦) ، وَرَاجَعَ فَتَابَ ، وَأَقْتَدَى
فَاحْتَذَى ^(٧٨٧) ، وَأَرَى فَرَأَى ، فَاسْرَعَ طَالِباً ، وَنَجَا هَارِباً ، فَأَفَادَ
ذَخِيرَةً ^(٧٨٨) ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَاداً ، وَأَسْتَظْهَرَ زَاداً ^(٧٨٩) ، لِيَوْمِ
رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ ^(٧٩٠) ، وَحَالَ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ
لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ ، وَأَحْذَرُوا مِنْهُ
كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ ^(٧٩١)
لِصِدْقِ مِيعَادِهِ ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

التذكير بضروب النعم

ومنها : جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعْبِيَ مَا عَنَاهَا ^(٧٩٢) ، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُو ^(٧٩٣)
عَنْ عَشَاهَا ^(٧٩٤) ، وَأَشْلَاءَ ^(٧٩٥) جَامِعَةً لِأَغْضَائِهَا ، مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا ^(٧٩٦) ،
فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا ، وَمُدِدِ عُمرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا ^(٧٩٧) ، وَقُلُوبٍ
رَائِدَةٍ ^(٧٩٨) لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلَّلَاتٍ ^(٧٩٩) نِعْمِهِ ، وَمُوجِبَاتٍ مِنْهُ ،
وَحَوَاجِزٍ ^(٨٠٠) عَافِيَّتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَفَ لَكُمْ
عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ ^(٨٠١) ، وَمُسْتَفْسَحِ
خَنَاقِهِمْ ^(٨٠٢) . أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَايَا ^(٨٠٣) دُونَ الْأَمَالِ ، وَشَدَّ بِهِمْ عَنْهَا ^(٨٠٤)
تَحْرِمٌ ^(٨٠٥) الْأَجَالِ . لَمْ يَمْهَدُوا ^(٨٠٦) فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَغْتَبِرُوا فِي

أَنْفٍ^(٨٠٧) الْأَوَانِ . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةٍ^(٨٠٨) الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي
 الْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةٍ^(٨٠٩) الصُّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ
 الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَةَ الْفَنَاءِ ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ^(٨١٠) ، وَأَزُوفِ^(٨١١) الْإِنْتِقَالِ ،
 وَعَلَزِ^(٨١٢) الْفَلَقِ ، وَالْمِ الْمَمُضِ^(٨١٣) ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ^(٨١٤) ، وَتَلَفَتْ
 الْإِسْتِغَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ ، وَالْأَعِزَّةَ وَالْقُرَنَاءِ ! فَهَلْ دَفَعَتْ
 الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتْ النَّوَاحِبُ^(٨١٥) ، وَقَدْ غَوَدَ^(٨١٦) فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ
 رَهِينًا^(٨١٧) ، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا ، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُ^(٨١٨) جِلْدَتَهُ ،
 وَأَبْلَتِ النَّوَاحِلُ^(٨١٩) جِدَّتَهُ ، وَعَفَّتِ^(٨٢٠) الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا
 الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ^(٨٢١) ، وَصَارَتْ الْأَجْسَادُ شَحِيبَةً^(٨٢٢) بَعْدَ بَضْتِهَا^(٨٢٣) ،
 وَالْعِظَامُ نَخْرَةً^(٨٢٤) بَعْدَ قُوَّتِهَا ، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا^(٨٢٥) ،
 مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ^(٨٢٦)
 مِنْ سَيِّئِ زَلِيلِهَا^(٨٢٧) ! أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ
 وَالْأَقْرِبَاءِ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ^(٨٢٨) ، وَتَطْوُونَ
 جَادَتَهُمْ^(٨٢٩) ؟ ! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ
 فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ! كَانَ الْمَعْنِي سِوَاهَا^(٨٣٠) ، وَكَانَ الرُّشْدُ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا .

التحذير من هول الصراط

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ^(٨٣١) عَلَى الصَّرَاطِ وَمَزَالِي دَخْصِهِ^(٨٣٢) ، وَأَهَاوِيلِ

زَلَّيْهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ ^(٨٣٣) ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ
التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ ^(٨٣٤) الْخَوْفُ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ ^(٨٣٥)
نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ ^(٨٣٦) يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ ^(٨٣٧) الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ،
وَأَوْجَفَ ^(٨٣٨) الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ الْخَوْفُ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ ^(٨٣٩)
الْمَخَالِجَ ^(٨٤٠) عَنْ وَضَحِ ^(٨٤١) السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ ^(٨٤٢) إِلَى
النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ؛ وَلَمْ تَفْتِلْهُ ^(٨٤٣) قَاتِلَاتُ الْغُرُورِ ، وَلَمْ تَغْمِ ^(٨٤٤) عَلَيْهِ
مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ، ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى ، وَرَاحَةَ النُّعْمَى ^(٨٤٥) ، فِي
أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنَ يَوْمِهِ . وَقَدْ عَبَّرَ مَعْبَرِ الْعَاجِلَةِ ^(٨٤٦) حَمِيدًا ، وَقَدَّمَ
زَادَ الْأَجَلَةِ سَعِيدًا ، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ ^(٨٤٧) ، وَأَكْمَشَ ^(٨٤٨) فِي مَهَلٍ ،
وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ
قُدَمًا أَمَامَهُ ^(٨٤٩) . فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا !
وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا ! وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَخَصِيمًا ^(٨٥٠) !

الوصية بالقوى

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَآخَتَجَ بِمَا نَهَجَ ،
وَحَدَّرَكُمْ عُدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا ، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا ^(٨٥١) ،
فَاضِلٌّ وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ فَمَنِّي ^(٨٥٢) ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهَوَّنَ
مُوبِقَاتِ الْعِظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ ^(٨٥٣) ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ^(٨٥٤) ،

أَنكَرَ مَا رَيْنَ^(٨٥٥) ، وَأَسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

ومنها في صفة خلق الانسان

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَشُغِفِ الْأَسْتَارِ^(٨٥٦) ،
نُطْفَةً دِهَاقًا^(٨٥٧) ، وَعَلَقَةً مِحَاقًا^(٨٥٨) ، وَجَنِينًا^(٨٥٩) وَرَاضِعًا ، وَوَلِيدًا
وَيَافِعًا^(٨٦٠) ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا ، وَبَصَرًا لَاحِظًا ،
لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا ، وَيُقْصِرَ مُزْدَجِرًا ؛ حَتَّى إِذَا قَامَ أَعْتِدَالُهُ ، وَأَسْتَوَى
مِثَالُهُ^(٨٦١) ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا ، وَخَبَطَ سَادِرًا^(٨٦٢) ، مَاتِحًا فِي غَرْبِ
هَوَاهُ^(٨٦٣) ، كَادِحًا^(٨٦٤) سَعِيًا لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ^(٨٦٥)
أَرْبِهِ ؛ ثُمَّ لَا يَخْتَسِبُ رَزِيَّةً^(٨٦٦) ، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً^(٨٦٧) ؛ فَمَاتَ فِي
فِتْنَتِهِ غَرِيرًا^(٨٦٨) ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ^(٨٦٩) يَسِيرًا ، لَمْ يُفِدْ^(٨٧٠) عِوَضًا ،
وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا . دَهَمَتُهُ^(٨٧١) فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبْرِ جِمَاحِهِ^(٨٧٢) ،
وَسَنَّ^(٨٧٣) مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِرًا^(٨٧٤) ، وَبَاتَ سَاهِرًا ، فِي غَمَرَاتِ
الْآلَامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ
شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَلَادِمَةٍ^(٨٧٥) لِلصَّدْرِ قَلَقًا ، وَالْمَرْءِ فِي
سَكْرَةِ مُلْهِنَةٍ ، وَغَمْرَةٍ^(٨٧٦) كَارِثَةٍ ، وَأَنَّةٍ^(٨٧٧) مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ^(٨٧٨) ،
وَسَوْقَةٍ^(٨٧٩) مُتَعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا^(٨٨٠) ، وَجُذِبَ مُنْقَادًا

سَلِسًا^(٨٨١) ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ^(٨٨٢) ، وَنِضْوٍ^(٨٨٣) سَقَمَ ،
تَحْمِلُهُ حَفْدَةٌ^(٨٨٤) الْوِلْدَانِ ، وَحَشْدَةٌ^(٨٨٥) الْأَخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ،
وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ^(٨٨٦) ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ ؛ حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمُسَيِّعُ ،
وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ ، أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ^(٨٨٧) السُّؤَالِ ، وَعَشْرَةَ^(٨٨٨)
الْإِمْتِحَانِ . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةٌ نَزُولُ الْحَمِيمِ^(٨٨٩) ، وَتَصْلِيَّةُ
الْجَحِيمِ^(٨٩٠) ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ^(٨٩١) ، لَا فِتْرَةَ^(٨٩٢)
مُزِيحَةٍ ، وَلَا دَعَا^(٨٩٣) مُزِيحَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ ، وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ^(٨٩٤) .
وَلَا سِنَةً^(٨٩٥) مُسْلِيَةً ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ^(٨٩٦) ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ! إِنَّا
بِاللَّهِ عَائِدُونَ !

عِبَادَ اللَّهِ ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا^(٨٩٧) ، وَعَلِمُوا فَفَهِمُوا ، وَأَنْظَرُوا
فَلَهَوْا ، وَسَلَّمُوا فَنَسُوا ! أَمْهَلُوا طَوِيلًا ، وَمُنِحُوا جَمِيلًا ، وَحُذِرُوا
أَلِيمًا ، وَوُعِدُوا جَسِيمًا ! أَخْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُرَوِّطَةَ^(٨٩٨) ، وَالْعُيُوبَ
الْمُسَخِّطَةَ .

أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ^(٨٩٩)
أَوْ خَلَاصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ^(٩٠٠) ! أَمْ لَا ؟ « فَأَنَّى
تُؤَفِّكُونَ^(٩٠١) ! » أَمْ أَيْنَ تُضَرْفُونَ ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ

مِنَ الْأَرْضِ ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، قِيدُ قَدِّهِ (٩٠٢) ، مُتَعَفِّراً (٩٠٣) عَلَى خَدِّهِ ! الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخِنَاقُ (٩٠٤) مُهْمَلٌ ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فَيْئَةٍ (٩٠٥) الْإِزْشَادِ ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ الْإِخْتِشَادِ (٩٠٦) ، وَمَهْلِ الْبَقِيَّةِ ، وَأُنْفِ الْمَشِيَّةِ (٩٠٧) ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَأَنْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ (٩٠٨) ، قَبْلَ الضَّنْكِ (٩٠٩) وَالْمَضِيقِ ، وَالرُّوعِ (٩١٠) وَالزُّهُوقِ (٩١١) ، وَقَبْلَ قُدُومِ لُغَايِبِ الْمُنْتَظَرِ (٩١٢) وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ .

قال الشريف: وفي الخبر: أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب . ومن الناس من يسمي هذه الخطبة : « الغراء » .

بيان: «تصرمت» تقطعت . و«أزف» دنى وقرب . و«الأوجرة» جمع «وجار» وهوبيت السبع . و«الإهطاع» الإسراع في العدو . و«أهطع» إذا مدعنته وصوب رأسه . «رعيلاً» قال ابن الأثير: أي ركاباً على الخيل . انتهى . وأصل الرعيل القطيع من الخيل ، ولعل الأظهر تشبيههم في اجتماعهم وصوتهم بقطيع الخيل .

وقال ابن الأثير: في حديث ابن مسعود: «إنكم مجموعون في صعيد واحد ينفذكم البصر» . يقال: «نفذني بصره» إذا بلغني وجاوزني ، وقيل: المراد به ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم ، وقيل: أراد: ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد؛ قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وإنما هو بالمهملة ، أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من «نفذ الشيء وأنفذته» . وحل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن ، لأن الله يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده و يرون ما يصير إليه . و«اللبوس» بالفتح ، ما يلبس . و«الضرع» بالتحريك ، ما يصير سبباً لضراعتهم وخضوعهم .

قوله — عليه السلام — و«هوت الأفئدة كاظمة» مقتبس من آيتين: قوله

—تعالى: «وَأَفْتِدُتُّهُمْ هَوَاءً»^{٢٦٩} و قوله —تعالى: «إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِطِينَ»^{٢٧٠}

و قال الجزري: «الهيئة» الكلام الخفي الذي لا يفهم، وقال: فيه: «يلغ العرق منهم ما يلجمهم» أي يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام، يمنهم عن الكلام، يعني في المحشر يوم القيامة. و«الشفق» الخوف. ويقال: «زبره زبراً وزبرة» أي انتهره. ويقال: «قايضه مقايضة في البيع» إذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة منه.^{٢٧١}

توضيح: «وعاه يعيه» حفظه وجمعه. و«عناه الأمر يعنيه ويعنوه» أهّمه. و«العشا» بالفتح والقصر، سوء البصر بالليل والنهار، أو بالليل، أو العمى. و«تجلو» بمعنى تكشف، قيل: أقيم المجلو مقام المجلو عنه، والتقدير: لتجلو عن قواها عشاها، و قيل: كلمة «عن» زائدة أو بمعنى «بعد» والمفعول محذوف، والتقدير: لتجلو الأذى بعد عشاها، وهو بعيد؛ والمراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به، أو عن بصر القلب بأن يفرق بين الضارّ والنافع. و«الأشلاء» جمع «شلو» بالكسر، وهو العضو وفسه في القاموس بالجد أيضاً وجمعها للأعضاء على الثاني واضح، وعلى الأول يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل.

و أقول: يمكن ان يكون المراد بالأعضاء أجزاء الأعضاء. و«الملاءمة» الموافقة. و«الأحناء» جمع «حنو» بالكسر، وهو الجانب، وفي النهاية: «لأحنائها» أي معاطفها والغرض الإشارة إلى الحكم والمصالح المرعية في تركيب الأعضاء وترتيبها وجعل كلّ منها في موضع يليق بها كما يبين بعضها في علم التشريح وكتب منافع الأعضاء، والظرف متعلق بالملاءمة، وقيل: كأنه قال: مركبة ومصورة، فأتى بلفظة «في» كما نقول: «ركب في سلاحه أو بسلاحه» أي متسلحاً. و«الأرفاق» جمع «رفق»

٢٦٩- إبراهيم: ٤٣.

٢٧٠- الغافر: ١٨.

٢٧١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ١١٢.

بالكسر، وهو المنفعة؛ وفي القاموس: هو ما استعين به، والأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء سائر ما يستعين به الإنسان، والباء للاستعانة أو السببية بخلاف الأول، وروي «بأرماقها» و «الرمق» بقتة الروح. و «الرود» الطلب. «في مجللات نعمه» بصيغة الفاعل، أي النعم التي تجلّل الناس، أي تغطيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب. وقيل: أي التي تجلّل الناس وتعمّمهم من قولهم «سحاب مجلّل» أي يطبق الأرض، والظرف متعلّق بمحذوف والموضع نصب على الحال. والمراد ب «موجبات المن» على صيغة الفاعل، النعم التي توجب الشكر، ويروى على صيغة المفعول، أي النعم التي أوجبها الله على نفسه لكونه الجواد المطلق، وقيل: أي ماسقط من نعمه وأفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط.

و «حواجز العافية» ما يدفع المضار، ويروى «حواجز بليّته» أي ما يمنعها. والامتنان بستر الأعمار لكون الاطلاع عليها و اشتغال الخاطر بخوف الموت ممّا يبطل نظام الدنيا، والغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حدّه وانتهائه. و «خلف العبر» إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنها خليفة لهم.

«أم هذا الذي...» قيل: «أم» ههنا إمّا استفهاميّة على حقيقتها كأنه قال: أعظكم وأذكركم بحال الشيطان وإغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته؛ وإمّا أن تكون منقطعة بمعنى «بل» كأنه قال عادلاً وتاركاً لما وعظّم به: بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الذي حاله كذا. و «الشغف» بضمّتين، جمع «شغاف» بالفتح، وهو في الأصل غلاف القلب وحجابه، استعير هنا لوضع الولد. و «الدهاق» بكسر الدال، الذي أدهق، أي أفرغ إفراغاً [شديداً]، وقيل: «الدهاق» المملوءة من قولهم «دهق الكأس» — كجعله — ملأها؛ ويروى «دفاقاً» من «دفقت الماء» أي صبيته. و «الحق» المحو والإبطال والنقص، وسمّيت ثلاث ليال من آخر الشهر محافاً لأنّ القمر يقرب من الشمس فتمحقه، واستعير للعلة لأنّها لم تتصوّر [بعد] فأشبهت ما أبطلت صورته، وفي الأوصاف تحقير للإنسان كما أومئ إليه بالإشارة. و «الراضع» الطفل يرضع أمّه — كيستمع — أي يتمصّ ثديها، والأمّ مرضعة. و «الوليد» المولود و

كَأَنَّ المراد به الفطيم. و «اليافع» الغلام الَّذِي شَارَفَ الاحتلام وَلَمَّا يَحْتَلِمُ، يُقَالُ: أَيْفَعُ الْغُلَامُ فَهُوَ يَافِعٌ، وَهُوَ مِنَ النُّوَادِرِ.

قَالَ فِي «سِرِّ الْأَدَبِ» فِي تَرْتِيبِ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ: هُوَ مَا دَامَ فِي الرَّحِمِ جَنِينًا، فَإِذَا وَلِدَ فَوَلِيدٌ، ثُمَّ مَا دَامَ يَرْضَعُ فَرْضِيعٌ، ثُمَّ إِذَا قَطَعَ مِنْهُ اللَّبَنُ فَهُوَ فَطِيمٌ، ثُمَّ إِذَا دَبَّ وَنَمَى فَهُوَ دَارِجٌ، فَإِذَا بَلَغَ طَوْلَهُ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ فَهُوَ خَمَاسِيٌّ، فَإِذَا سَقَطَتْ رَوَاضِعُهُ فَهُوَ مَثْغُورٌ، فَإِذَا نَبَتَ أَسْنَانُهُ بَعْدَ السَّقُوطِ فَهُوَ مَثْغَرٌ، فَإِذَا تَجَاوَزَ الْعِشْرَ أَوْ جَاوَزَهَا فَهُوَ مَتَرَعِرَعٌ وَنَاشِئٌ، فَإِذَا كَادَ يَبْلُغُ الْحِلْمَ أَوْ بَلَغَهُ فَهُوَ يَافِعٌ وَمَرَاهِقٌ، فَإِذَا احْتَلَمَ وَاجْتَمَعَتْ قُوَّتُهُ فَهُوَ حَرُورٌ، وَاسْمُهُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ غُلَامٌ، فَإِذَا اخْضَرَ شَارِبُهُ قِيلَ: قَدْ بَقِلَ وَجْهُهُ، فَإِذَا صَارَ ذَافِتَاءً فَهُوَ فُتِيٌّ وَشَارِخٌ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَحِيَّتُهُ وَبَلَغَ غَايَةَ شَبَابِهِ فَهُوَ مُجْتَمِعٌ، ثُمَّ مَا دَامَ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ فَهُوَ شَابٌ، ثُمَّ هُوَ كَهْلٌ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ السِّتِينَ، وَقِيلَ: إِذَا جَاوَزَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِلَى إِحْدَى وَخَمْسِينَ، فَإِذَا جَاوَزَهَا فَهُوَ شَيْخٌ.

«ثُمَّ مَنَحَهُ» أَيِ اعْطَاهُ. وَ «الْإِلَافُ» الْوَسْطَى، وَيُقَالُ: «لَحِظْ» إِذَا نَظَرَ بِمُؤَخَّرِ عَيْنَيْهِ وَكَأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا مُطْلَقَ النَّظَرِ. وَ «يَقْصُرُ» عَلَى بِنَاءِ الْإِفْعَالِ، أَيِ يَنْتَهِي. وَالْمَعْنَى: اعْطَاهُ الْقُوَى الثَّلَاثَةَ لِيَعْتَبَرَ بِحَالِ الْمَاضِيْنَ وَمَا نَزَلَ بِسَاحَةِ الْعَاصِيْنَ، وَيَنْتَهِي عَمَّا يَفْضِيهِ إِلَى أَلِيمِ النِّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، أَوْ لِيَفْهَمُ دَلَالَةَ الصَّنْعِ وَالْقُدْرَةِ، وَيَسْتَدَلَّ بِشَوَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَى وَجُوبِ الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَيَنْزَجِرَ عَنِ الْخِلَافِ وَالْعَصْيَانِ وَ يَتَخَلَّصَ عَنِ الْخِيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ. وَ «الْإِعْتِدَالُ» التَّنَاسُبُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَالتَّوَسُّطُ بَيْنَ الْحَالِيْنَ فِي كَمِّ أَوْ كَيْفٍ، وَ «قِيَامُ الْإِعْتِدَالِ» تَمَامُ الْخُلُقَةِ وَالصُّوْرَةِ وَتَنَاسُبُ الْأَعْضَاءِ وَ خُلُقُهَا عَنِ النِّقْصِ وَالزِّيَادَةِ، وَ كَمَالُ الْقُوَى الْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا فِي تَحْصِيلِ الْمَآرَبِ. وَ «اسْتَوَى» أَيِ اعْتَدَلَ، وَ «الْمِثَالُ» بِالْكَسْرِ، الْمَقْدَارُ وَصِفَةُ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ: «اسْتَوَى الرَّجُلُ» إِذَا بَلَغَ أَشَدَّهُ، أَيِ قُوَّتَهُ، وَ هُوَا بَيْنَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ إِلَى ثَلَاثِينَ. وَ «نَفَرَتْ الدَّابَّةُ» — كَضَرَبَ — أَيِ فَرَّ وَذَهَبَ. ٢٧٢

بَيَانُ: «بَهْتُهُ» أَخَذَهُ بَغْتَةً، وَ «بَهْتُهُ» أَيِ دَهَشَ وَ تَحَيَّرَ. وَ «فُورَةُ الْحَرِّ»

شَدَّتْهُ. ٢٧٣

٨٤ — خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ^(٩١٣) ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ^(٩١٤) ، وَأَنِّي
أَمَرْتُ تِلْعَابَةً^(٩١٥) : أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ^(٩١٦) ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً ، وَنَطَقَ آثِمًا .
أَمَّا — وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ — إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُّ فَيُخْلِفُ ،
وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ^(٩١٧) ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ
الْأَيْلَ^(٩١٨) ؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ ! مَا لَمْ تَأْخُذِ
السُّيُوفُ مَآخِذَهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ
سُبَّتَهُ^(٩١٩) . أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ
مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ
يُؤْتِيَهُ آتِيَةً^(٩٢٠) ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً^(٩٢١)

بيان: «نبيغ الشيء» ظهر. قال بعض الشارحين: سميت أم عمرو النابغة

لشهرتها بالفجور وتظاهرها به. ٢٧٤ وسيأتي وصف نسيه — لعنه الله — و «زعم» —

كنصر — «زعماً» مثله، أي قال حقاً أو باطلاً، وأكثرما يستعمل في الباطل وما يشك

فيه. و «الدُّعَابَةُ» بالضَّم، المزاح، والمراد هنا الدُّعَابَةُ الخارجة عن الاعتدال. وروي

٢٧٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٤٣.

٢٧٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ٢، ص ٢٧٠، ط بيروت.

أنّه كان يقول لأهل الشام: إنّنا أخرنا عليّاً — عليه السلام — لأنّ فيه هزلاً لاجدّ معه؛ وتبع في ذلك أثر عمر... حيث قال يوم الشورى لَمّا أراد صرف الأمر عنه — عليه السلام —: «أنت لله لولا أنّ فيك دعاية». و «رجل تلعباة» بالكسر، أي كثير اللعب. و «المعافسة والعفاس» بالكسر، الملاعبة. وفي بعض نسخ الاحتجاج: «أعارس» مكان «أعافس» ولعله من «أعرس الرجل» إذا دخل بامرأته عند بنائها، وقد يطلق على الجماع. و «الممارسة» المزاوله. قال في النهاية ويطلق على الملاعبة ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: «زعم أنّي كنت أعافس و أمّارس» أي أُلعب النساء. و «ألحف» أي ألخ. و «الإلّ» بالكسر، العهد والقربة والخلف و الجار، ذكره الفيروزآبادي، والمراد بقطع الإلّ هنا قطع الرحم أو تضييع الحليف و الجار. و «المآخذ» على لفظ الجمع و في بعض النسخ على المفرد. و كلمة «كان» الأولى تامة والإشارة إلى أخذ السيوف مآخذها وهو التحام الحرب و مخالطة السيوف الرؤوس. و «أكبر» بالباء الموحدة وهو أظهر ممّا في بعض النسخ من المثالثة. و «المكيدة» المكر والحيلة. و «يمنح» — كيمنع — أي يعطي. و «السبة» الإست، أي العجز أو حلقة الدبر، والمراد بإعطاء القوم^{٢٧٥} سبته مذكّره أرباب السيرو يضرب به المثل من كشفه سوائه شاغراً برجليه لَمّا لقيه أمير المؤمنين — عليه السلام — في بعض أيّام صقّين وقد اختلطت الصفوف واشتعل نار الحرب، فحمل — عليه السلام — عليه فألقى نفسه عن فرسه رافعاً رجليه كاشفاً عبورته فانصرف — عليه السلام — عنه لافتاً وجهه. وفي ذلك قال أبو فراس:

ولاخير في دفع الأذى بمذلة كما ردّه أيّوماً بسوائه عمرو

و «الأتية» العطية. و «الرضخ» العطاء القليل. والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر، ولعلّ التعبير عنها بالرضيخة لقلّتها بالنسبة إلى ترك الدين.^{٢٧٦}

٢٧٥- في النهج: القِيم.

٢٧٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٧١، ط كمباني و ص ٥٢٦، ط تبريز.

٨٥ — وَمِنْ خُطْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيها صفات ثمان من صفات الجلال

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ،
وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تُعْقَدُ^(٩٢٢) الْقُلُوبُ
مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْرِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْقُلُوبُ .

ومنها : فَاتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَبَرِ النَّوَافِعِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ
السَّوَاطِعِ^(٩٢٣) ، وَازْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ الْبَوَالِغِ^(٩٢٤) ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ
وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ مَخَالِبُ الْأَمْنِيَّةِ ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ
الْأَمْنِيَّةِ ، وَدَهَمْتُمْ مُمْفِطَعَاتُ الْأُمُورِ^(٩٢٥) ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ^(٩٢٦) ،
فَ« كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » : سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مُحْشَرِهَا ؛ وَشَهِيدٌ
يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها هي صفة الجنة

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ،
وَلَا يَظُنُّ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا^(٩٢٧) .

٨٦ — وَمِنْ خُطْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيهما بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة
 قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلْبَةُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

عظة للناس

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ ، قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ ^(١٢٨) ، وَفِي
 فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ ^(١٢٩) ،
 وَلْيَمْهَذْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ . فَاللَّهُ اللَّهُ
 أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا اسْتَحْفَظْتُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوَدَعْتُكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ،
 فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدىً ، وَلَمْ
 يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى ، قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ ^(١٣٠) ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ ،
 وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ «الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» ، وَهَمَّرَ
 فِيكُمْ نَبِيَّهَ ^(١٣١) أَزْمَانًا ، حَتَّى اكْتَمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ -
 دِينُهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ - عَلَى لِسَانِهِ - مَحَابَّهَ ^(١٣٢) مِنْ
 الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْنِيَةَ ، وَأَتَّخَذَ
 عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابِ
 شَدِيدٍ . فَاسْتَذِرُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَأَصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ ^(١٣٣) ، فَإِنَّهَا

قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ ، وَالتَّشَاغُلُ عَنْ
 الْمَوْعِظَةِ ؛ وَلَا تُرَخَّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ
 الظُّلْمَةِ^(١٣٤) ، وَلَا تُدَاهِنُوا^(١٣٥) فَيَهْجَمَ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ . عِبَادَ
 اللَّهِ ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ؛ وَإِنْ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ
 أَغْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ؛ وَالْمَغْبُوتُ^(١٣٦) مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ ، وَالْمَغْبُوتُ^(١٣٧) مَنْ سَلِمَ
 لَهُ دِينُهُ ، « وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ » ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخَذَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ .
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ « يَسِيرَ الرِّيَاءِ^(١٣٨) شِرْكٌ » ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ^(١٣٩) ،
 وَمَخْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ^(١٤٠) . جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ
 عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرَفٍ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ . وَلَا
 تَحَاسَدُوا ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » ، وَلَا
 تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ^(١٤١) ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيَ الْعَقْلَ ، وَيُنْسِي
 الذِّكْرَ . فَاكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

٨٧ — وَمِنْ خُطَبِ الْإِمَامِ

وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبية إلى مكان
 العترة الطيبة والظن الخاطيء لبعض الناس

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ،
 فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ^(١٤٢) ؛ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى^(١٤٣) فِي

قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ الْقِرَى^(٩٤٤) لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ ،
وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ . نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ، وَارْتَوَى مِنْ عَذَابِ
فُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهْلًا^(٩٤٥) ، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا^(٩٤٦) .
قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ ، إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ
بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ
أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى . قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ
سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ^(٩٤٧) ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى
بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنْ أَلْحِبَالِ بَأْمَتْنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ،
قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ
عَلَيْهِ ، وَتَضْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ . مُصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَافُ

عَشَوَاتٍ^(٩٤٨) ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَاعُ مُعْضِلَاتٍ ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ^(٩٤٩) ،
يَقُولُ فِيهِمْ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلُمُ . قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ
مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ
نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً
إِلَّا أَمَّهَا^(٩٥٠) ، وَلَا مَظْنَةً^(٩٥١) إِلَّا قَصَدَهَا ، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ
زِمَامِهِ^(٩٥٢) ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ^(٩٥٣) ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ

كَانَ مَنْزِلُهُ .

صفات الفساق

وَأَخْرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَاِلٍ ،
وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلٍ
زُورٍ ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ ^(٩٠٤) عَلَى أَهْوَائِهِ ،
يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفْ
عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ؛ وَيَقُولُ : اَعْتَزِلْ الْبِدَعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ؛
فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانَ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى
فَيَتَّبِعُهُ . وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ . وَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ !

عبرة للنبي

« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ » وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ^(٩٠٥) ! وَالْأَعْلَامُ ^(٩٠٦) قَائِمَةٌ ، وَالْآيَاتُ
وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ ^(٩٠٧) مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ ^(٩٠٨) ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ ^(٩٠٩)
وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ ^(٩١٠) نَبِيَّكُمْ ! وَهُمْ أَزِمَةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَةُ
الصُّدُقِ ! فَانْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ
الْعِطَاشِ ^(٩١١) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
« إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ
بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ،

وَأَعْدِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَهُوَ أَنَا - ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ
 الْأَكْبَرِ^(٩٦٢) ! وَأَتْرَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ
 الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْبَسْتُكُمْ أَلْعَافِيَةَ
 مِنْ عَذْلِي ، وَفَرَشْتُكُمْ^(٩٦٣) الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ
 الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ،
 وَلَا تَتَغَلَّغُلْ إِلَيْهِ أَلْفِكْرُ .

ظن خاطو.

ومنها : حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةَ^(٩٦٤) ،
 تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا^(٩٦٥) ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا
 وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ^(٩٦٦) مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ
 يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً !

بيان: «فاستشعر الحزن» أي جعله شعاراً له. و «تجلبب الخوف» أي جعله
 جلباباً، وهو ثوب يشمل البدن. «فزهو» أي أضاء. و «القرى» الضيافة. «فقرّب على
 نفسه البعيد» أي مثل الموت بين عينيه. و «هون الشديد» أي الموت ورضي به و
 استعدّله، أو المراد بالبعيد أمله الطويل، وبتقريبه تقصيره له بذكر الموت، و «هون
 الشديد» أي كلف نفسه الرياضة على المشاق من الطاعات؛ وقيل: أريد بالبعيد رحمة
 الله، أي جعل نفسه مستعدة لقبولها بالقربات وبالشديد عذاب الله فهوته بالأعمال
 الصالحة، أو شدائد الدنيا باستحقاقها في جنب ما أعدّ له من الثواب.

«نظر» أي بعينه فاعتبر، أو قبله فأبصر الحق. «من عذب فرات» أي العلوم
 الحقّة والكالات الحقيقية؛ وقيل: من حبّ الله. «فشرب نهلاً» أي شرباً أولاً سابقاً

على أمثاله. «سبيلاً جديداً» أي لاغبارفيه ولاوعث: و «السربال» القميص. و «الردى» الهلاك. و «قطع غماره» أي ما كان مغموراً فيه من شدائد الدنيا. «من إصدار كلّ وارد عليه» أي هداية الناس. «وأنّى تؤفكون» أي تصرفون.^{٢٧٧} بيان: «تاه فلان» تحير. و «العمه» التردد على وجه التحير. والواو في قوله «وبينكم» للحال. و «الأزمة» جمع زمام وهو المقود، أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ماداروا. و «ألسنة الصدق» أي هم كاللسان للصدق لا يتكلم إلا بهم أو هم المتكلمون به ولا يظهر إلا منهم. «فأنزلوهم» أي أنزلوا العترة في صدوركم وقلوبكم بالتعظيم والانقياد لأوامرهم ونواهيهم واتمسك بهم «بأحسن المنازل» التي تنزلون القرآن أو بأحسن المنازل التي يدلّ عليها القرآن. و «ردوهم» من الورود وهو الحضور عند الماء للشرب. و «الهميم» الإبل العطاش. قوله — عليه السلام — «وأعذروا» قال ابن ميثم: طلب — عليه السلام — منهم العذر فيما يصيبهم ويلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته — عليه السلام —. قوله — عليه السلام — «فما لا يدرك» أي فيما ذكره لهم من خصائص العترة الطاهرة وفضلها، أي أمرنا صعب لا يهتدى إليه العقول. و «التغلغل» الدخول.^{٢٧٨}

بيان: «المنح» العطاء. و «الدرّ» في الأصل اللبن ثم استعمل في كلّ خير. و «ميجّ الشراب» قذفه من فيه، كتى — عليه السلام — بكونها مطعومة لهم عن تلذّذهم بها مدة ملكهم وبكونها ملفوظة من فيهم عن زواها عنهم. و «البرهة» مدة من الزمان لها طول. «ثم يلفظونها» أي يرمونها.^{٢٧٩}

٨٨ — خطبة في بيان أسباب تهلك الناس

وفيه بيان لأسباب التي تهلك الناس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ^(١٦٧) جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَنْهِيلٍ

٢٧٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٥٧.

٢٧٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٢، ط كمياني وص ٦٦٠، ط تبريز.

٢٧٩- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كمياني وص ٣١١، ط تبريز.

وَرَخَاءٌ ؛ وَلَمْ يَجْبُرْ^(١٦٨) عَظَمَ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ^(١٦٩) وَبَلَاءٍ ؛
وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ^(١٧٠) وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ !
وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ
بِبَصِيرٍ . فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطِئِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ
حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ ،
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعْفُونَ^(١٧١) عَنْ عَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ،
وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ . الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا
أُنْكَرُوا ، مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي أُلْهِمَاتِ
عَلَى آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا
يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

بيان: «القصم» الكسر. و«التمهيل» التأخير وكذلك الإرخاء. و«الرخاء»
سعة العيش. و«الجبر» إصلاح الكسر، كناية عن دفع الجبارين والظالمين. و«الأزل»
بالفتح، الضيق والشدة. و«في دون» أي أقل من ذلك. «ما استقبلتم من خطب» أي
شأن وأمروداهية، وروي «من عتب» أي مشقة؛ قيل: يعني مالا قوة في مستقبل زمانهم
من الشيب وولادة السوء وتنكر الوقت. و«ما استدبرتم من خطب» يعني ماتقدم من
الحروب والوقائع التي قضوها. و يروى «من خصب» وهورخاء العيش، فيمكن أن
يراد بالأمر المستقبلة والمستدبرة جميعاً المواضي باعتبارين.

قوله —عليه السلام—: «لا يعقون» في بعض النسخ بالتشديد من العقّة، فالمراد
بالعيب عيوب أنفسهم؛ وفي بعضها بالتخفيف، فالمراد عيوب غيرهم. «يعملون في
الشبهات» في بمعنى الباء، أوفيه توسع. قوله —عليه السلام—: «ما عرفوا» أي يعقولهم و

أهوائهم. «قد أخذ منها» الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهات والمعضلات. ٢٨٠

٨٩ - (خطبة علي بن أبي طالب عليه السلام)

في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الامام عنه

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ ^(٩٧٢) مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ،
وَأَعْتَزَامٍ ^(٩٧٣) مِنَ الْفِتَنِ ، وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَلَظُّ مِنَ الْحُرُوبِ ^(٩٧٤) ،
وَالدُّنْيَا كَاسِيفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ ؛ عَلَى حِينِ أَصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا ،
وَأَيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَأَغْوَرَارٍ ^(٩٧٥) مِنْ مَائِهَا ، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ،
وَضَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ ^(٩٧٦) لِأَهْلِهَا ، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا .
ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ^(٩٧٧) ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ ^(٩٧٨) ، وَشِعَارُهَا ^(٩٧٩) الْخَوْفُ ،
وَدِثَارُهَا ^(٩٨٠) السَّيْفُ . فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ ، وَادْكُرُوا تَيْكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ
وَلَاخَوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ ^(٩٨١) ، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ . وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ
بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَخْقَابُ ^(٩٨٢)
وَالْقُرُونُ ، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَضْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ . وَاللَّهِ مَا
أَسْمَعُكُمْ الرُّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعِكُمُوهُ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ
بِدُونَ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَنْسِ ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ
الْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ . وَوَاللَّهِ

مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهْلُوهُ ، وَلَا أَضْفَيْتُمْ بِهِ^(١٨٣) وَحُرْمُوهُ ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا^(١٨٤) ، رِخْوًا بِطَانُهَا^(١٨٥) ، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

بيان: «الفترة» انقطاع الوحي بين الرسل. و«الجمعة النوم». و«الاعتزام» العزم، كأنَّ الفتنة مصممة للهرج والفساد؛ وفي بعض النسخ بالراء المهملة، أي كثرة وشدة؛ و في الكافي: «واعترض» من قولهم: «اعترض الفرس» إذا مشى على غير طريق. و«التلظى» التلهب. و «الاغوار» ذهاب الماء، من «غار الماء» إذا ذهب، ومنه قوله-تعالى-: «إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا»^{٣٨}. و«الدروس» الامحاء. و«التجهّم» العبوس. والمراد بالجيفة ما كانوا يكتسبونه بالمكاسب المحرمة في الجاهلية أوما كانوا يأكلون من الحيوانات التي أرهقت روحها بغير التذكية. وفي تشبيهه الخوف بالشعار والسيف بالدار وجوه من اللطف والبلاغة. ٢٨٢

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «الفترة بين الرسل» انقطاع الوحي و الرسالة. و«الجمعة» النوم من الليل أو من أوله، والمراد نوم غفلة الأمم. و«الاعتزام» العزم، كأنَّ الفتنة مصممة للفساد والهرج، والاعتزام أيضاً لزوم القصد في المشي، فالعنى أنها مقتصدة في مشيها لا طمئنانها وأمنها. و يروى بالراء المهملة أي كثرة. و يروى «اعتراض» من «اعترض الفرس في الطريق» إذا مشى عرضاً. و«التلظى» التلهب. و في إضافة الكسف إلى النور توسع. و«غار الماء» ذهب، وكذا «اغواره» ذهابه في الأرض. و«التجهّم» العبوس. و«طعامها الجيفة» أي الحرام لأنهم كانوا يأخذونه بالنهب والغارات، أو الميتة لأنهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات. ولما كان الخوف باطناً شَبَّهه بالشعار، والسيف ظاهراً شَبَّهه بالدار. و«تيك» إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة. و«الأحقاب» جمع

«حُشْب» بضمتين، وهو الدهر.

و«والله ما بصرتم» لما بين — عليه السلام — أولاً أنه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل ولا القابل فقطع عذر الحاضرين من هذه، وكان مظنة أن يدعي مدّع منهم العلم بأمر يقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آباؤهم، دفع — عليه السلام — ذلك التوهم بهذا الكلام.

و«الصني» ما يصفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة، ولعل المراد بالبليّة فتنة معاوية. وقوله — عليه السلام — «جائلاً خطامها» كناية عن خطرها وصعوبة حال من ركن إليها وركبها، أو عن كونها مالكة لأمرها فإن البعير إذا لم يكن له من يقوده يجول خطامه. و«الخطام» الزمام. و«البطان» الحزام التي تجعل تحت بطن البعير، ورخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها. وتشبيه الدنيا وزخارفها بالظّل لعدم تأصله في الوجود ولكونه زائلاً بسرعة. و«الأجل» مدة العمر، ووصفها بالمعدود باعتبار أجزائه وكونه منتهى غاية المدعى تقديم مضاف أي ممدود إلى انقضاء أجل معدود، ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر، ووصفه بالمعدود على المجاز. ٢٨٣

٩٠ — ﴿قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته ، ويغتمها بالوعظ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ^(٩٨٦) ،
الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا ؛ إِذْ لَا سَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ
إِرْتَاجٍ ^(٩٨٧) ، وَلَا لَيْلٌ ذَا جٍ ^(٩٨٨) ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ ^(٩٨٩) ، وَلَا جَبَلٌ
ذُو فِجَاجٍ ^(٩٩٠) ، وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوَجَاجٍ ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ^(٩٩١) ،
وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْتِمَادٍ ^(٩٩٢) : ذَلِكَ مُبْتَدِعٌ ^(٩٩٣) الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ ^(٩٩٤) ، وَإِلَهُ

الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ^(٩٩٥) فِي مَرْضَاتِهِ : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ .

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ^(٩٩٦) ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَنْتَاهِيَ بِهِمُ الْغَايَاتُ .

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ^(٩٩٧) عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَأَتَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ، قَاهِرٌ مَنْ عَازَاهُ^(٩٩٨) ، وَمُدْمِرٌ مَنْ شَاقَّه^(٩٩٩) ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ^(١٠٠٠) ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ . مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ^(١٠٠١) ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنْفُسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ ، وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ^(١٠٠٢) ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعْنَ^(١٠٠٣) عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ .

بيان: «من غير روية» أي تفكر، لأنه يستلزم الجهل السابق وحدث أمر فيه لم يكن والاستكمال بعد النقص. «الذي لم يزل قائماً» أي بذاته أو بأحوال الخلق، وقدم مراراً. «دائماً» أي باقياً بذاته من غير علة. «ذات أبراج» أي بروج أو كواكب نيرة. و «الحجب» جمع الحجاب والمراد هنا ما سيأتي من الحجب النورانية التي تحت

العرش أو السماوات عبّر عنها بلفظين. و«الارتاج» في بعض النسخ بكسر الهمزة مصدر «أرتج الباب» أي أغلقه، وفي بعضها بالفتح جمع «رتج» بالتحريك، أو «رتاج» بالكسر، والأول الباب العظيم، والثاني الباب المغلق أو الذي عليه باب صغير. و«الداجي» المظلم. و«الساجي» الساكن. و«الفجاج» جمع «الفج» بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين. و«المهاد» بالكسر، الفراش. و«اعتمدت على الشيء» اتكأت عليه، وكلّ حيّ يعتمد على رجله في المشي وعلى غيرها، ويمكن أن يراد به القوة والتصرف. و«أبدعت الشيء وابتدعته» أي استخرجته وأحدثته، و«الابتداع» الخلق على غير مثال. و«وارثه» أي الباقي بعد فنائهم والمالك لما ملكوا ظاهراً، ولا يخفى صراحته في حدوث العالم. ٢٨٤

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «الروية» التفكر؛ والقائم في صفاته — تعالى — بمعنى الدائم الثابت الذي لا يزول، أو العالم بالخلق الضابط لأحوالهم أينما كانوا، أو قيامه توكيله الحفظه عليهم، أو حفظه للخلق وتديره لأمرهم، أو مجازاته بالأعمال، أو قهره لعباده واقتداره عليهم. و«الأبراج» قيل: هو جمع «البرج» بالضم، بمعنى الركن و أركانها أجزاؤها وتداويرها وخوارجها وامتعاتها، أو البرج بالمعنى المصطلح أي البروج الإثني عشر، والأظهر عندي أنه جمع «البرج» بالتحريك، أي الكواكب. قال الفيروز آبادي: «البرج الجميل» الحسن الوجه، أو الماضي البين المعلوم، والجمع أبراج. قوله — عليه السلام —: «ذات ارتاج» إما بالكسر مصدر «أرتج» أي أغلق، أو بالفتح جمع «الرتاج» وهو الباب المغلق، وفيه: أنه قلماً يجمع فعال على أفعال. وروي: «ذات رتاج» على المفرد. و«الداجي» المظلم. و«الساجي» الساكن. و«الفجاج» بالكسر، جمع «فج» بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين. و«المهاد» الفراش، أي أرض مبسوطة ممكنة للتعيش عليها كالمهاد. قوله — عليه السلام —: «ذواعتماد» أي ذوقوة وبطش، أو يسعى برجلين

فيعتمد عليها. و«دأب في عمله» أي جدّ وتعب، والشمس والقمر دائبان لتعاقبهما على حالة واحدة لا يفران ولا يسكنان، وروي: «دائبين» بالنصب على الحال، ويكون خبراً لمبتدأ «ييليان».

قوله — عليه السلام —: «وأحصى آثارهم» أي آثار أقدامهم ووطنهم في الأرض، وأحركاتهم وتصرفاتهم، أو ما يبق بعدهم من سنة حسنة أو سيئة، كما فسر به قوله — تعالى —: «وَنَكُتُ بِمَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ»^{٢٨٥}. وروي: «عدد أنفاسهم» على الإضافة. و«خائنة الأعين» ما يسارق من النظر إلى ما لا يحلّ، أو أن ينظر نظرة برية.

قوله — عليه السلام —: «(من الأرحام) متعلّقه بمستقرّهم ومستودعهم، بياناً لها على اللق والنشر، ولما كان تحقّق الغرض وكمال الذات وحلول الروح في الرحم عبر عنه بالمستقرّ وعن الظهر بالمستودع، ويكون الظرف أعني قوله «إلى أن تنتهي» متعلّقاً بالأفعال السابقة أي قسّم وأحصى وعدّد، ويكون تناهي الغاية بهم كناية عن موتهم؛ ويحتمل أن يكون المراد: مستقرّهم ومأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم في بطنها بعد الموت ويكون «(من)» بمعنى «مذ» أي مذ زمان كونهم في الأرحام والظهور إلى أن تنتهي الغاية أي إلى أن يحشروا في القيامة وصاروا إلى النعيم أو إلى الجحيم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالمستقرّ والمستودع من استقرّ فيه الإيمان ومن استودع الإيمان ثمّ يسلب كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، وتوجيه الظرفين بعد مامرّ غير خفيّ.

قوله — عليه السلام — «(في سعة رحمته) أي في حال سعة رحمته على أوليائه، واتّسعت رحمته لأوليائه في حال شدة نقمته على أعدائه، فالمراد تنزيهه — تعالى — عن صفة المخلوقين فإنّ رحمته لا تكون في حال غضبهم وبالعكس، أو اشتدّت نقمته على أعدائه في حال سعة رحمته عليهم فإنّ رحمته — تعالى — شاملة لهم في دنياهم وهم فيها يستعدّون للنقمة الشديدة، ولا يخفى بعده. و«المعازة» المغالبة. و«المدمر» المهلك. و«المشاقة» المعادة والمنازعة.

قوله — عليه السلام — «(وتنفّسوا قبل ضيق الخناق)» استعار لفظ التنفّس

لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالأعمال الصالحة في الدنيا واستعمار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت، أي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته. قوله - عليه السلام - «قبل عنف السياق» أي السوق العنيف عند قبض الروح، أوفي القيامة إلى الحساب.

قوله - عليه السلام - «من لم يعن» على بناء المجهول، أي لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم يمنعه المنع والزجر من غيرها، أو على بناء المعلوم كما روي أيضاً أي من لم يعن الواعظين له والمندرين على نفسه لم ينتفع بالوعظ والزجر لأن هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ. ٢٨٦

٩١ - (خطبة في الصلاة والسلام)

تعرف بخطبة الأشباح^(١٠٠٤)، وهي من جلائل خطبه عليه السلام روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلاً نراه عياناً لتزداد له حبا وبه معرفة، فغضب ونادى : الصلاة جامعة، فاجتمع للناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال :

وصف الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَالْجُمُودُ^(١٠٠٥) ، وَلَا يُكْدِيهِ^(١٠٠٦) الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ ؛ وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ؛ عِيَالُهُ

الْخَلَائِقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَانَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ
إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ .
الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ
لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ أَنَا سَيِّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ
تُدْرِكَهُ^(١٠٠٧) ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ ، وَلَا كَانَ
فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ . وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ^(١٠٠٨) عَنْهُ مَعَادِنُ
الْجِبَالِ ، وَضَحِكَتْ^(١٠٠٩) عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ ، مِنْ فِلِزُّ اللَّجَيْنِ
وَالْعَقِيَانِ^(١٠١٠) ، وَنُثَارَةُ الدُّرِّ^(١٠١١) وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ^(١٠١٢) ، مَا أَثَرَ ذَلِكَ
فِي جُودِهِ ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ
مَا لَا تُنْفِدُهُ^(١٠١٣) مَطَالِبُ الْأَنْعَامِ ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ^(١٠١٤)
سُؤَالُ السَّائِلِينَ ، وَلَا يُبْخِلُهُ^(١٠١٥) إِمْلَاحُ الْمُلْحِينِ .

صفاته تملو في القرآن

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ : فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتْتَمَّ بِهِ^(١٠١٦)
وَأَسْتَضِيءُ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ
عَلَيْكَ فَرَضُهُ ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى
أَثَرُهُ ، فَكُلُّ^(١٠١٧) عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ
عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ

السَّدِّ (١٠١٨) الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ
 مِنَ الْغَيْبِ الْمَخْجُوبِ ، فَمَدَحَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَعْتَرَفَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ
 تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ
 الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا ، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ
 سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا
 أَرْتَمْتَ الْأَوْهَامَ (١٠١٩) لِتُنْذِرَكَ مُنْقَطِعَ (١٠٢٠) قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ الْفِكْرَ الْمُبْرَأَ (١٠٢١)
 مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّهَتْ
 الْقُلُوبُ إِلَيْهِ (١٠٢٢) ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَضَتْ (١٠٢٣) مَدَاخِلُ
 الْأَعْقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ ، رَدَعَهَا (١٠٢٤)
 وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي (١٠٢٥) سُدْفِ (١٠٢٦) الْغُيُوبِ ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ -
 فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ (١٠٢٧) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يَنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ (١٠٢٨) كُنْهُ
 مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرُّوَبَاتِ (١٠٢٩) خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ
 عِزَّتِهِ . الَّذِي أَبْتَدَعَ الْخَلْقَ (١٠٣٠) عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَمْتَثَلُهُ (١٠٣١) ، وَلَا مِقْدَارٍ
 أَحْتَدَى عَلَيْهِ (١٠٣٢) ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ
 قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَأَعْتَرَفَ الْحَاجَةُ مِنْ
 الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ (١٠٣٣) قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ
 لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، فَظَهَرَتِ الْبِدَائِعُ الَّتِي أَخَذَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ ، وَأَعْلَامُ

حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْصَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاخُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ^(١٠٣٤) الْمُخْتَجِبَةِ^(١٠٣٥) لِتَدْبِيرِ حِجْمَتِكَ ، لَمْ يَغْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ نَبْرًا تَابِعِينَ مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : « تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ! كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ^(١٠٣٦) ، إِذْ شَبَّهُوا بِأَضْنَامِهِمْ ، وَنَحَلُّوكَ حَلِيَّةً^(١٠٣٧) الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمَجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ^(١٠٣٨) عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى ، بِقَرَائِبِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ ، فَتَكُونُ فِي مَهَبٍّ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا^(١٠٣٩) ، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونُ مَحْدُودًا مُصَرِّفًا^(١٠٤٠)

ومنها : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِيُوجِهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَضْعِبْ^(١٠٤١) إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَكَيْفَ

وَأِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ أَلْمُنْشَىءُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ
فِكْرِ آلِ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةَ غَرِيزَةٍ ^(١٠٤٢) أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجَرِبَةَ
أَفَادَهَا ^(١٠٤٣) مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ ، وَلَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ
الْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، لَمْ
يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِطِيِّ ^(١٠٤٤) ، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّيِّ ^(١٠٤٥) ، فَأَقَامَ
مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا ^(١٠٤٦) ، وَنَهَجَ ^(١٠٤٧) حُدُودَهَا ، وَلَآءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ
مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا ^(١٠٤٨) ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي
الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ ، وَالْغَرَائِزِ ^(١٠٤٩) وَالْهَيْئَاتِ ، بِدَايَا ^(١٠٥٠) خَلَائِقَ أَحْكَمَ
صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا !

ومنها في صفة السماء.

وَنَظَّمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا ^(١٠٥١) ، وَلَاحَمَ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا ^(١٠٥٢) ،
وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا ^(١٠٥٣) ، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ ^(١٠٥٤) بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ
بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، جُزُؤَنَهُ ^(١٠٥٥) مِعْرَاجِهَا ، وَنَادَاَهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ،
فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ^(١٠٥٦) ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِنَاقِ صَوَامِتَ ^(١٠٥٧)
أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصْدًا ^(١٠٥٨) مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ ^(١٠٥٩) عَلَى نِقَابِهَا ^(١٠٦٠) ،
وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ ^(١٠٦١) فِي خَرَقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ ^(١٠٦٢) ، وَأَمَرَهَا أَنْ
تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً ^(١٠٦٣) لِنَهَارِهَا ،

وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً^(١٠٦٤) مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ^(١٠٦٥) مَجْرَاهُمَا ،
 وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ،
 وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكُهَا^(١٠٦٦) ،
 وَنَاطَ^(١٠٦٧) بِهَا زَيْنَتَهَا ، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيْهَا^(١٠٦٨) وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا ،
 وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ^(١٠٦٩) تَسْخِيرِهَا
 مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعودِهَا ، وَثُجُوسِهَا
 وَسُعودِهَا .

ومنها هي صفة الملائكة

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ^(١٠٧٠) الْأَعْلَى
 مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ،
 وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا^(١٠٧١) ، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلَ^(١٠٧٢)
 الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ^(١٠٧٣) الْقُدُسِ^(١٠٨٤) ، وَسُتْرَاتِ^(١٠٧٥) الْحُجُبِ ،
 وَسُرَادِقَاتِ^(١٠٧٦) الْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ^(١٠٧٧) الَّذِي تَسْتَكُ^(١٠٧٨)
 مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتِ^(١٠٧٩) نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا ، فَتَقِفُ
 خَاسِئَةً^(١٠٨٠) عَلَى حُدُودِهَا . وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورِ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارِ
 مُتَفَاوِتَاتٍ ، « أُولِي أَجْنِحَةٍ » تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي
 الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ ، مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ ،

«بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» جَعَلَهُمُ اللَّهُ
فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَبِّبِ الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ
سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضِعَ
إِخْبَاتٍ ^(١٠٨١) السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلَّلاً ^(١٠٨٢) إِلَى تَمَاجِيدِهِ ،
وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً ^(١٠٨٣) وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامٍ ^(١٠٨٤) تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ
مُوصِرَاتُ الْأَثَامِ ^(١٠٨٥) ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ ^(١٠٨٦) عَقَبُ ^(١٠٨٧) اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ،
وَلَمْ تَزِمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا ^(١٠٨٨) عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَغْتَرِكِ الظُّنُونُ
عَلَى مَعَاقِدِ ^(١٠٨٩) يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِخْنِ ^(١٠٩٠) فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ ^(١٠٩١) مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ
عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُلُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ
فَتَقْتَرِعَ ^(١٠٩٢) بَرِينِهَا ^(١٠٩٣) عَلَى فِكْرِهِمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ
الدَّلْحِ ^(١٠٩٤) ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ ، وَفِي قَتَرَةِ ^(١٠٩٥) الظَّلَامِ
الْأَيْتَمِ ^(١٠٩٦) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ
كَرَايَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ^(١٠٩٧) الْهَوَاءِ ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ ^(١٠٩٨)
تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ ^(١٠٩٩)
أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ

الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ ^(١١٠٠) إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا
 عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ ^(١١٠١) مِنْ
 مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ ^(١١٠٢) قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةُ ^(١١٠٣) خَيْفَتِهِ ،
 فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِدِ ^(١١٠٤) طُولُ الرَّغْبَةِ
 إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبْقَ ^(١١٠٥) خُشُوعِهِمْ ،
 وَلَمْ يَتَوَلَّهُمْ إِلَّا عَجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ
 أَسْتِكَانَةُ ^(١١٠٦) الْأَجْلَالِ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ
 أَلْفَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ ^(١١٠٧) ، وَلَمْ تَغْضُ ^(١١٠٨) رَغَبَاتُهُمْ
 فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ ^(١١٠٩)
 أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجُؤَارِ ^(١١١٠) إِلَيْهِ
 أَصْوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ ^(١١١١) الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ ، وَلَمْ يَشْنُوا
 إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو ^(١١١٢) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ
 بِلَادَةُ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ ^(١١١٣) . قَدْ
 اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ ^(١١١٤) ، وَيَمَّمُوهُ ^(١١١٥) عِنْدَ
 انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ،
 وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ إِلَّا سِتْهَنَارَ ^(١١١٦) بِلُزُومِ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ ^(١١١٧) مِنْ
 قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ ^(١١١٨)

مِنْهُمْ ، فَيَنُوتُوا^(١١١٦) فِي جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ
السَّغْيِ^(١١٢٠) عَلَى أَجْتِهَادِهِمْ. لَمْ يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ
أَسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ^(١١٢١) ، وَلَمْ
يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ،
وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيبِ^(١١٢٢) ، وَلَا
أَقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ^(١١٢٣) الْهَمِّ ، فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفْكُكْهُمْ مِنْ رَبِّقَتِهِ
زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنَى^(١١٢٤) وَلَا فُتُورٌ ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ
إِهَابِ^(١١٢٥) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ^(١١٢٦) ، يَزْدَادُونَ
عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ، وَتَزْدَادُ عِزَّةَ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا

ومنها هي صفات الارض ومحموها علو الماء.

كَبَسَ^(١١٢٧) الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ^(١١٢٨) أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجَلَةٍ^(١١٢٩) ، وَلَجَجَ
بِحَارٍ زَاخِرَةٍ^(١١٣٠) ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِي^(١١٣١) أَمْوَاجِهَا ، وَتَضْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ
أَثْبَاجِهَا^(١١٣٢) ، وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ
الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ أَرْيَمَائِهِ إِذْ وَطِنَتْهُ
بِكُلِّكَلِيهَا^(١١٣٣) ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِيَا^(١١٣٤) ، إِذْ تَمَعَّكَتْ^(١١٣٥) عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ،
فَأَضْبَحَ بَعْدَ أَضْطِحَابِ^(١١٣٦) أَمْوَاجِهِ ، سَاجِيًا^(١١٣٧) مَقْهُورًا ، وَفِي
حَكَمَةٍ^(١١٣٨) الذَّلُّ مُنْقَادًا أَسِيرًا ، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَذْخُوءَةً^(١١٣٩) فِي لُجَّةِ

تِيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةٍ بَأْوِهِ ^(١١٤٠) وَأَغْتَلَاثِهِ ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُؤْ
غُلُوَاتِهِ ^(١١٤١) ، وَكَعَمَتُهُ ^(١١٤٢) عَلَى كِظَّةٍ ^(١١٤٣) جَرِيَّتِهِ ، فَهَمَدَ بَعْدَ
نَزَقَاتِهِ ^(١١٤٤) ، وَلَبَدَ ^(١١٤٥) بَعْدَ زَيْفَانٍ ^(١١٤٦) وَثَبَاتِهِ . فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ
مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا ^(١١٤٧) ، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ الْبُذْخِ ^(١١٤٨)
عَلَى أَكْنَافِهَا ، فَجَرَ يَنْابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ ^(١١٤٩) أَنْوْفِهَا ، وَفَرَّقَهَا
فِي سُهوبٍ ^(١١٥٠) بَيْدِهَا ^(١١٥١) وَأَخَادِيدِهَا ^(١١٥٢) ، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ
مِنْ جَلَامِيدِهَا ^(١١٥٣) ، وَذَوَاتِ الشَّنَاحِبِ الشَّمِ ^(١١٥٤) مِنْ صَيَاحِيدِهَا ^(١١٥٥) ،
فَسَكَنْتُ مِنَ الْمِيدَانِ ^(١١٥٦) لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا ^(١١٥٧) ،
وَتَغْلُغْلِهَا ^(١١٥٨) مُتَسَرِّبَةً ^(١١٥٩) فِي جَوَّاتِ خِيَاشِيمِهَا ^(١١٦٠) ، وَرُكُوبِهَا ^(١١٦١)
أَغْنَاقِ سُهُولِ الْأَرْضِينَ وَجَرَائِيمِهَا ^(١١٦٢) ، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوْ وَبَيْنِهَا ،
وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاقِهَا ^(١١٦٣) .
ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ^(١١٦٤) الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيعِهَا ^(١١٦٥) ،
وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً ^(١١٦٦) إِلَى بُلُوغِهَا ، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً
سَحَابٍ تُخَيِّي مَوَاتِهَا ^(١١٦٧) ، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلْفَ غَمَامِهَا بَعْدَ
أَفْتِرَاقِ لُمَعِهِ ^(١١٦٨) ، وَتَبَائِنِ قَرَعِهِ ^(١١٦٩) ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ ^(١١٧٠) لُجَّةُ
الْمُزْنِ فِيهِ ، وَالتَّمَعَ بَرَقُهُ فِي كُفِّهِ ^(١١٧١) ، وَلَمْ يَنْمَ وَمِیْضُهُ ^(١١٧٢) فِي
كَتْهَوْرِ رَبَابِهِ ^(١١٧٣) ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحَابًا ^(١١٧٤) مُنْدَارِكًا ،

قَدْ أَسَفَ هَيْدُبُهُ^(١١٧٥) ، تَمْرِ بِهِ^(١١٧٦) الْجُنُوبُ دِرَرٌ^(١١٧٧) أَهَاضِبِهِ^(١١٧٨)
 وَدُفَعَ شَايِبِهِ^(١١٧٩) . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بِوَانِيهَا^(١١٨٠) ، وَبَعَا^(١١٨١)
 مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَةِ^(١١٨٢) الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا ، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ^(١١٨٣)
 الْأَرْضِ النَّبَاتَ ، وَمِنْ زُغْرِ^(١١٨٤) الْجِبَالِ الْأَغْشَابَ ، فَهِيَ تَبْهَجُ^(١١٨٥)
 بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي^(١١٨٦) بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِبْطٍ^(١١٨٧) أَزَاهِيرِهَا^(١١٨٨) ،
 وَحَلِيَّةٍ مَا سُمِطَتْ^(١١٨٩) بِهِ مِنْ نَاضِرٍ أَنْوَارِهَا^(١١٩٠) ، وَجَعَلَ ذَلِكَ
 بَلَاغًا^(١١٩١) لِلْأَنَامِ ، وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ،
 وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلْسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا . فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ
 أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ
 جِبَلَّتِهِ^(١١٩٢) ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكُلُهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ
 عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ
 بِمَنْزِلَتِهِ ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ - مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ - فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ
 التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ
 بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي
 وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْنًا فَقَرْنًا ؛ حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّم - حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ^(١١٩٣) عُدْرَهُ وَنُدْرَهُ . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا

وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَمَهَا عَلَى الضُّيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمِيسُورِهَا
وَمَعْسُورِهَا ، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ
قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَبَلَهَا ^(١١٩٤) ، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفَرْجِ ^(١١٩٥)
أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا ^(١١٩٦) . وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا
وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ^(١١٩٧) ، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا ^(١١٩٨) ،
وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا ^(١١٩٩) . عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى
الْمُتَخَافَتِينَ ^(١٢٠٠) ، وَخَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ ^(١٢٠١) ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ
الْيَقِينِ ^(١٢٠٢) ، وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ ^(١٢٠٣) وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ
الْقُلُوبِ ^(١٢٠٤) وَغِيَابَاتُ الْغُيُوبِ ^(١٢٠٥) ، وَمَا أَضَعَتْ لِاسْتِرَاقِهِ ^(١٢٠٦)
مَصَائِخُ ^(١٢٠٧) الْأَسْمَاعِ ، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ ^(١٢٠٨) ، وَمَشَاتِي ^(١٢٠٩) الْهَوَامِّ ،
وَرَجَعِ الْحَنِينِ ^(١٢١٠) مِنَ الْمُؤْلَهَاتِ ^(١٢١١) ، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ ^(١٢١٢) ،
وَمُنْفَسَحِ ^(١٢١٣) الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ ^(١٢١٤) غُلْفِ الْأَكْمَامِ ^(١٢١٥) ،
وَمُنْقَمَعِ ^(١٢١٦) الْوُجُوشِ مِنْ غَيْرَانِ ^(١٢١٧) الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتِهَا ، وَمُخْتَبِإِ
الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ^(١٢١٨) الْأَشْجَارِ وَالْحَيَتِهَا ^(١٢١٩) ، وَمَغْرَزِ الْأَوْرَاقِ مِنْ
الْأَفْنَانِ ^(١٢٢٠) ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ ^(١٢٢١) مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ ^(١٢٢٢) ،
وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا ، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَآكِمِهَا ، وَمَا
تَسْفِي ^(١٢٢٣) الْأَعَاصِيرِ ^(١٢٢٤) بِذُيُولِهَا ، وَتَغْفُو ^(١٢٢٥) الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا ،

وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُتُبَانِ^(١٢٢٦) الرِّمَالِ ، وَمُسْتَقَرُّ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ
 بِذُرَا^(١٢٢٧) شَنَاخِيبِ^(١٢٢٨) الْجِبَالِ ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَابِجِ^(١٢٢٩)
 الْأَوْكَارِ ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ^(١٢٣٠) ، وَحَضَنْتْ^(١٢٣١) عَلَيْهِ أَمْوَاجُ
 الْبَحَارِ ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدُقَةُ لَيْلٍ^(١٢٣٢) ، أَوْ ذَرَّ^(١٢٣٣) عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا
 اعْتَقَبَتْ^(١٢٣٤) عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَابِجِ^(١٢٣٥) ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ^(١٢٣٦) ؛ وَأَثَرِ
 كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ
 شَفَةِ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِنْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ^(١٢٣٧) كُلِّ
 نَفْسٍ هَامَّةٍ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ؛ أَوْ قَرَارَةٍ^(١٢٣٨)
 نُطْفَةٍ ، أَوْ نُقَاعَةٍ^(١٢٣٩) دَمٍ وَمُضْغَةٍ ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسَلَالَةٍ ؛ لَمْ
 يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفْلَةٌ ، وَلَا اعْتَرَصَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ
 عَارِضَةٌ^(١٢٤٠) ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ^(١٢٤١) فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ
 مَلَالَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ ، وَأَخْصَاهُمْ عَدْدُهُ ، وَوَسَّعَهُمْ
 عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

دعاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوُضْفِ الْجَمِيلِ ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ ، إِنْ تُؤْمَلْ
 فَخَيْرُ مَأْمُولٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا
 أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوْجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ

الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ ؛
وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَيَّ مِنْ أَثْنِي عَلَيْهِ
مُثُوبَةٌ^(١٢٢) مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى
ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ
الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرِ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَادِحِ غَيْرُكَ ؛ وَبِي
فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا^(١٢٣)
إِلَّا مِنْكَ^(١٢٤) وَجُودُكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ
مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ؛ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ! »

التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق، عن محمد بن جعفر الأسدي، عن محمد بن
اسماعيل البرمكي، عن علي بن العباس، عن اسماعيل بن مهران، عن اسماعيل بن
الحق الجهنّي، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله—
عليه السلام—: مثله مع الاختصار، وقدمر في كتاب التوحيد. ٢٨٧

بيان: قدمضى شرح أكثر أجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد. ولعل غضبه
—عليه السلام— لعلمه بأن غرض السائل وصفه—سبحانه— بصفات الأجسام، أولاته
سأل بيان كنه حقيقته—سبحانه—، أو وصفه بصفات أرفع وأبلغ ممّا نطق به الكتاب
والآثار لزعمه أنه لا يكتفي في معرفته—سبحانه—؛ ويؤيد كلاً من الوجوه بعض
الفقرات.

و «جامعة» منصوبة على الحالية، أي عليكم الصلاة على رفع الصلاة كما حكى، أو احضروا الصلاة على نصبها جامعة لكل الناس. و ربّما يقرء برفعها على الابتداء والخبريّة. وهذا النداء كان شائعاً في الخطوب الجليّة وإن كان أصله للصلاة.

«لايفره» أي لا يكثره «المنع»^{٢٨٨} أي ترك العطاء. «ولا يكديه الإعطاء» أي لا يجعله قليل الخير مبطناً فيه؛ يقال: «كدت الأرض» إذا أبطأ نباتها، و«أكدى فلان الأرض» إذا جعلها كادية؛ وأولاً تردّه كثرة العطاء عن عادته فيه، من قولهم «أكديت الرجل عن الشيء» أي رددته عنه، ذكره الجوهري وقال: «الكدية» الأرض الصلبة، و«أكدى الحافر» إذا بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر، و«أكدى الرجل» إذا قلّ خيره و انتقص، يكون متعبداً ولازماً كنقص. وهذا في النسخ على بناء المفعول، والتعليل بالجمليتين باللفق والنشر المرتب أو المشوش لمطابقة الإعطاء و المنع في كلّ منها، وعلى التقديرين التعليل في الأولى ظاهر، والفقرة الثانية ليس في نسخ التوحيد وهو الصواب، وعلى تقديرها ففي أصل الجملة والتعليل بها معاً إشكال، أمّا الأول فلاّنه

٢٨٨- قوله - عليه الصلاة والسلام - «لايفره المنع» أي لا يكثره ترك الإعطاء ولا يزيد في ملكه. «ولا يكديه الإعطاء» أي لا يفقره ولا ينتقص من ملكه «إذ كلّ معطٍ منتقص سواء وكلّ مانع مذموم ما خلا». حسن الإعطاء والجود وقبح المنع والبخل من أحكام العقل العملي، وملاك الحكم أنّه يرى الإنسان محتاجاً إلى بني نوعه مفتقراً إلى التعاون والتعااض معهم حتّى يسعد في حياته ويبلغ غاية مناه، فلكلّ فرد من أفراد المجتمع قدم إلى تشكيّله وأثر في إبقائه، وحقّ على زملائه وحقّ عليهم جيماً أن يتحفّلوا على الاجتماع ويراقبوا ثغوره ويزبّوا عن حدوده، فحقّ على الأغنياء الثريين أن يبذلوا على الفقراء المعدمين ولا يدعوهم مفتقرين حتّى يهلكوا ويفقد المجتمع بعض أعضائه فينتقص الغرض ويخبى المسمى.

ومن الواضح عدم وجود هذا الملاك في الحقّ - سبحانه - لتعاليه عن الحاجة وترقّعه عن التقصان وتنزّهه عن الغرض الزائد على الذات، لكن حيث إنّ له - تعالى - مطلق الكمال والجمال وله الأسماء الحسنى والصفات العليا، كان ذاته المتعالية وصفاته الجميلة الغير الزائدة عليها مقتضية لصدور الأفعال الحسنة وكان كلّ أفعاله لاهالة حسنة جميلة، لكن ليس للعقل أن يحكم عليه بوجوب فعل الخير وترك الشرّ إلّا بمعنى إدراكه لاقتضاء ذاته - سبحانه - لها، وعلى هذا فلو صدر عنه - سبحانه - منع أيضاً كان حسناً لأنّه ليس لأحد عليه - تعالى - حقّ حتّى يحسن إعطاؤه ويقبح منعه، ولا يسأل عمّا يفعل وهم يتألّون. وهذا هو المراد بقول الإمام الثامن - عليه السلام -: «فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له وإن منعه منعه ما ليس له».

إن أريد بالمنع ما كان مستحسناً أو الأعم فكيف يصح الحكم بكونه مذموماً، وإن أريد به ما لم يكن مستحسناً فلا يستقيم الاستثناء.

ويمكن أن يجاب باختیار الثاني من الأول أي الأعم ويقال: المراد بالمذموم من أمكن أن يلحقه الذم، فيصير حاصل الكلام أن كل مانع غيره يمكن أن يلحقه الذم بخلافه — سبحانه —، فإنه لا يحتمل أن يلحقه بالمنع ذم أو يقال المانع لا يصدق على غيره — تعالى — إلا إذا بخل بما افترض عليه، وإذا أطلق عليه — سبحانه — يراد به مقابل المعطي، والمراد بالعنوان المعنى الشامل لهما. ويدل عليه مامر مرويّاً عن الرضا — عليه السلام — أنه سئل عن الجواد فقال — عليه السلام —: إن لكلامك وجهين: فإن كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد هو الذي يؤدي ما افترض الله — سبحانه — عليه و البخل هو الذي يبخل بما افترض الله عليه، وإن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منعه منعه ما ليس له.

وأما الثاني فيحتمل أن تكون جملة مستقلة غير داخلية تحت التعليل مسوقة لرفع توهم ينشأ من التعليل بعدم الانتقاص بالإعطاء، فإنّ لم توهم أن يقول: إذا لم ينقص من خزائنه شيء بالإعطاء فيجب أن لا يتصف بالمنع أصلاً، ولو اتصف به لكان مذموماً، مع أنّ من أسمائه — تعالى — المانع. فردّ ذلك الوهم بأنّ منعه — سبحانه — ليس للانتقاص بالإعطاء، بل لقيح الإعطاء وعدم اقتضاء المصلحة له، ومثل ذلك المنع لا يستتبع الذم واستحقاقه. ولوحلت على التعليل فيمكن أن يكون من قبيل الاستدلال بعدم المعلول على عدم العلة، فإنّ الوفور بالمنع أو إكداء الإعطاء^{٢٨٩} علة للبخل التابع للخوف من الفاقة، وهو علة لترتب الذم من حيث إنه نقص أو لاقضائه المنع وردّ السائل، ونفي الذم يدلّ على عدم الوفور أو الإكداء المدعى في الجملتين المتقدمتين.

«المَثَانُ بفوائد النعم» المَثَ يكون بمعنى الانعام وبمعنى تعديد النعم والأول هنا أظهر، وربّما يحمل على الثاني فإنّ منته — سبحانه — حسن وإن كان في المخلوق صفة ذم. و«الفائدة» الزيادة تحصل للإنسان من مال أو غيره. و«العائد» المعروف

[والعطف]، وقيل: «عوائد المزيد والقسم» معتادهما، و«المزيد» الزيادة ولعل المراد به ما لا يتوهم فيه استحقاق العبد. و«القسم» جمع «القسمة» وهي الاسم من «قسمه [كضربه] - وقسمه» بالتشديد، أي جزأه. و«عيال الرجل» بالكسر، أهل بيته ومن يموهنهم، جمع «عيل» وجمعه «عياثل».

«ضمن أرزاقهم» أي كفّلها. «وقد رَأَوْاهُم» أي جعل لكلّ منهم من القوت قدرًا تقتضيه الحكمة والمصلحة. و«نهج سبيل الراغبين إليه»، «نهجت الطريق» أبنته وأوضحته ونهج السبيل لصالح المعاد كما أنّ ضمان الأرزاق لصالح المعاش، ويحتمل الأعم. «ليس بما سئل - الخ» عدم الفرق بينها بالنظر إلى الجود لا ينافي الحث على السؤال لأنّه من معدّات السائل لاستحقاق الانعام، لأنّ نسبته - سبحانه - إلى الخلق على السواء، وإن استحقّ السائل ما لا يستحقّه^{٢٩٠} غيره بخلاف المخلوقين فإنّ السؤال يهيج جودهم بالطبع مع قطع النظر عن الاستعداد.

«الأوّل الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله» قيل: وجوده - سبحانه - ليس بزمانيّ فلا يطلق عليه القبلية والبعديّة كما يطلق على الزمانيات، فعنائه: الأوّل الذي لا يصدق عليه القبلية ليتمكن أن يكون شيء [ما] قبله، والآخر الذي لا يصدق عليه البعدية الزمانيّة ليتمكن أن يكون شيء ما بعده. وقد يحمل على وجه آخر وهو أنّه لم يكن سبقه عدم فيقال إنّهُ مسبوق بشيء من الأشياء إمّا المؤثّر فيه أو الزمان المقدّم عليه، وأنّه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيكون بعده شيء من الأشياء إمّا الزمان أو غيره. ويمكن أن يكون المراد بالقبل الزمان المتقدّم سواء كان أمراً موجوداً أو موهوماً، وبالشّيء موجوداً من الموجودات أي ليس قبله زمان حتّى يتصوّر تقدّم موجود عليه، وكذا بقاء موجود بعده.

«والرّادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه»، «الأناسيّ» بالتشديد، جمع «إنسان» وإنسان العين المثال الذي يرى في السواد، ولا يجمع على «أناس» كما يجمع الإنسان بمعنى البشر عليه. وقيل: «الأناسيّ» جمع «إنسان العين» مشدّد، والآخر يشدّد

و يخفف وقرء «أناسي كثيراً» بالتخفيف. و «ردعها» أي منعها كناية عن عدم إمكان إحساسها له لأنه — سبحانه — ليس بجسم ولا جسماني ولا في جهة. و «نلت الشيء» أصبته وأدركته، أي تبعته فلهفته، والمراد بالنيل الإدراك التام وبالإدراك غيره، ويحتمل العكس و أن يكون العطف لتغاير اللفظين أو يكون إشارة إلى جهتين لامتناع الرؤية، فالنيل إشارة إلى استلزام كونه ذاجهة وجسمانياً، والإدراك إلى أنه يستلزم وجود كنه ذاته في الأذهان وهو ممتنع كما أشرنا إليه في كتاب التوحيد.

«ما اختلف عليه دهر» ظاهره نفي الزمانية عنه — تعالى —، ويحتمل أن يراد به جريانه على خلاف مراده أحياناً وعلى وفق إرادته أحياناً حتى يلحقه ما يلحق الخلق من الشدة والرخاء والنعم والبؤس والصحة والسقم ونحو ذلك.

«ولو وهب ما تنفست» استعار التنفس هنا لإبراز المعادن ما يخرج منها كما يخرج الهواء من تنفس الحيوان. «وضحكت عنه» أي تفتحت وانشقت حتى ظهر و يقال للطلع حين تنشق «الضحك» بفتح الضاد، وقد مريبان لطف تلك التشبيهات. «والفلز» بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي، الجواهر المعدنية كالذهب والفضة، وفي الصحاح: ما ينقي^{٢٩١} الكبر مما يذاب من جواهر الأرض. «واللجين» مصغراً، الفضة، «والعقيان» بالكسر، الذهب الخالص. و «نثرت الشيء» — كنصرت — رميته متفرقاً، و «نثارة الدر» بالضم، ماتناثر منه، و «الدر» جمع «درة» وهي اللؤلؤة العظيمة أو مطلقاً. و «حصد الزرع» قطعه بالمنجل، و «الحصيد» المحصود، والمراد بالمرجان إما صغار اللؤلؤ و وصفه بالحصيد^{٢٩٢} لعله يناسب ما يذكره التجار أن الصدف كثيراً ما يغرز عرقه في أرض البحر فتحصده الغواصون، ولذا قيل: إنه حيوان يشبه النبات. وقال بعض شارحي النهج: كأن المراد المتبدد من المرجان كما يتبدد الحب المحصود، ويجوز أن يعنى المحكم من قولهم «شيء مستحصد» أي مستحكم،

٢٩١- في النسخة المطبوعة بمصر: «ينفيه» وما في المتن أظهر. و «الكبر» كما نقل في الصحاح عن أبي عمرو هو كبر الحداد وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات. وفي القاموس: «الفلز» بكسر الفاء واللام وشدة الزاي وكهجت وعتل، نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة، أو خبث الحديد، أو الحجارة، أو جواهر الأرض كلها، أو ما ينفيه الكبر من كل ما يذاب منها... الخ.

٢٩٢- في بعض النسخ: بالحصد.

قال: ويروى «و حصباء المرجان» و «الحصباء» الحصا، وقال قوم: هو البسد يعني الحجر الأحمر، و «أنفده» أي أفناه. و «ذخائر الأنعام» ما بقي عنده من نعمه الجسم بعد العطايا المفروضة. و «المطالب» جمع «المطلب» بمعنى المصدر. «لا يغيضه» جاء متعدياً كما جاء لازماً. «ولا يبخله» أي لا يجعله بخيلاً، ويقال أيضاً: «بخله تبخيلاً» إذا رماه بالبخل و روي على صيغة الإفعال أي لا يجده بخيلاً. والتعليل بقوله «لأنه الجواد» إتما للجملة الشرطية بتواليها فالوجه في التعليل بنفي التبخيل ظاهر، إذ لو أثر العطاء المفروض في جوده لبخله الإلحاح، فإنه في الحقيقة منع^{٢٩٣} التأثير في الجود، فنفية يدلّ على نفية، وإتما لبقاء ما لا ينفذه المطالب فوجه التعليل أنّ العادة قد جرت بلحق البخل لمن ينفد ما عنده بالطلب وإن أمكن عقلاً عدمه بأن يسمح بكلّ ما عنده، ففني التبخيل يدلّ على نفي الإنفاد.

«فانظر أيها السائل — الخ»، «الايتمام» الاقتداء. و«الأثر» بالتحريك، نقل الحديث وروايته. و«وكل الأمر إليه وكلاً و كلاً» سلّمه وتركه؛ ويدلّ على المنع من الخوض في صفاته — سبحانه — ومن البحث عما لم يرد منها في الكتاب والستة. «واعلم أنّ الراسخين في العلم» إلى آخره. «الراسخ في العلم» الثابت فيه. «واقترح المنزل» أي دخله بغتة ومن غير روية. و«السدد» جمع «سدة» وهي باب الدار، و«ضرب الباب» نصبه، و «دون الشيء» ما قرب منه قبل الوصول إليه. و«المتعق في الأمر» الذي يبالغ فيه و يطلب أقصى غايته. و«قدر الشيء» مبلغه، و«تقديره» أن تجعل له قدراً و تقيسه بشيء، والمعنى: لا تقس عظمة الله بمقياس عقلك ومقداره. والظاهر أنّ المراد بإقرار الراسخين في العلم و مدحهم ما تضمنه قوله — سبحانه —: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...» إلى قوله: «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولَئِكَ»^{٢٩٤} فأقرارهم قولهم «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» و مدح الله — تعالى — إياهم ذكر كلامهم المتضمن للإيمان والتسليم في مقام المدح، أو تسمية ترك

٢٩٣- في المخطوطة: معنى التأثير.

٢٩٤- آل عمران: ٧.

تعبقهم رسوخاً في العلم، فالعطف في قوله «وستى» للتفسير أو الإشارة إلى أنهم أولوا الألباب بقوله «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ»؛ وحينئذ فالمراد بالمتشابه ما يشمل كنه ذاته وصفاته - سبحانه - مما استأثر الله بعلمه، وعلى هذا فحلّ الوقف في الآية «إِلَّا اللَّهَ» كما هو المشهور بين المفسرين و القراء، فتفيد اختصاص علم المتشابه^{٢٩٥} به - سبحانه -، وقوله «وَالرَّاسِخُونَ» مبتدأ و «يَقُولُونَ» خبره، وهو بظاهرة منافى لما دلّت عليه الأخبار المستفيضة من أنهم - عليهم السلام - يعلمون ما تشابه من القرآن كما مرّ في كتاب الإمامة، وعلى هذا فالوقف على «العلم»، وإليه ذهب أيضاً جماعة من المفسرين، فقوله «يَقُولُونَ» حال من الراسخين أو استئناف موضح لحالهم؛ ويمكن الجمع بينها بوجوه:

الأول: أن يكون ما ذكره - عليه السلام - هنا مبنياً على ما اشتهر بين المخالفين إلزاماً عليهم.

الثاني: أن يكون للآية ظهر و بطن أحدها أن يكون المراد بالمتشابه مثل العلم بكنهه الواجب و ما استأثر الله - عز وجل - بعلمه من صفاته وكنه ذاته و أمثال ذلك ممّا تفرد - سبحانه - بعلمه، و إليه يشير ظاهر هذا الكلام؛ و ثانيها أن يراد به ما علم الراسخون في العلم تأويله و إليه أشير في سائر الأخبار، فيكون القارئ مخيراً في الوقف على كلّ من الموضعين.

الثالث: ما قيل إنّه يمكن حمل حكاية قول الراسخين على اعترافهم و تسليمهم قبل أن يعلمهم الله تأويل ما تشابه من القرآن فكأنه - سبحانه - بين أنهم لما آمنوا بجملته ما أنزل من المحكمات و المتشابهات و لم يتبعوا ما تشابه منه كالذين في قلوبهم زيغ

٢٩٥ - بل تفيد اختصاص العلم بتأويل القرآن به - سبحانه -، فتأمل في قوله «وما يعلم تأويله إلا الله»؛ والضمير في قوله «تأويله» راجع إلى «الكتاب»، ولا ينافي علمهم - عليهم السلام - بتشابهات القرآن، بل لا ينافي علمهم بتأويله، فإنّ ظاهر الآية وإن كان الانحصار لكثرة لا يأتى عن الاستثناء، كما أنّ ظاهر بعض الآيات اختصاص علم الغيب به سبحانه - كتّبه - تعالى - استثنى عنه من ارتضى من رسول في قوله: «عَالِمُ الْغَيْبِ، فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» (الجن: ٢٦-٢٧). و دليل علمهم بتأويل القرآن قوله - تعالى -: «لَا يَتَسَنَّاهُ إِلَّا الْمُظْهِرُونَ» (الواقعة: ٧٩).

وإن أردت توضيح ما ذكر فراجع إلى تفسير «الميزان»، سورة آل عمران.

بالتعلق بالظاهر أو بتأويل باطل فاتاهم الله علم التأويل وضمّهم إلى نفسه في الاستثناء. والاستثناء في قوة رفع الاستبعاد عن مشاركتهم له — تعالى — في ذلك العلم، وبيان أنهم إنما استحقوا إفاضة ذلك العلم باعترافهم بالجهل وقصورهم عن الإحاطة بالمتشابهات من تلقاء أنفسهم، وإن علموا التأويل بتعليم إلهي. وقد ورد عنه — عليه السلام — أنه لما أخبر ببعض الغيوب قال له رجل: أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟! فقال — عليه السلام —: ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم. وقد مرّ بعض الكلام فيه في كتاب التوحيد.

«إذا ارتمت» يقال: «ارتمى القوم» إذا تراموا بالنبال. و«الأوهام» خطرات القلب، وفي اصطلاح المتكلمين إحدى القوى الباطنة، شبه — عليه السلام — جولان الأفكار و تعارضها بالترامي. و«المنقطع» موضع الانقطاع، و يحتل المصدر. و «حاولت الشيء» أردته، و«الخطر» بالتسكين، مصدر «خطره خاطر» أي عرض في قلبه و روي «من خطرات الوسواس» و «الوسوسة» حديث النفس و الشيطان بما لاخير فيه ولا نفع، والاسم الوسواس.

و«المللكوت» العزّ والسلطان. و«تولّته إليه» أي اشتدّ عشقها وحتّت إليه و«الولة» بالتحريك، التحير وذهاب العقل من حزن أو فرح. «لتجري في كيفية صفاته» أي لتجد مجرى ومسلكاً في ذلك. و«غمض الشيء» بالفتح والضمّ، أي خفي مأخذه. و«الغامض من الكلام» خلاف الواضح، و«مداخل العقول» طرق الفكر، و فاعل «تنال» ضمير العقول، أي إذا دقت و غمضت طرق العقول ووصلت إلى حدّ لا تبلغ الصفات لدقة تلك الطرق وخفائها، أو إذا دقت وانتهت العقول إلى أنها لا تعتبر مع ملاحظة الحقّ صفة من صفاته — كما قيل — طالبة بذلك أن تصل إلى علم ذاته؛ وفي بعض النسخ: «علم ذلك» والأوّل أظهر.

«ردعها»، «الردع» الرّدّ و الكفّ، والجملة جزاء للشرط السابق، والضمير المنصوب راجع إلى الأوهام أو غيرها ممّا سبق. «وهي تجوب» أي تقطع، والواو للحال. و«المهاوي» جمع «مهواة» وهي الحفرة أو ما بين الجبلين، والمراد هنا المهلكة.

و«السدف» جمع «سدف» وهي القطعة من الليل المظلم، ويطلق على الضياء أيضاً. و«خالصته تخليصاً» نحيته فتلخص فقوله «متخلصة إليه» أي متوجهة إليه بكليتها متنجية عن غيره. و«جبهه» — كمنعه — أي ضرب جبهته فردّه. و«الجور» العدول عن الطريق، و«الاعتساف» قطع المسافة على غير جادة معلومة، والمراد بجور اعتسافها شدة جولانها في ذلك المسلك الذي لاجادة له، ولا يفضي إلى المقصود. و«الخاطرة المنفية»^{٢٩٦} ما يكون مطابقاً للواقع.

«الذي ابتدع الخلق»، «الابتداع» الإنشاء والإحداث. و«مثال الشيء» بالكسر، صورته و صفته و مقداره، و «امتثله» أي تبعه ولم يتجاوز عنه. و«احتذى عليه» أي اقتدى به. وقوله «من خالق» متعلق بمحذوف [و] هو صفة لمقدار أو لمثال أيضاً كناشي، والمراد بنبي امتثال المثال أنه لم يمثل لنفسه مثلاً قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيئته، وبنبي احتذاء المقدار أنه لم يقتد بخالق كان قبله، فالظرف صفة للمقدار فقط. ويحتمل أن يكون الثاني كالتأكيد للأول فالظرف صفة للمثال و المقدار معاً، ويكون المراد بالأول نبي الاقتداء بالغير في التصوير وبالثاني في التقدير، أو يكون المراد بالمثال ما يرسم في الخيال من صورة المصنوع و هيئته، ولم يكن على حذو فعل فاعل آخر لتنزّهه عن الصور والخواطر، فالظرف صفة لمقدار. ووصف الخالق بالمعبود لأنه من لوازمه، أولآته لو كان كذلك لكان هوالمعبود.

و«المسالك» بالكسر مايمسك به، وفيه دلالة على احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثر. وقوله «مادّلنا» مفعول ثانٍ لـ «أرانا»، واضطرار قيام الحجة عبارة عن إفادتها العلم القطعي بعد تحقق الشروط وارتفاع الموانع، والظرف في قوله «على معرفته» متعلق بقوله «دلّنا» و أعلام الحكمة ما يدلّ عليها، و الضمير في قوله «فحجّته» يحتمل عوده إلى الخلق الصامت، كالضمير في «دلّته» أو إلى الله — سبحانه —. «فأشهد — وفي

٢٩٦- التي نفيت بقوله - عليه السلام - «ولا تختر ببال أولي الروايات خاطرة...»، ومراده - رحمه الله - أنه ربما يختر بالبال خواطر من تقدير جلاله - تبارك وتعالى - لكنها ليست مطابقة للواقع فلا تختر خاطرة مطابقة للواقع ببال أولي الروايات من تقدير الجلال واكتناه سائر صفاته - سبحانه -.

بعض النسخ بالواو- بتباين» المشبه به في الحقيقة هو الخلق، وإنَّها أدخل الباء على التباين تنبيهاً على وجه الخطاء في التشبيه. و«التلاحم» التلاصق. و«الحقاق» بالكسر، جمع «حقّة» بالضم وهي في الأصل وعاء من خشب، و«حقاق المفاصل» النقر التي تتركز فيها العظام، واحتجابها استتارها بالجلد واللحم. وقوله «لتدبير» متعلق بالمحتجبة، أي المستورة للتدبير الذي اقتضته الحكمة. قيل: ومن حكمة احتجابها أنها لو خلقت ظاهرة لبست رباطاتها فيتعذر تصرف الحيوان وكانت معرضة للآفات أو بالتباين والتلاحم. وقال بعض شارحي النهج: ومن روى «المحتجبة» أراد أنها كالمستدل^{٢٩٧} على التدبير الحكمي من لدنه - سبحانه - . و«العقد» الشد، وفاعل الفعل الموصول المشبه، و«غيب» منصوب على المفعولية، وهو كل ما غاب، و«الضمير» اسم من «أضمرت في نفسي شيئاً» أو إضافة الغيب [إلى الضمير] من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمراد بغيب الضمير حقيقة عقيدته وباطنها لا ما يظهر منها لغيره أو يظهر له بحسب توهمه. وفي بعض النسخ: «لم يعتقد» على صيغة المجهول و«غيب» بالرفع. و«المباشرة» لمس البشرة، والفاعل «اليقين»؛ وفي بعض النسخ: «قلبه» بالرفع على أنه الفاعل و«اليقين» بالنصب، والأول أظهر. و«الند» المثل. و«إن» في الآية مخففة من المثقلة. ويظهر من كلامه - عليه السلام - أن التسوية في الآية يشمل هذا التشبيه، ولا يخص التسوية في استحقاق العبادة. «كذب العادلون بك» أي المسوون بك غيرك. و«نخلوك» أي أعطوك حلية المخلوقين أي صفاتهم، والتعبير بالنحلة والحلية لزعم هؤلاء أنها كمال له - عز وجل - . و«جزؤوك» أي أثبتوا لك أجزاء، و«خواطهم» ما يخطر ببالهم من الأوهام الفاسدة. «وقدروك على الخلقة» أي جعلوا لك قدراً في العظمة المعنوية كقدر الخلق فأثبتوا لك صفاتهم. و«قرائع عقولهم» ما يستنبطونه بآرائهم، والقريحة في الأصل أول ما يستنبط من البثر. و«محكمات الآيات» نصوص الكتاب. و«شواهد الحجج» الأدلة العقلية، ونطقها دلالتها القطعية، أو الشواهد الهداة المبينون للحجج التي هي الأدلة، وكأنه ضمن النطق معنى الكشف

فعذَى بـ «عن»، وإضافة الحجج إلى البينات للمبالغة.

«لم يتناه في العقول» أي لم تقدرك العقول بالنهاية والكنه بحيث لا تكون لك صفة وراء ما أدركته، أولم تحط بك العقول فتكون محدوداً متناهيّاً فيها. و «مهبّ الفكر» هبوبها، و لعلّه — عليه السلام — شبه الحركات الفكرية بهبوب الرياح و الأفكار بما تجمعها وتذروها من الحشايش إشعاراً بضعفها وسفالة ما يحصل منها. وقيل: التناهي في العقل هو أن يدرك العقل الشيء مرسماً في القوى الجزئية وهي مهات الفكر التي ترسم فيها الصور و تزول كالريح الهابة تمرّ بشيء. وقيل: مهات الفكر جهاتها. و «رويات الخواطر» ما يخطر بالبال بالنظر والفكر، و «المحدود» المحاط بالحدود، والمراد بالحدود ما يلزم الإحاطة التامة، أو الصفات و الكيفيات التي لا يمتدّها المعلوم. و «المصرف» القابل للتغير والحركة أو المحكوم عليه بالتجزئة والتحليل والتركيب.

«قدر ما خلق فأحكم تقديره» أي جعل لكلّ شيء مقداراً مخصوصاً بحسب الحكمة، أو هيأ كلّ شيء لما أراد منه من الخصائص والأفعال، أو قدره للبقاء إلى أجل معلوم، «فأحكم» أي أتقن. و «التدبير في الأمر» النظر إلى ماتوّل إليه عاقبته، «فألطف تدبيره» أي أعمل فيه تدبيرات دقيقة لطيفة، أو كانت تدبيراته مقرونة باللطف والرفق والرحمة على عباده. «ووجهه لوجهته» أي جعل كلامها مهتأة وميسرة لما خلق له كالجوب للأكل والدواب للركوب، وكلّ صنف من الإنسان لأمر من الأمور المصلحة للنظام. ويحتمل أن يكون إشارة إلى أمكنتها، والأول أعمّ وأظهر. و «الوجهة» بالكسر، الناحية و كلّ أمر استقبلته. و «قصر السهم عن الهدف» إذا لم يبلغه، و «قصرت عن الشيء» أي عجزت عنه. و «استصعب الأمر علينا» أي صعب و «الصعب» غير المنقاد، و «مضى الشيء مضياً و مضوياً» أي نفذ و لم يمتنع. و «صدر» — كعقد — رجع و انصرف كرجوع الشاربة عن الماء و المسافرين عن مقصدهم، ولما كانت الأمور لإمكانها محتاجة في الوجود إلى مشيئة فكانت توجهت إليها فرجعت فائرة بمقصدها، و «المشيئة» الإرادة، وأصلها المشيئة بالهمز.

«آل إليها» أي رجع، و «الغريزة» الطبيعة^{٢٩٨}، و «قريحة الغريزة» ما يستنبطه الذهن، وقيل: قوة الفكر للعقل. «أضرر عليها» أي أخفاه في نفسه محتوياً عليها و «التجربة» الاختبار مرة بعد أخرى. و يقال: «أفدته مالا» أي أعطيته و «أفدت منه مالا» أخذته. وحكى الجوهري عن أبي زيد: «أفدت المال» أعطيته غيري، و «أفدته» استفدته.^{٢٩٩} و «ابتداع الخلائق» إحداثها. «فتم خلقه» يمكن أن يراد بالخلق المعنى المصدرى، و يكون الضمير راجعاً إليه — سبحانه — كالضمير في «طاعته» و «دعوته» أو إلى «ماخلق» المذكور سابقاً، وعلى الأول يكون في «أذعن» و «أجاب» راجعين إلى الخلق على الاستخدام، أو إلى «ماخلق» و يمكن أن يراد به المخلوق، و تمام مخلوقاته بإفاضته عليها ما يليق بها وتستعدله. وإذعان ما خلق لطاعته و إجابته إلى دعوته إما بمعنى استعداده لما خلق له أو تهوؤ لنفوذ تقديراته و إرادته — سبحانه — فيه، و فيه إشارة إلى قوله — تعالى —: «آتَيْنَا ظَالِمِينَ»^{٣٠٠}. و ربما تحمل أمثالها على ظاهره بناءً على أن لكل مخلوق شعوراً كما هو ظاهر قوله — تعالى —: «وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»^{٣٠١}.

و «اعترض الشيء دون الشيء» أي حال بينه وبينه، و «دونه» أي قبل الوصول إليه، والضمير في «دونه» أيضاً راجع إليه — سبحانه — و يحتمل أن يكون راجعاً إلى مصدر «أذعن» و «أجاب». و «الريث» البطؤ. و «الأناة» — كفتاة — الاسم من «تأتى في الأمر» أي تمكث ولم يعجل. و «تلکأ» توقف وأبطأ. «فأقام من الأشياء أودها»، «الأود» بالتحريك، الاعوجاج، وإقامته إعداد كل شيء لما ينبغي له، أودع المفاصل التي تقتضيه الأشياء لوخلت و طباعها. و «نهج» أي أوضح، و «حد الشيء» منتهاه، وأصل الحد المنع والفصل بين الشئين و «نهج الحدود» قيل: إيضاحه لكل شيء غايته و تيسيرها له، أو المعنى: جعل لكل شخص و نوع مشخصاً و مميّزاً واضحاً يمتاز به عن غيره، فإن من أعظم^{٣٠٢} المصالح و

٢٩٨- في بعض النسخ: الطبع.

٢٩٩- الصحاح، ج ١، ص ٥١٨.

٣٠٠- فصلت: ١١.

٣٠١- الإسراء. ٤٤.

٣٠٢- في بعض النسخ: «من أعظم» وهو الأظهر.

أعزّها امتياز الأنواع والأشخاص بعضها عن بعض.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالحدود حدود أمكنتها كمكان العناصر فإن لكلّ منها جداً لا تتجاوزه، ولعلّه أنسب بما بعده.

و«لاءم» أي جمع «بين متضاداتها» كجمع العناصر المتباعدة في الكيفيات و الصفات لحصول المزاج و كالألفة بين الروح والبدن.

«ووصل أسباب قرائنها» السبب في الأصل الجبل، ويقال لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء، و«القرينة» فعيلة بمعنى مفعولة، و«قرائن الأشياء» ما اقترن منها بعضها ببعض، ووصل أسبابها ملزوم لا تصالها. وقال ابن ميثم: «القرائن» النفوس المقرونة بالأبدان واعتدال المزاج بسبب بقاء الروح، أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها، والمراد بالأجناس هنا أعمّ ممّا هو مصطلح المنطقيين، وكذا المراد بالحدود غير ماهو المعروف عندهم، وإن كان المقام لا يابأهما.

و«الغرائر» الطبائع والقوى النفسانية. و«البدايا» جمع «بداية» وهي الحالة العجيبة، يقال: «أبدأ الرجل» إذا أتى بالأمر المعجب و«البدئية» أيضاً الحالة المبتدأة المبتكرة، أي عجائب مخلوقات، أو مخلوقات مبتدأة بلاقتفاء مثال؛ وهو خبر مبتدأ محذوف، أي هي بدايا. و«الفطر» الابتداء والاختراع و«الابتداع» كالتفسير له.

و«نظم» أي جمع. «آلف بلا تعليق» أي من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخيط أو نحوه؛ و«رهوات فرجها»، «الرهوة» المكان المرتفع والمنخفض أيضاً، فنظمها تسويتها. وقال في النهاية: في حديث عليّ^{٣٠٣}: «ونظم رهوات فرجها» أي المواضع المفتحة منها.^{٣٠٤} وهو مأخوذ من قولهم «رهارجليه رهواً» أي فتح، وفيه دلالة على أنّ السماء كانت ذات فرج وصدوع فنظمها — سبحانه —، وهو مناسب لما مرّ من أنّ مادّتها الدخان المرتفع من الماء، إذ مثل ذلك تكون قطعاً وذات فرج. وأول بعض الشارحين بتباين أجزاء المركّب لولا التركيب والتأليف، أو بالفواصل التي كانت بين

٣٠٣- في المصدر: وفي حديث عليّ — رضي الله عنه — يصف السماء....

٣٠٤- النهاية، ج ٢، ص ١١٦.

السموات لولا أنَّ الصانع خلقها أكرأ^{٣٠٥} متماسة. وإنَّا اضطرَّه إلى ذلك الاعتقاد بقواعد الفلاسفة و تقليدهم.

و«ملاحمة الصدوع» إلصاق الأجزاء ذوات الصدوع بعضها ببعض، وإضافة الصدوع إلى الانفراج من إضافة الخاص إلى العام. و«وشج» بالتشديد، أي شبك والضمير في «بينها» راجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة.

وقال ابن ميثم: المراد بأزواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية بمعنى قرائنها وكلّ قرين زوج، أي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوي لنفسها التي لا يقبلها غيره.

وأقول: القول بكون السماوات حيوانات ذوات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام، بل نقل السيّد المرتضى — رضي الله عنه — إجماع المسلمين على أنَّ الأفلاك لا شعور لها ولا إرادة، بل هي أجسام جمادية يحرّكها خالقها.^{٣٠٦} ويمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكّلون بها أو القاطنون فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئية، ويمكن حل الفقرات السابقة أيضاً على هذين الوجهين الأخيرين ويمكن أن

٣٠٥- «الأكر» بضمّ الهزعة وفتح الكاف، جمع «كرة» وهي كلّ جسم مستدير.

٣٠٦- البحث عن الأفلاك وماهيّتها بحث هيوّيّ اختلف فيه أقوال قدماء الهيوّين من يونان والمتأخّرين من علماء أوروبا. وفيه فرضية مشهورة من بطليموس وهو من أقدم فلكيّيّ يونان، وهي أنَّ الأفلاك كرات يحتوي بعضها على بعض، منها كليّة ومنها جزئية وأنَّ الأفلاك الكليّة تسعة وزعم أنَّ لها أحكاماً يختصّ بها من بين الأجسام، منها استحالة الحرق والالتئام وأحكام أخرى لا يسع ذكرها المقام. وقد أبطلها علماء الهيئة الحديثة وهدموا أساسها ونقضوا حدودها وخرقوا كليّتها وجزئيتها؛ وكيف كان فالبحث عن هذه المسألة شأن العالم الهيوّيّ، لا الفقيه والأصوليّ والمحدّث والمنطقيّ، وليس الاعتقاد بوجود هذه الأفلاك أو عدمها من أصول الدين وفروعه ولا ممّا ورد في كتاب الله أوسّته رسوله، اللهمّ إلّا ما ذكر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من السماوات والأرض والكواكب والنجوم وأنَّ كلّ كوكب يستجّ في فلك ... إلى غير ذلك، لكن لا يجد المتتبّع الخبير من كتاب الله آية ولا ممّا صدر عن معادن علم الله رواية تدلّ على إثبات الأفلاك البطليموسيّة وتصديق ما يستلزمه تلك الفرضيّة إن لم يجد ما يكذبها ويبطلها! ودعوى الإجماع من المسلمين في مثل المسألة كما تعلم من أنَّ فرض إجماع المسلمين في زمان أوفي جميع الأزمنة على أمر ليس من دينهم ولا من واجب اعتقادهم ولا ممّا يرتبط بأفعالهم، فأنيّ دليل على حجّته؟ ومن أين يمكن القول بوجود أتباعه والاعتقاد بمعتقده؟! هذا حال أصل الأفلاك، فما ترى في البحث عن كونها ذوات نفوس مدركة أو جمادات فاقدة للشعور والإرادة؟! ولا يخفى أنَّ دعوى الإجماع على أحد طرفي المسألة ممنوعة، وحجّيته على فرض وجوده غير مسلمّة، بل لا ينبغي الشكّ في عدم حجّيته.

يكون المراد بأزواجها أشباهها في الجسميّة والإمكان من الأرضيّات و يناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويّات بالآباء و السفليّات بالأمّهات.

«وذَلِّلْ لِلْهَاطِطِينَ» يقال: «ذَلَّلَ البعير» أي جعله ذلولاً وهو ضدّ الصعب الَّذِي لا ينقاد من «الذَّلَّة» بالكسر وهو اللين. و«الحزونة» خلاف السهولة، و«المعراج» السَلَمُ و المصعد. و«نداء السماء» إشارة إلى مامرّ من قوله — سبحانه —: «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا ظُلُوعاً أَوْ كَرْهاً» ٣٠٧.

«فالتحمت عرى أشراجها»، «التحمت» أي التزقت و التأمت، و«عرى العيبة» هي الحلق التي تضمّ بعضها إلى بعض و تشدّ وتقفّل، و«الشَّرَج» بفتح الشين، عرى العيبة والجمع «أشراج» وقيل: قد تطلق الأشراج على حروف العيبة الّتي تخاط. ولعلّ هذا الالتحام كناية عن تمام خلقها و فيضان الصور السماوية عليها.

«وفتق بعد الارتقاق صوامت أبوابها»، «فتق الثوب فتقا» نقضت خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض، و «رتقت الفتق رتقاً» أي سدّدته فارتقت، و«الأبواب الصامتة و المصمتة» المغلقة منها، وفتق صوامت الأبواب إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقاً لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها وهذه الأبواب هي الّتي منها عروج الملائكة و هبوطها وصعود أعمال العباد وأدعيتهم و أرواحهم، كما قال — تعالى —: «لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» ٣٠٨ و الّتي ٣٠٩ تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» ٣١٠.

«وأقام رصداً» هو بالتحريك جمع «راصد» كخدم و خادم، أو اسم جمع كما قيل و يكون مصدراً كالرصد بالفتح، و«الراصد» القاعد على الطريق منتظراً لغيره للاستلاب أو المنع، و«المرصاد» الطريق و المكان يرصد فيه العدو و «أرصدت له» أعددت. و«الثواب» الّتي تثقب الشياطين أو الهواء، أو يثقب الجوّ بضوئها، و«النقاب» بالكسر جمع «نقب» بالفتح و هو الثقب و الخرق، والمراد إقامة الشهب

٣٠٧- فصلت: ١١.

٣٠٨- الأعراف: ٤٠.

٣٠٩- في المخطوط: أو الّتي.

٣١٠- القمر: ١١.

الثواقب لطرد الشياطين عن استراق السمع كما أشار إليه —سبحانه— بقوله: «وَأِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً وَرِصْدًا»^{٣١١}. ولا صراحة فيه بكون ذلك المنع مقارناً لإيجاد السوء حتى ينافي ما دلّ على حدوثها ويحتمل تخلّل الرخصة بين المنعين أيضاً.

«وأمسكها من أن تمور» أي تموج وتضطرب، و«الخرق» يكون بمعنى الثقب في الحائط والشقّ في الثوب وغيره، وهو في الأصل مصدر «خرقته» إذا قطعته ومزقته و يكون بمعنى القفر والأرض الواسعة، «تنخرق فيها الرياح» أي تهبّ وتشتدّ. و«الهواء» يقال للجسم الذي هو أحد العناصر، ويقال لكلّ خال هواء كما قال —سبحانه—: «وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ»^{٣١٢} أي خالية من العقل أو الخير، والمراد بالمور في خرق الهواء إما الحركة الطبيعية أو القسرية في الفواصل التي تحدث بحركتها في الجسم الذي هو أحد العناصر، إذ لا دليل على انحصاره في الذي بين السماء والأرض أو حركتها في المكان الخالي الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً، أو حركة أجزائها فيما بين السماء والأرض. و«الأيد» بالفتح، القوة، والظرف متعلّق بالإمساك. و«الاستسلام» الانقياد، ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن تعلّق الإرادة كامرّة.

«آية مبصرة»، «الآية» العلامة، [و] «المبصر» المدرك بالبصر، وفُسّرت المبصرة في قوله —تعالى—: «وَجَعَلْنَا آيَةَ الْتَهَارِ مُبْصِرَةً»^{٣١٣} بالبيّنة الواضحة والمضيئة التي يبصرها وبالمبصرة للناس من «أبصرته فبصر» و بالمبصر أهله كقولهم «أجبن الرجل» إذا كان أهله جبناء. و«المحو» إذهاب الأثر وطمس النور، وفتر محو القمر بكونه مظلماً في نفسه غير مضيء بذاته كالشمس وبنقصان نوره بالنظر^{٣١٤} إلى الشمس وبنقصان^{٣١٥} نوره شيئاً فشيئاً إلى المحاق.

وروي أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين —عليه السلام— عن اللطحة التي في وجه القمر فقال: ذاك محو آية الليل. ويمكن أن يكون لها مدخل في نقصان ضوء القمر

٣١١- الجن: ٩.

٣١٣- الإسراء: ١٢.

٣١٥- في المخطوط: بنقص.

٣١٤- في بعض النسخ: بالنسبة.

٣١٢- إبراهيم: ٤٣.

من ليلها. قيل: «من» لابتداء الغاية أو لبيان الجنس ويتعلق بـ «محموة» أو «يجعل» وقيل: أراد من آيات ليلها.

و«المنقل» في الأصل الطريق في الجبل. و«المدرج» المسلك، و«درج» أي مشى، و«الدرج» بالتحريك، الطريق، و«درجها» في بعض النسخ على لفظ التثنية وفي بعضها مفرد، و«مناقلها ومدارجها» منازلها وبروجها، والظاهر أن التمييز والعلم غايتان لمجموع الأفعال السابقة، فيكون إشارة إلى قوله — تعالى —: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَنَاتِ»^{٣١٦} و إلى قوله — عز وجل —: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَنَاتِ»^{٣١٧}، ويحتمل أن يكون التمييز غاية للأول والعلم غاية للأخير أو الأخيرين، فيكون نشرأ على ترتيب اللَّفِّ. وظاهر كلامه — عليه السلام — تفسير الآيتين المفردتين في الآية الأولى بالشمس والقمر لالليل والنهار، وإن كان المراد بالآيتين أولاً الليل والنهار، وقيل: المراد: جعلناهما ذوي آيتين، فتكون الشمس والقمر مقصودين بهما في الموضعين، والمراد بالحساب حساب الأعمار والآجال التي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم. و«مقاديرهما» مقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما.

«ثم علق في جَوْها فلُكها» الظاهر أن كلمة «ثم» هنا للترتيب الذكري ولعل المعنى أنه أقر فلُكها في مكانه من الجَوْ بقدرته ولا ينافي نفي التعليق في نظم الأجزاء كما سبق، و«الجَوْ» الفضاء الواسع، أو ما بين السماء والأرض، و«الفلك» بالتحريك، مدار النجوم، وقيل: أراد بالفلك دائرة معدّل النهار، وقيل: أراد به الجنس وهو أجسامها المستديرة التي يصدق عليها هذا الاسم، وقيل: الفلك هنا عبارة عن السماء الدنيا، فيكون على وفق قوله — سبحانه —: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ»^{٣١٨} والتوجيه مشترك، وعلى المشهور من عدم كون جميعها في السماء الدنيا لعل الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه كوكب يتحرك بحركته و بالجَوْ الفضاء الواسع الموهوم، أو الموجود الذي

هو مكان الفلك، ووجه إضافته إليها واضح فإنّ الفلك من جملتها، وكذا إضافة الفلك إليها، ويحتمل حينئذ أن يراد بفلكها المحيط المحرك لجملتها. ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير الساء الذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدير لها فكون فلكها في جَوْها ظاهر، أو يراد بالساء الأفلاك الكليّة وبالفلك الأفلاك الجزئية الواقعة في جوفها. وفي بعض النسخ: «علّق في جَوْها فلكاً» بدون الضمير وهو يناسب كون الكواكب كلّها في فلك واحد.

و«ناط» أي علّق، و«الدراريّ» جمع «درّيّ» وهو المضىء، [و] كأنه نسب إلى الدرّ تشبيهاً به لصفائه، وقال الفرّاء: الكواكب الدرّيّ عند العرب هو العظيم المقدار وقيل: هو أحد الكواكب [السبعة السيّارة، وفي النهاية الكواكب] الخمسة السيّارة ولا يخفى أنّ وصف الدراريّ بالخفّيات ينافي القولين ظاهراً. و«استراق السمع» الاستماع محتفياً، و«بثواقب شهبها» أي بشهبها الثاقبة تلميحاً إلى قوله — سبحانه —: «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ»^{٣١٩} وقوله: «إِلَّا مَنِ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ»^{٣٢٠}. و«الأذلال» جمع «ذلّ» بالكسر، يقال: «أمور الله جارية أذلالها» بالنصب — وعلى أذلالها» أي مجارها. ويقال: «دعه على أذلاله» أي على حاله. وثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيّارات، والمراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجمين، أو التوجّه إلى حضيض الحامل، أو التدبير أو التوجّه إلى الغروب فإنّه الهبوط حسّاً ويقابله الصعود، و«النحوس» ضدّ السعود.

«ثمّ خلق» الظاهر أنّ كلمة «ثمّ» هنا للترتيب الحقيقي، وسيأتي بعض الأخبار الدالة على تقدّم خلق الملائكة على السماوات، ويمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكّان السماوات الذين لا يفارقونها. و«عمارة المنزل» جعله أهلاً ضدّ الخراب الذي لا أهل له. و«الصفيح» السطح ووجه كلّ شيء عريض. والصفيح أيضاً اسم من أسماء السماء، والمراد هنا سطح كلّ ساء، ويقابله الصفيح الأسفل وهو الأرض أو فوق السماء السابعة أو فوق الكرسيّ. و«الملكوت» — كرهوت — العزّ والسلطان. و«الفروج»

الأماكن الخالية، و«الفج» الطريق الواسع بين الجبلين. و«حشوت الوسادة بالقطن» جعلتها مملوءة منه، و«الفتق» الشق، و«الجو» الفضاء الواسع وما بين السماء والأرض، وهذا الكلام صريح في عدم تلاصق السماوات و في تجسم الملائكة وأن ما بين السماوات مملوءة منهم، وبه تندفع شبه لزوم الخلائك ستعرف. و«الفجوة» الفرجة والموضع المتسع بين الشيئين. و«زجل المستبحين» صوتهم الرفيع العالي، و«الحظيرة» في الأصل الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل يقبها الحر والبرد والريح. و«القدس» بالضم وبضمتين، الطهر، اسم ومصدر. و«السترات» بضمتين، جمع «سترة» بالضم، وهو ما يستتر به كالستارة. و«الحجاب» ما احتجب به، و«السرادق» الذي يمدّ فوق صحن البيت من الكرسف، و«المجد» الشرف والعظمة، و«الرجيع» الزلزلة والاضطراب، ومنه رجيع البحر.

«تستكّ منه الأسماك» أي تصمّ، وفسروا السبحات بالنور والبهاء والجلال والعظمة، وقيل: «سبحات الوجه» محاسنه، لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، ولعلّ المراد بها الأنوار التي تحجب [بها] الأبصار ويعبر عنها بالحجب، و«ردعه» — كمنعه — كفّه وردّه. و«الخاصي من الكلاب وغيرها» المبعدل لا يترك أن يدنو من الناس، يقال: «خسأت الكلب» أي طردته وأبعدته. والضمير في «حدودها» راجع إلى السحاب، وقيل: أي تقف الأبصار حيث تنتهي قوتها لأن قوتها متناهية فإذا بلغت حدودها وقفت.

«أولي أجنحة تسبح جلال عزته» إشارة إلى قوله — تعالى —: «أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»^{٣٢١}. و«تسبح» في أكثر النسخ بالتشديد من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس من النقائص، و«الجلال» العظمة، و«العزة» القوة والشدة والغلبة، والجملة صفة لأولي أجنحة؛ وفي بعض النسخ: «تسبح» بالتخفيف من السباحة. و«خلال» بالخاء المعجمة المكسورة، وهو وسط الشيء أوجع «خلل» بالتحريك وهو الفرجة بين الشيئين، وفي بعضها: «خلال بحار عزته» ولعلّ المراد بسباحتهم سيرهم

في أطباق السماوات و فوقها، أو عروجهم ونزولهم لأداء الرسالات وغيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح.

«لا ينتحلون»، «انتحل الشيء وتخله» إذا ادّعى لنفسه وهو لغيره، أي لا يدّعون الربوبية لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم ولأنفسهم، فتكون هذه الفقرة لنفي ادّعاء الاستبداد والثانية لنفي ادّعاء المشاركة، أو الأولى لنفي ادّعائهم الخالقية فيما لهم مدخل في وجوده بأمره — تعالى — والثانية لنفي ذلك فيما خلقه الله — سبحانه — بمجرد أمره وإرادته. «مكرمون» بالتخفيف من الإكرام، وقرئ بالتشديد من التكرم، واللام في قوله «بالقول» عوض عن المضاف إليه، أي لا يسبقون الله بقولهم بل هم تابع ٣٢٢ لقوله — سبحانه — كما أنّ علمهم تابع لأمره. «جعلهم فيما هنالك» لعلّه مخصوص ببعض الملائكة كما قال — عز وجل —: «اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» ٣٢٣ ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك، وما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة أو الأشغال و الأمور المفوضة إليهم، أو عن أربابها وأصحابها، وفي قوله «حملهم» تضمين معنى البعث أو الارسال ونحوه. «وعصمهم» هذا يشمل جميعهم، و«الريب» الشك أو التهمة. و«الزيف» العدول عن الحق، و«المرضاة» ضدّ السخط. و«الإمداد» الإعانة والتقوية، و«الفائدة» ما استفدته من طريفة مال أو علم أو غيرهما، و«المعونة» مفعلة بضمّ العين، من «استعان به فأعانه» و قيل: الميم أصلية، مأخوذة من «الماعون» و لعلّ المعنى تأييدهم بأسباب الطاعات والقربات والمعارف والألطف الصارفة لهم عن المعاصي. و«وأشعر قلوبهم» أي ألزمهم ٣٢٤، مأخوذ من الشعار، وهو ما يلبس تحت الدثار، وقيل: من الشعور بمعنى الإدراك، يقال: «أشعره الأمر به» أي أعلمه. و«التواضع» التخاشع والتذلل، و«أخبت الرجل» خضع لله وخشع قلبه، و«السكينة» الطمأنينة والوقار والرزانة والمهابة، والحاصل عدم انفكاكهم عن الخوف والخشوع. و«الذل» بضمتين، جمع «ذلول» ضدّ الصعب، و«مبجّده» أثنى عليه وعظّمه، والجمع للدلالة على

٣٢٢- كذا.

٣٢٣- الحج: ٧٥.

٣٢٤- في بعض النسخ: «ألزمها» وهو الأظهر.

الأنواع، وفتح الأبواب كناية عن إلهامها وتسهيلها عليهم لعدم معارضة شيطان أوفنس أمارة بالسوء بل خلقهم خلقة يلتذون بها كما ورد أنَّ شرايهم التسبيح و طعامهم التقديس. و«المنار» جمع المنارة وهي العلامة، وأصله النور ولذا أنثت «الواضحة». و«الأعلام» جمع «علم» بالتحريك وهو الجبل الطويل أو ما يعلم به الشيء ونصب المنار لهم على الأعلام عبارة عن غاية ظهورها لعدم معارضته الشكوك والشبهات التي تكون للبشر ولوفور الدلائل لهم لقربهم من ساحة عزه وملكوته ومشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه وجبروته. و«المؤصرات» المثقلات، وعدمها لعصمتهم وعدم خلق الشهوات فيهم.

و«رتحل البعير وارتحله» حظ عليه الرحل وهو مركب للبعير، وفي الحديث: «ارتحلني ابني الحسن» أي جعلني كالراحلة وركب على ظهري، والارتحال أيضاً الإزعاج والإشخاص. و«العقبة» بالضم، النوبة، والجمع «عقب» كغرفة وغرف والعقبة الليل والنهار لأنها يتعاقبان، قيل: أي لم يؤثر فيهم ارتحال الليالي والأيام كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير في ظهره حملاً على الوجه الأول، وعلى الثاني فالمعنى: لم يزعجهم تعاقب الليالي والأيام ولم يوجب رحيلهم عن دارهم والغرض تنزيههم عما يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكمور الأزمنة. و«النوازع» في بعض النسخ بالعين المهملة من «نزع في القوس» إذا جذبها ومدها، و«نوازع الشكوك» الشبهات، وقيل: أي شهواتها، و«النازعة» المحركة. وفي بعضها بالغين المعجمة كما في النهاية من «نزع الشيطان بين القوم» أي أفسد، ويقال: «نزع الشيطان» أي وسوس إليه، و«العزيمة» ما وكدت رأيك وعزمك عليه. و«المعترك» موضع القتال، و«الاعتراك» الازدحام، و«الظن» يكون بمعنى الاعتقاد الراجح غير الجازم، وبمعنى الشك ويطلق على ما يشملها ولعل الأخير هنا أظهر، و«معقد الشيء» موضع شدّه، يقال: «عقدت الحبل والبيع والعهد» ويكون مصدراً، والحاصل نفي تطرق الشبه والشكوك إلى عقائدهم اليقينية.

«ولا قدحت» يقال: «قدح بالزند» - كمنع - أي رام الإبراء^{٣٢٥} به، وهو

استخراج النار، وربما يحمل على القدح بمعنى الطعن وهو بعيد. و«الإحن» جمع «إحنة» وهي الحقد والغضب، أي لا يثير الغضب والعداوة الكامنة فتنة فيما بينهم. و«الحيرة» عدم الاهتداء إلى وجه الصواب، و«لاق الشيء بغيره» أي لزم ومنه اللبقة للصوق المداد بها، والغرض نفي الحيرة عنهم في عقائدهم، ويحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدة الحب وكمال المعرفة كما سيأتي، وفي الصحيفة السجادية: «ولا يغفلون عن الوله إليك»؛ فالعنى أنَّ شدة ولهم لا توجب نقصاً في معرفتهم وغفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر. و«أثناء الشيء» تضاعيفه و«جاء في أثناء الأمر» أي في خلاله جمع «ثنى» بالكسر.

«فتقترع» في بعض النسخ بالقاف من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة والاختبار فالغرض نفي تناوب الوسوس وتواردها عليهم، وفي بعضها بالقاف من «فرعه» أي علاه و الأول أنسب بالطبع، و«الرين» بالنون كما في بعض النسخ، الطبع و الدنس والتغطية، و«ران ذنبه على قلبه ريناً» أي غلب، وفي بعضها بالباء الموحدة. و«الفكرة» إعمال النظر في الشيء. «منهم» أي من مطلق الملائكة، و«الغمام والغمام» جمع «الغمامة» وهي السحابة، و«الدلح» جمع «الدالح» وهو الثقليل من السحاب لكثرة مائه، و«الدلح» أن يمشي البعير بالحمل وقد أثقله. و«الشامخ من الجبال» المرتفع العالي، و«الفترة» بالضم، بيت الصائد الذي يتستر به عند تصيده من حصّ ونحوه، ويجمع على «قتر» مثل غرفة وغرف، ويطلق على حلقة الدرع. و«الكوة» النافذة، و«الظلام» ذهاب النور، و«الأهم» الذي لا يهتدى فيه، ومنه فلاة يهائم، قيل: هذا النوع من الملائكة خزّان المطروز واجر السحاب ولعله شامل لمشيعي^{٣٢٦} الثلج والبرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل النزول والموكلون^{٣٢٧} بالجبال للحفظ وسائر المصالح و الساكنون في الظلمات لهداية الخلق وحفظهم أو غير ذلك.

٣٢٦- في المخطوطة: لمشيعي.

٣٢٧- كذا في النسخ، والصحيح «الموكلين» وكذا «الساكنين».

وأقول: يحتمل أن يكون المراد تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب وفي عظم الحلقة بالجبال وفي السواد بالظلمة، بل هو عندي أظهر.

و«تخوم الأرض» بضم التاء، معالها و حدودها، وهي جمع «تخوم» بالضم أيضاً وقيل: واحدها «تخم» بالضم والفتح، وقيل: «التخم» حد الأرض، والجمع «تخوم» نحو فلس وفلوس. وقال ابن الأعرابي وابن السكيت: الواحد «تخوم» والجمع «تخم» مثل رسول ورسول؛ وفي النسخ بالضم. و«الراية» علم الجيش و«مخارق» المواضع التي تمكنت فيها تلك الرايات بخرق الهواء، و«الريح المقيفة» الطيبة الساكنة، وقيل: أي ليست بمضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت.

«قد استفرغتهم أشغال عبادته» أي جعلتهم فارغين عن غيرها، و«حقائق الإيمان» العقائد اليقينية التي تحقق أن تسمى إيمانا، أو البراهين الموجبة له، وفي بعض النسخ «وسلت» بالسين المشددة، يقال: «وسل إلى الله توسيلاً وتوسلاً» أي عمل عملاً تقرب به إليه. «وقطعهم الإيقان به» أي صرفهم عما سوى الوله وجههم إليه، وهو في الأصل التحير من شدة الوجد أذهاب العقل، والمراد عدم الالتفات إلى غيره — سبحانه — و«الرغبة» الإرادة والسؤال والطلب والحرص على الشيء والطمع فيه، والمعنى أن رغباتهم وطلباتهم مقصورة على ما عنده — سبحانه — من قرب و ثواب و كرامته، ولعل الضمائر في تلك الفقرات راجعة إلى مطلق الملائكة كالفقرات الآتية، والباء في قوله — عليه السلام — «بالكأس» إما للاستعانة أو بمعنى «من» وربما يضمن في الشرب معنى الالتذاذ ليتعدى بالباء، و«الكأس» الإناء يشرب فيه أو مادام الشراب فيه، وهي مؤنثة، و«الروية» المروية التي تزيل العطش. و«سويداء القلب وسوداؤه» حبه، و«الوشيجة» في الأصل عرق الشجرة، يقال: «وشجت العروق والأغصان» أي اشتبكت، و«حنيت الشيء» أي عطفته. و«أنفد الشيء» أفناه، و«مادة التضرع» ما يدعو إليه. و«أطلق عن الأسير» إذا حل أسره و«الربة» بالكسر، في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، وعدم نفاد مادة التضرع فيهم لعدم تطرق

النقص إلى علمهم بعظمة الله و بحاجتهم إليه وعدم الشواغل لهم عن ذلك وعدم انتهاء مراتب العرفان و القرب الداعيين لهم إلى التضرّع و العبادة ومع ذلك لا يتطرق الضعف إلى قواهم فيقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قريهم و كلّما ازداد قريهم تضاعف علمهم بعظمته — سبحانه — كما سيأتي الإشارة إليه. و يقال: «تولاه» أي اتخذها ولياً، و«تولّى الأمر» أي تقلّده، وعدم تولّي الإعجاب كناية عن عدم الاستيلاء، و«الإعجاب» استعظام ما يعده الإنسان فضيلة لنفسه، و يقال: «أعجب زيد بنفسه» على البناء للمفعول، إذا ترفع و سرّ بفضائله، و«أعجبني حسن زيد» إذا عجبت منه. و«استكثره» عده كثيراً، و«ما سلف منهم» طاعاتهم السالفة. و«الاستكانة» الذلّ و الخضوع، و استكانة الإجلال خضوعهم الناشئ عن ملاحظة جلال الله و عظمته. و«الفترة» مرّة من الفتور وهو السكون بعد حدة واللين بعد شدة، و«دأب في أمره» كمنع — دؤوباً — جدّ و تعب. و«غاض الماء غيضاً و مغاضاً» قلّ و نقص. و«المناجاة» المخاطبة سرّاً، و«أسلة اللسان» طرفه و مستدقّه. و«الهمس» الصوت الخفيّ، و«الجوار» — كغراب — رفع الصوت بالدعاء و التضرّع، أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة؛ وفي بعض النسخ: «همس الخير» وفي بعضها: «همس الحنين». و توجيهها لا يخلو من تكلف. و«مقاوم الطاعة» صفوف العبادة جمع «مقام» و عدم اختلاف المناكب عبارة عن عدم تقدّم بعضهم على بعض أو عدم انحرافهم. و «ثنيت الشيء ثنياً» عطفته أثناه، أي كفّه و «ثنيت» أيضاً، صرفته إلى حاجته، و«راحة التقصير» الراحة الحاصلة بإقلال العبادة أو تركها بعد التعب. و«عدا عليه» أي قهره و ظلمه، و«التبلّد» ضدّ التجلّد و التحير، و«بلد الرجل بلادة فهو بليد» [أي] غير ذكيّ و لافظن. و «انتضل القوم و تناضلوا» إذا رموا للسبق، و«الهمة» ما همّ به من أمر ليفعل، و«خدائع الشهوات» وساوسها الصارفة عن العبادة، و انتضالها تواردتها و متابعتها. و«الفاقة» الفقر و الحاجة و يوم فاقتهم يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار، ولا يبعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعاتهم بازدياد القرب و إفاضة المعارف و ذكره — سبحانه — لهم و تعظيمه إيّاهم و غير ذلك، فيكون

إشارة إلى يوم جزائهم. و«يتموه» أي قصدوه، و«الانقطاع إلى أحد» صرف الوجه عن غيره و التوجه^{٣٢٨} إليه و الضمير في «رغبتهم» إما راجع إلى الملائكة كضمير «فاقتم» أو إلى الخلق أو إليهما على التنازع. و«الأمد» المنتهى، وقديكون بمعنى امتداد المسافة، و«يرجع» يكون لازماً و متعدياً، تقول: يرجع زيد ورجعته أنا. و«اهترقلان بكذا و استهر فهو مهتر به ومستهر» على بناء المفعول، أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره، و«المادة» الزيادة المتصلة، وكل ما أعنت به قوماً في حرب أو غيره فهو مادة لهم، ولعل المراد هنا بها المعين والمقوي، وكلمة «من» في قوله «من قلوبهم» ابتدائية أي إلى مواد ناشئة من قلوبهم غير منقطعة، وفي قوله «من رجائه» بيانية فالمراد الخوف والرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة، ويحتمل أن تكون الأولى بيانية أو ابتدائية والثانية صلة للانقطاع، والغرض إثبات دوام خوفهم ورجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ «المواد». و«السبب» كل ما يتوصل به إلى غيره، و«الشفقة» الخوف، و«الوني» الضعف والفتور، و«لم تأسرهم» أي لم تجعلهم أسراء، و«الإيثار» الاختيار، و«الوشيك» القريب والسريع، والمعنى: ليسوا بأمرين في ربة الطمع حتى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطموع في الدنيا الفانية على اجتهدهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هو شأن البشر.

و«استعظام العمل» العجب المنهي عنه، ونسخ الشيء إزالته وإبطاله وتغييره والمراد بالرجاء هنا ما تجاوز الحد المطلوب منه، ويعبر عنه بالاغترار، و«شفقات الوجل» تارات الخوف ومراته. «لم يختلفوا في ربهم» أي في الإثبات والني، أو في التعيين، أو في الصفات كالتجرد والتجسم وكيفية العلم وغير ذلك وقيل: أي في استحقاق كمال العبادة، ويقال: «استحوذ عليه» أي استولى، وهو مما جاء على الأصل من غير إعلال. و«التقاطع» التعادي وترك البر والإحسان، و«توليت الأمر» أي قت به، و«توليت فلاناً» اتخذته ولياً أي محبباً وناصرأ، و«الغل» الحقد. و«الشعبة من كل شيء» الطائفة منهم، و«شعبتهم» أي فرقهم؛ وفي بعض النسخ:

«تشعّبهم» على التفعّل والأوّل أظهر. و«الريب» جمع «ريبة» بالكسر وهو الشكّ أو هو مع التهمة، و«مصارفها» وجوهها وطرقها من الأمور الباطلة التي تنصرف إليها الأذهان عن الشبه، أو وجوه انصراف الأذهان عن الحقّ بالشبه أو الشكوك والشبه أنفسها. و«اقتسموا المال بينهم» أي تقاسموه، و«أخياف الهمم» مختلفها وأصله من «الخيف» بالتحريك وهوزرقة إحدى العينين وسواد الأخرى في الفرس وغيره ومنه قيل لإخوة الأئمّ «أخياف» لأنّ آباءهم شتّى. و«الهمّة» بالكسر، ماعزمت عليه لتفعله، وقيل: أوّل الغزم. والغرض نفي الاختلاف بينهم والتعادي والتفرّق بعروض الشكوك واختلاف الغزائم، وأنفي الاختلاف عنهم وبيان أنّهم فرقة واحدة لبراءتهم عن الريبة واختلاف الهمم.

و«الزيف» الجور والعدول عن الحقّ، وفي التفرّيع دلالة على أنّ الصفات السابقة من فروع الإيمان أولوازمه، و«الطبق» محرّكة في الأصل الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه «الحمى المطبقة» و«الجنون المطبق» و«السموات أطباق» لأنّ كلّ سماء طبق لما تحتها. و«الإهاب» - ككتاب - الجلد. و«الحافد» المسرع والخفيف في العمل، ويجمع على «حفد» بالتحريك ويطلق على الخدم لإسراعهم في الخدمة. و«العزّة» القوة والغلبة، و«العظم» - كعنب - خلاف الصغر مصدر «عظم» وفي بعض النسخ بالضمّ وهواسم من «تعظّم» أي تكبّر.

و«دحوها على الماء» أي بسطها. و«كبس الرجل رأسه في قيصه» إذا أدخله فيه، و«كبس البرّ والنهر» طمّهما بالتراب وملاهما، قال بعض شارحي النهج: «كبس الأرض» أي أدخلها الماء بقوة واعتماد شديد. و«مور الأمواج» أي تحرّكها واضطرابها و«استفحل الأمر» أي تفاقم واشتدّ، وقيل: «أمواج مستفحلة» أي هائجة هيجان الفحول، وقيل: أي صائلة. و«اللّجة» بالضمّ، معظم الماء، ومنه «بحر لحيّ»، و«زخر البحر» مدّ و كثر ماؤه وارتفعت أمواجه. و«اللطم» ضرب الخدّ بالكفّ مفتوحة، و«التطمت الأمواج و تلاطمت» ضرب بعضها بعضاً، و «الآذني» بالمدّ والتشديد، الموج الشديد، والجمع «أواذي». و«الصفق» الضرب يسمع له صوت و «الصفق»

الردة، و«اصطفقت الأمواج» أي ضرب بعضها بعضاً وردها، و«التقاذف» الترامي بقوة، و«الشيح» بتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحدة و«ثبج البحر» بالتحريك، معظمه ووسطه، وقيل: أصله ما بين الكاهل إلى الظهر، والمراد أعالي الأمواج. و«الرغا» بالضّم، صوت الإبل. و«الزبد» بالتحريك، الذي يعلو السيل، وقيل: «زبدًا» منصوب بمقدّر، أي ترغو قاذقة زبدًا.

وأقول: الظاهر أنّ «ترغو» من «الرغوة» مثلثة وهي الزبد يعلو الشيء عند غليانه، يقال: «رغى اللبن» أي صارت له رغوة، ففيه تجريد ولا ينافيه التشبيه بالفحل، و«الفحل» الذكر من كلّ حيوان، وأكثر ما يستعمل في الإبل، و«هاج الفحل» ثار واشتهى الضراب. و«خضع» أي ذلّ، و«جماح الماء» غليانه من «جماح الفرس» إذا غلب فارسه ولم يملكه. و«هيج الماء» ثورانه وفورته، و«الارتباء» الترامي والتقاذف، و«ارتباء الماء» تلاطمه، وأصل «الوطء» الدوس بالقدم، و«الكلكل» الصدر. و«ذلّ» أي صار ذليلاً أو ذلولاً، ضدّ الصعب؛ وفي بعض النسخ: «كلّ» أي عرض له الكلال، من «كلّ السيف» إذا لم يقطع. و«المستخذي» بغير همز كما في النسخ، الخاضع والمنقاد، وقد يهتز على الأصل. و«تمعكت» مستعار من «تمعكت الدابة» أي تمرّغت في التراب، و«الكاهل» ما بين الكتفين. «فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً»، «الاصطخاب» افتعال من الصخب، وهو كثرة الصياح واضطراب الأصوات، و«الساجي» الساكن. و«الحكمة» محرّكة، حميدة في اللجام [و] تكون على حنك الفرس تمنعه عن مخالفة راحته.

ثم إنه أورد هنا^{٣٢٩} إشكالاً، وهو أنّ كلامه — عليه السلام — يشعر بأنّ هيجان الماء وغليانه وموجه سكن بوضع الأرض عليه، وهذا خلاف مانشاهده ويقتضيه العقل لأنّ الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموّج وصعد علوّاً فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه؟

وأجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه

بجسم يحول بينه وبين تلك الريح، ولذلك إذا جعلنا في الاناء ماءً وروّحنا بمروحة فإنّه يتحرّك، فإن جعلنا على سطح الماء جسماً يملأ حافات الإناء وروّحناه بالمروحة فإنّ الماء لا يتحرّك، لأنّ ذلك الجسم قد حال بين الهواء المحتلب بالمروحة وبين سطح الماء، فمن الجائز أن يكون الماء في الأول هائجاً لأجل ريح محرّكة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء وبين تلك الريح وسيأتي في كلامه — عليه السلام — ذكر هذه الريح حيث قال: اعتقم مهبتها... إلى آخر ماسيأتي. والأولى أن يقال: إنّ غرضه — عليه السلام — ليس نفي التموج مطلقاً بل نفي التموج الشديد الذي كان للماء إذ حمله — سبحانه — على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة بقدرته الكاملة وأنشأ ربحاً منخفضاً مخض السقاء، فكانت كرة الماء تندفق من جميع الجوانب وتردّ الريح أوله على آخره و ساجيه على مائره، كما سيأتي في كلامه — عليه السلام —. ثمّ لما كبس الأرض بحيث لم يحيط الماء بجميعها فلاريب في انقطاع الهبوب و التمويج^{٣٣٠} من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء، وأيضاً لما منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الذي كان ينتهي إليه ذلك الحّد من الماء كان ذلك أيضاً من أسباب ضعف التموج وقلة التلاطم، وأيضاً لما تفرقت كرة الماء في أطراف الأرض و مال الماء بطبعه إلى المواضع المنخفضة من الأرض وصار البحر الواحد المجتمع بحاراً متعدّدة وإن اتّصل بعضها ببعض وأحاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلّا من جهة السطح الظاهر سكنت الفورة الشديدة بذلك التفرّق وقلة التعمّق و انقطاع الهبوب فكلّ ذلك من أسباب السكون الذي أشار إليه — عليه السلام —.

وأقول: ممّا بيّن ذلك أنّه إذا فرضنا حوضاً يكون فرسخاً في فرسخ وقدّرنا بناء عمارة عظيمة في وسطه فلاريب في أنّه يقلّ بذلك أمواجه، وكلّما وصل موج من جانب من الجوانب إليه يرتدع ويرجع. ثمّ إنّ هذه الوجوه إنّما تبدى جرياً على قواعد الطبيعيتين وخيالاهن الواهية، وإلّا فبعد ما ذكره — عليه السلام — لاحتاجة لنا إلى إبداء وجه، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لا تحيط به

عقولنا الضعيفة.

وقال ابن ميثم: مقتضى الكلام أن الله— تعالى— خلق الماء قبل الأرض وسكن بها مستفحل أمواجه، وهذا مما شهد به البرهان العقلي فإن الماء لما كان حاوياً لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماس لسطحه الظاهر مكاناً لها، وظاهر أن للمكان تقدماً طبيعياً باعتبار ما على المتمكن فيه وإن كان اللفظ يعطي تقدماً خلق الماء على خلق الأرض تقدماً زمانياً كما هو المقبول عند السامعين. ٣٣١ انتهى.

ولا يخفى بعد أمثال تلك التأويلات الباردة في تلك العبارات الظاهرة الدلالة على التقدم والحدوث الزمانيين كما ستعرف إن شاء الله— تعالى—.

«وسكنت الأرض مدحوة» أي مبسطة، ولا ينافي الكروية، وقيل: هو من «الدحو» بمعنى القذف والرمي، و«اللجة» معظم الماء كما مر، و«التيار» الموج وقيل: أعظم الموج، و«لجته» أعمقه. و«النخوة» الافتخار والتعظم والأنفة والحمية، و«البأو» الرفة والتعظم والكبر، و«الاعتلاء» التيه والترفع. و«شمخ بأنفه» أي تكبر من «شمخ الجبل» إذا ارتفع، و«السمو» العلو، و«غلواء الشباب» أوله وشرفته، والغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم ومنعها إياه عن تموجه وهيجانه. و«كعمت البعير» أي شددت فيه إذا هاج بالكعام— ككتاب— وهو شيء يجعل في فيه، و«الكظة» بالكسر، ما يعتري الممتلي من الطعام، و«الجرية» بالكسر، حالة الجريان، أو مصدر، و«كظة الجرية» ما يشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل. و«هدمت الريح» سكنت. و«همود النار» خودها، و«نزق الفرس» كسمع ونصر وضرب— نزقاً ونزوقاً— نزي وثب، و«النزقات» دفعاته و«نزق الغدير» امتلاء إلى رأسه، وعلى هذا فالهمود بمعنى الغور والأول أظهر. و«الزيفان» بالتحريك، التبخر في المشي، من «زاف البعير يزيف» إذا تبخر؛ وفي بعض النسخ: «ولبد بعد زيفان وثباته»، يقال: «لبد بالأرض»— كنصر— إذا لزمها وأقام ومنه «اللبد»— ككتف— لمن لا يبرح منزله ولا يطلب معاشاً، ويروى: «ولبد بعد زيفان» بتقديم الفاء على الياء،

وهو شدة هبوب الريح، يقال: «زفت الريح السحاب» إذا طردته، و«الزفيان» بالفتح، القوس السريعة الإرسال للسهم، و«الوثبة» الطفرة. و«هيج الماء» ثورانه و فورته، و«أكنافها» أي جوانبها و نواحيها، و«شواحق الجبال» عواليها، و«الباذخ» العالي. و«الينبوع» ما انفجر من الأرض من الماء ولعله اعتبر فيه الجريان بالفعل فيكون من إضافة الخاص إلى العام أو التكرير للمبالغة، وقيل: «الينبوع» الجدول الكثير الماء فلا يحتاج إلى تكلف، و«عرنين الأنف» أوله تحت مجتمع الحاجبين، والظاهر أن ضمير «أنوفها» راجع إلى الأرض كالضمائر السابقة واللاحقة، واستعار لفظ «العرنين» و «الأنف» لأعالي رؤوس الجبال، وإنّا خصّ الجبال بتفجّر العيون منها لأنّ العيون أكثرما يتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعة، وأثر القدرة فيها أظهر ونفعها أتم. و «السهب» الفلاة البعيدة الأكناف و الأطراف، و «البيد» بالكسر، جمع بيداء وهي الفلاة التي يبيد سالكها أي يهلكه، و«الأخاديد» جمع «أخدود» وهو الشق في الأرض، والمراد بأخاديدها مجاري الأنهار. ولعلّ تعديل الحركات بالراسيات أي الجبال الثابتات جعلها عديلاً للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركة فيستفاد سكونها، فالباء صلة لاسبيبة، أو المعنى سوى الحركات في الجهات أي جعل الميول متساوية بالجبال فسكنت لعدم المرجح، فالباء سبيبة، ويحتمل أن يكون المراد أنه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرك للزلازل وقد لا تتحرك، ولم يجعل الحركة غالبية على السكون مع احتمال كونها دائماً متحركة بحركة ضعيفة غير محسوسة ومن ذهب إلى استناد الحركة السريعة إلى الأرض لا يحتاج إلى تكلف. و «الجلاميد» جمع «جلمد و جلمود» أي الصخور، و «الشناخيب» جمع «شنخوب» بالضم، أي رؤوس الجبال العالية و«الشم» المرتفعة العالية، و«الصياخيد» جمع «صبخود» وهي الصخرة الشديدة. و«الميدان» بالتحريك، التحرك والاضطراب، و «رสบ في الماء» كنصر وكرم - رسوباً» ذهب سفلاً، و«جبل راسب» أي ثابت، و«القطع» - كعنب - جمع «قطعة» بالكسر، وهي الطائفة من الشيء، و يروى بسكون الطاء وهو طنفسة الرحل، قيل: كأنه جعل الأرض ناقة وجعل لها قطعاً، وجعل الجبال في ذلك القطع. و«الأديم» الجلد المدبوغ، و«أديم السماء

و «الأرض» ماظهر منها ورسوب الجبال في قطع أديمها دخولها في أعماقها.
و«التغلغل» الدخول، و«السرب» بالتحريك، بيت في الأرض لامتغذله
يقال: «تسرب الوحش و انسرب في جحره» أي دخل، و«الجوبة» الحفرة و الفرجة
و«الخيشوم» أقصى الأنف، و«السهل من الأرض» ضد الحزن، و«جرثومة الشيء»
بالضّم، أصله، وقيل: التراب المجتمع في أصول الشجر، وهو أنسب. ولعلّ المراد
بجراثيمها المواضع المرتفعة منها، ومفاد الكلام أنّ الأرض كانت متحركة مضطربة قبل
خلق الجبال فسكنت بها، وظاهره أنّ لنفوذ الجبال في أعماق الأرض و ظهورها و
ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلاً في سكونها، وقد مرّ بعض القول في ذلك في كتاب
التوحيد وسيأتي بعضه في الأبواب الآتية إن شاء الله.

و«فسح له» — كمنع — أي وسع، ولعلّ في الكلام تقدير مضاف أي بين
منتهى الجوّ وبينها، أو المراد بالجوّ منتهاه أعني السطح المقرّر للسماء. و«المتنسم» موضع
التنسم وهو طلب النسيم و استنشاقه، وفائدته ترويح القلب حتّى لا يتأذى بغلبة
الحرارة. و«مرافق الدار» ما يستعين به أهلها و يحتاج إليه في التعيش، وإخراج أهل
الأرض على تمام مرافقها بإيجادهم وإسكانهم فيها بعد تهيئة ما يصلحهم بمعاشهم و التزوّد
إلى معادهم. و«الجرز» بضمتين، الأرض التي لانبات بها و لأماء، و«الرابية» ما
ارتفع من الأرض و كذلك «الربوة» بالضمّ ٣٣٢، و«الجدول» — كجعفر — النهر
الصغير، و«الذريعة» الوسيلة. و«ناشئة السحاب» أول ما ينشأ منه، أي يبتدئ
ظهوره، و يقال: «نشأت السحاب» ٣٣٣ إذا ارتفعت، و«الغمام» جمع «الغمامة» ٣٣٤
بالفتح فيها، وهي السحابة البيضاء، و«اللمع» — كصرد — جمع «لمعة» بالضمّ وهي
في الأصل قطعة من النبات إذا أخذت في اليبس كأنها تلمع و تضيء من بين سائر
البقاع، و«القرع» جمع «قرعة» بالتحريك فيها، وهي القطعة من الغيم، و«تباين
القرع» تباعدها. و«المنحصر» بالفتح، تحريك السقاء ٣٣٥ الذي فيه اللبن ليخرج زبده و

٣٣٢- بل بالتثنية.

٣٣٤- في بعض النسخ: غمامة.

٣٣٣- في المخطوطة: السحابة.

٣٣٥- «السقاء» بكسر السين وتخفيف القاف، وعاء من الجلد للماء واللبن.

«تمخّضت» أي تحرّكت، و«اللّجّة» معظم الماء، و«المزن» جمع «المزنة» بالضمّ فيها، وهي الغيم، وقيل: السحابة البيضاء، وضمير «فيه» راجع إلى المزن أي تحرّكت فيه اللّجّة المستودعة فيه واستعدّت للنزول. و«التمع البرق ولمع» أي أضاء و«كفّفه» حواشيه وجوانبه، وطرف كلّ شيء «كُفّة» بالضمّ، وعن الأصمعيّ: كلّ ما استطال كحاشية الثوب و الرمل فهو «كُفّة» بالضمّ، و كلّ ما استدار ككُفّة الميزان فهو «كُفّة» بالكسر ويجوز فيه الفتح. و«وميض البرق» لمعانه، و«لم يمْ» أي لم ينقطع ولم يفتّر، و«الكنهور» — كسفرجل — قطع من السحاب كالجبال، وقيل: المتراكم منه، و«الرباب» — كسحاب — الأبيض منه، وقيل: السحاب الذي تراه كأنّه دون السحاب وقد يكون أسود وقد يكون أبيض جمع «ربابة». و«المتراكم و المرتكم» المجتمع، وقيل: الميم بدل من الباء كأنّه ركب بعضه بعضاً، و«السّخّ» الصبّ والسيلان من فوق، و«المتدارك» من «الدرك» بالتحريك، وهو اللحاق، يقال: «تدارك القوم» إذا لحق آخرهم أولهم. و«أسفّ الطائر» إذا دنا من الأرض، و«هيدبه» ماتهدّب منه أي تدلّى كما تتدلّى هذب العين، و«مرى الناقة يمرّها» أي مسح ضرعها حتّى درّ لبنها وعذّي ههنا إلى مفعولين، وروي: «تمرى» بدون الضمير، و«الجنوب» بالفتح، الريح مهبّتها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا، وهي أدّرّ للمطر، و«الدرر» — كعنب — جمع «درة» بالكسر، أي الصبّ و الاندفاق، وقيل: «الدرر» الدارّ كقوله — تعالى —: «فَيْبِأُ أَي قائماً، و«الهضب» المطر، ويجمع على أهضاب ثمّ على أهاضيب كقول و أقوال و أقاويل، و «الدّفعة من المطر» بالضمّ، ما انصبّ مرّة، و«الشّاييب» جمع «شوب» وهو ما ينزل من المطر دفعة بشدّة.

و«البرك» الصدر، و«البواني» قوائم الناقة و أركان البنية. وقال بعض شراح النهج: «بوانها» بفتح النون، تثنية «بوان» على فعال بكسر الفاء، وهي عمود الخيمة، والجمع «بون» ومن روى «بوانها» أراد لواصقها من قولهم قوس بانية إذا التصقت بالوتر، والرواية الأولى أصحّ. [انتهى.] وفي النسخ القديمة المصحّحة على صيغة الجمع،

وفي النهاية فسر البواني على أركان البنية، وفي القاموس بقوائم الناقة، وعلى التقادير الإضافة لأدنى ملابسة. وفي الكلام تشبيه السحاب بالناقة المحمول عليها، والخيمة التي جرّ عمودها. و«البعاع» — كسحاب — ثقل السحاب من المطر، و«استقلت» أي نهضت وارتفعت، و«استقلت به» حملته ورفعته، و«العبء» الحمل و الثقل بكسر الجميع. و«الموامد من الأرض» التي لانبات بها، و«الزعر» بالتحريك، قلّة الشعر في الرأس، يقال: رجل أزعر، و«الأزعر» الموضع القليل النبات، والجمع «زعر» بالضمّ، كأحر وحر والمراد ههنا القليلة^{٣٣٧} النبات من الجبال تشبيهاً بالرؤوس القليلة الشعر، و«العشب» بالضمّ، الكلأ الرطب. و«بهج» — كمنع وفرج — [سر] وقال بعض الشراح: من رواه بضمّ الهاء أراد: يحسن ويملح من البهجة أي الحسن، و«الروضة من العشب» الموضع الذي يستنقع فيه الماء، و«استراض الماء» أي استنقع، و«تزدهي» أي تتكبر وتفتخر، افتعال من «الزهو» وهو الكبر والفخر، و«الريط» جمع «ريطة» بالفتح فيها، كلّ ملاءة ليست بلفقين أي قطعتين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة، وقيل: كلّ ثوب رقيق لين. و«الأزاهير» جمع «أزهار» جمع «زهرة» بالفتح، وهي النبات ونوره، وقيل: الأصفر منه، وأصل الزهرة الحسن والبهجة، و«الحيلة» بالكسر، ما يترين به من مصوغ الذهب والفضة والمعدنيات. «ماسمتت به» أي أعلقت^{٣٣٨} على بناء المجهول من التفعيل، وفي بعض النسخ الصحيحة بالشين المعجمة، و«الشميط من النبات» ما خالط سواده النور الأبيض، وأصله «الشمط» بالتحريك، وهو بياض الرأس يخالط سواده و«النضارة» الحسن والطراوة، و«النور» بالفتح، الزهر أو الأبيض منه، و«البلاغ» بالفتح، ما يتبلّغ به ويتوسّل إلى الشيء المطلوب، و«الفجّ» الطريق الواسع بين الجبلين، و«الفجاج» جمعه، و«خرقها» خلقها على الهيئة المخصوصة، و«الآفاق» النواحي، و«المنار» جمع «منارة» وهي العلامة، والمراد ههنا^{٣٣٩} ما يهتدي

٣٣٧- في المخطوطة: القليل.

٣٣٨- في بعض النسخ: علقت.

٣٣٩- في المخطوطة: هنا.

به السالكون من الجبال و التلال أو النجوم، والأول هنا أظهر و«الجادة» وسط الطريق ومعظمه.

و«مهد الشيء» وسعه وبسطه، و«مهد الأمر» سواه وأصلحه، ولعل المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحة في نظام أمور ساكنيها، وقيل: يحتمل أن يراد بتمهيد الأرض جعلها مهاداً أي فراشاً كما قال — جلّ وعلا: — «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً»^{٣٤٠}، أو جعلها مهاداً أي مستقراً كالمهد للصبي كما قال — سبحانه —: «أَلَيْدِي جَعَلْ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَاداً»^{٣٤١} و«إنفاذ الأمر» إمضاؤه وإجراؤه، و«الخيرة» — كعنبه — المختار، و«الجبلة» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، الخلقة والطبيعة، وقيل في قوله — تعالى —: «وَالْجِبَلُ الْأَوَّلِينَ»^{٣٤٢} أي ذوي الجبلة، ويحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق، وقيل: «الجبلة» الجماعة من الناس، والمراد بأول الجبلة أول شخص من نوع الإنسان رداً على من قال بقدوم الأنواع المتوالدة. و«أرغد الله عيشه» أي جعله واسعاً طيباً، و«الأكمل» بضمّتين، الرزق والحظ، قال الله — تعالى —: «وَكَمَلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا»^{٣٤٣}. و«أوعزت إلى فلان في فعل أو ترك» أي تقدّمت، والمراد النهي عن الأكل من الشجرة، و«خاطر بنفسه وماله» أي أشفاها على خطر وألقاها في مهلكة، والضمير في «منزلته» راجع إلى آدم، ويحتمل رجوعه إليه — سبحانه — كضمير «معصيته» على الظاهر.

قوله — عليه السلام — «موافاة» قال ابن أبي الحديد: لا يجوز أن ينتصب لأنّه مفعول له ليكون عذراً وعلّة للفعل، بل على المصدرية المحضة كأنه قال: فوافاً بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة. «فأهبطه بعد التوبة» هو صريح في أنّ الإهباط كان بعد التوبة فما يظهر من كثير من الآيات والأخبار من عكس ذلك لعلّه محمول على التوبة الكاملة أو على القبول ويقال بتأخره عن التوبة. وقد تقدّم تأويل تلك المعصية وأضرابها في المجلد الخامس.

«مما يؤكد عليهم» لعلّ التعبير بلفظ التأكيد لكون معرفة الربّ — سبحانه — فطرية أو لوضوح آيات الصنع في الدلالة على الخالق — جلّ ذكره — أو للأمرين. وقال في المغرب: «تعهد الضيعة وتعاهدها» أتاها وأصلحها، وحقيقته جدّد العهد بها. و«القرن» أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنّه المقدار الذي يقتون فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، فقل: أربعون سنة، وقل: ثمانون سنة وقل: مائة. وقال الزجاج: الذي عندي — والله أعلم — أنّ القرن أهل كلّ مدة كان فيها نبيّ أو طبقة من أهل العلم سواء قلّت السنون أو كثرت. و«مقطع الشيء» آخره كأنه قطع من هناك، و«عذر الله» ما بين للمكلفين من الأعذار في عقوبته لهم إن عصوه، و«نذره» ما أنذرهم به من الحوادث و من أنذره على لسانه من الرسل كذا قيل وقيل: هما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار والمراد ختم الرسالة بنبيّنا — صلى الله عليه وآله —.

«وقدر الأرزاق» لما كان المتبادر من القسمة البسط على التساوي، بين ما أراده بذكر الكثير والقليل، ثمّ لما كان ذلك موهماً للجور دفع الوهم بذكر العدل ونبه على وجه الحكمة بذكر الابتلاء والاختبار، وروي: «فعدّل» بالتشديد و «التعديل» التقويم، والمآل واحد. و«الابتلاء» الامتحان، و«الميسور» المعسر، مصدران بمعنى العسر واليسر كالمفتون بمعنى الفتنة، ويمتنع عند سيبويه مجيء المصدر على مفعول، قال: «الميسور» الزمان الذي يوسر فيه. والاختبار فيه — سبحانه — صورته. و «غنيها وفقيرها» نشر على ترتيب اللفظ على الظاهر، والضمير فيها إلى الأرزاق، وفي الإضافة توسّع، ويحتمل عوده إلى الأشخاص. — المفهوم من المقام — أو إلى الدنيا، أو إلى الأرض، ولعلّ إحديها أنسب ببعض الضمائر الآتية.

و «العقابيل» جمع «عقبول وعقبولة» بالضمّ، وهي قروح صغار تخرج بالشفة غبّ الحصى وبقايا المرض، وفي تشبيه الفاقة وهي الفقر والحاجة وآثارها^{٣٤٤} بالعقابيل من اللطف ما لا يخفى لكونها ممّا يقبح في المنظر وتخرج في العضو الذي لا يتيسر سترها عن الناس وتشتمل على فوائد خفية وكذلك الفقر وما يتبعه، وأيضاً تكون غالباً

بعد التلذذ بالنعم. و«طوارق الآفات» متجددات المصائب و ما يأتي منها بغتة من «الطروق» وهو الإتيان بالليل. و«الفرج» جمع «فرجة» وهي التفصي من الهمّ و فرجة الحائط أيضاً، و«الفرج» السرور و النشاط، و«الغصة» بالضم، ما اعترض في الحلق، و«الترح» بالتحريك الهمّ و الهلاك و الانقطاع أيضاً.

و«الأجل» محرّكة، مدة الشيء، و غاية الوقت في الموت، و حلول الدين، و تعليق الإطالة و التقصير على الأول واضح؛ و أمّا التقديم و التأخير، فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مدة غاية و حينئذ يرجع التقديم إلى التقصير و الإطالة إلى التأخير و يكون العطف للتفسير تأكيداً، و يحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقاً على بعض و تقديم بعض الأهم على بعض مثلاً فيكون تأسيساً، و يمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلاً كما ورد في الأخبار و بتأخيرها مذهباً لبعض الأسباب فيعود الضمير في «قدمها و آخرها» إلى الآجال بالمعنى الثاني على وجه الاستخدام أُنوع من التجوّر في التعليق كما مرّ. و«السبب» في الأصل الحبل يتوسّل به إلى الماء و نحوه ثمّ توسّعوا فيه، و اتّصل أسباب الآجال أي أسباب انقضائها أو أسباب نفسها^{٣٤٥} على المعنى الثاني بالموت^{٣٤٦} واضح، و يحتمل أن تكون الأسباب عبارة عن الآجال بالمعنى الأول. و«خالجاً» أي جاذباً، و«الشطن» بالتحريك، الحبل، و أشطان الآجال التي يجذبها الموت هي الأعمار شبّهت بالأشطان لطولها و امتدادها. و «المراث» جمع «مرير و مريرة» و هي الحبال المفتولة على أكثر من طاق، ذكره في النهاية؛ و قيل: الحبال الشديدة الفتل، و قيل: الطول الدقاق منها. و«الأقران» جمع «قرن» بالتحريك، و هو في الأصل حبل يجمع به البعيران و لعلّ المراد بمراث أقران الآجال، الأعمار التي يرجى امتدادها لقوة المزاج و البنية و نحوذلك.

و كلمة «من» في قوله «من ضماثر المضميرين» بياّية، و«الضماثر» الصور الذهنية المكنونة في المدارك. و«النجوى» اسم يقام مقام المصدر، و هو المسارة.

٣٤٥- في المخطوطة: أنفسها.

٣٤٦- الجارّ و المجرور متعلّق بقوله «اتّصال».

و«الخواطر» ما يخطر في القلب من تدبير أمر ونحو ذلك. و«رجم الظنون» كل ما يسبق إليه الظن من غير برهان أو مسارعة، و«الحديث المرجم» الذي لا يدري أحق هو أم باطل. و«عقدة كل شيء» بالضم، الموضع الذي عقد منه وأحكم. و«مسارق العيون» النظرات الخفية كأنها تسترق النظر لإخفائها، و«أومضت المرأة» إذا سارقت النظر، و«أومض البرق» إذا لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم، و«الجفن» بالفتح، غطاء العين من أعلى وأسفل وجمعه «جفون وأجفن وأجفان» والمقصود إحاطة علمه سبحانه — بكل معلوم جزئي وكلّي ردّاً على من قصر علمه على البعض كالكلّيات. و«الأكنان والأكنة» جمع «الكِن» بالكسر، وهواسم لكل ما يستتر فيه الإنسان لدفع الحرّ والبرد من الأبنية ونحوها، وستر كل شيء ووقاؤه كما قال — تعالى: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»^{٣٤٧}. وقال ابن أبي الحديد: ويروى: «أكنة القلوب» وهي غلفها وأعطيتها [و] قال الله — تعالى: «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ»^{٣٤٨}.

و«غياة البئر» قعره. و«أصغى» أي استمع، و«أصغى إليه» أي مال بسمعه نحوه و«استراق السمع» الاستماع في خفية، و«صاخ وأصاخ له» أي استمع و«مصائخ الأسماع» خروقتها التي يستمع بها. و«الذّر» صغار النمل، و«مصائفها» المواضع التي تصيف فيها أي تقيم فيها بالصيف. و«مشاتي الهوام» مواضع إقامتها بالشتاء، و«الهامة» كل ذات سم يقتل، ومالا يقتل فهو السامة كالعقرب، وقديقع الهوام على ما يدب من الحيوان كالحشرات. و«الحنين» شدة البكاء وصوت الطرب عن حزن أو فرح، و«رجعه» ترجيعه وترديده، وقيل: أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها أثرولدها، و«المولها» النوق، وكل أنثى حيل بينها وبين أولادها؛ وفي بعض النسخ: «المولها» وأصل الوله زوال العقل والتحرير من شدة الوجد. و«الهمس» أخفى ما يكون من صوت القدم أو كل صوت خفي. و«المنفسح» موضع السعة، و«منفسح

الثمرة» موضع نموها في الأكمام؛ ويروى: «متفسخ» بالخاء المعجمة وتشديد السين و التاء، مصدراً من «تفسخت الثمرة» إذا انقطعت، و«الوليجة» الدخيلة والبطانة. وقال ابن أبي الحديد: «الولائج» المواضع الساترة والواحد^{٣٤٩} «وليجة» وهي كالكهف يستتر فيها المارة من مطر أو غيره. و«الغلف» بضمة وبضمتين^{٣٥٠}، جمع «غلاف» — ككتاب — و يوجد في النسخ على الوجهين، و«الكم» بالكسر، وعاء الطلع و غطاء الثور وجمعه «أكمام و أكمة و كمام»، وكلمة «من» على ما في الأصل بيانية أوتبعيضية، وعلى الرواية صلة أو بيانية. و«المنقمع» على زنة المفعول من باب الانفعال، موضع الاختفاء، كما في أكثر النسخ وفي بعضها من باب التفعّل بمعناه، و«الغيران» جمع «غار» وهو ما ينحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتسع قيل: كهف؛ وقيل: «الغار» الجحر يأوي إليه الوحش، أو كلّ مطمئن في الأرض أو المنخفض من الجبل. و«البعوض» البق، وقيل: صغارها، والواحدة بهاء^{٣٥١} و«مختبأ البعوض» موضع اختفائه، و«السوق» جمع ساق، و«الألحية» جمع «اللحاء» — ككساء — وهو قشر الشجر. و«غرز في الأرض» — كضربه —، أدخله وثبته، و«مغرز الأوراق» موضع وصلها، و«الأفنان» جمع «فن» بالتحريك، وهو الغصن. و«الحظ» الحذر من علو إلى سفلى و«الأمشاج» قيل: مفرد، وقيل: جمع «مشج» بالفتح أو بالتحريك أو «مشيج» على فعيل أي المختلط. قيل في قوله — تعالى —: «مِنْ نُّظْفَةِ أَمْشَاجٍ»^{٣٥٢}: أي أخلاط من الطبائع من الحرارة و البرودة والرطوبة و اليبوسة؛ وقيل: من الأجزاء المختلفة في الاستعداد؛ وقيل: «أمشاج» أي أطوار: طوراً نظفة، وطوراً علقية، وهكذا؛ وقيل: أي أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة وسيأتي الكلام فيه. و كلامه — عليه السلام — يؤيد بعض الوجوه الأولى كما لا يخفى.

و«المسارب» المواضع التي ينسرب فيه المني أي يسيل، أو ينسرب فيها المني

٣٤٩- في المخطوطة: الواحدة.

٣٥٠- في بعض النسخ: أوضمتين.

٣٥١- يعني: يزاد في آخرها هاء فيقال: بعوضة.

٣٥٢- الدهر: ٢.

أي يختفي، من قولهم «انسرب الوحشي» إذ دخل في جحره و اختفى، أو مجاري المنى من السرب بمعنى الطريق، والمراد أوعيتها من الأضلاب أو مجاريها، و تفسير المسارب بالأخلاق التي يتولد منها المنى كما احتمله ابن ميثم بعيد، والمراد بمحط الأمشاج مقر النطفة من الرحم أو من الأضلاب على بعض الوجوه في المسارب فتكون كلمة «من» تبعيضية، ولعلّ الأول أظهر.

و«الناشئة من السحاب» أول ما ينشأ منه ولم يتكامل اجتماعه أو المرتفع منه، و «متلاحم الغيوم» ما التصق منها بعضها ببعض. و«الدور» السيلان، و«القطر» بالفتح، المطر، والواحدة «قطرة»، و«السحاب» جمع سحابة، و«متراكمها» المجتمع المتكاثف منها؛ وفي بعض النسخ: «وتراكمها».

و«سفت الريح التراب تسفيه» أي ذرته ورمته به أو حملته، و«الأعاصير» جمع «الإعصار» وهو بالكسر الريح التي تهبّ صاعداً من الأرض نحو السماء كالعمود، وقيل: التي فيها نار، وقيل: التي فيها العصار وهو الغبار الشديد، و«ذيوها» أطرافها التي تجرّها على الأرض، ولطف الاستعارة ظاهر. و«عفت الريح الأثر» إذا طمسته ومحّته، و«عني الأثر» إذا انمحى، يتعدى ولا يتعدى. و«العوام» السباحة وسير السفينة والإبل، و«بنات الأرض» بتقديم الباء على ما في أكثر النسخ، الحشرات والموام التي تكون في الرمال وغيرها كاللحكة والعصابة وغيرهما، وحركتها في الرمال لعدم استقرارها تشبه السباحة، وفي بعض النسخ بتقديم النون، فالمراد حركة عروقها في الرمال كأرجل السابحين وأيديهم في الماء، و«الكثبان» بالضمّ، جمع «الكثيب» وهو التلّ من الرمل. و«المستقر» موضع الاستقرار، ويحتمل المصدر. و«ذروة الشيء» بالضمّ و الكسر، أعلاه. و «غرد الطائر» — كفرح — و«غرد تغريداً» رفع صوته و طرب به وذوات المنطق من الطيور ماله صوت وغناء كأنّ غيره أبكم لا يقدر على المنطق. و«الدياجير» جمع «ديجور» وهو الظلام والمظلم والإضافة على الثاني من إضافة الخاصّ إلى العام، و«الوكر» بالفتح، عشّ الطائر. و«ما أوعته الأصداف» أي ما حفظته وجمّعت من اللثالي. و «الحصن» بالكسر، مادون الإبط إلى الكشح أو الصدر، أو العضدان و

مابينها، و«حُضِنَ الصَّبِيَّ» - كنصر - جعله في حضنه، و«ماحضنته الأمواج» العنبر والمسك وغيرهما. و«ماغشيته» أي غطته، و«السدفة» بالضم، الظلمة. و«ذَرَّتَ الشمس» أي طلعت، و«شرقت الشمس وأشرقت» أي أضاءت. و«ما اعتقبت» أي تعاقبت وجاءت واحدة بعد أخرى، و«الأطباق» جمع «طبق» بالتحريك، وهو غطاء كل شيء وتارات^{٣٥٣} الظلمة تستر الأشياء كالأغطية. و«سبحات النور» مرآته، و«سبحات وجه الله» أنواره، وقال ابن أبي الحديد: ليس يعني بالسبحات ههنا ما يعني به في قوله «سبحات وجه ربنا» لأنه هناك بمعنى الجلالة، وههنا بمعنى ما يسبح عليه النور أي يجري، من «سبح الفرس» وهو جريه، و«المتعاقبان» النور والظلمة أي ماتغطيه ظلمة بعد نور ونور بعد ظلمة، ويحتمل أن يراد تعاقب أفراد كل منها.

و«أثر القدم» علامته التي تبقى في الأرض، و«الخطوة» المشية. و«الحس» الصوت الخفي. و«رجع الكلمة» ما ترجع به من الكلام إلى نفسك وتردده في فكرك أو جواب الكلمة أوترديد الصوت وترجييعه عند التلفظ بالكلمة، أو إرجاع النفس للتلفظ بكلمة بعد الوقف على كلمة، والرجع يكون لازماً ومتعدياً. و«النسمة» محرّكة، الإنسان أو كل دابة فيها روح، و«مستقر النسمة» إما الصلب أو الرحم أو القبر أو مكانه في الدنيا أو في الآخرة أو الأعم. و«مئثال الذرة» وزنها لا المئثال المعروف كما قال - تعالى -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»^{٣٥٤}. و«الهمهمة» الصوت الخفي أوترديد الصوت في الحلق أوتردد الصوت في الصدر من الهم. «كل نفس هامة» أي ذات همة تعزم على أمر، والوصف للتعميم، و«ما عليها» أي على الأرض بقرينة المقام كقوله - تعالى -: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»^{٣٥٥}. و«النطفة» ماء الرجل، والماء الصافي قلّ أو كثر ويطلق على قليل ماء في دل أو قربة، والأول أظهر في المقام. و«قرارتها» موضعها الذي تستقر فيه، وأصل القرارة المطمئن من الأرض يستقر فيه ماء المطر وجمعها «القرار». و«نقاعة كل شيء» بالضم، الماء الذي ينقع فيه، وقال الشراح: «النقاعة» نقرة يجتمع فيها الدم. و«المضغة» بالضم، القطعة من اللحم قدر ما يمزغ. و«ناشئة الخلق»

الصورة ينشئها —سبحانه— في البدن أو الروح التي ينفخها فيه، و«السلالة» بالضم، ما استلّ واستخرج من شيء، وفي الكلام إشارة إلى قوله —سبحانه—: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ...» إلى قوله: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^{٣٥٦}. ثم الغرض من ذكره هذه الأشياء التنصيص على عموم علمه —سبحانه— مع الإشارة إلى أصناف خلقه وأنواع برّيته وعجائب ربوبيته، فإنّ الدليل على علمه بها خلقه لها وحفظه وتربيته لكلّ منها وإظهار بدائع الحكمة في كلّ صفة من أوصافها وحال من أحوالها كما قال —سبحانه—: «الْأَيْغُلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^{٣٥٧}.

«لم يلحقه في ذلك» المشار إليه إمّا العلم بالجزئيات المذكورة وإمّا خلق الأشياء المذكورة قبل تفصيل المعلومات أوفياً أيضاً كما قلنا أنّ الغرض ليس محض تعلق العلم بها، «كلفة» أي مشقة. «ولا اعترضته» أي منعته، و«العارضة» ما يستقبلك من شيء يمنعك عن مسيرك. «ولا اعترضته» قيل: «اعترضته» أحاطت به، وفي اللغة: «اعتروا الشيء» أي تداولوه وتناوبوه، و«في تنفيذ الأمور» أي إجرائها وإمضائها و«التدبير» النظر في عاقبة الأمر أو الفعل عن رويّة، والمراد هنا إمضاء الأمور على وفق المصلحة والعلم بالعواقب، و«الملالة» السأمة والضجر، و«فتر عن العمل» انكسر حدّته ولان بعد شدّته. «بل نفذ فيهم علمه» أي أحاط علمه بظواهرهم وبواطنهم وفي بعض النسخ: «نفذهم» على الحذف والإيصال. و«العدّة» مصدر «عدّته» وفي بعض النسخ: «عدده». و«غمرهم» أي غطاهم وسترهم وشملهم فضله. و«كنه الشيء» نهايته وحقيقته.

و«الوصف الجميل» ذكر الفضائل، و«التعداد» بالفتح، مصدر للمبالغة والتكثير، وقال الكوفيون: أصله التفعيل الذي يفيد المبالغة، قلبت ياؤه ألفاً وبالكسر شاذّ. و«الأمل» ضدّ اليأس، و«خير» خبر مبتدأ محذوف، وكذلك «أكرم». و

«البسط» النشر والتوسيع، و كلمة «في» إما زائدة أوللظرفية المجازية والمفعول محذوف أي بسطت لي القدرة أو الكلام فيما لأمدح به غيرك، والغرض شكره -سبحانه- على فضيلة البلاغة و العلم به -سبحانه- و مدائحه و التوفيق على قصر المدح على الله -جلّ شأنه-. و «الخيبة» الحرمان، والمخلوقون هم معادنها لأنّ عطاياهم قليلة فانية مع أنّهم لا يعطون غالباً، وهم مواضع الريبة أي التهمة والشك لعدم الوثوق بإعطائهم وعدم الاعتماد عليهم في رعاية مصلحة في المنع والله -سبحانه- لا يمنع إلّا لمصلحة تعود إلى السائل و يتخرع مع ذلك له أضعاف ماسأل في الدار الباقية.

و«الثوبة» الثواب، و«الجزاء» المكافاة على الشيء، و«العارفة» الإحسان. «دليلاً على ذخائر الرحمة» أي هادياً إلى أسبابها بالتوفيق و التأييد، و«ذخائر الرحمة» عطاياهم العطايا، وأصل الذخيرة المختار من كلّ شيء أو ما يعدّه الرجل ليوم حاجته. «وهذا مقام» اسم مكان، ويحتمل المصدر. و«المحمدة» بفتح الميم و كسرهما، مصدر «حمده» -كسمعه-. و«الفاقة» الفقر، و«الجبر» في الأصل إصلاح العظم المكسور، و«المسكنة» الخضوع و الذلّة و قلّة المال و سوء الحال. و«نعشه» رفعه، و«الخلة» بالفتح، الفقر و الحاجة، وضميراً «مسكنتها» و «خلّتها» راجعان إلى الفاقة و في الإضافة توسّع. و«المنّ» العطاء، و«مدّ الأيدي» كناية عن الطلب وإظهار الحاجة، و«القدير» مبالغة في القادر.

وإنّا بسطنا الكلام بعض البسط في شرح هذه الخطبة لكونها من جلائل الخطب، وذكرنا جميعها لذلك ولكون أكثرها متعلقاً بمطالب هذا المجلّد، وتفريقها على الأبواب كان يوجب تفويت نظام البلاغة و كمالها كما قوت السيّد -رحمه الله- كثيراً من فوائد الخطبة باختصارها واختيارها، و أمّا دلالتها على حدوث السماء و الأرض والملائكة وغير ذلك فغير خفيّ على المتأمل فيها. ٣٥٨

[هذا بيان آخر في شرح بضعة كلمات للخطبة:]

بيان: «العقابيل» بقايا المرض، واحدها «عقبول». و«الأتراح» الغيوم.

و«الخلج» الجذب. و«الشطن» الحبل. و«المرائر» الحبال المفتولة على أكثر من طاق. و«الأقران» الحبال. ٣٥٩

٩٢ —

لما أَرَادَ الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَاتَّمِسُوا غَيْرِي ؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجْهٌ وَالْوَانُ ؛ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ ^(١٢٤٥) . وَإِنَّ آلَافًا قَدْ أَغَامَتْ ^(١٢٤٦) ، وَالْمَحَجَّةُ ^(١٢٤٧) قَدْ تَنَكَّرَتْ ^(١٢٤٨) . وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنِ اجْتَبَيْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَنْبِ الْعَائِبِ ، وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا !

تبيين: المخاطبون بهذا الخطاب الطالبون للبيعة بعد قتل عثمان، ولما كان الناس نسوا سيرة النبي - صلى الله عليه وآله - واعتادوا بما عمل فيه من خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء والأشراف لانتظام أمورهم وأكثرهم إنما نقموا على عثمان استبداده بالأموال كانوا يطمعون منه - عليه السلام - أن يفضلهم أيضاً في العطاء والتشريف ولذا نكث طلحة والزبير في اليوم الثاني من بيعته، ونقموا عليه التسوية في العطاء وقالوا: آسيت بيننا وبين الأعاجم! وكذلك عبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان وأضرابهم، ولم يقبلوا ما قسم لهم، فهؤلاء القوم لقاتلوا البيعة بعد قتل عثمان قال - عليه السلام - لهم: «دعوني و التمسوا غيري» إتماماً للحجة عليهم

باستقبال أمور لها وجوه وألوان لا يصبرون عليها وأنه بعد البيعة لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه ولا يصغي إلى قول القائل وعتب العاتب بل يقيمهم على المحجة البيضاء ويسير فيهم بسيرة رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

«وإنّ الآفاق قد أغامت» أي أظلمت بغم سير أرباب البدع، وخفاء شمس الحق تحت سحب شبه أهل الباطل. و«المحجة» جادة الطريق. «وتنكرها» تغيّرها و خفاؤها. قوله -عليه السلام- «ركبت بكم» أي جعلتكم راكبين. وتركهم إياه عدم طاعتهم له واختيار غيره للبيعة حتى لا تتم شرائط الخلافة لعدم الناصر كقوله -عليه السلام- في الشقشقية: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غارها». وليس الغرض ردعهم عن البيعة الواجبة بل إتمام للحجة وإبطال لما علم -عليه السلام- من ادّعائهم الإكراه على البيعة كما فعل طلحة والزبير بعد النكث، مع أنّ المرء حريص على مامنع والطبع نافر عما سورع إلى إجابته. و«الوزير» من يحمل عن الملك ثقل التدبير.

وقال ابن أبي الحديد -كما هو دأبه أن يأتي بالحق ثم عنه يحيد-: هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون: إنه -عليه السلام- لم يكن منصوباً عليه بالإمامة، وإن كان أولى الناس بها لآفته لو كان منصوباً عليه لما جازأن يقول: دعوني و التمسوا غيري.

ثم ذكرت أويل الإمامية بأن الخطاب للطالبين منه -عليه السلام- أن يسير فيهم بسيرة الخلفاء ويفضّل بعضهم على بعض في العطاء، أو بأن الكلام خرج مخرج التضجر و التسخط لأفعال الذين عدلوا عنه -عليه السلام- قبل ذلك للأغراض الدنيوية، أو بأنه خرج مخرج التهكم كقوله - تعالى -: «دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»^{٣٦٠} أي بزعمك.

ثم قال: واعلم أنّ ما ذكره ليس ببعيد لودلّ عليه دليل، فأما إذا لم يدلّ عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره.^{٣٦١}

ولا يخفى على اللبيب أنه بعد الإغماض عن الأدلة القاهرة والنصوص المتواترة لافرق بين المذهبين في وجوب التأويل، ولا يستقيم الحمل على ظاهره إلا على القول بأن إمامته — عليه السلام — كان مرجوحاً وأن كونه وزيراً أولى من كونه أميراً، وهو ينافي القول بالترتيب الذي قال به، فإنه — عليه السلام — إذا كان أحق بالإمامة وبطل تفضيل المفضول على ما هو الحق واختاره أيضاً، كيف يجوز للناس أن يعدلوا عنه إلى غيره؟ وكيف يجوز له — عليه السلام — أن يأمر الناس بتركه والعدول عنه إلى غيره مع عدم ضرورة إلى ترك الإمامة، ومع وجود الضرورة كما جاز ترك الإمامة الواجبة بالدليل جاز ترك الإمامة المنصوص عليها، فالتأويل واجب على التقديرين، ولا نعلم أحداً قال بتفضيل غيره عليه، ورجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان، على أن للظاهر للمتأمل في أجزاء الكلام حيث علل الأمر بالتماس الغير باستقبال أمر لا تقوم له القلوب وتنتكر المحجة، وإنه إن أجابهم حلمهم على محض الحق هو أن السبب في ذلك وجود المانع دون عدم النص وأنه لم يكن متعيناً للإمامة أو لم يكن أحق وأولى به ونحو ذلك. ولعل الوجه في قوله — عليه السلام — «لعلّي أسمعكم وأطوعكم» هو أنه إذا تولى الغير أمر الإمامة ولم تتم الشرائط في خلافته — عليه السلام — لم يكن — عليه السلام — ليعدل عن مقتضى التقيّة بخلاف سائر الناس حيث يجوز الخطاء عليهم.

وأما قوله — عليه السلام — «فأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً» فلعل المراد بالخيرية فيه موافقة الغرض أوسهولة الحال في الدنيا فإنه — عليه السلام — على تقدير الإمامة وبسط اليد يجب عليه العمل بمحض الحق وهو يصعب على النفوس ولا يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيراً فإن الوزير يشير بالرأي مع تجوز التأثير في الأمير وعدم الخوف ونحوه من شرائط الأمر بالمعروف. ولعل الأمير الذي يولونه الأمر يرى في كثير من الأمور ما يطابق آمال القوم ويوافق أطماعهم ولا يعمل بما يشير به الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم. فالحاصل أن ما قصدتموه من بيعتي لا يتم لكم، ووزارتي أوفق لغرضكم، والغرض إتمام الحجة كما عرفت. ٣٦٢

٩٣ - (خطبة الجمعة) السلام

وفيهما ينبت أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أمية

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ^(١٢٤٩) عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْبُهَا^(١٢٥٠) ، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا^(١٢٥١) . فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِثَّةً وَتُضِلُّ مِثَّةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا^(١٢٥٢) وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ، وَمُنَاحِ^(١٢٥٣) رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهِيَةُ^(١٢٥٤) الْأُمُورِ ، وَحَوَازِبُ^(١٢٥٥) الْخُطُوبِ ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفَشَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ^(١٢٥٦) ، وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقًا ، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .

إِنَّ الْفِتْنََةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ^(١٢٥٧) ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمَّنَ حَوْمَ الرِّيحِ ، يُصْبَنَ بَلَدًا

وَيُخْطِئْنَ بَلَدًا . أَلَا وَإِنَّ أَخَوْفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ،
فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءٍ مُظْلِمَةٍ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا^(١٢٥٨) ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ،
وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَإِنَّمَا
اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ^(١٢٥٩) :
تَعْدُمُ^(١٢٦٠) بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزِينُ^(١٢٦١) بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ
دَرَّهَا^(١٢٦٢) ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ ، أَوْ
غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ
أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ ،
تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ^(١٢٦٣) مَخْشِيَةً^(١٢٦٤) ، وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ
فِيهَا مَنَارٌ هُدًى ، وَلَا عِلْمٌ يُرَى^(١٢٦٥)

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا
اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ^(١٢٦٦) : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا^(١٢٦٧) ، وَيَسُوقُهُمْ
عُنْفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ^(١٢٦٨) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا
يُخْلِسُهُمْ^(١٢٦٩) إِلَّا الْخَوْفَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ - بِالْدُّنْيَا وَمَا فِيهَا -
لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا ، وَلَوْ قَدَرَ جَزْرُ جَزُورٍ^(١٢٧٠) ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا
أَطْلَبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ !

تبيين: «فقاً العين» شقّها، وعدم اجترائهم كان لاستعظامهم قتال أهل القبلة لجهالتهم. و«الغيب» الظلمة، وتموّجه كناية عن عمومته وشموله للأماكن. و«اشتدّ كلبها» أي شرّها وأذاها، يقال للقطط الشديد: الكلب، وكذلك للقرّ الشديد. قوله «بناعقها» أي الداعي إليها، يقال: «نec ينec» بالكسر، أي صاح وزجر. و«الناخ» بضّمّ الميم، مصدر أو اسم مكان من «أناخ البعير». و«الركاب» الإبل التي تسارع عليها، الواحدة «راحلة» ولا واحد لها من لفظها. و«الكرائه» جمع «الكريه» وهي الشدة. و قال الجزري: «الحوازب» جمع «حاذب» وهو الأمر الشديد. ^{٣٦٣} قوله — عليه السلام — «لأطرق كثير من السائلين» أي لشدة الأمر وصعوبته، حتّى أنّ السائل ليهت و يدهش فيطرق ولا يستطيع السؤال. و«الفشل» الجبن.

وقال ابن أبي الحديد: «قلّصت» يروى بالتشديد أي انضمت واجتمعت فيكون أشدّ وأصعب من أن يتفرّق في مواطن متعدّدة، وبالتخفيف أي كثرت و ترايدت من «قلّصت البئر» أي ارتفع ماؤها وروي: «إذا قلّصت عن حربكم» أي إذا قلّصت كرائه الأمور وحوازب الخطوب عن حربكم أي انكشفت عنها. ^{٣٦٤} قوله — عليه السلام — «وشترت عن ساق» أي كشفت عن شدة ومشقة، كقوله — تعالى —: «يَنْوَمُ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» ^{٣٦٥} أو كناية عن قيام الحرب وتمام أسبابها، فإنّه كناية عن الاهتمام في الأمر. قوله — عليه السلام — «إذا أقبلت شبّهت» أي في ابتدائها تلتبس الأمور ولا يعلم الحقّ من الباطل إلى أن تنقضي فيظهر بطلانها لظهور آثار الفساد منها. و«حام الطائر حول الماء يحوم حوماً و حوماناً» أي دار، شبّه — عليه السلام — الفتن في دورانها ووقوعها من دعاة الضلال في بلدودن بلد بالرياح. و«الحظة» الحال والأمر وعمومها لأنّها كانت ولاية عامّة وخصّت بليتها بالصالحين والأئمة من أهل البيت — عليهم السلام — وشيعتهم، فالبصر العارف للحقّ يصيبه البلاء لما يرى من الجور فيه وفي غيره، وأمّا الجاهل المنقاد لهم فهو في راحة. و«الناب» الناقة

٣٦٣- النهاية، ج ١، ص ٢٢٢.

٣٦٤- شرح النج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٥٢، ط بيروت.

٣٦٥- القلم، ٤٢.

المستة، و«الضروس» السيتة الخلق، و«العزم» العَضَ والأكمل بجفاء. و«الزبن» الدفع. و«الدر» في الأصل اللبن ثم أطلق على كل خير، وهو كناية عن منع حقوق المسلمين والاستبداد بأموالهم.

قوله «وأغريضائر» يعني من لا ينكر أفعالهم. و«الانتصار» الانتقام، وقد جاء في كلامه —عليه السلام— تفسير انتصار العبد من ربه في غير هذا الموضع حيث عقبه بقوله «إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه»^{٣٦٦} والمراد بالصاحب هنا التابع. و«الشوهاء» القبيحة؛ وفي بعض النسخ: «شوها» بالضم بغير مة، جمع «الشوهاء».

قوله —عليه السلام— «وقطعاً جاهليّة» شبهها بقطع السحاب لتراكمها، أو قطع الجبل لورودها دفعات. قوله —عليه السلام— «بمنجاة» أي بمعزل لا تلحقنا آثامها ولسنا من أنصار تلك الدعوة. قوله «كتفريج الأديم»، «الأديم» الجلد، ووجه الشبه انكشاف الجلد عما تحته من اللحم. قوله —عليه السلام— «يسومهم خسفاً» أي يوليهم ذلاً و«الخسف» النقصان والهوان. قوله —عليه السلام— «مصبّرة» أي ممزوجة بالصبر المرأو مملوءة إلى أصبارها أي جوانبها. قوله —عليه السلام— «ولا يحلسهم» أي لا يلبسهم، و«الحلس» كساء رقيق يكون تحت البرذعة، والجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى، و«جزرها» ذبحها.

قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: هذه الدعوى ليست منه —عليه السلام— ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول: إن رسول الله —صلى الله عليه وآله— أخبره بذلك، ولقد امتحنّا أخباره فوجدناه موافقاً فاستدلنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته؛ وإخباره عن قتل الحسين —عليه السلام— ابنه، وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها؛ وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده؛ وإخباره عن الحجاج وعن يوسف بن عمر وما أخبر به من أمر الخوارج بالتهروان؛ وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم و صلب من يصلب؛ وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين؛ و

إخباره بعثة الجيش الوارد إليه من الكوفة لَمَّا شخص - عليه السلام - إلى البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبدالله بن الزبير وقوله - عليه السلام - فيه: «خَبَّ صَبَّ يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حباله الذين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش»؛ و كإخباره عن هلاك البصرة بالفرق و هلاكها تارة أخرى بالنزج، وهو الذي صحفه قوم فقالوا: بالريح.^{٣٦٧} وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر و الداعي وغيرهما في قوله - عليه السلام - «وَأَنَّ لآلِ مُحَمَّدٍ بِالطَّالِقَانِ لِكُنْزٍ سَيُظْهِرُهُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ دَعَا حَقَّ تَقُومُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَتَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ»؛ و كإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة و قوله: «إِنَّهُ يَقْتُلُ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ»، و كقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخرا^{٣٦٨} «يَقْتُلُ بَعْدَ أَنْ يَظْهَرُ وَيَقْهَرُ بَعْدَ أَنْ يَقْهَرُ» وقوله - عليه السلام - فيه أيضاً: «يَأْتِيهِ سَهْمٌ غَرْبٌ يَكُونُ فِيهِ مَنِيَّتُهُ فَيَابُوسُ الرَّامِي»^{٣٦٩} شَلَّتْ يَدَهُ وَوَهْنُ عَضْدِهِ»؛ و كإخباره عن قتلى فَخٍّ و قوله - عليه السلام -^{٣٧٠}: «هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ»؛ و كإخباره عن المملكة العلوية بالغرب و تصريحه بذكر كتامة و هم الذين نصروا أبا عبدالله الداعي المعلم، و كقوله - وهو يشير إلى عبيدالله المهدي وهو أولهم - : «ثُمَّ يَظْهَرُ صَاحِبُ الْقَيْرَوَانِ»^{٣٧١} الْفَضُّ الْبِضُّ، ذَوَالنَّسَبِ الْمُحْضُ، الْمُنْتَجَبُ مِنْ سَلَالَةِ ذِي الْبَدَاءِ، الْمَسْجِيُّ بِالرَّدَاءِ»، و كان عبيدالله المهدي أبيض مترفاً مشرباً حمرة رخص البدن تاراً الأطراف و ذوالبداء إسماعيل بن جعفر بن محمد - عليهما السلام - و هو المسجى بالرَّداء، لأنَّ أباه أبا عبدالله جعفرأ - عليه السلام - سجّاه بردائه لَمَّامَاتٍ، و أدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته و تزول عنهم الشبهة في أمره؛

٣٦٧- في المصدر بعد ذلك: و كإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان و تنصيبه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزق - بتقديم المهلة - و هم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين و ولده وإسحاق بن إبراهيم، و كانوا هم و سلفهم دعاة الدولة العباسية. ٥١.

٣٦٨- موضع بين الكوفة و واسط و إلى الكوفة أقرب؛ به قبر إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، قتله بها أصحاب المنصور. فراجع مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٤٨.

٣٦٩- في المصدر: فَيَابُوساً لِلرَّامِي.

٣٧٠- في المصدر: وقوله فيهم.

٣٧١- كانت مدينة عظيمة بإفريقيا.

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم: «ويخرج من ديلمان بنوالصياد» إشارة إليهم، وكان أبوهم صياد السمك يصيده منه بيده ما يتقوت هو وعياله بضمنه فأخرج الله— تعالى— من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله —عليه السلام— فيهم: «ثم يستقوي أمرهم حتى يملكوا الزوراء و يخلعوا الخلفاء». فقال له قائل: فكم مدتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: مائة أو تزيد قليلاً. و كقوله فيهم: «والمترف ابن الأجدم يقتله ابن عمه على دجلة» وهو إشارة إلى عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معز الدولة أقطع اليد قطعت يده النكوص^{٣٧٢} في الحرب، وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفاً صاحب لهو وشرب^{٣٧٣} وقتله عضد الدولة فتاخسره^{٣٧٤} ابن عمه بقصر الجفن^{٣٧٥} على دجلة في الحرب وسلبه ملكه، فأما خلعههم للخلفاء فإن معز الدولة خلع المستكفي ورتب عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به—عليه السلام—. وكإخباره —عليه السلام— لعبدالله بن العباس— رحمه الله— عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإن علي بن عبدالله لما ولد أخرجه أبوه عبدالله إلى علي—عليه السلام— فأخذه وتفل في فيه وحتكه بتمر قذلا كها ودفعه إليه وقال: «خذ إليك أبا الأملاك» هكذا الرواية الصحيحة وهي التي ذكرها أبو العباس المبرد في الكتاب الكامل^{٣٧٦}، وليست الرواية التي يذكر فيها العدد بصحيفة ولا منقولة في كتاب^{٣٧٧} معتمد عليه.

وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكرسنا كراريس^{٣٧٨} كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة^{٣٧٩}، ثم قال: وهذا

٣٧٢- في المصدر: النكوص. ٣٧٣- في المصدر: وطرب. ٣٧٤- في المصدر: فتاخسرو. ٣٧٥- في المصدر: الجفن.

٣٧٦- في المصدر: في كتاب الكامل.

٣٧٧- كذا في (ك). وفي غيره من النسخ وكذا المصدر: من كتاب.

٣٧٨- «الكراس والكراسة» بالضم والشد، الجزء من الكتاب، مجموعة صغيرة دون الكتاب، وفي غير (ك) من النسخ وكذا المصدر: لكسرنا له كراريس.

٣٧٩- أسقط المصنف هنا كثيراً من كلامه وقد نقل بعضه فيما سبق.

الكلام إخبار عن ظهور المسودة وانقراض ملك بني أمية، ووقع الأمر بموجب إخباره — صلوات الله عليه — حتى لقد صدق قوله — عليه السلام — «تودّ قریش» إلى آخره، فإنّ أرباب السيرة كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن العباس بإزائه في صفّ خراسان: «لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى» والقصة طويلة مشهورة وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ — عليه السلام — بعد انقضاء أمر النهروان؛ وفيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ — رحمه الله — من قوله — عليه السلام —^{٣٨٠}: «ولم يكن ليحتريّ عليها غيري ولولم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان، وإيم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله عزّ وجلّ — على لسان نبيّكم — صلّى الله عليه وآله — لمن قاتلهم مبصراً بضالّتهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه، سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي ميت عن قريب أو مقتول بل قتلاً ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم.» وضرب بيده إلى لحيته.

ومنها^{٣٨١} في ذكر بني أمية: «يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع الله — عزّ وجلّ — جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها، ألا وإنكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين توجروا، ولا تماثلوا عليه عدوهم فيصير عليهم^{٣٨٢} ويحلّ بكم النعمة» ومنها: «إلا مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه، وإن توارى عنه شتمه، وإيم الله لو فرقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم» ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله متاً^{٣٨٣} أهل البيت بأبي ابن خيرة الإمام لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عانقه ثمانية^{٣٨٤} حتى

٣٨٠- كذا في (ك). وفي غيره من النسخ وكذا المصدر: من ذلك قوله. اهـ.

٣٨١- أي ومما لم يوردها الرضيّ — رحمه الله —.

٣٨٢- في المصدر: فنصرعكم البليّة.

٣٨٣- في المصدر: فليفرجنّ الله الفتنة برجل متاً. اهـ.

٣٨٤- في المصدر: ثمانية أشهر.

تقول قریش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، سته الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً».^{٣٨٥}

بيان: «الخب» الخداع، و«الصبابة» الشوق، وفي بعض النسخ بالهمز فيهما فالخبء، السرّ، وهو أيضاً كناية عن الغدر والحيلة، و«صبأ» كمنع وكرم — صبأ» خرج من دين إلى آخر، و«عليهم العدو» دلّهم، قاله الفيروزآبادي.^{٣٨٦} وقال: أصابه سهمٌ غربٌ و يحرّك و سهمٌ غربٌ نعتاً أي لا يدري راميّه.^{٣٨٧} و«الفض» الكسر بالتفرقة، والنفر المتفرقون. و«البض» الرخص الجسد الرقيق الجلد الممتلي. و«التار» المسترخي.

أقول: أوردت تمام تلك الخطبة برواية سليم بن قيس^{٣٨٨} في كتاب الفتن.^{٣٨٩}

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة و هي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ — عليه السلام — بعد انقضاء أمر النهران و فيها ألفاظ لم يوردها الرضّي — رحمه الله —.

ثم ذكر بعض الألفاظ المتروكة، منها قوله — عليه السلام — «ولم يكن ليحتري عليها غيري، ولو لم أك فيكم ما قوتل أهل الجمل و النهران، وإيم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله — عز وجل — على لسان نبيكم — صلى الله عليه وآله — لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه. سلوني قبل أن تفقدوني فإنني ميت عن قريب أو مقتول بل قتلاً ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه — و ضرب بيده على لحيته —».

٣٨٥ — شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٧ — ٥٨، ط بيروت.

٣٨٦ — القاموس، ج ١، ص ٢٠.

٣٨٧ — القاموس، ج ٤٩ ص ١١١.

٣٨٨ — راجع كتاب سليم بن قيس، ص ٨٥ — ٩٠.

٣٨٩ — بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٤٩ — ٣٥٥.

ومنها في ذكر بني أمية: «يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى يملأ الأرض عدواناً و ظلماً وبدعاً إلى أن يضع الله جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها. ألا وإنكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر و حنين توجروا، ولا تمالؤا عليهم عدوهم فتصرعكم البلية و تحلّ بكم التهمة». ومنها: «إلا مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه وإذا توارى عنه شتمه. وإيم الله لو فرّق قوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم».

ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم فليفرجنّ الله الفتنة برجل منا أهل البيت. بأيّ ابن خيرة الإمام، لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عانقه ثمانية [أشهر] حتى تقول قريش: لو كان هذا ولد فاطمة لرحمنا؛ يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^{٣٩٠}.

ثمّ قال: فإن قبل فن هذا الرجل الموعود به؟ قيل: أما الإمامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر و أنّه ابن أمة اسمها نرجس. و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان لأُمّ ولدوليس بموجود الآن. فإن قيل: فن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجوداً حتى ينتقم منهم؟ قيل: أمّا الإمامية فتقول بالرجعة و يزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر، وإنّه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم، و يسمّل عيون بعضهم، و يصلب قوماً آخرين، و ينتقم من أعداء آل محمد — صلى الله عليه وآله — المتقدّمين و المتأخّرين. و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله — تعالى — في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة — عليها السلام — يستولي على السفينائي و أشياعه من بني أمية.

ثمّ قال: فإن قيل: لماذا خصّ — عليه السلام — أهل الجمل و أهل النهروان بالذكر ولم يذكر صفين؟ قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل و أهل النهروان ظاهرة

الالتباس، وأما أهل الجمل لحسن ظنهم بطلحة والزبير، وكون عايشة زوجة الرسول -صلى الله عليه وآله- معهم. وأما أهل النهران فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد وعزوف عن الدنيا، وهم كانوا قراء العراق وزهادها. وأما معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره عمرو بن العاص ومن اتبعها من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز قتالهم ومحاربتهم. انتهى.

قوله -عليه السلام- «فأنا فقأت» يقال: «فقأت العين» أي شقتها أو قلعتها بشحمها أو أدخلت الإصبع فيها. و«فقأعين الفتنة» كسر ثورانها. وحذف المضاف أي عين أهلها بعيد. وعدم اجترأ غيره -عليه السلام- على إطفاء تلك الفتنة لأنّ الناس كانوا يابون قتال أهل القبلة ويقولون: كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا ويصلي بصلاتنا؟ و«الغيب» الظلمة. وتموّجها عموماً وشمولها تشبيهاً لها بالبحر. و«الكلب» بالتحريك، داء يعرض الإنسان من عضّ الكلب والعطش، والمراد شرّها وأذاها. و«الفئة» الطائفة والجماعة لا واحداً من لفظها. و«ناعقها» الداعي لها أو إليها. و«المناخ» بضمّ الميم، موضع الإناخة. و«الركاب» الإبل التي يسار عليها، والواحدة «راحلة». و«الرحل» بالفتح، كلّ شيء يعدّ للرحيل. و«حطّط الرجل» أنزلته عن الإبل، و«المحطّ» اسم مكان، وقيل: هو والمناخ مصدران. و«الكرهة» التآزلة و«كرائه الأمور» المصائب التي تكرهها النفوس. و«الحوازب» جمع «حازب» وهو الأمر الشديد، و«حزبه أمر» اشتدّ عليه ودهمه. و«الحطّب» بالفتح، الشأن والحال والأمر الذي تقع فيه المخاطبة. و«الإطراق» السكوت، وإطراق السائل لصعوبة الأمر وشدّته حتّى أنّه يبهت عن السؤال ويتحير كيف يسأل. و«الفشل» الجبن والضعف.

قوله -عليه السلام- «وذلك» أي النزول أو الإطراق والفشل. و«قلّصت» بالتشديد، أي اجتمعت وانضمت. والحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ وأصعب، ويكون التشديد للمبالغة، وهي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها وكثرتها، ويقال: بالتشديد بمعنى استمرت في المضى، ويقال: «قلص قيصه فقلّص

تقليصاً» أي شمر لازم ومتعد؛ وفي بعض النسخ: «قلصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمرت»، ويروى: «إذا قلصت عن حربكم» بالتخفيف، أي إذا انكشفت كرائه الأمور وحواذب الخطوب عن حربكم. و«شمرت عن ساق» أي كشفت عن شدة ومشقة، كما قيل في قوله - تعالى -: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»^{٣١١} وقيل: كشف الساق مثل في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب، وأصله تسمير المخدرات عن سوقهن في الهرب. وقيل: «يكشف عن ساق» أي عن أصل الأمور حقيقة بحيث يصير عياناً، ويحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالجد في أمر، فإن الإنسان إذا جد في السعي شمر عن ساقه ورفع ثوبه لئلا يمنعه. واستطالة الأيام عذها طويلة، ويوم البؤس و الشدة يطول على الإنسان، ولعل المراد ببقية الأبرار أولادهم وإن لم يكونوا أبراراً في أنفسهم إن كان إشارة إلى دولة بني العباس وإلا ظهر أنه أراد القائم - صلوات الله عليه -.

قوله - عليه السلام - «شبهت» على المعلوم، جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحق، أو على المجهول، أي أشكل أمرها و التبس على الناس. قوله - عليه السلام - «نبهت» أي أيقظت القوم من النوم و أظهرت بطلانها عليهم. «ينكرون» أي لا يعرف حالهم. و«حام الطائر حول الماء» إذا طاف ودار لينزل عليه و«حوم الرياح» أي كحومها. و«الخطئة» بالضم، شبه القصة والأمر والخطب، وعموم خطة تلك البلية لكونها رئاسة عامة و سلطنة شاملة، وخصوص البلية لكون حظ أهل البيت - عليهم السلام - و شيعتهم منها أوفر، وإصابة البلاء من أبصر فيها لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة وقصدهم إتياء بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم. و يطلق الرب على المالك والسيد والمدبر والمربي والمنعم. و«الناب» الناقة المستة. و«الضروس» السيئة الخلق تعصّ حالها. و«عذم الفرس» - كضرب - إذا أكل بجفاء أو عصّ. و«خبط البعير» إذا ضرب بيده الأرض شديداً. و«الزّبن» الدفع، و«زبنت الناقة» إذا ضربت بثفتات رجلها عند الحلب. و«والدر» اللبن، ويقال لكل خير على

التوسع.

قوله —عليه السلام— «لا يزالون بكم» أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتى لا يبقى منكم إلا من ينفعهم في مقاصدهم، أو لا يضرهم بإنكار المنكرات عليهم. و«الضائر» المضر. و«الانتصار» الانتقام. و«الصاحب» التابع. و«المستصحب» المتبوع، والغرض إما نفي إمكان الانتصار، أو إثبات انتصار الأذلاء والمقهورين كالفبية والذم مع الأمن من الوصول إلى المعتاب. و«الشوواء» الفبيحة. و«المخشيّة» المخوفة. و«الجاهليّة» الحالة التي كانت العرب عليها قبل الإسلام. و«المنجاة» موضع النجاة، والغرض خلاصهم من حقوق الآثام والمتابعة في الدعوة إلى الباطل لا الخلاص من الأذية. و«الأديم» الجلد ووجه الشبه انكشاف الجلد عمّا تحته من اللحم، ويحتمل أن يكون المراد بالأديم الجلد الذي يلقت الإنسان فيه للتعذيب لأنه يضغطه شديداً إذا جفت، وفي تفرجه راحة. و«يسومهم» أي يكلفهم ويلزمهم. و«الحسف» النقصان والذلّ و الهوان. و«المصبرة» المزوجة بالصبر المرّ، وقيل: أي المملوءة إلى أصبارها أي جوانبها. و«الحلس» بالكسر، كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة، و«أحلس البعير» ألبسه الحلس. ويحتمل أن يكون من الحلس الذي يبسط تحت حراث الثياب إشعاراً بأنهم في بيوتهم أيضاً خائفون وهواشارة إلى ظهور دولة بني العباس.

و«الجزور» الثاقبة التي تحزر. قوله —عليه السلام— «ما أطلب اليوم بعضه» أي الطاعة والانقياد، أي يتمنون أن يروني فيطيعوني إطاعة كاملة وقدرضيت منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعة ناقصة فلم يقبلوا. وقدروي في السير: أنّ مروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية قال يوم الزاب ممّا شاهد عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس بازائه في صفّ خراسان: لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى [العي]. ويحتمل أن يكون التمتي عند قيام القائم —عليه السلام—. ٣٩٢

٩٤ - ومن خطبته عليه السلام

وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس

الله تعالى

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ أَلْهَمٍ ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ ،
الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي .

ومنها في وصف الانبياء .

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُمْ^(١٢٧١)
كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ ،
قَامَ مِنْهُمْ بَدِيلٌ اللَّهُ خَلَفٌ .

رسول الله وآل بيته

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبْتًا^(١٢٧٢) ، وَأَعَزَّ الْأَرْوَامَاتِ^(١٢٧٣)
مَغْرَسًا^(١٢٧٤) ؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ^(١٢٧٥) مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ ، وَأَنْتَجَبَ^(١٢٧٦)
مِنْهَا أُمَنَاءُهُ . عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ^(١٢٧٧) ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ
خَيْرُ الشَّجَرِ ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ؛ وَبَسَقَتْ^(١٢٧٨) فِي كَرَمٍ ؛ لَهَا فُرُوعٌ
طَوَالٌ ؛ وَثَمَرٌ لَا يَنَالُ ؛ فَهُوَ إِمَامٌ مَنْ اتَّقَى ، وَبَصِيرَةٌ مَنْ أَهْتَدَى ،
سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْوُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ؛ سِيرَتُهُ

الْقَصْدُ^(١٢٧٩) ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ، وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ؛ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينٍ فَتْرَةٍ^(١٢٨٠) مِنْ الرُّسُلِ ، وَهَفْوَةٍ^(١٢٨١) عَنِ الْعَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ .

عظة الناس

اعْمَلُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، عَلَى أَعْلَامٍ^(١٢٨٢) بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ^(١٢٨٣) يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ^(١٢٨٤) عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ ؛ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ ، وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

بيان: قوله — عليه السلام — «في أفضل مستودع» الظاهر أن المراد بالمستودع والمستقرّ الأصلاب والأرحام، فيكون ما بعده بياناً له، ويحتمل أن يكون المراد محلّ أرواحهم في عالم الذرّ. قوله «تناسختهم» أي تناقلتهم. قوله «حتى أفضت» أي انتهت. و«الأرومة» الأصل، ويحتمل أن يكون المراد بأفضل المعادن وأعزّ الأرومات شجرة النبوة، وقيل: مكّة شرفها الله، وقيل: نسبه وعشيرته. و«الصدع» الشقّ. و«العترة» أخصّ من الأسرة. و«الأسرة» الرهط الأدنون، وقيل: أراد بالشجر في الموضعين إبراهيم — عليه السلام — وقيل: أراد هاشماً بقرينة قوله «نبتت في حرم» أي مكّة، كذا قيل، والأظهر أن تحمل الشجرة ثانياً على نفسه وأهل بيته كما ورد في أخبار كثيرة في تفسير الشجرة الطيبة. والمراد بالفروع الأئمة، وطولها كناية عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة. والمراد بالثر علومهم ومعارفهم، وعدم النيل لغموض أسرارها بحيث لا تصل العقول إليها. و«الزند» العود الذي يقدح به النار. و«القصْد» الوسط والاعتدال في الأمور من غير إفراط وتفریط. و«الفصل» الفاصل بين الحقّ والباطل.

و«المهفوة» الزلّة. و«الغباوة» الجهل وقلة الفطنة. ٣٩٣

٩٥ — (خطبة علي عليه السلام)

يقرر فضيلة الرسول الكريم

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَخَاطِبُونَ^(١٢٨٥) فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ
 اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ^(١٢٨٦) الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ^(١٢٨٧)
 الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ^(١٢٨٨) ؛ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ ،
 فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا
 إِلَى الْحِكْمَةِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

بيان: «الحاطب» هو الذي يجمع الحطب، ويقال: حاطب ليل لمن يجمع بين
 الصواب والخطأ ، ويتكلم بالغث والسمين.

أقول: ويحتمل أن يكون — عليه السلام — استعار الحطب لما يكتسبونه من
 الأعمال، لأنها كانت مما يحرقهم في النار؛ وفي بعض النسخ: «خاطبون» أي كانت
 حركاتهم على غير نظام. قوله — عليه السلام — «استهوتهم الأهواء» أي دعوتهم وجذبتهم
 إلى أنفسهم، أو إلى مهاوي الهلاك ، ويقال: «استخفّه» أي وجده خفيفاً وخف عليه
 تحريكه، و«الزلزال» بالفتح اسم، وبالكسر مصدر. ٣٩٤

٣٩٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبينا — صلى الله عليه وآله —، ص ٣٨٠.

٣٩٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا — صلى الله عليه وآله —، ص ٢١٩.

٩٦ — وَمِنْ صَلَواتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الله وفي الرسول الأكرم

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ، وَالظَّاهِرِ
فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

ومنها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ،
وَمَمَاهِدِ^(١٢٨٩) السَّلَامَةِ ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَتُنِيَتْ إِلَيْهِ
أَزِمَةٌ^(١٢٩٠) الْأَبْصَارِ ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ^(١٢٩١) ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ^(١٢٩٢) ،
أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ .
كَلَامُهُ بَيَانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

بيان: يحتمل زائداً على ما تقدم أن يكون المراد بالمستقر المدينة، وبالمنبت مكة
زادها الله — تعالى — شرفاً. قوله — عليه السلام — «ومماهد السلامة» قال ابن ميثم:
«المهاد» الفراش، ولما قال: «(في معادن) وهي جمع «معدن» قال بحكم القرينة و
الإزدواج: «ومماهد» وإن لم يكن الواحد منها ممهداً، كما قالوا: الغدايا والعشايا و
مأجورات ومأزورات ونحو ذلك. ويعني بالسلامة ههنا البراءة من العيوب، أي في
نسب طاهر غير مأبون ولا معيب، ويحتمل أن يراد بمعادن الكرامة ومماهد السلامة مكة
والمدينة، فإنها محل العبادة والسلامة من عذابه والفوز بكرامته، ويحتمل أن يراد
بمماهد السلامة ما نشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله. قوله

«وثنيت» أي عطف وصرفت. قوله «دفن به» أي أخفى وأذهب، و«الضغائن» جمع «ضغينة» وهي الحقد. و«النوائر» جمع «ناثرة» وهي العداوة، والمراد بالذلة ذلة الإسلام، وبالعزة عزة الشرك. قوله —عليه السلام— «وصمته لسان» فيه وجهان: أحدهما أنه كان يسكت عما لا ينبغي من القول، فيعلم الناس السكوت عما لا يعينهم، وثانيها أن سكوته —صلى الله عليه وآله— عن بعض أفعال الصحابة وعدم النهي عنها كان تقريراً لها، ودليلاً على الإباحة. ٣٩٥

٩٧ — (خطبة علي بن أبي طالب)

في اصحابه واصحاب رسول الله

اصحاب علي

وَلَيْسَ أَمَهْلَ الظَّالِمِ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ ^(١٢٩٣) عَلَى
مَجَارِ طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا ^(١٢٩٤) مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ ^(١٢٩٥) . أَمَّا
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُظْهِرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى
بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ
حَقِّي . وَلَقَدْ أَضْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا ، وَأَضْبَحَتْ أَخَافُ
ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ،
وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ،
أَشْهُدُ كَغِيَابِ ^(١٢٩٦) ، وَعَبِيدُ كَارِبَابٍ ! أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ

مِنْهَا ، وَأَعْظَمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْثُكُمْ عَلَى جِهَادِ
 أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَيْ عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَبَايَ سَبَا^(١٢٩٧) .
 تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أَقَوْمُكُمْ غُدُوَّةً ،
 وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهَرَ الْحَنِيَّةُ^(١٢٩٨) ، عَجَزَ الْمُقَوْمُ ، وَأَغْضَلَ
 الْمُقَوْمُ^(١٢٩٩)

أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ
 أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ،
 وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ
 صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي
 رَجُلًا مِنْهُمْ !

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَثْنَتَيْنِ : صُمُّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ،
 وَبُكْمُ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُغْيُ ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ ،
 وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ ! تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ ! يَا أَشْبَاهَ الْإِبْلِ غَابَ عَنْهَا
 رُعَاتُهَا ! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ ، وَاللَّهِ لَكَانِي بِكُمْ
 فِيمَا إِخَالِكُمْ^(١٣٠٠) : أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوُغَى^(١٣٠١) ، وَحَمِيَ الضَّرَابُ ، قَدْ
 أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلِهَا^(١٣٠٢) . وَإِنِّي لَعَلِّي
 بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَا جَرٌّ مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلِّي الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْقُطْبُ

لَقَطًا^(١٣٠٣)

اصحاب رسول الله

أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمَتَهُمْ^(١٣٠٤) ، وَأَتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ،
 فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا
 فَالْبَدُوا^(١٣٠٥) ، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا . وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا
 تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ مِنْكُمْ ! لَقَدْ كَانُوا يُضْبِحُونَ شُعْنًا
 غُبْرًا^(١٣٠٦) ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يُرَاحُونَ^(١٣٠٧) بَيْنَ جِبَاهِهِمْ
 وَخُدُودِهِمْ ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ
 أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِغْزَى^(١٣٠٨) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ هَمَلَتْ
 أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ ، وَمَادُوا^(١٣٠٩) كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ
 الْعَاصِفِ ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ !

تبيان: «فلن يفوت» المفعول محذوف أي فلن يفوته. و«الأخذ» التناول
 والعقوبة. و«المرصاد» الطريق يرصدها. و«الشجا» ما ينشب في الحلق من عظم و
 غيره. وموضع الشجا هو الحلق. و«مساغ ريقه» موضع إساعته. و«ساغ الشراب» سهل
 في الحلق، و«سغت الشراب» يتعدى ولا يتعدى. وهذا إما تهديد لأهل الشام
 أولأصحابه كما سيأتي نسبة الظلم إليهم. و«ظهر عليه» غلب. و«راعي القوم» من ولي
 عليهم. و«الاستنفار» الاستنجد والاستنصار، أو طلب النفور والإسراع إلى القتال.
 قوله — عليه السلام — «وعبيد كأرباب» أي أخلاقكم أخلاق العبيد من

الخلاف و النفاق و دناءة الأنفس، و فيكم مع ذلك كبر السادات و تيههم و عدم إطاعتهم، أو حاكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة و تأبون عنها كالسادة و هذا أنسب بالفقرة السابقة. و «أيادي سباً» مثل يضرب للمتفرقين، وأصله قوله—تعالى— عن أهل سباً: «وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ»^{٣٩٦}. و سباً مهموز يصرف ولا يصرف، ويمد و لا يمد، و هو بلدة بلبقيس، و لقب ابن يشجب بن يعرب، يقال: «ذهبوا أيدي سباً، و أيادي سباً» الياء ساكنة و كذلك الألف، هكذا نقل المثل، أي متفرقين و هما اسمان جعلاً واحداً مثل معدى كرب، ضرب المثل بهم لأنهم لما غرق مكانهم و ذهب جثاتهم تبددوا في البلاد، و لهم قصة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله —عليه السلام— «و تتخادعون» المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذا رجعت عن مجلس الوعظ أخذ كل منكم يستغفل صاحبه و يشغله بالأحاديث وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة، كذا ذكره ابن ميثم؛ و قال ابن أبي الحديد: «تتخادعون عن مواظبتكم» أي تمسكون عن الاتعاظ من قولهم: كان فلان يعطي ثم خدع أي أمسك و أفلح، و يجوز أن يريد تتلونون و تختلفون في قبول الوعظ، من قولهم: «خلق فلان خلق خادع» أي متلون، و «سوق خادعة» أي متلونة مختلفة. و لا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها لأنه إنما يقال: «فلان يتخادع فلاناً» إذا كان يريد أن ينخدع له و ليس بمنخدع في الحقيقة، و هذا لا يناسب المقام.

و «الحنية» على فعيلة، القوس، أي ترجعون معوجاً كاعوجاج ظهر القوس و «أعضل» أشكل. و كأن غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أو عن ذهابها. قوله —عليه السلام— «منيت» أي ابتليت. و إنما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس و الاثنتين من آخر، أولاً الثلاث إيجابية دون الاثنتين. و «الحر» خلاف العبد، و الخيار من كل شيء. و «اللقاء» ملاقة الأحباب أو العدو. و قوله —عليه السلام— «تركت أيديكم» كلمة يدعى على الإنسان بها، أي لا أصبتم خيراً، وأصل ترب إصابة التراب، فكأنه يدعى عليه بأن يفترق.

وقال في النهاية: هذه الكلمة جارية على ألسن العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر^{٣٩٧} كما يقولون: قاتله الله وقيل: معناها: لله درك. قال: وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم: لا أب لك، ولا أم لك، وهوت أمه، ولا أرض لك، ونحو ذلك. وقال المطرزي: في قولهم «كأن بك تنحط» الأصل كأنني أبصرك تنحط، ثم حذف الفعل وزيدت الباء. ويحتمل أن يكون الباء متعلقاً بملتصق ونحوه، نحو «به داء»، أو بمعنى في. و«خال الشيء بخاله» أي ظنّه، وتقول: «خلت إخال» بالكسر^{٣٩٨}، وبالفتح لغة بني أسد كما في النسخ، و«ما» مصدرية أي في ظنّي. و«حمس» - كفرح - أي اشتد. و«حي» - كرضي - اشتد حرّه. و«انفراجهم» تفرقهم. قال ابن ميثم: شبه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة. وتسليم المرأة قبلها^{٣٩٩} وانفراجها عنه إفاً وقت الولادة أو وقت الطعان.

قوله - عليه السلام - «ألفظه» كأنه إشارة إلى أنّ الضلال غالب على الهدى فيحتاج السالك إلى التقاط طريق الهدى من بين طريق الضلالة. وفي بعض النسخ: «ألفظه لفظاً» أي أبيّنه بياناً. و«السمت» الجهة والطريق وهيئة أهل الخير. «فإن لبدا» أي قعدوا عن طلب الخلافة والجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموا بها فانصروهم. يقال: «لبد الشيء بالأرض» - كنصر - أي التصق بها. و«لا تسبقوهم» أي لا تفعلوا ما لم يأمرؤكم به، و«لا تتأخروا عنهم» أي لا تخالفوهم فيما يأمرؤنكم به. «يراوحون» أي يسجدون بالجبهة مرة وبالحذود أخرى. ووقوفهم على مثل «الجمر» جمع «جمرة» وهي التار المتقدمة، كناية عن قلقهم واضطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر، خلاف الضأن كالمعز، والمراد بين أعينهم جباههم مجازاً. «هملت» أي سالت. و«مادوا» أي تحرّكوا واضطربوا.^{٤٠٠}

٣٩٧- في المصدر: به؛ فالضمير راجع إلى المخاطب.

٣٩٨- هذا بالسماع، والقياس الفتح.

٣٩٩- في المصدر: لقبها.

٤٠٠- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٦، ط كمياني وص ٦٣٤، ط تبريز.

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة:]

بيان: «شُعْثَا غِبْرًا» إمّا لفقرهم فالمدح للصبر على الفقر، أولتركهم زينة الدنيا ولذاتها على ما ذكره الأكثر فينبغي التقييد بعدم القدرة، أو التخصيص ببعض الأفراد، أو لتقشّف العبادة وقيام الليل وصوم النهار و هجر الملاذّ فالغبرة كناية عن صفة اللّون، و «السجّد» جمع «ساجد» كالقيام جمع قائم أو القيام مصدر أجري مجراه، والتخصيص بالليل لكون العبادة فيه أحز وأبعد عن الرثاء. و «المراوحة بين الجبهة والخذّ» وضع كلّ على الأرض حتّى يستريح الآخر، أو كأنّه يستريح وليس الغرض الاستراحة، وذلك في سجدة الشكر وإن كان وضع الجبهة شاملاً لسجود الصلاة. و «الجمر» بالفتح، جمع «جمرة» وهي النار المتّقدة، ووقوفهم على مثل الجمر قلقهم واضطرابهم من خوف المعاد وعذاب النار، والمراد بين أعينهم جباههم مجازاً. أو الموضع حقيقة للارغام في السجود، والأوّل أظهر. «وهملت» — كضربت ونصرت — أي سألت وفاضت، و «جيب القميص» ونحوه بالفتح، طوقه. و «مادوا» تحرّكوا و اضطربوا، و «الريح العاصف والعاصفة» الشديدة. و «خوفاً» مفعول له لقوله — عليه السلام — «مادوا» فقط فسيلان العين للحبّ والشوق أو للفعلين جميعاً أو للجميع على بُعد، ويدلّ على أنّ الخوف من العقاب والرجاء للشواب لا ينافيان الاخلاص. ٤٠١

٩٨ — وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ

يشير فيه إلى ظلم بني أمية

وَاللّٰهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدْعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ^(١٣١٠) ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلَّوْهُ ، وَحَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مَّدْرٍ وَلَا وَبَرٍ^(١٣١١) إِلَّا دَخَلَهُ

ظَلَمَهُمْ وَنَبَأَ بِهِ^(١٣١٢) سُوءَ رَغِيهِمْ ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيانَ يَبْكِيَانِ :
 بَاكِ يَبْكِي لِذِينِهِ ، وَبَاكِ يَبْكِي لِذُنْيَاهُ ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ
 مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ
 أَغْتَابَهُ ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا ، فَإِنْ
 أَنَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا ، وَإِنْ أَبْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ « الْعَاقِبَةَ
 لِلْمُتَّقِينَ » .

بيان: «لا يزالون» أي بنو أمية، فحذف الخبر وسدت حتى وما بعدها مسدًا للخبر.
 ويقال: «نبا به منزله» إذا ضره ولم يوافق. و«سوء رعتهم» أي سوء ورعهم وتقواهم.
 يقال: ورع يرع - بالكسر فيها - ورعا ورعة. و يروى: «سوء رعيهم». قوله
 — عليه السلام — «نصرة أحدكم»، أي انتقامه من أحدهم بإضافة المصدر إلى الفاعل،
 وقيل: المصدر مضاف إلى المفعول في الموضعين، وتقدير الكلام: حتى يكون نصرة
 أحدهؤلاء الولاة لأحدكم. و«من» في الموضعين داخلة على محذوف تقديره: من جانب
 أحدهم، ومن جانب سيده، وهو ضعيف ولا حاجة إلى التقدير بل هو معنى
 الابتدائية. ٤٠٢

وقال ابن ميثم — رحمه الله —: قد جاء في بعض خطبه — عليه السلام — ما يجري
 مجرى الشرح لهذا الوعد، قال — عليه السلام —:

اعلموا علماً يقيناً أَنَّ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ قَائِمًا مِنْ أَمْرِ جَاهِلِيَّتِكُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ كُلَّهَا
 يَوْمئِذٍ جَاهِلِيَّةٌ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ فَلَا تَعْجَلُوا فَيَعْجَلَ الْخَوْفُ بِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الرِّفْقَ بَيْنَ
 وَالْأُنَاةِ رَاحَةٌ وَبَقَاءٌ، وَالْإِمَامُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْكُرُ وَيَعْرِفُ، لِيَنْزِعَنَّ عَنْكُمْ قَضَاةَ السُّوءِ،
 وَلِيَقْبَضَنَّ عَنْكُمْ الْمَرَضِينَ، وَلِيَعَزِّلَنَّ عَنْكُمْ أَمْرَاءَ الْجَوْرِ وَلِيَطَهِّرَنَّ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ
 غَاشٍ، وَلِيَعْمَلَنَّ بِالْعَدْلِ، وَلِيَقُومَنَّ فِيكُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلِيَتِمَّتَيْنَّ أَحْيَاؤَكُمْ

رجعة الكرة عما قليل فتعيشوا إذن، فإن ذلك كائن.

الله أنتم بأحلامكم، كفوا ألسنتكم، وكونوا من وراء معايشكم، فإن الحرمان سيصل إليكم، وإن صبرتم واحتسبتم واستيقنتم أنه طالب وترككم ومدرك آثاركم وأخذ بحققكم، وأقسم بالله قسماً حقاً إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. ٤٠٣

أقول: وقال ابن أبي الحديد^{٤٠٤} في شرح خطبة أوردها السيد الرضي في نهج البلاغة وهي مشتملة على ذكر بني أمية: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير وهي متداولة منقولة مستفيضة وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي. ثم قال: ومنها:

فانظروا أهل بيت نبيكم فان لبدوا فالبدوا. وإن استنصروكم فانصروهم ليفرجن الله برجل متأهل البيت بأبي ابن خيرة الإمام لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية حتى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فيغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ستة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ثم قال ابن أبي الحديد: فإن قيل، من هذا الرجل الموعود؟ قيل: أما الامامية، فيزعمون أنه إمامهم الثاني عشرو أنه ابن أمة اسمها نرجس وأما أصحابنا، فيزعمون أنه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لأتم ولوليس بموجود الآن. فإن قيل: فمن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجوداً حتى يقول عليه السلام— في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم؟

قيل: أما الامامية، فيقولون بالرجعة ويزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر وأنه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوماً آخرين و ينتقم من أعداء آل محمد عليهم السلام— المتقدمين والمتأخرين. وأما أصحابنا، فيزعمون أنه سيخلق الله— تعالى— في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة— عليها السلام— ليس موجوداً الآن و ينتقم [به] وأنه يملأ الأرض عدلاً كما

٤٠٣— شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٩، ط بيروت.

٤٠٤— شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٥٨ — ٥٩، ط بيروت. وقد تقدم مثل هذا الشرح في الخطبة رقم ٩٣.

ملئت جوراً وظلماً من الظالمين وينكل بهم أشد النكال وآته لأثم ولد كما قدورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار وأن اسمه كاسم رسول الله— صلى الله عليه وآله— وآته يظهر بعد أن يستولي على كثير من الاسلام ملك من أعقاب بني أمية وهو السفيناني الموعود به في الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أمية وأن الإمام الفاطمي يقتله و أشياعه من بني أمية وغيرهم وحينئذ ينزل المسيح —عليه السلام— من السماء وتبدو أشرط الساعة وتظهر دابة الأرض ويبطل التكليف ويتحقق قيام الأجساد عند نفخ الصور كما نطق به الكتاب العزيز. ٤٠٥

٩٩ — ﴿مَنْ ظَلَمَ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾

في التزهيد من الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَذْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَالْمُتَبَلِّغَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ ^(١٣١٣) سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ ، وَأَمَّا ^(١٣١٤) عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ ^(١٣١٥) أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا ! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعُدُّهُ ، وَطَالِبٌ حَيْثُ مِنَ الْمَوْتِ يَخْذُوهُ ^(١٣١٦) وَمُزْعَجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْمًا ! فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تَعَجُّبُوا

بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا
إِلَى أَنْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَاءُهَا وَبُؤْسُهَا إِلَى
نَفَادٍ^(١٣١٧) ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى أَنْتَهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ .
أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ^(١٣١٨) ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ
وَمُعْتَبَرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ،
وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ
وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى : فَمَيِّتٌ يُبْكِي ، وَآخِرٌ يُعْزِي ، وَصَرِيعٌ
مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ^(١٣١٩) ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا
وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؛ وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا
يَمْضِي الْبَاقِي !

أَلَا فَادْكُرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْغَصَّ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ ،
عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ^(١٣٢٠) لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ ؛ وَأَسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ
حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

١٠٠ - (عَنْ طَائِفَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ)

في رسول الله وأهل بيته

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ

فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا^(١٣٢١) ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا ، فَأَدَّى أَمِينًا ، وَمَضَى رَشِيدًا ؛ وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقٌ^(١٣٢٢) ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقٌ^(١٣٢٣) ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ^(١٣٢٤) ، بَطِيءُ الْفَيَاقِمِ^(١٣٢٥) ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشْرَنْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ^(١٣٢٦) ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ^(١٣٢٧) ، وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ مُدْبِرٍ^(١٣٢٨) ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ^(١٣٢٩) ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى ، فَتَرْجَعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا .

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ^(١٣٣٠) طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنْ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

توضيح: «النشر» التفريق والبسط. وبسط اليد كناية عن العطاء، وقيل: «اليد» هنا النعمة. «في جميع أموره» أي ما صدر عنه من النعم والبلايا. و«رعاية حقوق الله» شكره وطاعته بأمره. «صادعاً» أي مظهراً ومجاهراً. و«الرشد» إصابة الصواب، وقيل: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. و«راية الحق» الثقلان المخلفان. و«مرق السهم من الرمية» إذا خرج عن المرمى به، والمراد هنا خروج من

تقدّمها ولم يعتدّ بها من الدين. و«زهق الشيء» — كمنع — بطل وهلك. و«اللحوق» إصابة الحق. وأراد بالدليل نفسه — عليه السلام —، والضمير راجع إلى الراية. «مكيث الكلام» أي بطيئه، أي لا يتكلّم من غير روية. بُطء القيام كناية عن ترك العجلة و الطيش. و إلاّنة الرقاب كناية عن الإطاعة. والإشارة بالأصابع عن التعظيم و الإجلال.

قال ابن أبي الحديد: نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل — عليه السلام — فيه، اجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدّمة يريد الشام فضر به اللعين و انفضّت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها، وأشار بن يجمعهم إلى المهديّ — عليه السلام —. و«النشر» المنشور المتفرّق. قوله «فلا تطمعوا» أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممّن هو أهله فلا تطمعوا فيه فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب كما كان شأن أكثر أئمّتنا — عليهم السلام —؛ وقيل: أراد بغير المقبل من انحرّف عن الدين بارتكاب منكر فإنّه لا يجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم. وفي بعض النسخ: «فلا تطعنوا في عين» أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عمّا يريد. وقوله — عليه السلام — «ولا تأيسوا» أي من أدبر عن طلب الخلافة ممّن هو أهل لها فلا تأيسوا من عوده و إقباله على الطلب فإنّ إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلّة الناصر. و«زوال إحدى القائمتين» كناية عن اختلال بعض الشروط وثبات الأخرى عن وجود بعضها. وقوله «فترجعا حتّى تثبتا» عن استكمال الشرائط، ولا ينافي التهي عن الإياس النهي عن الطمع لأنّ عدم اليأس هو التجويز، والطمع فوق التجويز، ولأنّ النهي عن الطمع في حال عدم الشروط و الإعراض عن الطلب لذلك، والنهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط.

وقيل: «لا تأيسوا من مدبر» أي إذا ذهب من بينكم إمام وخلفه إمام أخرى فاضطرب أمره فلا تشكّوا فيهم فإنّ المضطرب الأمر يستنظم أموره؛ و حينئذ يكون قوله — عليه السلام — «ألا إنّ مثل آل محمّد — صلّى الله عليه وآله —» كالبيان لهذا. «إذا خوى نجم» أي مال للمغيّب. و «الصنائع» جمع «صنيعة» وهي الإحسان، أي

لاتيأسوا عسى أن يأتي الله بالفرج عن قريب، و المتحقق الوقوع قريب وإن كان بعيداً. ويمكن أن يكون إراءة ٤٠٦ مخاطبين ما يأملون في الرجعة. ٤٠٧

١٠١ - (خطبنا في ليلة الثلاثاء ١٤٤١هـ)

وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللَّسَانَ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ ^(١٣٣١) شِقَاقِي ^(١٣٣٢) ، وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمْ ^(١٣٣٣)

عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ ^(١٣٣٤) عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي . فَوَالَّذِي

فَلَقَ الْحَبَّةَ ^(١٣٣٥) ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ^(١٣٣٦) ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ

الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا كَذَبَ الْمُبْلَغُ ، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ .

لَكَانِي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ ^(١٣٣٧) قَدْ نَعَقَ ^(١٣٣٨) بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ ^(١٣٣٩)

فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ ^(١٣٤٠) . فَإِذَا فَعَرَتْ فَاعِرَتُهُ ^(١٣٤١) ، وَأَشْدَّتْ شَكِيمَتُهُ ^(١٣٤٢) ،

وَتَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَاتُهُ ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتْ

الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوحُهَا ^(١٣٤٣) ، وَمِنَ اللَّيَالِي

٤٠٦- في المتن: «أراكم» على صيغة المجرد، فصدره «رؤية» لا «الإراءة»، أي أراكم تدركون ما تأملون. فتأمل.

٤٠٧- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمياني وص ٦٦١، ط تبريز.

كُدُوْحَهَا^(١٣٤٤) . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ^(١٣٤٥) ، وَهَدَرَتْ
شَقَاشِقُهُ^(١٣٤٦) ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ^(١٣٤٧) ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ،
وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هَذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ
الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ^(١٣٤٨) وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ^(١٣٤٩) ! وَعَنْ قَلِيلٍ
تَلْتَفُ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ^(١٣٥٠) ، وَيُخْصَدُ الْقَائِمُ^(١٣٥١) ، وَيُخْطَمُ الْمَخْصُودُ^(١٣٥٢) !

بيان: الغرض إثبات الأوليّة و الآخريّة الحقيقيّتين له - سبحانه - ، وظاهر
الأول حدوث ماسواه ، واستدلّ بالثاني على ماذهب إليه كثير من المتكلمين من انعدام
العالم بأسره قبل قيام الساعة ، ويمكن أن يكون الآخريّة باعتبار أن كلّ ماعداه في التغيّر
و التحوّل من حال إلى حال ، كماورد في الرواية ، وقيل: أوليّته بحسب الخارج ،
وآخريّته بحسب الذهن ، أو الآخر في سلسلة الافتقار لاحتياج الكلّ إليه - سبحانه - .^{٤٠٨}

بيان: قيل: المراد بالفضليل معاوية ، وقيل: السفيناني .

وقال ابن أبي الحديد: هذا كناية عن عبد الملك بن مروان ، لأنّ هذه الصفات
كانت فيه أتّم منها في غيره ، لأنّه أقام بالشام حين دعا إلى نفسه ، وهو معنى نعيقه
وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعباً ، وتارة لما
استخلف الأمراء على الكوفة ، فلما كمل أمر عبد الملك وهو معنى «أينع زرعه» هلك
وعقدت رايات الفتن المعضلة بعده ، كحروب أولاده مع بني المهلب ، ومع زيد بن عليّ
- عليه السلام - و أيتام يوسف بن عمر وغير ذلك .^{٤٠٩}

و«الضواحي» النواحي البارزة القرية . قوله «فغرت فاغرت» أي فتح فاه .
و«الشكيمة» في الأصل حديدة معترضة في اللّجام في فم الدابة ، و«فلان شديد
الشكيمة» إذا كان عسر الانقياد شديد النفس . و«ثقلت في الأرض وطأته» أي عظم

٤٠٨ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧ ، كتاب السّاء والعالم، ص ٢٦ .

٤٠٩ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧ ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ط بيروت .

جوره و ظلمه. و«الكلوخ» بالضم، تكشّر في العبوس.^{٤١٠} و«الكدوح» الخدوش. و«أينع الزرع» أدرك و نضج، و«الينع» جمع «يانع»، ويجوز أن يكون مصدرأ. و«هدرت» أي صوتت. و«الشقاشق» جمع «شقشقة» وهي بالكسر شيء كالراية يخرج من فم البعير إذا هاج. و«برقت بوارقه» أي سيوفه رماحه. و«المعضلة» العسرة العلاج. و«القاصف» الريح القويّة تكسر كلّما تمرّ عليه، و«القرون» الأجيال من الناس، واحدا «قرن» بالفتح، وهذا كناية عن الدولة العباسيّة التي ظهرت على دولة بني أميّة في الحرب، ثمّ قتل المأسورين منهم صبرأ، فحصد القائم قبل المحاربة وحطم الحصيد بالقتل صبرأ. والمراد بالتفاف بعضهم ببعض اجتماعهم في بطن الأرض، وحصدهم قتلهم أوموتهم، ومحطم محصودهم تفرق أوصالهم في التراب، أو التفافهم كناية عن جمعهم في موقف الحساب أو طلب بعضهم مظالمهم من بعض، وحصدهم عن إزالتهم عن موضع قيامهم أي الموقف، وسوقهم إلى النار وحطمهم عن تعذيبهم في نار جهنم.

أقول: سيأتي كثير من الأخبار في كتاب الفتن.^{٤١١}

١٠٢ — وَمِنْ خُطَبِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تجري هذا المجرى
وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة

يوم القيامة

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ^(١٣٥٣)
وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ ، خُضُوعًا ، قِيَامًا ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ^(١٣٥٤) ، وَرَجَفَتْ

٤١٠- والصحيح أن يقال: «كلح كلوحاً» بالضم، تكشّر في عبوس. و«تكشّر» أي كشف عن أسنانه.

٤١١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٥٦.

بِهِمُ الْأَرْضُ^(١٣٥٥) ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا ، وَلِنَفْسِهِ مُتَسَعًا .

حال مقبلة على الناس

ومنها : فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ^(١٣٥٦) ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ^(١٣٥٧) : يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا^(١٣٥٨) وَيَجْهَدُهَا^(١٣٥٩) رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ^(١٣٦٠) ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ^(١٣٦١) ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ ! لَا رَهَجَ^(١٣٦٢) لَهُ ، وَلَا حَسَ^(١٣٦٣) ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَخْمَرِ ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ^(١٣٦٤) !

بيان: «نقاش الحساب» المناقشة و التدقيق فيه. ٤١٢

بيان: «لا تقوم لها قائمة» أي لا تنهض مجربها فئة ناهضة، أو قائمة من قوائم الخيل، أي لاسبيل إلى قتال أهلها، أو قلعة أو بنية قائمة، بل تهدم. «ولا ترد لها راية» أي لا تنهزم أصحاب راية من رايات تلك الفئة. قوله —عليه السلام— «مزمومة مرحولة» أي عليها زمام ورحل، أي تامة الأدوات. «يحفزها» أي يدفعها قائدها. «قليل سلبهم» أي نعمتهم القتل لا السلب. و«الرهج» الغبار. و«الحس» صوت المشي. و«الموت الأحمر» كناية عن الوباء، و«الجوع الأغبر» عن الموت. وأول الكلام إشارة إلى قصة صاحب الزنج أو إلى فتنة أخرى سيأتي في آخر الزمان، وآخره أيضاً يحتمل أن يكون

إشارة إلى فتنة صاحب الزنج أو إلى طاعون يصيبهم حتى يبيدهم.^{٤١٣}
[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: «قطع الليل» جمع «قطع» بالكسر، وهو الظلمة، قال - تعالى -:
«فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ»^{٤١٤}. كذا ذكره ابن أبي الحديد. ولعله سهو،
والظاهر أنه جمع «قطعة». «تقوم لها فائمة» أي لا تنهض لحربها فئة ناهضة، أو قائمة
من قوائم الخيل، يعني لاسبيل إلى قتال أهلها، أو قلعة أو بنية قائمة بل تنهدم. «ولا تردّها
راية» أي لا تنهزم راية من رايات تلك الفتنة بل تكون غالبية دائماً، أو لا ترجع لحربها راية
من الرايات التي هربت عنها. «مزمومة مرحولة» عليها زمام ورحل، أي تامة الأدوات
يدفعها قائدها. و«الحفز» السوق الشديد. و«يجهدا» أي يحمل عليها في السير فوق
طاقتها. «قليل سلبهم» أي ماسلبوه من الخصم، أي همّتهم القتل لا السلب، وقيل: إن
هذا إشارة إلى صاحب الزنج وحبشة، وفيه إن الذين جاهدوهم لم يكونوا على
الأوصاف المذكورة إلا أن يقال: لشقاوة الطرف الآخرا مذهبهم الله بالملائكة، وهو بعيد.
وقيل: إشارة إلى ملحمة في آخر الزمان لم تأت بعد، وهو قريب. و«الرهج» الغبار.

قال ابن أبي الحديد: كتني بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتى يبيدهم.
وقال ابن ميثم: إشارة إلى فتنة الزنج، وظاهر أنه لم يكن لهم غبار ولا أصوات إذ لم يكونوا
أهل خيل ولا قعقة^{٤١٥} لحم، فإذن لارهج لهم ولا حس^{٤١٦}. وقال ابن أبي الحديد:
«الموت الأحمر» كناية عن الوباء، و«الجوع الأغبر» عن الموت. والحمرة كناية عن
الشدة. ووصف الجوع بالأغبر لأن الجائع يرى الآفاق كأن عليها غبرة وظلاماً.^{٤١٧}
وقيل: «الموت الأحمر» إشارة إلى قتلهم بالسيف. وقال ابن ميثم^{٤١٨}: أقول: قد فسرّه

٤١٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣٣١.

٤١٤- هود: ٨١.

٤١٥- «القعقة» حكاية صوت السلاح.

٤١٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٥، ط بيروت.

٤١٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٠٤، ط بيروت.

٤١٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٥، ط بيروت.

— عليه السلام — بهلاكهم من قبل الغرق كما سيأتي. ٤١٩

١٠٣ — (قوله عليه السلام)

في التزميد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِقِينَ (١٣٦٥) عَنْهَا ؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّأْوِي (١٣٦٦) السَّاكِنَ ، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ (١٣٦٧) الْآمِنَ ؛ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَادْبَرَ ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيَنْتَظِرَ . سُورُهَا مَشُوبٌ (١٣٦٨) بِالْحُزْنِ ، وَجَلَدٌ (١٣٦٩) الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ (١٣٧٠) ، فَلَا يَغْنَنُكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَأَعْتَبَرَ ، وَأَعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانَ .

صفة العالم

ومنها : الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قُدْرَهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ

قَدَرُهُ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ ؛ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثٍ ^(١٣٧١) الدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ؛ وَكَأَنَّ مَا وَنَى ^(١٣٧٢) فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ !

آخر الزمان

ومنها : وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ ^(١٣٧٣) ، « إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، » وَأَعْلَامُ السُّرَى ^(١٣٧٤) ، لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ ^(١٣٧٥) ، وَلَا الْمَذَابِيحِ ^(١٣٧٦) الْبَذَرِ ^(١٣٧٧) ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ ، كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعِزِّكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ ^(١٣٧٨) ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ » .

قال السيد الشريف الرضي : أما قوله عليه السلام : « كل مؤمن نُومَةٍ » فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، والمساييح : جمع مسياح ، وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع : جمع مذياع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ، ونوه بها ، والبذرُ : جمع بدور وهو الذي يكثر سفيهه وبلغو منطقه .

بيان: قال ابن ميثم: «من عرف قدره» أي مقداره و منزلته بالنسبة إلى مخلوقات الله - تعالى -، وأنه أي شيء منها، ولأي شيء خلق، ومآطوره المرسوم في كتاب ربه و سنن أنبيائه. ٤٢٠ «وكأن ما وني فيه» أي ما فترفيه وضعف عنه. ٤٢١

١٠٤ - من خطبة علي عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا ، فَقَاتَلَ
بِمَنْ أَطَاعَهُ زُنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ
أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ (١٣٧٩) ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ (١٣٨٠) ، فَيَقِيمُ
عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ
وَبَوَّاءَهُمْ مَحَلَّنَهُمْ ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ (١٣٨١) ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ (١٣٨٢)
وَأَيْمُ اللَّهِ ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّيْتُ بِحَدَافِيرِهَا ، وَاسْتَوْسَقْتُ
فِي قِيَادِهَا ؛ مَا ضَعُفْتُ ، وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ ، وَلَا وَهَنْتُ ، وَأَيْمُ
اللَّهِ ، لَا بُقْرَنَ (١٣٨٣) أَلْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ !

قال السيد الشريف الرضي : وقد تقدم مختار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان ، فأوجب الحال إثباتها ثانية .
إيضاح: قوله «وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً» أي في زمانه - صلى الله

٤٢٠ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٩، ط بيروت.

٤٢١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٥٨.

عليه وآله — ومآقاربه، فلا ينافي بعثة هود وصالح وشعيب — عليهم السلام — في الـ ب، وأما خالد بن سنان فلو ثبت بعثته فلم يكن يقرأ كتاباً ويدعي شريعة، وإنما نبوته كادت مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لهم كتب ولا شرائع، مع أنه يمكن أن يكون المراد الزمان الذي بعده.

قوله — عليه السلام — «و يبادر الساعة أن تنزل بهم» أي يسارع إلى هدايتهم و تسليكهم ' سبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله. قوله — عليه السلام — «يحس الحسير»، «الحسير» الذي أعشى في طريقه، والغرض وصفه — صلى الله عليه وآله — بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي أنه كان يسير في آخرهم، ويفتقد المنقطع منهم عن عيائه أو انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه إلا مالا يمكن إيصاله ولا يرجى، أو المراد من وقف قدم عقله في السلوك إلى الله أو انكسر لضلاله كان — صلى الله عليه وآله — هو المقيم له على المحجة البيضاء ويهديه حتى يوصله إلى الغاية المطلوبة إلا من لا يرجى في الخير كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما. و«منجاتهم» نجاتهم، أو محل نجاتهم، و«محلّتهم» منزلهم. و«استدارة رحاهم» كناية عن اجتماعهم واتساق أمورهم. ٢٢٢

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «المنجاة» مصدر أو اسم مكان. و«يبادر بهم الساعة» أي يسارع إلى هدايتهم وإرشادهم حذراً من أن تنزل بهم الساعة فتدركهم على الضلالة. و«الحسير» المعبى، وإقامته على الحسير والكسير مراقبته من تزلزل عقائده ليدفع شبهه حتى يبلغه الغاية التي خلق لأجلها إلا من لم يكن قابلاً للهداية. ومنهم من حمله على ظاهره من شفقتهم — صلى الله عليه وآله — على الضعفاء في الأسفار والغزوات. «حتى أراهم منجاتهم» أي نجاتهم أو محل نجاتهم. و«محلّتهم» منزلهم وغاية سفرهم الصوري أو المعنوي. و«استدارة الرحا واستقامة القناة» كنايةان عن انتظام الأمر كما مر. و«الساقة» جمع «سائق» والضمير لغير مذكور، والمراد الجاهلية، شبهها — عليه السلام —

بكتيبة مصادفة لكتيبة الإسلام فهزمها. وفي القاموس: «الحذفور» — كعصفور — الجانب كالحذفار، والشريف، والجمع الكثير، و«أخذه بخذافيه» بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه، و«الحذافير» المتهيئون للحرب، و«اشدد حذافيك» تهيأ. و«استوثقت» أي اجتمعت وانتظمت يعني الملة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى، أي لما ولت الجاهلية استوثقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها^{٤٢٣}. ويحتمل عوده إلى الجاهلية أي تولت بخذافيها واجتمعت تحت ذل المقادة. و«البقر» الشق. و«الخاصرة» ما بين أسفل الأضلاع وعظم الورك، شبه — عليه السلام — الباطل بحيوان ابتلع الحق^{٤٢٤}.

١٠٥ — وَمِنْ خُطَبِ النَّبِيِّ ﷺ

في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظمة الناس

الرسول الكريم

حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيدًا ، وَبَشِيرًا ،
وَنَذِيرًا ، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا ، وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ
شَيْمَةً^(١٣٨٤) ، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً^(١٣٨٥) .

بنو أمية

فَمَا أَخْلَوْتُمْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا^(١٣٨٦)
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا^(١٣٨٧) ، قَلِقًا وَضِيئَهَا^(١٣٨٨)

٤٢٣- «الأعطان» جمع «العطن» بالتحريك، المناخ حول الورد.

٤٢٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٤، ط كمباني وص ٦٦٢، ط تبريز.

قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ^(١٣٨٩) ، وَحَلَالُهَا
بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ ، وَصَادَفْتُمُوهَا ، وَاللَّهِ ، ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .
فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ^(١٣٩٠) ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ
عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسَيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ ، وَسَيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ .
أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً . وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا
كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا
يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَانْقِسِمُ بِاللَّهِ ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي
غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ ! أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفَهُ !
أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ !

وعظ الناس

أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُغْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظْ مُتَعِظٍ ، وَأَمْتَاخُوا^(١٣٩١)
مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّتْ^(١٣٩٢) مِنْ الْكَدَرِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، لَا تَرَكْنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ
النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ^(١٣٩٣) ، يَنْقُلُ الرَّدَى^(١٣٩٤) عَلَى
ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ
مَا لَا يُلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ ! فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا

يُشْكِي (١٣٩٥) شَجَوَكُمْ (١٣٩٦) ، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْأَبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّهَا ، وَإِضْدَارُ السُّهُمَانِ (١٣٩٧) عَلَى أَهْلِهَا . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَضْوِيحِ (١٣٩٨) نَبْتِهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ (١٣٩٩) الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي !

بيان: «الشيمة» بالكسر، الخلق و الطبيعة، و«الاستمطار» طلب المطر، وطلب العطاء الكثير مجازاً، و«الديمية» بالكسر، المطر الدائم، فيمكن أن يقرء على بناء المفعول، أي أجود من طلب منه العطاء الدائم الكثير، أو على بناء الفاعل إشارة إلى استجابة دعائه في الاستسقاء فيحتمل أن يكون أجود مأخوذاً من الجود بمعنى المطر الكثير، واللّه يعلم. ٢٢٥

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «شهاداً» أي على أوصيائه و أمته و على الأنبياء و أمهم. و«الكهل» من جاوز الثلاثين، وقيل: من بلغ الأربعين، وقيل: من جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. و«الشيمة» بالكسر، الطبيعة و الجبلّة. و«الجود» بالفتح، المطر الغزير. و«الديمية» بالكسر، المطر الدائم في سكون. و«احلولى الشيء» صار حلوّاً ضدّ المرّة. و«الرضاع» بالفتح، مصدر «رضع الصبيّ أمّه» بالكسر، أي امتصّ ثديها. و«الأخلاف» جمع «خلف» بالكسر، وهي حَلَمَة ضرع الناقة أو الضرع لكلّ ذات خفّ وظلف، والجملتان كنايةتان عن انتفاعهم و تمتّعهم بالدنيا. و«صادفته» أي

وجدته. و«الجالل» الدائر المتحرك، والذي يذهب ويجيء. و«خطام البعير» بالكسر، الحبل الذي يقاربه. و«القلق» المتحرك الذي لا يستقر في مكانه. و«الوضين» بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير كالخزام للسرّج، والغرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدنيا وصعوبتها عليهم وعدم انقيادها لهم كما يستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها، قلقه الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها، ويحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدنيا واستبدادها في غرور الناس وإقبالها على أهلها من غير أن يزجرها ويمنعها أحد.

و«السدر المخضود» الذي انشنت أغصانه من كثرة الحمل أو الذي قطع شوكه ونزع وهو كناية عن أكلمهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد. و«الظلّ الممدود» الدائم الذي لا تنسخه الشمس. و«شغرت الأرض» — كمنعت — أي لم يبق بها أحديهما و يضبطها، و«بلدة شاغرة برجلها» إذا لم تمنع من غارة أحد. وفي النهاية: قيل: «الشغر» البعد، وقيل: الاتساع. ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: «فالأرض لكم شاغرة» أي واسعة. و«القادة» ولاية الأمر المستحقون للإمارة والرئاسة. و«تسلّط السيوف» إشارة إلى واقعة الحسين — عليه السلام — وما كان من بني أمية وغيرهم من القتل وسفك الدماء. و«الثار» طلب الدم. والمراد بكونه هنا كالحاكم في حق نفسه استيفاءه الحق بنفسه من غير افتقار إلى بينة وحكم حاكم. والضمير في «تعرفتها» راجع إلى الإمارة أو إلى الدنيا كالضمائر المتقدمة وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أمية إلى بني العباس. و«الطرف» بالفتح، نظر العين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذه في الخير رؤية المحاسن واتباعها. و«وعى الحديث» — كرمى — أي حفظه وتذكره. و«الامتياع» نزول النثر و ملأ الدلو منها. و«الترويق» التصفية، والمراد بالواعظ والعين [يعني] نفسه — صلوات الله عليه —.

و«ركن» — كعلم ونصرو منع — مال. و«الهُوى» إرادة النفس. و«الشفاء» شفير الشيء وجانبه. و«الجرف» بالضم وبضمتين، ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض. و«الهار» الساقط الضعيف. و«الردى» جمع «رداة» بالفتح، فيها، وهي

الصخرة، أي هوفي تعب دائماً، وفَسَّرَ هنا بالهلاك أيضاً. والصاق ما يلتصق وتقريب
 ما لا يتقارب إثبات الباطل بحجج باطلة. و«أشكاه» أزال شكايته. و«الشجو» الهمّ
 والحزن. و«أبرم الأمر» أي أحكمه، — والحبل أي جعله طاقين ثم فتلته؛ والغرض النهي
 عن اتباع إمام لا يقدر على كشف المضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلة
 البصيرة؛ وفي بعض النسخ: «ومن ينقض» بدون لا، فالمعنى: لا تتبعوا من ينقض برأيه
 الفاسد ما أحكمه الشرع. و«السهمان» بالضمّ، جمع «سهم» وهو الحظّ والنصيب،
 وإيصالها إليهم. و«صوّح النبات» أي ييس وتشقّق، أوجفت أعلاه، وهو كناية عن
 ذهاب رونق العلم أو اختفائه ومغلوبيته. و«المستثار» مصدر بمعنى الاستثارة وهي
 الإنهاض والتهيج والترتيب بين الأمر بالتناهي لابن النهي والتناهي، ولا يبعد حمله على
 ظاهره. ٢٢٦

١٠٦ — (مِنْ حَقَائِدِ الْإِسْلَامِ)

وفيهما يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه
 دين الاسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ
 أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ^(١٤٠٠) ، وَسَلَّمًا لِمَنْ
 دَخَلَهُ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ ، وَنُورًا
 لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ،
 وَتَبْصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ
 تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةً ^(١٤٠١) لِمَنْ صَبَرَ . فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ ^(١٤٠٢)

وَأَوْضَحُ الْوَلَانِجِ^(١٤٠٣) ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ^(١٤٠٤) ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ^(١٤٠٥) ،
 مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ^(١٤٠٦) ، رَفِيعُ الْغَايَةِ ، جَامِعُ
 الْحَلَبَةِ^(١٤٠٧) ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ^(١٤٠٨) ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ . التَّصَدِيقُ
 مِنْهَاجُهُ ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ ، وَالْقِيَامَةُ
 حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْزَى^(١٤٠٩) قَبَسًا لِقَابِسِ^(١٤١٠) ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسِ^(١٤١١) ،
 فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِیْثُكَ^(١٤١٢) نِعْمَةٌ ،
 وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةٌ . اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَهُ مَقْسَمًا^(١٤١٣) مِنْ عَدْلِكَ ، وَأَجْزِهِ
 مُضْعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ! وَأَكْرِمْ
 لَدَيْكَ نَزْلَهُ^(١٤١٤) ، وَشَرَّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ^(١٤١٥)
 وَالْفَضِيلَةَ ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا^(١٤١٦) ، وَلَا نَادِمِينَ ، وَلَا
 نَاكِبِينَ^(١٤١٧) ، وَلَا نَاكِثِينَ^(١٤١٨) ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا
 مَفْتُونِينَ .

قال الشريف : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه هاهنا لما في
 الروایتين من الاختلاف .

ومنها في خطاب اصحابه

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنَزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ،

وَتُوَصَّلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ، وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةً . وَقَدْ تَرَوْنَ عُهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّهِ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمُ إِلَيْهِمْ أَرْزَمَتَكُمْ ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، وَآيَمُ اللَّهِ ، لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ ، لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ !

وقال — رحمه الله — في موضع آخر: وسأله — عليه السلام — رجل أن يعرّفه ما

الإيمان؟

فقال: إذا كان غداً فأتني حتى أخبرك على أسمع الناس، فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك، فإنّ الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب وهو قوله — عليه السلام —:

الإيمان على أربع شعب. ٤٢٧

بيان: أقول: إنّنا أوردنا هذه الفصول متّصلة لما يظهر من سائر الروايات اتّصالها، وإنّا فرقها وحذف أكثرها على عادته — قدس سرّه — وأخرنا شرح ما أورده منها إلى ذكر سائر الروايات لكونها أجمع وأفيد، وسنشير إلى الاختلاف بينها وبينها.

قوله «فاذا كان غداً» كان ههنا تامّة أي إذا حدث غداً ووجد، وتقول إذا كان غداً فأتني بالنصب باعتبار آخر أي إذا كان الزمان غداً أي موصوفاً بأنّه الغد، ومن النحويين من يقدره إذا كان الكون غداً لأنّ الفعل يدلّ على المصدر، والكون هو التجدّد

والحدوث. و«الشاردة» النافرة، و«ثقفه» - كعلمه - أي صادفه أو أخذه أو وظفر به. و«يخطئها» أي لا يدركها ولا يفهمها أولاً يحفظها وينساها.

كما: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه؛ ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، جميعاً عن الحسن بن محبوب عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي جعفر - عليه السلام -؛ وبأسانيد مختلفة عن الأصبغ ابن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين - عليه السلام - في داره - أوقال في القصر - ونحن مجتمعون ثم أمر - صلوات الله عليه - فكتب في كتاب وقرئ على الناس؛ وروى غيره أن ابن الكوا سأل أمير المؤمنين - عليه السلام - عن صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق فقال:

أما بعد، فإن الله - تبارك وتعالى - شرع الإسلام، وسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه لمن جأربه، وجعله عزاً لمن تَوَلَّاه، وسلاماً لمن دخله، وهدي لمن اتَّمسك به، وزينة لمن تجلَّه، وعذراً لمن انتحلّه، وعروة لمن اعتصم به، وحبلًا لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلم به، ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وعلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى، وحلماً لمن جرب، ولباساً لمن تدبَّر^{٢٨} وفهماً لمن تَفَطَّن، ويقيناً لمن عقل، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسَّم، وعبرة لمن آتَعَط، ونجاة لمن صدَّق، وتؤدة لمن أصلح، وزلّٰى لمن اقترَب، وثقة لمن تَوَكَّل، ورجاء لمن فَوَّض، وسبقة لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجتة لمن صبر، ولباساً لمن اتقى، وظهيراً لمن رشد، وكهفاً لمن آمَن، وأمنة لمن أسلم، ورجاء لمن صدَّق، وغنى لمن قنع.

فذلك الحقّ سبيله الهدى، ومأثرته المجد، وصفته الحسنى، فهو أبلغ المناهج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النعمة، كامل العدة، كريم الفرسان.

٤٢٨- في نسخة النهج: «ولبّا لمن تدبّر» وهو الصحيح، وبين النسخ - كما سيأتي من المصنف - اختلافات. والصحيح في بعض نسخ الكافي وفي بعض نسخ النهج.

فالإيمان مناجه، والصالحات مناره، والفقه مصابحه، والدنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلته، والجنة سبقته، والنار نقمته، والتقوى عُذته، والمحسنون فرسانه؛ فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت يختم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنة، والجنة حسرة أهل النار، والنار موعظة للمتقين، والتقوى سنخ الايمان. ٢٩٩

كما: بالاسناد المتقدم ٢٣٠ عن أبي جعفر — عليه السلام — قال: سئل أمير المؤمنين — عليه السلام — عن الايمان فقال:

إِنَّ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ - جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ.

فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق، والإشفاق، والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات. واليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، ومعرفة العبرة، وستة الأولين، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف الستة، ومن عرف الستة فكأنها كان مع الأولين واهتدى إلى آتي هي أقوم، ونظر إلى من نجابا نجابا، ومن هلك بما هلك، وإنها أهلك الله من هلك بمعصيته، وأنجا من أنجا بطاعته.

والعدل على أربع شعب: غامض الفهم، وغمر العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم فسر جميع العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره، وعاش في الناس حميداً.

والجهد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشتان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر

أرغم أنف المنافق وأمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن
شني الفاسقين غضب الله ومن غضب الله غضب الله له.
فذلك الايمان ودعائه وشعبه. ٤٣١

جاء ما: عن المفيد، عن المرزباني، عن أحمد بن سليمان الطوسي، عن الزبير بن
بكار، عن عبد الله بن وهب، عن السدي، عن عبد خير، عن جابر الأسدي قال: قام
رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — فسأله عن الايمان فقام —
عليه السلام — خطيباً فقال:
الحمد لله الذي شرع الاسلام...

وساق نحوه إلى قوله:

غضب الله، ومن غضب الله — تعالى — فهو مؤمن حقاً فهذه صفة الايمان ودعائه.

فقال له السائل: لقد هديت يا أمير المؤمنين وأرشدت فجزاك الله عن الدين
خيراً. ٤٣٢

ولنوضح هذه الرواية الشريفة مشيراً إلى اختلاف النسخ في الكتب:
«أما بعد» أي بعد الحمد والصلاة. «فسهل شرائعه لمن ورده»، «الشرع و
الشرعة» بفتحهما، ما شرع الله لعباده من الدين، أي سنّه وافترضه عليهم، و«شرع الله
لنا كذا» أي أظهره وأوضحه؛ و«الشرعة» مورد الابل على الماء الجاري وكذلك
المشرعة قال الأزهري: ولا تسميها العرب مشرعة إلا إذا كان الماء غير منقطع كماء
الأنهار ويكون ظاهراً معيناً ولا يستقى منه برشاء، فإن كان من ماء الأمطار فهو
«الكرع» بفتحيتين. و«وردت الماء» — كوعدت — إذا حضرته لتشرب، وقيل:

٤٣١- الكافي، ج ٢، ص ٥٠ — ٥١ وفي النهج، تحت الرقم ٣١ من الحكم.

٤٣٢- أمالي المفيد، ص ١٧٠ وأمالي الطوسي، ج ١، ص ٣٥.

«الشريعة» مورد الشاربة ويقال لما شرع الله - تعالى - لعباده، إذ به حياة الأرواح كما بالماء حياة الأبدان. «وأعزَّ أركانه لمن حاربه»، «ركن الشيء» جانبه أو الجانب الأقوى منه، و«العزَّ» المنعة وما يتقوى به من ملك وجند وغيره، كما يستند إلى الركن من الحائط عند الضعف؛ و«العزَّ» القوة والشدة والغلبة، و«أعزه» أي جعله عزيزاً، أي جعل أصوله وقواعده أدلائله وبراهينه قاهرة غالبية منيعة قوية لمن أراد محاربتة أي هدمه وتضييعه؛ وقيل: محاربتة كناية عن محاربة أهله؛ وفي بعض النسخ: «جأربه» - كسأل - بالجيم والهمز، أي استغاث به ولجأ إليه، وفي النهج: «على من غالبه» أي حاول أن يغلبه ولعله أظهر، وفي تحف العقول^{٤٣٣} على من جانبه.

«وجعله عزّاً لمن تولاه» أي جعله سبباً للعزة والرفعة والغلبة لمن أحبه وجعله وليه في الدنيا من القتل والأسر والنهب والذل، وفي الآخرة من العذاب والحزني؛ وفي مجالس الشيخ: «لن والاه» وفي النهج مكانه: «فجعله أمناً لمن علقه» أي نشب و استمسك به. «وسلماً لمن دخله» و«السلم» بالكسر، كما في النهج، وبالفتح أيضاً، الصلح؛ ويطلق على المسالم أيضاً وبالتحريك الاستسلام، إذ من دخله يؤمن من المحاربة والقتل والأسر. «لمن تجلله» كأنه على الحذف والإيصال أي تجلّل به، أو علاه الاسلام وظهر عليه، وأخذ جلاله وعمدته. قال الجوهري: «تجليل الفرس» أن تلبسه الجلّة، و«تجلله» أي علاه، و«تجلله» أي أخذ جلاله: انتهى. و ربّما يقرأ بالحاء المهملة، ويفسر بأن جعله حلّة على نفسه ولا يخفى مافيه؛ وفي المجالس والتحف: «لمن تحلّى به» وهو أظهر.

«وعذراً لمن انتحله»، «الانتحال» أخذه نخلة وديناراً، ويطلق غالباً على ادعاء أمر لم يتصف به، فعلى الثاني المراد أنّه عذر ظاهراً في الدنيا. ويجري به عليه أحكام المسلمين، وإن لم ينفعه في الآخرة. و«العروة من الدلو والكوز» المقبض وكل ما يتمسك

٤٣٣ - راجع تحف العقول، ص ١٥٨. وقد مرّ مراراً الإشارة إلى أنّ هذه التعليقات الواردة هنا منقولة عن شرح المؤلف العلامة على الكافي المسمّى بمرآة العقول، ولذلك ترى أنّه - قدس سرّه - يذكر النسخة التي لم ينقل بعدُ هنا.

به، شبه الاسلام تارة بالعروة التي في الحبل يتمسك بها في الارتقاء إلى مدارج الكمال، والنجاة من مهاوي الحيرة والضلال، كما قال - تعالى - : «فَقَدْ آسَمْتُمْكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا»^{٤٣٤} وتارة بالحبل المتين يصعد بالتمسك به إلى درجات المقرّبين، والحبل يطلق على الرسن وعلى العهد وعلى الذمة وعلى الأمان. والكلّ مناسب، وقيل: شبهه بالعروة لأنّ من أخذ بعروة الشيء كالكوز مثلاً ملك كلّهُ، وكذلك من تمسك بالاسلام استولى على جميع الخيرات.

«وبرهاناً لمن تكلم به»، «البرهان» الحجّة والدليل، أي الاسلام إذا أحاط الإنسان بأصوله وفروعه يحصل منه براهين ساطعة على من أنكرها إذ لا تحصل الاحاطة التامة إلّا بالعلم بالكتاب والسنّة وفيها برهان كلّ شيء. «ونوراً لمن استضاء به» شبهه بالنور للاهتمام به إلى طرق النجاة، ورشحه بذكر الاستضاءة.^{٤٣٥}

«وشاهدأ لمن خاصم به» إذ باشماله على البراهين الحقّة يشهد بحقيّته من خاصم به. «وفلجاً لمن حاج به»، «الفلج» بالفتح، الظفر والفوز كالإفلاج، والاسم بالضمّ والمحااجة المغالبة بالحجّة. «وعلمأ لمن وعاه» أي سبباً لحصول العلم وإن كان مسبباً عنه أيضاً في الجملة، إذ العلم به يزداد ويتكامل. و«حديثاً لمن روى» أي يتضمّن الإحاطة بالاسلام أحاديث وأخباراً لمن أراد روايتها، ففي الفقرة السابقة حثّ على الدّراية وفي هذه الفقرة حثّ على الرواية. «وحكماً لمن قضى» أي يتضمّن ما به يحكم بين المتخاصمين لمن قضى بينها؛ وفي المجالس رواه: وقضى به. «وحلمأ لمن جرّب»، «الحلم» بمعنى العقل أو بمعنى الأناة وترك السفه، وكلاهما يحصلان باختيار الإسلام وتجربة ماورد فيه من المواعظ والأحكام، واختصاص التجربة بالاسلام لأنّ

٤٣٤ - البقرة: ٢٥٦.

٤٣٥ - الترشيح من توابع الاستعارة بالكناية، وهي أن تثبت أحد لوازم المشبه به للمشبه لينتقل السامع إلى حقيقة التشبيه كما في المثال المعروف: مغالب النية نشبت بفلان. فقد شبه النية بالسبع، ثم أثبت للمشبه وهو النية أحد لوازم المشبه به وهي المغالب بالكناية، فيكون ذكر النشوب ترشيحاً وتزييناً لهذه الاستعارة، وههنا استعير السراج للإسلام لكتته لم يذكر المشبه به الذي هو المستعار منه كما في المثال المعروف بل كنى عنها بذكر النور الذي هو من لوازم السراج، فيكون ذكر الاستضاءة ترشيحاً لها. فافهم.

من سفه و بادر بسبب غضب عرض له، يلزمه في دين الاسلام أحكام من الحد و التعزير و القصاص من جرّها و اعتبر بها تحمله التجربة على العفو و الصفح و عدم الانتقام لاسيّما مع تذكّر العقوبات الأخرى على فعلها، والمثوبات الجليّة على تركها، وكلّ ذلك يظهر من دين الاسلام.

«ولباساً لمن تدبّر» أي لباس عافية لمن تدبّر في العواقب أو في أوامره و نواهيه بتقريب مامرّ، أو لباس زينة، والأوّل أظهر، وقد يقرأ «تدبّر» بالثاء المثلثة، أي لبسه وجعله مشتملاً على نفسه كالذئار، وهو تصحيف لطيف؛ وفي النهج و الكتابين^{٤٣٦}: «ولباً لمن تدبّر»، و«اللبّ» بالضمّ، العقل وهو أصوب. «وفهما لمن تفتن»، «الفهم» العلم وجودة تهوّ الذهن لقبول ما يرد عليه، و«الفطنة» الحذق، و«التفتن» طلب الفطنة أو إعماله. وظاهر أنّ الإسلام و الانقياد للرسول و الأئمة —عليهم السلام— يصير سبباً للعلم وجودة الذهن لمن أعمل الفطنة فيما يصدر عنهم من المعارف والحكم؛ وفي المجالس: لمن فطن.

«و يقيناً لمن عقل» أي يصير سبباً لحصول اليقين لمن تفكّر و تدبّر، يقال: «عقلت الشيء عقلاً» — كضربت — أي تدبّرت، و«عقل» — كعلم — لغة فيه، ويمكن أن يراد بمن عقل من كان من أهل العقل، وهو قوّة بها يكون التمييز بين الحسن و القبيح و قيل: غريزة يتهيأ بها الإنسان لفهم الخطاب. «وبصيرة لمن عزم» وفي النهج و المجالس: وبصيرة. قال الراغب: يقال لقوّة القلب المدركة: بصيرة، وبصر، ومنه: «أدعوا إلى الله على بصيرة»^{٤٣٧} أي على معرفة وتحقّق، وقوله «تبصرة» أي تبصيراً وتبييناً، يقال: بصّرت تبصيراً و تبصرة، كما يقال: ذكرته تذكيراً و تذكرة. وقال: «العزم و العزيمة» عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمت الأمر و عزمت عليه و اعترمت. انتهى. أي تبصرة لمن عزم على الطاعة كيف يؤذيها أو في جميع الأمور فإنّ في الدين كيفيّة المخرج في جميع أمور الدين والدنيا، وأيضاً من كان ذا دين لا يعزم على أمر إلا على وجه البصيرة.

٤٣٦- المراد بالكتابين أمالي الطوسي و أمالي المفيد.

٤٣٧- يوسف: ١٠٨.

«وآية لمن توسم» أي الاسلام مشتمل على علامات لمن تفرس ونظر بنور العلم واليقين إشارة إلى قوله - تعالى - : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ»^{٤٣٨}. قال الراغب^{٤٣٩}: «الوسم» التأثير، و«السمة» الأثر، قال - تعالى - : «سَيَمَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»^{٤٤٠} وقال: «تَعْرِفُهُمْ بِسَيَمَائِهِمْ»^{٤٤١} وقوله - تعالى - : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ» أي للمعتبرين العارفين المتفطنين، وهذا التوسم هو الذي سماه قوم الذكاء، وقوم الفطنة، وقوم الفراسة، وقال - صَلَّى الله عليه وآله - : اتقوا فراسة المؤمن، وقال: المؤمن ينظر بنور الله. و«توسمت» تعرّفت السمة.

«وعبرة لمن اتعظ»، «العبرة» بالكسر ما يتعظ به الانسان ويعتبره ليستدل به على غيره، و«الاتعاض» قبول الوعظ. «ونجاة لمن صدق» بالتشديد، ويحتمل التخفيف كما ورد في الخبر: من صدق نجا. والأول هو المضبوط في نسخ النهج. «وتؤدة» - كهزمة - بالهمز «لن أصلح»؛ وفي القاموس: «التؤدة» بفتح الهمزة وسكونها، الرزانة و التائي، وقد اتأد وتوأد.^{٤٤٢} وفي المصباح: «اتأد في مشيه - على افتعل - اتأدأ» ترقق ولم يعجل، وهو يمشي على «تؤدة» وزان رطبة، و«فيه تؤدة» أي تثبت، وأصل التاء فيها واو. انتهى. أي يصير الاسلام سبب وقار ورزانة لمن أصلح نفسه بشرائعه وقوانينه، أو أصلح أموره بالتائي أو يتأني في الاصلاح بين الناس أو بينه وبين الناس، وفي بعض النسخ: «ومودة» وهو بالآخر أنسب. وفي المجالس: «ومودة من الله لمن أصلح» وفي التحف: «ومودة من الله لمن صلح» أي يوده الله أو يلقي حبه في قلوب العباد كما قال - سبحانه - : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسَعَةً»^{٤٤٣}.

«وزلني لمن اقترب»، «الزلني» - كحبل - القرب و المنزل والحظوة، و«الاقتراب» الدنو، وطلب القرب وكأنّ المعنى: الاسلام سبب قرب من الله - تعالى - لمن طلب ذلك بالأعمال الصالحة التي دلّ عليها دين الاسلام وشرائعه؛ وفي

٤٣٨- الحجر: ٧٥.

٤٤٠- الفتح: ٢٩.

٤٤٢- القاموس، ج ١، ص ٣٤٣.

٤٤١- البقرة: ٢٧٣.

٤٤٣- مريم: ٩٦.

٤٣٩- المفردات، ص ٥٢٤.

بعض النسخ: «لمن اقترن» أي معه ولم يفارقه، وكأته تصحيف، وفي المجالس و التحف: «لمن ارتقب» أي انتظر الموت أو رحمة الله، أو حفظ شرائع الدين وترصد مواقبتها؛ في القاموس: «الرقيب» الحافظ والمتنظر والحارس و«رقبه» انتظره كترقبه وارتقبه، — والشئ حرسه كراقبه مراقبة، و«ارتقب» أشرف وعلا.

«وثقة لمن توكل»، «الثقة» من يؤتمن ويعتمد عليه، يقال: «ثقت به أثق — بكسرهما — ثقة ووثوقاً» أي ائتمنته، و«وثق الشئ — بالضم — وثاقه فهو وثيق» أي ثابت محكم، و«توكل عليه» أي فوض أمره إليه، أي الاسلام ثقة مأمون لمن وكل أموره إليه أي راعى في جميع الأمور قوانينه فلا يخدعه، أو يصير الاسلام سبباً لوثوق المرء على الله إذا توكل عليه و يعلم به أن الله حسبه ونعم الوكيل.

«ورجاء لمن فوض» أي الاسلام سبب رجاء لمن فوض أموره إليه أو إلى الله على الوجهين السابقين؛ وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة أي سعة عيش، وفي النهج والكتابين: «وراحة» وهو أظهر. «وسبقة لمن أحسن» في القاموس: «سبقة يسبقه و يسبقه» تقدمه، والفرس في الحلبة جلى، و«السبق» محرّكة و«السبقة» بالضم، الخطر يوضع بين أهل السباق وهما «سبقان» بالكسر، أي يستبقان^{٤٤٤}. انتهى. والظاهر هنا «سبقة» بالضم، أي الاسلام متضمن لسبقة لمن أحسن المسابقة أو لمن أحسن إلى الناس فإنه من الأمور التي تحسن المسابقة فيه أو لمن أحسن صحبته، أولن أتى بأمر حسن فيشمل جميع الطاعات، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى قوله — تعالى —: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ»^{٤٤٥} بأن يكون المعنى: اتبعوهم في الاحسان. «وخيراً لمن سارع» على الوجوه المتقدمة إشارة إلى قوله — سبحانه — في مواضع «يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^{٤٤٦}.

«وجتة لمن صبر»، «الجتة» بالضم، الترس وكل ماوقي من سلاح وغيره، فالاسلام يحث على الصبر وهو جتة لخاواف الدنيا والآخرة، وقيل: استعار لفظ الجتة

٤٤٤- القاموس، ج ٣، ص ٢٤٣.

٤٤٥- التوبة: ١٠٠.

٤٤٦- آل عمران: ١١٤ والأنبياء: ٩٠ والمؤمنون: ٦١.

للاسلام لأنه يحفظ من صبر على العمل بقواعده وأركانه من العقوبة الدنيوية و
الأخروية، وقيل: جنة لمن صبر في المناظرة مع أعادي الدين. «ولباساً لمن اتقى» كآته
إشارة إلى قوله— تعالى—: «وَلِبَاسٌ مِّنَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ»^{٤٤٧} بناء على أن المراد بلباس
التقوى خشية الله، أو الايمان، أو العمل الصالح، أو الحياء الذي يكسب التقوى، أو
السمت الحسن، وقد قيل: كل ذلك أو اللباس الذي هو التقوى، فإنه يستر الفضائح
والقبائح، ويذهبها، لا لباس الحرب كالدرع والمِغفر والآلات التي تتقى بها عن العدو
كما قيل، فالاسلام سبب للباس لباس الايمان والتقوى والأعمال الصالحة، والحياء
وهيئة أهل الخير لمن اتقى وعمل بشرائعه.

«وظهيراً لمن رشد» أي معيناً لمن اختار الرشd والصلاح، في القاموس:
«رشد— كنصر وفرح— رُشداً ورُشداً ورشاداً» اهتدى و «الرشd» الاستقامة على
طريق الحق مع تصلب فيه. «وكهفاً لمن آمن»، «الكهف» كالغار في الجبل والملاجأ،
أي محل آمن من مخاوف الدنيا والعقبى لمن آمن بقلبه لامن أظهر بلسانه ووافق بقلبه.
«وأمنة لمن أسلم»، «الأمنة» بالتحريك، الأمن، وقيل: في الآية^{٤٤٨} جمع كالكتبة
والظاهر أن المراد بالاسلام هنا الانقياد التام لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين فإن كان
كذلك فهو آمن في الدنيا والاخرة من مضارهما. «ورجاء لمن صدق» أي الاسلام
باغتبار اشتماله على الوعد بالثوبات الأخروية والدرجات العالية، سبب لرجاء من
صدق به، ويمكن أن يقرأ بالتخفيف ويؤيده أن [ما] في التحف «وروحاً للصادقين»،
وفي بعض نسخ الكتاب أيضاً «روحاً» ومنهم من فسر الفقرتين بأن الاسلام أمنة في
الدنيا لمن أسلم ظاهراً وروح في الاخرة لمن صدق باطناً؛ أقول: وكآته يؤيده قوله—
تعالى—: «فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُفَرِّينَ فَرُجٌ وَرَتَحَادٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ»^{٤٤٩}.

«وغنى لمن قنع» أي الاسلام لاشتماله على مدح القناعة وفوائدها فهو يصير
سبباً لرضا من قنع بالقليل وغناه عن الناس، وقيل: لأن التمسك بقواعده يوجب وصول

٤٤٧- الأعراف: ٢٥.

٤٤٨- آل عمران: ١٥٤، والآية هي: «ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا».

٤٤٩- الواقعة: ٨٨.

ذلك القدر إليه كما قال - عز شأنه - : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^{٤٥٠}، ويحتمل أن يراد به أن الاسلام باعتبار اشتماله على مالا بد للإنسان منه من العلوم الحقّة والمعارف الالهية والأحكام الدينية يغني من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكيمية والقوانين الكلامية والاستحسانات العقلية والقياسات الفقهية وإن كان بعيداً.

«فذلك الحق» أي ما وصفت لك من صفة الاسلام حق أو «ذلك» إشارة إلى الإسلام، أي فلما كان الاسلام متصفاً بتلك الصفات فهو الحق الثابت الذي لا يتغير أولاً يشوبه باطل أو ذلك هو الحق الذي قال الله - تعالى - : «أَقَمْنِ يَغْلُمَنَّ أَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ»^{٤٥١}. وقوله «سبيله الهدى» استيناف بياني صفة لاسم الإشارة، وسبيله الهدى خبره أي هذا الدين الحق الذي عرفت فوائده وصفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله - سبحانه - «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ»^{٤٥٢} وكأنه إشارة إليه أيضاً، والمراد بالهدى الهداية الربانية الموصلة إلى المطلوب.

«ومآثرته المجد»، «المآثرة» بفتح الميم وسكون الهمزة وضّم الثاء وفتحها وفتح الراء، واحدة «المآثر» وهي المكارم من الأثر، وهو النقل والرواية لأنها تؤثر وتروى، وفي القاموس: المكرمة المتوارثة. و«المجد» نيل الكرم والشرف، و«رجل ماجد» أي كريم شريف، ويطلق غالباً على ما يكون بالآباء فكأن المعنى أنه يصير سبباً لمجد صاحبه حتى يسري في أعقابهم أيضاً. «وصفته الحسنی» أي موصوف بأنه أحسن الأخلاق والأحوال والأعمال؛ وفي المجالس بعد قوله «وجتة لمن صبر»: الحق سبيله، والهدى صفته، والحسنی مآثرته.

«فهو أبلغ المنهاج» في القاموس: «بلغ الصبح» أضاء وأشرق كابتلع وتبلج وأبلغ و كل متضح أبلغ، و «النهج والمنهج والمنهاج» الطريق الواضح و «أنهج» وضح وأوضح. وفي النهج بعده: «وأوضح الولايج» أي المداخل. «مشرق المنار»، «المنار» جمع.

«منارة» وهي العلامة توضع في الطريق، وكأنّها سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يضعون عليها النار لاهتداء الضالّ في الليل، وفي القاموس: «المنارة» والأصل «منورة» موضع النور كالمنار والمرجّة والمأذنة، والجمع «مناور و منائر» والمنار العلم.. انتهى. وفي النهج: «مشرف» بالفاء، أي العالي و بعده «مشرق الجواذ» جمع الجاذة. و«ذاكي المصباح»، وفي النهج والكتابين: «مضيئي المصابيح»، وفي القاموس: «ذكت النار و استذكت» اشتدّ لهبها، وهي ذكيّة، و«أذكاه و ذكّاه» أوقدها. «رفيع الغاية»، «الغاية» منتهى السباق أو الراية المنصوبة في آخر المسافة، وهي خرقة تجعل على قسبة وتنصب في آخر المدى، يأخذها السابق من الفرسان و كأنّ الرفعة كناية عن الظهور كما ستعرف وقيل: هومن قولهم «رفع البعير في مسيره» بالغ أي يرفع إليها.

«يسير المضمار» في النهاية: «تضمير الخيل» هو أن تضامر عليها بالعلف حتّى يسمن، ثم لا تعلق إلّا قوّاً لتخفّ، وقيل: تشدّ عليها سروجها و تجلّج بالأجلّة حتّى تعرق فيذهب رهله^{٤٥٣} و يشتدّ لحمها، وفي حديث حذيفة: «اليوم مضمار وغداً السباق» أي اليوم العمل في الدنيا للاستباق في الجنّة، والمضمار الموضع الذي تضمّر فيه الخيل، ويكون وقتاً للأيام التي تضمّر فيها، وفي القاموس: «المضمار» الموضع الذي يضمّر فيه الخيل، وغاية الفرس في السباق. انتهى. والحاصل أنّ المضمار يطلق على موضع تضمير الفرس للسباق وزمانه، وعلى الميدان الذي يسابق فيه.

شبه — عليه السلام — أهل الاسلام بالخيل التي تجمع للسباق، ومدة عمر الدنيا بالميدان الذي يسابق فيه، والموت بالعلم المنصوب في نهاية الميدان، فإنّ ما يتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنّما هو قبل الموت، والقيامة موضع تجمع فيه الخيل بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه و يظهر خسران من تأخّر، والجنّة بالسبقة، والنار بما يلحق المتأخّر من الحرمان والخسران، أو شبه — عليه السلام — الدنيا بزمان تضمير الخيل أو مكانه، والقيامة بميدان المسابقة، فن كان تضميره في الدنيا أحسن كانت سبقة في الآخرة أكثر، كما ورد التشبيه كذلك في قوله — عليه السلام — في خطبة أخرى: «ألا

وإنَّ اليوم المضمار، وعذاً السباق، والسبقة الجتة، والغاية النار». ٤٥٤ ولكن ينافيه ظاهراً قوله «والموت غايته» إلا أن يقال: المراد بالموت ما يلزمه من دخول الجتة أو النار، إشارة إلى أنَّ آثار السعادة والشقاوة الأخروية تظهر عند الموت كما ورد: «ليس بين أحدكم وبين الجتة والنار إلا الموت»؛ وعلى التقديرين المراد بقوله «يسير المضمار» قلة مدته وسرعة ظهور السبق وعدمه، أوسهولة قطعه وعدم وعورته أوسهولة التضمير فيه وعدم صعوبته لقصر المدة وتهيؤ الأسباب من الله - تعالى -.

وفي النهج: «كريم المضمار» فكأنَّ كرمه لكونه جامعاً لجهات المصلحة التي خلق لأجله، وهي اختبار العباد بالطاعات، وفوز الفائزين بأرفع الدرجات، ولا ينافي ذلك ما ورد في ذم الدنيا، لأنَّه يرجع إلى ذم من ركن إليها وقصر النظر عليها، كما بين - عليه السلام - ذلك في خطبة نورها في باب ذم الدنيا إن شاء الله.

«جامع الحلبة»، «الحلبة» بالفتح، خيل تجمع للسباق من كلِّ أوب أي ناحية، لا تخرج من اصطبل واحد، ويقال للقوم إذا جاؤوا من كلِّ أوب للنصرة قد أحلبوا وكون الحلبة جامعة عدم خروج أحدها أو المراد بالحلبة محلها وهو القيامة كما سيأتي، فالمراد أنَّه يجمع الجميع للحساب، كما قال - تعالى -: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ الْنَّاسُ» ٤٥٥.

«سريع السبقة»، «السبقة» بالفتح ما في النهج، أي يحصل السبق سريعاً في الدنيا للعاملين، أو في القيامة إلى الجتة، أو بالضم أي يصل إلى السابقين عوض السباق وهو الجتة سريعاً لأنَّ مدة الدنيا قليلة وهو أظهر، وفي النهج والمجالس والتحف: «متنافس السبقة» فالضم أصوب، وإن كان المضبوط في نسخ النهج بالفتح. و«التنافس» الرغبة في الشيء النفيس الجيد في نوعه. «أليم النعمة» أي مؤلم انتقام من تأخر في المضمار، لأنَّه النار.

«كامل العدة»، «العدة» بالضم والشد ما أعدته وحيأته من مال أو سلاح

أوغير ذلك ممّا ينفعك يوماً ما، والمراد هنا التقوى وكماله ظاهر. «كريم الفرسان» وفي النهج: «شريف الفرسان» و«الفرسان» بالضمّ، جمع «فارس» كالفوارس. ثمّ فسّر صلوات الله عليه — ما أبهم من الأمور المذكورة فقال: «فلايمان منهاجه» هذا ناظر إلى قوله «أبلغ المناهج» أي المناهج الواضح للإسلام هو التصديق القلبّي بالله وبرسوله وبما جاء به، والبراهين القاطعة الدالّة عليه؛ وفي النهج وغيره: «فالتصديق منهاجه» وهو أظهر. «والصالحات مناره» ناظر إلى قوله «مشرق المنار» شبه الأعمال الصالحة والعبادات الموظّفة بالأعلام والمنائر التي تنصب على طريق السالكين لئلاّ يضلّوا فن اتّبع الشريعة النبويّة وأتى بالفرائض والنوافل يهديه الله للسلوك إليه، وبالعمل يقوى إيمانه، وبقوّة الايمان يزداد عمله، وكلّما وصل إلى علم يظهر له علم آخر، ويزداد يقينه بحقيّة الطريق إلى أن يقطع عمره ويصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليّته التي جعلها الله له، أو شبه الايمان بالطريق، والأعمال بالأعلام، فكما أنّ بسلوك الطريق تظهر الأعلام فكذلك بالتصديق بالله ورسله وحججه — عليهم السلام — تعرف الأعمال الصالحة، وقيل: الأعمال الصالحة علامات لإسلام المسلم، وبها يستدلّ على إيمانه ولا يتمّ حينئذ التشبيه.

«والفقه مصابيح»، «الفقه» الجلم بالمسائل الشرعيّة أو الأعمّ وبه يرى طريق السلوك إلى الله وأعلامه، وهو ناظر إلى قوله «ذاكي المصباح» إذ علوم الدين وشرائعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء والأوصياء — عليهم السلام — وبما أفاضوا عليهم من العلوم الربانيّة.

«والدنيا مضماره» قال ابن أبي الحديد^{٤٥٦}: كأنّ الانسان يجري في الدنيا إلى غاية الموت وإنّما جعلها مضمار الإسلام لأنّ المسلم يقطع دنياه لالدنيا بل لآخريته، فالدنيا كالمضمار للفرس إلى الغاية المعيّنة. «والموت غايته» قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية، وقال ابن أبي الحديد: أي إنّ الدنيا سجن المؤمن وبالموت يخلص من ذلك السجن. وقال ابن ميثم^{٤٥٧}: إنّما جعل الموت غاية أي الغاية القريبة التي هي باب

٤٥٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٧٢، ط بيروت.

٤٥٧- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٣، ط بيروت

الوصول إلى الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنّها غاية قريبة للإسلام أيضاً وهذا ناظر إلى قوله «رفيع الغاية». وفي سائر الكتب هذه الفقرة مقدّمة على السابقة، فالنشر على ترتيب اللق، وعلى ما في الكتاب يمكن أن يقال: لعلّ التأخير هنا لأجل أنّ ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع، والتقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف، وأنّها الفائدة المقصودة، فأشير إلى الجهتين الواقعتين بتغيير الترتيب.

«والقيامة حلبته» أي محلّ اجتماع الحلبة إمّا للسباق أو لخيازة السبقة كما مرّ وإطلاق الحلبة عليها من قبيل تسمية المحلّ باسم الحال، وقال ابن أبي الحديد: «حلبته» أي ذات حلبته، فحذف المضاف كقوله - تعالى -: «هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ»^{٤٥٨} أي ذووا درجات. «والجَنّة سبّخته» في أكثر نسخ النهج: «سبّخته» بالفتح، فلذا قال الشراح: أي جزاء سبّخته، فحذف المضاف والظاهر سبّخته بالضمّ فلاحاجة إلى تقدير كما عرفت. «والنار نَقَمته» أي نصيب من تأخّر ولم يحصل له استحقاق للسبقة أصلاً النار زائداً عن الحسرة والحِرمان. «والتقوى عُذّته» ناظر إلى قوله «كامل العدة» لأنّ التقوى تنفع في أشدّ الأهوال وأعظمها وهو القيامة، كما أنّ العدة من المال وغيره تنفع صاحبها عند الحاجة إليها. «والمحسنون فرسانه» لأنهم بالاحسان والطاعات يتسابقون في هذا المضمار.

«فبالإيمان يستدلّ على الصالحات» إذ تصديق الله ورسوله وحججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة وكيفيّتها من واجبها وندبها، وقيل: لأنّ الإيمان منهج الإسلام وطريقه، ولابدّ للطريق من زاد يناسبه، وزاد طريق الإسلام هو الأخلاق والأعمال الصالحة، فيدلّ الإيمان عليها كدلالة السبب على المسبّب وقيل: أي يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها. انتهى. وكأنّه حمل الكلام على القلب وإلاّ فلأعني للاستدلال بالأمر المخفيّ في القلب على الأمر الظاهر. نعم، يمكن أن يكون المعنى أنّ بالإيمان يستدلّ على صحّة الأعمال وقبولها فإنّه لا تقبل أعمال غير المؤمن،

وهذا معنى حسن؛ لكنّ الأوّل أحسن.

«وبالصالحات يعمر الفقه» لأنّ العمل يصير سبباً لزيادة العلم، كما أنّ من بيده سراجاً إذا وقف لا يرى إلّا ماحوله، وكلّما مشى ينتفع بالضوء ويرى ما لم يره، كماورد: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».^{٤٥٩} وقدر أنّ العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل عنه؛ وقيل: الفقرتان مبنيتان على أنّ المراد بالعمل الصالح ولاية أهل البيت — عليهم السلام — كماورد في تأويل كثير من الآيات، وظاهر أنّ بالايان يستدلّ على الولاية، وبها يعمر الفقه لأخذه عنهم.

«و بالفقه يرهّب الموت» أي كثرة العلم واليقين سبب لزيادة الخشية كما قال — تعالى —: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^{٤٦٠} فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت، أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له ولما بعده، فقله «وبالموت تختم الدنيا» كالتعليل لذلك لأنّ الدنيا التي هي مضمار العمل، تختم بالموت، فلذا يرهبه لحيلولة بينه وبين العمل والاستعداد للقاء الله، لالحب الحياة واللذات الدنيوية، والمألوفات الفانية. «وبالدنيا تجوز القيامة» هذه الفقرة أيضاً كالتعليل لما سبق، أي إنّها ترهب الموت لأنّ بالدنيا والأعمال الصالحة المكتسبة فيها تجوز من أهوال القيامة و تخرج عنها إلى نعيم الأبد، بأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز، وفي بعض النسخ بصيغة الغيبة أي يجوز المؤمن أو الانسان، وفي بعضها «بجواز» على بناء المجهول، وهو أظهر؛ وفي بعضها «بجواز» بالحاء المهملة من «الحيازة» أي تحاز مثنويات القيامة. و على التقادير فالوجه فيه أنّ كلّ ما يلقاه العبد في القيامة فإنّها هونتائج عقائده وأعماله وأخلاقه المكتسبة في الدنيا، فبالدنيا تجاز القيامة أو تحاز. ومنهم من قرأ «تحوّز» بالحاء المهملة، أي بسبب الدنيا وأعمالها تجمع القيامة الناس للحساب والجزاء، فإنّ القيامة

٤٥٩- الكافي، ج ١، ص ٤٤.

٤٦٠- الفاطر: ٢٨.

جامع الحلبة كما مر، وفي التحف: «تحذر القيامة» وكأنه أظهر.

«و بالقيامة تزلف الجنة» أي تقرب للمتقين كما قال — تعالى —: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ»^{٤٦١}. و في المجالس: «وتزلف الجنة للمتقين و تبرز الجحيم للغاوين». و قال البيضاوي: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها «بُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها، وفي اختلاف الفعلين ترجيح الجانب الوعد.^{٤٦٢} انتهى.

«والجنة حسرة أهل النار» في القيامة حيث لا تنفع الحسرة والندامة، و تلك علاوة لعذابهم العظيم. «والنار موعظة للمتقين» في الدنيا حيث ينفعهم فيتركون ما يوجبها و يأتون بما يوجب البعد عنها. «والتقوى سنخ الايمان» أي أصله وأساسه؛ في القاموس «السنخ» بالكسر، الأصل.^{٤٦٣}

[وسياًتي شرح كلام أمير المؤمنين — عليه السلام — في الإيمان و دعائه و شعبه تحت الرقم ٣١ من حكم النهج.]

بيان: «الحابس» الواقف في مكانه الذي حبس ناقته ضلالاً، فهو يخبط ولا يدري كيف يهتدي، والمراد ببنائه قواعد دينه أو كمالاته. و «النزل» بالضم، ما يهتأ للضيف.^{٤٦٤}

بيان: «الوصل» ضد القطع والهجران. «جيرانكم» أي أهل الذمة و المعاهدين، و يحتمل المجاورين في المسكن. قوله — عليه السلام — «من لا فضل لكم عليه» كتعظيم الروم والحبشة مسلمي العرب. قوله — عليه السلام — «من لا يخاف لكم

٤٦١- الشعراء: ٩٠.

٤٦٢- تفسير البيضاوي، ص ٣٠٩.

٤٦٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٤٩ — ٣٦٥.

٤٦٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبينا — صلى الله عليه وآله —، ص ٣٨١.

سطوة» كالمملوك في أفاصي البلاد لما شاع و ذاع من أنهم قوم صالحون إذا دعوا الله استجاب لهم و ينصرهم بملائكته كما قيل. قوله — عليه السلام — و «أنتم» الواو للحال. و «الذمة» العهد و الأمان والضمان والحرمة والحق. و «أنف» — كفرج — استنكف، والغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات. والمراد بنقض العهود ما ظهر من الناكثين والقاسطين و المارقين وغيرهم من نقض البيعة و قتل المسلمين و الإغارة عليهم. ولا ريب أن السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء يدل على أن عهود الله أضعف عندهم من عهود آبائهم وهو في حدّ الكفر. و «كانت أمور الله عليكم ترد» أي وأنتم المخاطبون بالأوامر والنواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيام الرسول — صلى الله عليه وآله — موارد أمور الله و مصادرها مطيعين له منكرين للمنكرات. و كان المراد بالورود السؤال، وبالصدور الجواب، وبالرجوع التحاكم. و يمكن تعميم الورود والصدور، فالمراد بالرجوع رجوع النفع والضرر في الدارين. و قيل: إن «كانت أمور الله عليكم ترد» أي بتعليمي لكم، و «عنكم تصدر» إلى من تعلمونه إياها، ثم «إليكم ترجع» بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم منهم.

«لشريوم» أي يوم ظهور المسودة أو خروج المهدي — عليه السلام —. والجمع في الرجعة، أو المراد جمع صنفهم. ٤٦٥

١٠٧ — وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَأَنْجِيزَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ ، تَحُوزُكُمْ الْجَفَاءُ

الطَّغَامُ^(١٤١٩) ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمٌ^(١٤٢٠) الْعَرَبِ ،
وَيَافِيخُ^(١٤٢١) الشَّرَفِ ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ
شَفَى^(١٤٢٢) وَحَاوَحَ^(١٤٢٣) صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِآخِرَةِ^(١٤٢٣) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا
حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ؛ حَسًّا بِالنُّصَالِ^(١٤٢٤) ،
وَشَجَرًا^(١٤٢٥) بِالرَّمَا حِ ؛ تَرَكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ^(١٤٢٦)
الْمَطْرُودَةِ ؛ تُرْمَى عَنْ حَيَاضِهَا ؛ وَتُذَادُ^(١٤٢٧) عَنْ مَوَارِدِهَا !

١٠٨ - (مِنْ خُطْبَةِ الْإِسْلَامِ)

وهي من خطب الملاحم

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ . خَلَقَ
الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتِ الرُّوِّيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ^(١٤٢٨)
وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ . خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ^(١٤٢٩) ،
وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

ومعها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

للنبي عليه السلام

أَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَشَكَاةِ الضُّبْيَاءِ^(١٤٣٠) ، وَذُؤَابَةِ الْعُلَبَاءِ^(١٤٣١) ،

وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ^(١١٣٢) ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .

لعنة بنو أمية

ومنها : طَيْبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَخْمَى مَوَاسِمَهُ^(١١٣٣) ،
يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِنْ قُلُوبٍ عُنِي ، وَأَذَانٍ صُمٌ ، وَالسِّنَةِ
بُكْمٌ ؛ مُتَتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا
بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ ؛ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ ؛ فَهُمْ فِي ذَلِكَ
كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .

قَدْ أَنْجَابَتِ السَّرَائِرُ^(١١٣٤) لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ
لِخَاطِبِهَا^(١١٣٥) ، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمَتَوَسِّمِهَا .
مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ ، وَنُسَاكًا بِلَا
صَلَاحٍ ، وَتُجَّارًا بِلَا أَرْبَاحٍ ، وَأَيْقَاطًا نُومًا ، وَشُهُودًا غُيْبًا ،
وَنَازِرَةً عُمَيَّاءَ ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ ، وَنَاطِقَةً بِكُمَاءَ ! رَايَةَ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ
عَلَى قُطْبِهَا^(١١٣٦) ، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبَيْهَا^(١١٣٧) ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا^(١١٣٨) ،
وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا^(١١٣٩) . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ ؛
فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ^(١١٤٠) كُفَّالَةِ الْقَدِيرِ ، أَوْ نَفَاضَةٌ
كُنْفَاضَةِ الْعِمْ^(١١٤١) ، تَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الْأَدِيمِ^(١١٤٢) ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ

الْحَصِيدِ^(١٤٤٣) ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَسْتَخْلَصَ الطَّيْرَ الْحَبَّةَ
الْبَاطِنَةَ^(١٤٤٤) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ .

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيَهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ ؟
وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ
إِيَابٌ ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ^(١٤٤٥) ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا
إِنْ هَتَفَ بِكُمْ^(١٤٤٦) . وَلْيُصَدِّقْ رَأِيْدُ^(١٤٤٧) أَهْلُهُ ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلُهُ ،
وَلْيُخْضِرْ ذَهْنُهُ ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَةَ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ
الصَّنْعَةِ^(١٤٤٨) . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ،
وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعَقُورِ ،
وَهَدَرَ فَيْقُ^(١٤٤٩) الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومِ^(١٤٥٠) ، وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى
الْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا
عَلَى الصِّدْقِ . فَلِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَلَوْلَدُ غَيْظًا^(١٤٥١) ، وَالْمَطَرُ قَيْظًا^(١٤٥٢) ،
وَتَفَيْضُ اللَّثَامُ فَيْضًا ، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا^(١٤٥٣) ، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ
الزَّمَانِ ذُنَابًا ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا ، وَأَوْسَاطُهُ أَكَالَا ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتَا ،
وَعَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ الْكَذِبُ ، وَاسْتُغْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَ
النَّاسُ بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا ، وَالْعَفَافُ عَجَبًا ، وَلَيْسَ
الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرِّ مَقْلُوبًا .

تبيين: «الملحمة» هي الحرب أو الواقعة العظيمة فيها، وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى، وقيل من اللحم. و«التجلي» الانكشاف. والخلق الثاني يحتمل المصدر والمخلوق. و«الروية» التفكير. والمراد القلب أو ما يضم من الصور. قوله — عليه السلام — «في نفسه» أي كائن في نفسه، أي في حد ذاته إذا تأمل فيه متأمل بنظر صحيح. و«الغامض» من الأرض المطمئن، ومن الكلام وغيره خلاف الواضح. و«المشكاة» كوة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، أو القنديل. و«الذؤابة» بالضم مهموزاً الناصية أو منبتها من الرأس. و«العلياء» بالفتح والمدة، كل مكان مشرف، والسماء ورأس الجبل. و«سرة البطحاء» وسطها تشبهاً بسرة الإنسان. و«البطحاء والأبطح» مسيل واسع فيه دقاق الحصى. قيل: استعار «الشجرة» لصنف الأنبياء — عليهم السلام —، وفروعها أشخاصهم، وثمرتها العلوم والكمالات، و«مشكاة الضياء» لآل إبراهيم — عليه السلام —، و«ذؤابة العليا» لقريش، و«سرة البطحاء» لمكة، و«المصاييح والينابيع» هم الأنبياء — عليهم السلام —. والمراد بـ«الطبيب» نفسه — عليه السلام —. و«الدوران بالطب» إيتان المرضى وتتبعهم فهو تعريض الأصحاب بقعودهم عما يجب عليهم، أو المراد بيان كمال الطبيب فإن الدوار أكثر تجربة من غيره كما قيل. و«المرهم» طلائين يطل به الجرح مشتق من «الرهمة» بالكسر، وهي المطر الضعيف، و«إحكامها» إتقانها ومنعها عن الفساد. و«الوسم» أثر الكي. و«الميسم» بالكسر، المكواة. و«أحماها» أي أسخنها. ولعل إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب أو الأمر بالمعروف وإحساء المواسم إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر وإقامة الحدود. و«قدح بالزند» — كمنع — رام الإيراء به واستخرج النار منه. و«الزند» بالفتح، العود الذي يقدح به النار. و«ثقت النار» اتقدت، و«ثقب الكوكب» أضاء. و«القاسية» الشديدة والغليظة.

و«انجابت السرائر» انكشفت. والمرد بالسرائر ما أضمره المعاندون للحق في

قلوبهم من إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة، وقيل: إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولأهل البصائر من استيلاء بني أمية وعموم ظلمهم، أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها. و«الخابط» السائر على غير هدى. ولعل المراد أن ضلالهم ليس لحفاء الحق بل للإصرار على الشقاق والنفاق. و«سفرالصبح وأسفر» أضواء وأشرق، و«أسفرت المرأة» كشفت عن وجهها. والمراد بإسفار الساعة وظهور العلامة قرب القيامة بعدم بقاء نبي ينتظر بعثته، وظهور الفتن والوقائع التي هي من أشراطها. و«الشيخ» بالتحريك، سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد. والمراد بكونهم أشباحاً بلا أرواح تشبيه بالجمادات والأموات في عدم الانتفاع بالعقل وعدم تأثير المواعظ فيهم، كما قال — تعالى —: «كَانَ لَهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ»^{٤٦٦}. وأما كونهم أرواحاً بلا أشباح فقيل: المراد بيان نقصهم لأن الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال. وقيل: إشارة إلى خفتهم وطيشتهم في الأفعال. وقيل: المراد أن منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لا قوة له على الحرب فالجميع عاطلون عما يراد منهم. وقيل: المراد أنهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت ألبابهم فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنهم أرواح لا تعلق لهم بالأجسام. و«النسك» العباد، أي ليست عبادتهم مقرونة بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتمدة، فإن منها معرفة الإمام وطاعته. وكونهم «تجاراً بلا أرباح» لعدم ترتب الثواب على أعمالهم. وقوله — عليه السلام —: «راية ضلالة» منقطع عما قبله، التقطه السيد — رضي الله عنه — من كلامه على عادته، وكأنه إشارة إلى ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفينائي وغيره. و«القطب» حديده تدور عليها الرحي وملاك الأمر ومداره وسيد القوم. وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها وتفرق شعبها عن انتشار فتنها في الآفاق وتولد فتن أخر عنها. وقيل: ليس التفرق للراية نفسها بل لنصارها وأصحابها، وحذف المضاف. ومعنى تفرقهم أنهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرقة. و«تكيلكم بصاعها» أي تأخذكم للإهلاك زمرة زمرة كالكتال يأخذ

ما يكيله جملة جملة، أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم ويتلاعبون بكم، يرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيتال البرّبه إذا كاله بصاعه، أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله — تعالى —: «وَإِذَا كَالُوهُمْ»^{٤٦٧}، أي تحملكم على دينها ودعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها، أو تفرز لكم من فتنها شيئاً ويصل إلى كلّ منكم نصيب منها. و «الخبط» بالفتح، ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، و «خبط البعير الأرض بيده خبطاً» أي ضربها، والكلام على الوجهين يفيد الذلّة والانقهار.

و «القيام على الضلّة» الإصرار على الضلال. و «ثقاله القدر» بالضمّ، ماسفل فيه من الطبيخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتناء بقتلهم. و «النفاضة» بالضمّ، ماسقط من النفض. و «العكم» بالكسر، العِدل ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. قال في النهاية: «العكوم» الاخال التي تكون فيها الأمتعة وغيرها، واحدها «عكم» بالكسر، ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: «نفاضة كنفاضة العكم». انتهى. والمراد بها ما يبقى في العِدل بعد التخلية من غبار أو بقية زاد لا يعبأ بها فتنفض. و «عركه» — كنصره — ذلك وحكّه. و «الأديم» الجلد أو المدبوغ منه. و «داس الرجل الحنطة» دقّها ليخرج الحبّ من السنبّل. و «الحصيد» الزرع المقطوع. و «استخلصه لنفسه» أي استخصّه. والغرض تخصيص المؤمن بالقتل والأذى. و «البطينة» السمينة. و «الهزيل» ضدّ السمينة.

قوله — عليه السلام — «أين تذهب بكم» الباء في الموضعين للتعديّة، و «المذاهب» الطرق والعقائد، وإسناد الإذهاب إليها على التجوّر للمبالغة. و «ناه يتيه تيهاً» بالفتح والكسر، أي تحير وضلّ. و «الغيب» الظلمة والشديد السواد من الليل. و «الكواذب» الأمانى الباطلة والأوهام الفاسدة. قوله — عليه السلام — «ومن أين تُؤتَوْنَ» على بناء المجهول، أي من أيّ جهة وطريق يأتيكم من الشياطين أو تلك الأمراض. و «أنتى تؤفكون» أي أنتى تصرفون عن قصد السبيل وأين تذهبون.

قوله — عليه السلام — «فلكلّ أجل كتاب» أي لكلّ أمد و وقت حكم

مكتوب على العباد. و«الإياب» بالكسر، الرجوع. قيل: هذا الكلام منقطع عما قبله، وقيل: تهديد بالإشارة إلى قرب الموت وأنهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم. و«الربّانيّ» منسوب إلى الربّ، وفتر بالمتألّه العارف بالله أو الذي يطلب بعمله وجه الله أو العالم العامل المعلم، والمراد نفسه — عليه السلام —. و«إحضار القلب إيّاه» الإقبال التام إلى كلامه ومواعظه. قوله — عليه السلام — «إن هتف بكم» بكسر الهجمة وفي بعض النسخ بالفتح، أي لهتافه بكم وهو الصياح.

و«الرائد» الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، وفي المثل: «لا يكذب الرائد أهله». ولعلّ المراد بالرائد نفسه — عليه السلام —، أي وظيفتي وشأني الصدق فيما أخبركم به مما تردون عليه من الأمور المستقبلية في الدنيا والآخرة كما أنّ وظيفتكم الاستماع وإحضار القلب. و«الشمل» ماتشتت من الأمر، والمراد به الأفكار والعزائم أي يجب عليّ التوجّه إلى نصيحتكم وتذكيركم بقلب فارغ عن الوسواس والشواغل وإقبال تامّ على هدايتكم. ويحتمل أن يراد بالشمل من تفرّق من القوم في فيا في الضلالة. والفاعل في «فلق» هو الرائد. وقيل: المراد بالرائد الفكر لكونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب رعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات فكتى به عنه، وأهله هو النفس، فكأنه — عليه السلام — قال: فلتصدق أفكاركم ومتخيّلاتكم نفوسكم، وصدقها إيّاها تصرفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى، والمراد بالرائد أشخاص من حضر عنده فإنّ كلّاً منهم له أهل وقبيلة يرجع إليهم فأمره أن يصدقهم بتبليغ ماسمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة والدعوة إليه.

وقوله — عليه السلام — «وليجمع شمله» أي ما تفرّق وتشعب من خواطره في أمور الدنيا ومهمّاتها وليحضر ذهنه أي يوجّههم إلى ما أقول. انتهى. و«الفلق» الشقّ. و«الخرزة» بالتحريك، الجوهر. و«قرفه قرف الصمغة» أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة وتقلع لأنّها إذا قلعت لم يبق لها أثر، وهذا مثل، والمعنى: أوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحاً تامّاً فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها ولا أدخر عنكم شيئاً بل ألقي الأمر بكلّيته إليكم.

قوله «فعند ذلك» قيل: هو متصل بقوله «من بين هزيل الحب» فيكون التشويش من السيد — رضي الله عنه —، ويمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين. و «أخذ الشيء مأخذه» أي تمكن واستحكم. و «الطاغية» مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف، أي الفئة الطاغية، وكذا «الداعية» تحمل الوجهين. وفي بعض النسخ: «الراعية» بالراء المهملة. و «الفنيق» الفحل من الإبل. و «هدر» أي ردّد صوته في حنجرتة في غير شقشقة. و «الكظوم» الإمساك والسكوت.

و «كون الولد غيظاً» لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ امرئ بنفسه فيتمتّى أن لا يكون له ولد. و «المطريقضاً» بالضاد المعجمة، أي كثيراً. قيل: إنه من علامات تلك الشرور أو من أشرط الساعة، وقيل: إنه أيضاً من الشرور إذا جاوز الحد. وفي بعض النسخ بالطاء المعجمة وهو صميم الصيف وهو المطابق لما في النهاية، قال: ومنه حديث أشرط الساعة: «أن يكون الولد غيظاً والمطريقضاً» لأنّ المطر إنّه يراد للنبات وبرد الهواء والقيظ ضدّ ذلك. انتهى. وحينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدل المطر بشدة الحرّ أو قلة المطر أو كثرته في الصيف دون الربيع والشتاء، أو المراد أنّه يصير سبباً لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف إذ يثور به الأبخرة ويفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سبباً لشدة الحرّ. و «تفيض اللثام» أي تكثر. و «تغيض الكرام» أي تقلّ. و «أهل ذلك الزمان» أي أكابرهم. «أكالاً» بالضمّ والتشديد، جمع «أكل». وقال بعض الشارحين: روي «أكالاً» بفتح الهمزة وتخفيف الكاف، يقال: «ماذقت أكالاً» أي طعاماً. وقال: لم ينقل هذا إلّا في النفي فالأجود الرواية الأخرى وهي «آكالاً» بمدّ الهمزة على أفعال، جمع «أكل» وهو ما أكل، وقد روي «أكالاً» بضمّ الهمزة على فعال، وقالوا: إنه جمع أكل للمأكل كعرق وعراق إلّا أنّه شاذّ، أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفريسة للأسد. و «غار الماء» ذهب في الأرض. و «فاض» أي كثر حتّى سال. وفي بعض النسخ: «وفاد الكذب». قوله — عليه السلام — «وصار الفسوق نسباً» أي يحصل أنسابهم من الزنا، وقيل: أي يصير الفاسق صديقاً للفاسق حتّى يكون ذلك كالنسب بينهم و «أما لبسهم الاسلام لبس

الفرو» فالظاهر أنَّ المراد به تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه أو إظهار النيات والأفعال الحسنة وإبطان خلافها. وقيل: وجه القلب أنه لما كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعة فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم فأشبهه قلوبهم له لبس الفرو إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهراً لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوباً. ^{٤٦٨}

١٠٩ - ﴿مَنْ ظَهَرَ عَمَلُهُ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ﴾

في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البحث

قدرة الله

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ . مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَالَيْهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ أَلْعْيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ أَلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ . لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيَوْحِشَةٍ ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ، وَلَا يُفْلِتُكَ ^(١٤٥) مَنْ أَخَذْتَ ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءُكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ . كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ . أَنْتَ الْآبَدُ

فَلَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى ' فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا
 مَنَجَى ' مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ
 نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى ' مِنْ
 خَلْقِكَ ! وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى ' مِنْ
 مَلَكَوَتِكَ ! وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ! وَمَا أَسْبَغَ
 نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ !

الطائفة الكرام

ومنها : مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ؛ هُمْ
 أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ؛ لَمْ يَسْكُنُوا
 الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضْمِنُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا « مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » ^(١٤٥٥) ،
 وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ « رَيْبُ الْمُنُونِ » ^(١٤٥٦) ؛ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ
 عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ
 غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ، لَوْ غَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لِحَقِّرُوا
 أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا ^(١٤٥٧) عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْْبُدُوكَ حَقًّا
 عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقًّا طَاعَتِكَ .

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا ! بِحُسْنِ بَلَائِكَ ^(١٤٥٨) عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ
دَارًا ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادَّةً ^(١٤٥٩) : مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا ، وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا ،
وَقُصُورًا ، وَأَنْهَارًا ، وَزُرُوعًا ، وَثِمَارًا ؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو
إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغْبَتَ رَغْبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّتَ
إِلَيْهِ أَشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَى جِيْفَةٍ قَدْ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى
حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغْشَى ^(١٤٦٠) بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ
بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ
عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ،
وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ
أَقْبَلَ عَلَيْهَا ؛ لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ
يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ ^(١٤٦١) ، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ ، كَيْفَ
نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمُنُونَ ،
وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ :
اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ،
وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجًا ^(١٤٦٢) ، فَحِيلَ بَيْنَ
أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ،
عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ ، وَفِيمَ

أَذْهَبَ دَهْرُهُ ! وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا ، أَغْمَضَ^(١٤٦٣) فِي مَطَالِبِهَا ،
وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ^(١٤٦٤) جَمْعِهَا ،
وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا ، تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعُمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ،
فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ^(١٤٦٥) لِغَيْرِهِ ، وَالْعَبَاءُ^(١٤٦٦) عَلَى ظَهْرِهِ . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ
رُهُونُهُ^(١٤٦٧) بِهَا ، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَضْحَرَ^(١٤٦٨) لَهُ عِنْدَ
الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ
الَّذِي كَانَ بَغِيبُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ
يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ^(١٤٦٩) ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا
يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرْفُهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى
حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا يَسْمَعُ رَجَعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ التِّيَاطَا^(١٤٧٠)
بِهِ ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ،
فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ .
لَا يُسْعَدُ بَاكِياً ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخْطٍ فِي الْأَرْضِ ،
فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَأَنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ^(١٤٧١) .

بيان: «ما كانوا يجهلون» أي من تفصيل أهواله وسكراته أو لعدم استعدادهم
له كأنهم جاهلون. و«الولوج» الدخول. و«المصرحات» يحتمل الحلال الصريح
والحرام الصريح. و«العبء» بالكسر، الحمل. ويقال: «غلق الرهن يغلق غلوقاً» إذا
بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على فكّه. «على ما أضحله» أي انكشف، وأصله

الخروج إلى الصحراء، والضمير في أمره راجع إلى الموت أو المرء. «ولا يسمع رجع كلامهم» أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام. و «الالتياط» الالتصاق. «قد أوحشوا من جانبه» أي وجعلوا مستوحشين، و «المستوحش» المهموم الفزع. ٤٦٩

القيامة

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ ، وَالْحَقُّ آخِرُ
الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَّا^(١٤٧٢)
السَّمَاءُ وَفَطَرَهَا^(١٤٧٣) ، وَأَرْجَ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا ،
وَدَكَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخَوْفِ سَطَوَتِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا ،
فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ^(١٤٧٤) ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا
يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ :
أَنْعَمَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ ،
وَحَلَّلَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَطْعَنُ النَّزَالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمْ
الْحَالُ ، وَلَا تُنَوِّبُهُمُ الْأَفْزَاعُ^(١٤٧٥) ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا
تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ^(١٤٧٦) الْأَسْفَارُ. وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ
فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَغْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِي بِالْأَقْدَامِ ،
وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ^(١٤٧٧) ، وَمُقَطَّعَاتِ^(١٤٧٨) النَّيْرَانِ ، فِي عَذَابٍ

قَدْ أَشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٌ قَدْ أُطِيقَ عَلَى أَهْلِهِ ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ^(١٤٧٩)
وَلَجَبٌ^(١٤٨٠) ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ^(١٤٨١) هَائِلٌ ، لَا يَظْعَنُ
مُقِيمُهَا وَلَا يُفَادِي أُسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا^(١٤٨٢) . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ
فَتَفْنَى ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

بيان: «بلغ الكتاب أجله» أي بلغ الزمان المكتوب المقدّر إلى منتهاه. وألحق
آخر الخلق بأوله» أي تساوى الكلّ في شمول الموت والفناء لهم. «أما الدساء» أي
حرّكها؛ ويروى «أمار» بالراء بمعنىناه، كما قال — تعالى —: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مَوْرًا»^{٤٧٠} و«أرج الأرض» أي زلزلها، وكذا قوله «أرجفها ونسفها» أي قلّعها من
أصولها. و«دكّ بعضها بعضاً» أي صدمه ودقّه حتّى تكسره، إشارة إلى قوله
— تعالى —: «فَدُكَّتْ دَكَّةً وَاحِدَةً»^{٤٧١}. «لا يظعن» أي لا يرحل. «ولا تنوهم» أي
لا تنزل بهم. و«الأخطار» جمع «الخطر» وهو ما يشرف به على الهلكة. و«الكلب»
بالتحريك، الشدة. و«الجلب واللبج» الصوت. و«القصيف» الصوت الشديد.
«لا تفصم كبولها» أي لا تكسر قيودها.^{٤٧٢}

زهد النبي

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله : قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ،
وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا^(١٤٨٣) عَنْهُ اخْتِياراً ، وَبَسَطَهَا
لِغَيْرِهِ اخْتِياراً ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ،
وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيأشاً^(١٤٨٤) ،

٤٧٠- الطور: ٩.

٤٧١- الحاقة: ١٤.

٤٧٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ١١٤.

أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا . بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعَذِّرًا^(١١٨٥) ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا ،
وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا ، وَخَوْفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا .

اهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ^(١١٨٦) ،
وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ ، نَاصِرُنَا وَمُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ،
وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ .

١١٠ - وَحُكْمُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ

في أركان الدين

الاسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الْإِيمَانُ
بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ؛ وَكَلِمَةُ
الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ ؛ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ ؛ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا
فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ ؛ وَحَجُّ الْبَيْتِ
وَأَعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ^(١١٨٧) ؛ وَصِلَةُ الرَّحِمِ
فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ^(١١٨٨) فِي الْأَجْلِ ؛ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا

تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ ؛ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ؛ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ . وَارْغَبُوا فِيَمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ . وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ . وَاسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ .

فضل القرآن

وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ . وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَاثِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ ^(١١٨٩) .

١١١ - خطبة الجمعة

في ذم الدنيا

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَنَحَبَّتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ

بِالْفُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا^(١٤٩٠) ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَعَتُهَا . غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ ،
 حَائِلَةٌ^(١٤٩١) زَائِلَةٌ ، نَافِذَةٌ^(١٤٩٢) بَائِدَةٌ^(١٤٩٣) ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ^(١٤٩٤) . لَا
 تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ
 كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ : « كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا^(١٤٩٥) تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » . لَمْ يَكُنْ أَمْرُو مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ^(١٤٩٦) ؛
 وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا^(١٤٩٧) ، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا^(١٤٩٨) ؛
 وَلَمْ تَطْلُهُ^(١٤٩٩) فِيهَا دِيمَةٌ^(١٥٠٠) رَخَاءٍ^(١٥٠١) ، إِلَّا هَتَنْتَ^(١٥٠٢) عَلَيْهِ مُزْنَةً
 بَلَاءٍ ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُمَسِّيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ ، وَإِنْ جَانِبٌ
 مِنْهَا أَعْدُوذَبَ وَأَحْلَوْلَى ، أَمَرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى^(١٥٠٣) ! لَا يَنَالُ أَمْرُو
 مِنْ غَضَارَتِهَا^(١٥٠٤) رَغْبًا^(١٥٠٥) ، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ^(١٥٠٦) مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ! وَلَا
 يُمَسِّي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمٍ^(١٥٠٧) خَوْفٍ ! غَرَارَةٌ ،
 غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ ، فَاِنْ مَنْ عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا
 إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ! وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا
 اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ^(١٥٠٨) ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ
 فَجَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي أَبْهَةٍ^(١٥٠٩) قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا ،
 وَذِي نَخْوَةٍ^(١٥١٠) قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ! سُلْطَانُهَا دَوَّلٌ^(١٥١١) ، وَعَيْشُهَا

رَنِقٌ^(١٠١٢) ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ^(١٠١٣) ، وَحُلُوهَا صَبِيرٌ^(١٠١٤) ، وَغِذَاوُهَا
سِمَامٌ^(١٠١٥) ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ^(١٠١٦) ! حَيْثَا بَعَرَضِ مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا
بِعَرَضِ سُقْمٍ ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا^(١٠١٧)
مَنْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَخْرُوبٌ^(١٠١٨) ! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
أَطُولَ أَعْمَارًا ، وَأَبْقَى آثَارًا ، وَأَبْعَدَ آمَالًا ، وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ
جُنُودًا ! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِثَارٌ ، ثُمَّ ظَعْنُوا
عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ^(١٠١٩) . فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ^(١٠٢٠) ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ
صُحْبَةً ! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ^(١٠٢١) ، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ^(١٠٢٢) ،
وَضَعُضَعَتْهُمْ^(١٠٢٣) بِالنَّوَائِبِ ، وَعَفَرَتْهُمْ^(١٠٢٤) لِلْمَنَاخِرِ ، وَوَطَّئَتْهُمْ
بِالْمَنَاسِمِ^(١٠٢٥) ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ «رَيْبَ الْمُنُونِ» . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا
لِمَنْ دَانَ لَهَا^(١٠٢٦) ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا^(١٠٢٧) ، حِينَ ظَعْنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ
الْأَبَدِ . وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغْبَ^(١٠٢٨) ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ^(١٠٢٩) ،
أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ! أَفْهَذِهِ تُؤْثِرُونَ ،
أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمِهَا ،
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ! فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ
تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا

قُوَّةٌ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا^(١٥٣٠) ، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ^(١٥٣١)
 فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ^(١٥٣٢) أَجْنَانٌ^(١٥٣٣) ، وَمِنَ
 التُّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ^(١٥٣٤) جِرَانٌ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ
 دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا^(١٥٣٥) لَمْ
 يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ
 أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءٌ قَدْ
 ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ^(١٥٣٦) ،
 وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
 وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاوَوْهَا كَمَا فَارَقُوهَا ، حُفَاةً عُرَاءَةً ،
 قَدْ ظَنُّوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالِدَارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَغَدَاً عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا
 فَاعِلِينَ » .

١١٢ - وَمِنْ خُطْبَةِ أَبِي عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله

هَلْ تُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا ؟ بَلْ
 كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ! أَيْلَجٌ^(١٥٣٧) عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا

أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ
يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجُزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ !

١١٣ - خطبة الامام علي عليه السلام

في ذم الدنيا

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنَزِلُ قُلْعَةٍ ^(١٥٣٨) ، وَلَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٍ ^(١٥٣٩) .
قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ
حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَخُلُوعَهَا بِمُرِّهَا .
لَمْ يُصِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا
زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ ^(١٥٤٠) . وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا
يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ ، وَعُمُرُ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ
الزَّادِ ، وَمُدَّةٌ تَنْقَطِعُ أَنْقِطَاعَ السَّيْرِ ! اجْعَلُوا مَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ .

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ . إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي
الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ
مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا ^(١٥٤١) بِمَا رَزَقُوا . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ

ذِكْرُ الْآجَالِ ، وَحَضْرَتُكُمْ كَوَازِبُ الْأَمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنْ الْآخِرَةِ ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ . فَلَا تَوَازُرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ ، وَلَا تَبَازِلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ . مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرِمُونَهُ ! وَيُقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ ، وَقَلَّةَ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوي^(١٥٤٢) مِنْهَا عَنْكُمْ ! كَأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكُمْ ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ . وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُغْفَةً^(١٥٤٣) عَلَى لِسَانِهِ ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَخْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ .

١١٤ - وَفِيهَا مَوَاقِلُ الْعِلَالِ

وفيهامواعظ للناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ وَالنَّعْمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آيَاتِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ^(١٥٤٤) عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ ، السَّرَّاعِ^(١٥٤٥) إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ^(١٥٤٦) .

وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٍ مِّنْ عَابِنِ الْغُيُوبِ ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيْمَانًا نَفْسِي
إِخْلَاصُهُ الشُّرْكَ ، وَيَقِينُهُ الشُّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
شَهَادَتَيْنِ تُضَعِدَانِ الْقَوْلَ ، وَتُرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ ،
وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أَوْصِيكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ
مُبْلِغٌ ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا ^(١٠٤٧) خَيْرُ
وَاعٍ . فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا ، وَفَازَ وَاعِيَهَا .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ ^(١٠٤٨) أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، وَأَلَزَمَتْ
قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لِبَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ^(١٠٤٩) ؛
فَاخْذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصْبِ ^(١٠٥٠) ، وَالرَّيَّ بِالظُّلْمِ ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ
فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوْا الْأَجَلَ . ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ
وَعَنَاءٍ ، وَغَيْرِ وَغَيْرٍ ؛ فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسُهُ ^(١٠٥١) ، لَا تُخْطِي
سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤَسِّي ^(١٠٥٢) جِرَاحَهُ . يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَالصَّحِيحَ
بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ . أَكِلٌ لَا يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ ^(١٠٥٣) . وَمِنْ
الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالَ حَمَلَ ، وَلَا بِنَاءَ نَقَلَ ! وَمِنْ غَيْرِهَا ^(١٠٥٤) أَنْكَ تَرَى

الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا ، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا ؛ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ^(١٠٠٥) ،
وَبُؤْسًا نَزَلَ . وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ
أَجَلِهِ . فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ ، وَلَا مُؤَمِّلٌ يُتْرَكُ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا!
وَأَظْمَأَ رَيْبَهَا ! وَأَضْحَى فَيْئُهَا^(١٠٠٦) ! لَا جَاءَ يُرَدُّ^(١٠٠٧) ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ .
فَسُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنْ أَمَلِيَّتٍ لِلْحَاقِقِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ أَمَلِيَّتٍ مِنْ
الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ !

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ
الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ
شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْإِيَانِ السَّمَاعُ ،
وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ
مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا : فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاسِحٍ
وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ ! إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهَيْتُمْ عَنْهُ . وَمَا أَحِلَّ
لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا
اتَّسَعَ . قَدْ تَكْفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ ؛ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ
لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ
اعْتَرَضَ الشُّكُّ ، وَدَخَلَ الْيَقِينُ^(١٠٠٨) ، حَتَّى كَانِ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ
فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَانَ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ .

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمْرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرُّزْقِ . مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرُّزْقِ رُجِيَّ غَدًا زِيَادَتُهُ ، وَمَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ الْجَانِي ، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي . فَاَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

١١٥ — (خطبة في الاستسقاء)

في الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَحْتُ^(١٥٥٩) جِبَالَنَا ، وَأَغْبَرْتُ أَرْضَنَا ، وَهَامَتْ^(١٥٦٠) دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرْتُ فِي مَرَابِضِهَا^(١٥٦١) ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالِي^(١٥٦٢) عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدُ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَيْنُ إِلَى مَوَارِدِهَا ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنْيْنَ الْأَنَّةِ^(١٥٦٣) ، وَحَيْنَ الْحَانَةِ^(١٥٦٤) ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأَيْنِهَا فِي مَوَالِجِهَا^(١٥٦٥) ! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اغْتَكَرْتَ عَلَيْنَا حَدَائِيرُ السَّيْنِ ، وَأَخْلَفْتَنَا مَخَايِلُ الْجُودِ^(١٥٦٦) ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِّسِ ، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ^(١٥٦٧) . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ ، وَهَلَكَ السَّوَامُ^(١٥٦٨) ، أَلَّا تُوَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخِذَنَا بِذُنُوبِنَا . وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ^(١٥٦٩) ، وَالرَّبِّيعِ الْمُغْدِقِ^(١٥٧٠) ، وَالنَّبَاتِ الْمُوْنِقِ^(١٥٧١) ، سَحًّا وَابِلًا^(١٥٧٢) ، تُخَيِّي بِهِ مَا

قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اَللّٰهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُخِيَّةً مُرْوِيَّةً ، تَامَةً
 عَامَةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِئِةً مَرِيعةً^(١٥٧٣) ، زَاكِيًا^(١٥٧٤) نَبِيْئَهَا ، ثَامِرًا^(١٥٧٥)
 فَرَعُهَا ، نَاضِرًا وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُخَيِّ بِهَا
 اَلْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ ! اَللّٰهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا^(١٥٧٦) ، وَتَجْرِي
 بِهَا وَهَادُنَا^(١٥٧٧) ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا^(١٥٧٨) ، وَتَقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ
 بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدِي بِهَا اَقَاصِينَا^(١٥٧٩) ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا^(١٥٨٠) ؛
 مِنْ بَرَكَاتِكَ اَلْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ اَلْجَزِيلَةِ ، عَلَى بَرِيَّتِكَ اَلْمُرْمَلَةِ^(١٥٨١) ،
 وَوَحْشِكَ اَلْمُهِمَلَةِ . وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً^(١٥٨٢) ، مِذْرَارًا هَاطِلَةً ،
 يُدَافِعُ اَلْوَذْقُ^(١٥٨٣) مِنْهَا اَلْوَذْقَ ، وَيَخْفِزُ^(١٥٨٤) اَلْقَطْرُ مِنْهَا اَلْقَطَرَ ،
 غَيْرَ خُلْبٍ بَرَقُهَا^(١٥٨٥) ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا^(١٥٨٦) ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا^(١٥٨٧) ،
 وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا^(١٥٨٨) ، حَتَّى يُخْصِبَ لِامْرَئِهَا اَلْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا
 اَلْمُسْتُونَ^(١٥٨٩) ، فَإِنَّكَ « تُنْزِلُ اَلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ
 وَأَنْتَ اَلْوَلِيُّ اَلْحَمِيدُ » .

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف ، رضي الله عنه ؛ قوله عليه السلام : (انصاحت جبالنا) أي
 تشقق من الحول ، يُقَالُ : انصاح الثوب إذا انشق . وَيُقَالُ أَيْضاً : انصاح
 النبات وصاح وصوح إذا جفّ وبيس ؛ كَلَهُ بِمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ
 دَوَابُّنَا) أي عطشت ، وَالْهَيْسَامُ : العطش . وَقَوْلُهُ : (حَدَّابِيرُ السَّيْنِ) جمع
 حِدَابِر ، وهي الناقة التي أنصاها السَّيْرُ ، فشبّه بها السنة التي فشا فيها الجدب ، قَالَ

ذو الرِّمَّةِ :

حَدَّابِيرُ مَا تَنْفَكَ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا
وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَزَعُ رَبَّابُهَا) ، الْقَزَعُ : الْقَطْعُ الصَّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنْ
السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَقَانُ ذَهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ : وَلَا ذَاتَ شَقَانٍ
ذَهَابُهَا . وَالشَّقَانُ : الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذِّهَابُ : الْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ . فَحَذَفَ
(ذَاتَ) لِيَعْلِمَ السَّامِعُ بِهِ .

أقول: «انصاحت» أي تشققت وجفت لعدم المطر. و«[مواردها]» مواضعها
التي كانت تأتيا فتشرب منها. و«المذاهب» المسالك. و«الموالج» المداخل.
و«البلاغ» الكفاية. و«الأخذ بالذنب والمواخذه به» الحبس والمجازاة عليه والمعاقبة
به، ولعلّ التغيير للتفتن، وقيل: المواخذه دون الأخذ بالذنب لأنّ الأخذ استيصال
والمواخذه عقوبة، وإن قلت.

و«البعاق» بالضّم، سحاب يتصبّب بشدة، و«انبثق السحاب» انفرج من
المطر وانشق. و«الغدق» بالتحريك، الماء الكثير، و«أغدق المطر واغدودق» كثي
والمراد بالربيع إمّا المطر مجازاً أو معناه المعروف على تجوّز في التوصيف، كذا ذكره
الشّراح. وقال الجوهري والفيروزآبادي: «الربيع» المطر في الربيع والحظّ من الماء
للأرض فلا يحتاج إلى التجوّز.

و«المونق» المعجب. و«السّخ» الصبّ والسيلان من فوق، ونصب الكلمة على
المصدر أو الحالية، ونصب «وابلاً» على الحالية. و«المريرة» الخصبية. و«ثمر الشجر
— كنصر — وأثمر» أي صار فيه الثمر، وقيل: «الثامر» ماخرج ثمره و«المثمر» ما بلغ
أن يجني والناضر الشديد الخضرة. و«العشب» الكلاء الرطب و«أعشبت الأرض»
أنبتته، و«النجاد» جمع «نجد» وهو ما ارتفع من الأرض ونجادنا مرفوع، وربّما يقرأ
بالنصب فضمير الفاعل راجع إلى الله — سبحانه —.

و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة. و«الخصب» كثرة العشب
يقال: أخضبت الأرض. و«الجناب» بالفتح، الفناء والناحية، والثمار يكون مفرداً

وجمعاً. و«العيش» الحياة، و«المواشي» جمع «الماشية» وهي الإبل والغنم، وبعضهم يجعل البقر أيضاً منها. و«ندي» — كرضي — أي ابتلّ، وقيل: «تندى بها» أي تنتفع بها، و«الأفاصي» الأبعاد، و«القصا والقاصية» الناحية. و«ضاحية كل شيء» ناحيته البارزة، والمراد أهل ضواحيننا.

و«الجزيلة» العظيمة، والسماء يكون بمعنى المطر والمطر الجيدة، و«مخضلة» بتشديد اللام، أي مبتلة، وتأنيث الصفة لظاهر لفظ السماء، وإن أُريد به المطر هنا، وهو كناية عن كثرة المطر، وربما يقرأ «مخضلة» على بناء اسم الفاعل من باب الافعال أي آتي تخضل النبت وتبلّه، يقال: «أخضلت الشيء» أي بللته. «مدراراً» أي كثير الدرة.

والصّب والهطل تتابع المطر والدمع وسيلانه، و«حفزه» — كضربه — أي دفعه بشدة، وأصله الدفع من خلف. و«الجهام» بالفتح، الذي لاماء فيه، و«العارض» السحاب الذي يعترض في أفق السماء. و«القرع» بالتحريك، قطع من السحاب دقيقة جمع «قرعة» بالتحريك، أيضاً، ولعل المراد بالرباب مطلق السحاب، أي لا يكون سحابها متفرقة بل متصلة عامة؛ وباقي الفقرات قد مرّ شرحها. و«الحسف» أن يجبس الدابة بغير علف، و«القفز» مفازة لانبثاق فيها. ٢٧٣

١١٦ — وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

وفيها ينصح أصحابه

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ
وَأَنْ^(١٠٩٠) وَلَا مُقَصِّرٍ ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ^(١٠٩١) وَلَا مُعَذِّرٍ^(١٠٩٢) .
إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصُرُ مَنْ أَهْتَدَى .

بيان: «الواني» الفاتر الكالة. و«الواهن» الضعيف. و«المعذر» المعتذر من

غير عذر. ٤٧٤

ومنها: وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ
إِلَى الصُّعُدَاتِ^(١٥٩٣) تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ^(١٥٩٤) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ،
وَلَتَرَكْتُمْ أَموَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ^(١٥٩٥) عَلَيْهَا ، وَلَهْمَتْ^(١٥٩٦)
كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا
ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُدِّثْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيَكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ
أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَالْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ
بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَّامِينَ^(١٥٩٧) الرَّأْيِ ، مَرَّاجِحُ^(١٥٩٨) الْحِلْمِ ،
مَقَاوِيلُ^(١٥٩٩) بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ^(١٦٠٠) لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قُدَمَا^(١٦٠١) عَلَى
الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى^(١٦٠٢) الْمَحَجَّةِ^(١٦٠٣) ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ،
وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ^(١٦٠٤) . أَمَا وَاللَّهِ ، لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّبَالُ^(١٦٠٥)
الْمَيَّالُ ؛ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيَّاهُ أَبَا وَدَحَةَ !

قال الشريف : الْوَدَحَةُ : الْخُنْفَسَاءُ . وهذا القول بومىء به إلى الحجاج ، وله مع
الودحة حديث ليس هذا موضع ذكره .

وقال ابن أبي الحديد: ما ذكره السيد لم أسمع من شيخ من أهل اللغة ولا
وجدته في كتاب من كتب اللغة^{٤٧٥}، والمشهور أَنَّ الْوَدَحَ ما يتعلق بأذنان الشاة من

٤٧٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٢٢١.

٤٧٥- وقد قال في أقرب الموارد: «الودجة» الخنفساء، وبعضهم يقوله بالخاء. ب.

أبعادها فيجفت؛ ثم إنَّ المفسرين بعد الرضيّ — رضي الله عنه — قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً:

منها أنَّ الحجاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاه فطردها، فعادت فأخذها بيده فقرصته قرصاً^{٤٧٦} فورمت يده منه، وكان فيه حتفه، قتله الله — تعالى — بأهون خلقه كما قتل عمرو بن كنعان بالبقّة.

ومنها أنَّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء أمر بإبعادها وقال: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبهاً لها بالبعرة المتعلّقة بذنب الشاة.

ومنها أنّه رأى خنفساوات مجتمعات فقال: واعجباً لمن يقول: إنَّ الله خلقها؟ قيل: فن خلقها أيها الأمير؟ قال: الشيطان، إنَّ ربكم لأعظم شأنًا من أن يخلق هذه الودح! فنقل قوله إلى الفقهاء فأكفروه.

ومنها أنَّ الحجاج كان مثفاراً أي ذا أبنّة، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها الموضع! قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا مبغضاً لأهل البيت — عليهم السلام — قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى ابن عمر الزاهد — ولم يكن من رجال الشيعة — في أماليه وأحاديثه عن السيّارتي عن أبي خزيمة الكاتب، قال: ما فتّشنا أحداً فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصباً؛ قالوا: سئل جعفر بن محمد الصادق عن هذه الصنف من الناس فقال: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله — تعالى — أبداً قط، وإنّما كان في الفسّاق والكفّار والناصب للطاهرين، وكان أبو جهل بن هشام المخزوميّ من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله — صلى الله عليه وآله —؛ قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفر إسته. ويغلب على ظنّي أنّه معنى آخر وذلك أنّ عادة العرب أن يكتي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم، وإذا أرادت تحقيره بما يستحقّر ويستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية «أبوزنة» يعنون القرد كقول ابن بسام:

أبو النتن أبو الدفر أبو الجعر أبو البعر^{٤٧٧}
فلنجاسته بالذنوب والمعاصي كناه أمير المؤمنين — عليه السلام — أبا وذعة،
ويمكن أن يكتيه بذلك لدمايته في نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقه، فإنه كان دميماً
قصيراً سخيلاً أخفش العين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه، فكناه بأحقر
الأشياء وهو البعرة وقد روى قوم: «إيه أبا وذعة» قالوا: واحدة «الأوداج» كناه بذلك
لأنه كان قتالاً يقطع الأوداج بالسيف.

و رواه قوم: «أبا وحر» وهو دويبة يشبه الحرباء قصير الظهر. وهذا وما قبله
ضعيف. ^{٤٧٨}

توضيح: «الواني» الفاتر الكال. و «الواهن» الضعيف. و «المعذر» الذي يعتذر من
نقصيره من غير عذر، كما قال — تعالى —: «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» ^{٤٧٩}. «مما
طوى عنكم» أي كتم وأخفي. وقال في النهاية فيه: «إياكم والقعود بالصعد» هي
الطرق وهي جمع «صعد»، و «صعد» جمع «صعيد» كطريق وطرق وطرقات، وقيل:
هي جمع «صعدة» — كظلمة — وهي فناء باب الدار وممر الناس بين يديه، ومنه
الحديث: «لخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله». وقال ابن أبي الحديد: «الصعيد»
التراب ويقال: وجه الأرض، والجمع «صعد وصعدات». ^{٤٨٠} وفي القاموس:
«الصعيد» التراب أو وجه الأرض، والجمع «صعد وصعدات» والطريق، ومنه: إياكم
والقعود بالصعدات والقبر انتهى. فالمعنى: خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة

٤٧٧- قال ابن بسام لبعض الرؤساء: «يهجو، وأوله:

لشيم دون الشوب نظيف القعب والقدر

و «الدفر» النتن، و «الجعر» نجو السبع.

٤٧٨- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٣٣٢. فراجع أيضاً شرح النهج

لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٩ — ٢٨١، ط بيروت.

٤٧٩- التوبة: ٩٠.

٤٨٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٨، ط بيروت.

والجلوس على الفرش للقلق والانزعاج وجلستم في الطرق أو على التراب أو لازمت القبور. و «الالتدام» ضرب النساء وجوههن في النياحة. قوله — عليه السلام — «ولا خالف» أي ولا مستخلف عليها. قوله — عليه السلام — «ولهمت» قال ابن أبي الحديد: أي أذابته وانخلته، من «همت الشحم» أي أذبته. ويروى «ولأهمت» وهو أصح، من «أهمني الأمر» أي أحزني، وفيه نظر لأنهم أيضاً يكون بمعنى أهّم. قال في القاموس: «هَمَّ الأمر هَمًّا» حزنه — كأهَمَّه فاهتم — انتهى. و «كلّ» منصوب على المفعولية والفاعل «نفسه». ويقال: «تاه فلان يتيه» إذا تحير وضلّ، و«تاه يتيه» أي هلك واضطرب عقله. و«تشتت» أي تفرّق. والمراد بمن هو أحقّ به — عليه السلام — رسول الله — صلى الله عليه وآله — وحزة وجعفر ومن لم يفارق الحق من الصحابة.

و«المراجيح» الحكماء. وقال الجوهري. «راجحته فرجحته» أي كنت أوزن منه، ومنه: قوم مراجيح الحلم. انتهى. و«المقاول» جمع «مقوال» أي حسن القول أو كثيره. و«المتاريك» جمع «متارك» أي كثير الترك. قوله — عليه السلام — «مضواقدا» بالضم وبضمتين، أي متقدمين لا يثنون. و«أوجفوا» أي أسرعوا. و«الكرامة الباردة» التي ليس فيها حرّ تعب ولا مشقة حرب. و«الذيال» هو الذي يجردّذله على الأرض تبخترأ، يقال: «أذال فلان وتذيل» أي تبختر. و«الميال» الظالم. قوله — عليه السلام — «يأكل خضرتكم» أي يستأصل أموالكم، و«الخضرة» بفتح الخاء وكسر الصاد، الزرع والبقلة الخضراء والغصن. و«إذابة الشحمة» مثله كما قيل، والمراد تعذيب الأبدان. قوله — عليه السلام — «إيه أبأوذحة»، «إيه» كلمة للاستزادة، أي زدوها. وقال ابن أبي الحديد: في قول السيّد: «الوذحة» الخنفساء. أقول: لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، والمشهور أنّ الوذح ما يتعلق بأذنان الشاة من أبعادها فيجف. ثم إنّ المفسرين بعد الرضوي — رضي الله عنه — قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجاج رأى خنفساء تدبّ الى مصلاه فطردها فعدت، ثم طردها فعدت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً ورمته يده منه وربما كان فيه حتفه. قتله الله

— تعالى — بأهون خلقه كما قتل غرودبن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء يأمر بإبعادها ويقول: هذه وذحة، من وذح الشيطان تشبيهاً بالبعرة المعلقة بذنب الشاة. ومنها أنّه قد رأى خنفساوات مجتمعات فقال: واعجباً لمن يقول: إنّ الله خلق هذه! قيل: فمن خلقها أيّها الأمير؟ قال: الشيطان، إنّ ربكم لأعظم شأنًا من أن يخلق هذه الذوح. قالوا: فجمعها على «قُفْل» كبدنة وبُذْن. فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

منها أنّ الحجاج كان مثفاراً أي ذا أبنة وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شائناً مبغضاً لأهل البيت — عليهم السلام —. قالوا: ولسنا نقول: كلّ مبغض فيه هذا الداء بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد — ولم يكن من رجال الشيعة — في أماليه وأحاديثه عن السياريّ عن أبي خزيمة الكاتب، قال: ماقتشنا أحداً فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصباً. قال أبو عمر: وأخبرني العطافيّ عن رجاله، قالوا: سئل جعفر بن محمد الصادق — عليه السلام — عن هذا الصنف من الناس فقال لهم: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله — تعالى — أبداً قط ولا تكون أبداً، وإنّما كانت في الفساق والكفار والناصب للظاهرين، وكان أبوجهل بن هشام المخزوميّ من القوم وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله — صلى الله عليه وآله —. قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفر إسته. ويغلب على ظنيّ أنّه أراد معنى آخر وذلك أنّ عادة العرب أن تكتي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم كقولهم «أبواهول، وأبوالمقدام، وأبوالغوار»، وإذا أرادت تحقيره والغضّ منه كتته بما يستحقّر ويستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية — لعنه الله — «أبوزنة» يعنون القرد، وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاريّ المحدث أبوالفار، وكقولهم للطفيل أبولقمة، وكقولهم لعبد الملك أبوالذبتان لبخره، وكقول ابن بسّام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبوجعفر
وقال أيضاً:

ولكتنا نحذف الفاء منه

لثيم درن الشوب نظيف القعب والقدر
أبوالنتن أبوالدفر أبو الجعر أبوالبعر

فلنجاسته بالذنوب والمعاصي كناه أمير المؤمنين — عليه السلام — «أباوذه».
ويمكن أن يكتبه بذلك لدامته في نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقته فإنه كان دميماً
قصيراً سخيلاً أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس،
فكناه بأحقر الأشياء وهو البعرة. وقد روى قوم: «إيه أباودجة» قالوا: واحدة
«الأوداج» كناه بذلك لأنه كان قتالاً يقطع الأوداج بالسيف. ورواه قوم: «أباوحرة»
وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، شبهه بها. وهذا وما قبله ضعيف. ٤٨١

وأقول: «الذبان» بكسر الذال وتشديد الباء، جمع «الذباب»، ومن عادته أن
يجلس على المتن. و«القعب» بالفتح، القحح الضخم. و«الدفر» بالمهملة ثم الفاء،
النتن والذل، وباللقاف مصدر «دقر» — كفرج — إذا امتلأ من الطعام. و«الجعر»
بالفتح، ما يبس من العذرة في الجعر أي الدبر. ٤٨٢

١١٧ —

يوبخ البخلاء بالمال والنفس

فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي
خَلَقَهَا . تَكْرُمُونَ^(١٦٠٦) بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ !
فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ

٤٨١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٧٩ — ٢٨١، ط بيروت.

٤٨٢- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٨، ط كمباني وص ٦٣٦، ط تبريز.

إِخْوَانِكُمْ !

بيان: انتصاب «أموال» بفعل مقدر دلّ عليه «بذلتوها»، وكذلك «أنفس». و«خاطر فلان بنفسه وبماله» أي ألقاها في الهلكة. «تكرمون بالله» أي يعزكم الناس بأنكم أهل إطاعة الله. «ولا تكرمون الله» أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده أو إجراء أحكامه بينهم. ٤٨٣

١١٨ — وَمِنْ أَصْحَابِ الْإِسْلَامِ

في الصالحين من أصحابه

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْجُنُودُ^(١٦٠٧) يَوْمَ
الْبَاسِ^(١٦٠٨) ، وَالْبِطَانَةُ^(١٦٠٩) دُونَ النَّاسِ . بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُذْبِرَ ، وَأَرْجُو
طَاعَةَ الْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَشِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرِّيبِ ؛
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ بِالنَّاسِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قاله — عليه السلام — للأنصار بعد فراغه من حرب
الجمل، ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما. ٤٨٤ و«بطانة الرجل» خاصته وأصحاب
سره. و«المذبر» من أدبر وأعرض عن الحق. قوله — عليه السلام — «وأرجو» أي من
أقبل إليّ إذا رأى أخلاقكم الحميدة أطاعني بصميم قلبه، ويمكن أن يراد بالمقبل من
كان من شأنه الإقبال والطاعة. ٤٨٥

٤٨٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٤٣، ط تبريز.

٤٨٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٤، ط بيروت.

٤٨٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٤٣، ط كمپاني و ص ٤١٢، ط تبريز.

١١٩ - وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام : مَا بِالْكُمُ الْخَرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن هرت سرتنا معك .

فقال عليه السلام : مَا بِالْكُمُ ! لَا سُدَّدْتُمْ^(١٦١٠) لِرُشْدٍ ! وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ اتَّبَعَ أُخْرَى ، أَنْتَقَلَ تَقْلُقَ الْقِدْحِ^(١٦١١) فِي الْجَفِيرِ^(١٦١٢) الْفَارِغِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ^(١٦١٣) مَدَارُهَا ، وَأَضْطَرَبَ ثِفَالُهَا^(١٦١٤) . هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللَّهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ - وَلَوْ قَدْ حُمِّ^(١٦١٥) لِي لِقَاؤُهُ - لَقَرَبْتُ رِكَابِي^(١٦١٦) ثُمَّ شَخَصْتُ^(١٦١٧) عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ ، طَعَانِينَ عِيَابِينَ ، حَيَّادِينَ رَوَّاعِينَ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ^(١٦١٨) فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ^(١٦١٩) ، مَنْ اسْتَقَامَ فَلِى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَلِى

النَّارِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قاله — عليه السلام — في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق عند انقضاء أمر صفين والنهروان. ^{٤٨٦} قوله «ملياً» أي ساعة طويلة. قوله — عليه السلام — «لاسدتم» بالتخفيف والتشديد دعاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. و«القصد من الأمور» المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط. و«الشجعاء» جمع «شجاع»؛ وفي بعض النسخ: «شجعانكم» وهو بالضم والكسر، جمع «شجاع». و«البأس» الشجاعة. و«الكتيبة» القطعة العظيمة من الجيش. و«التقلقل» التحرك. و«القدح» بالكسر، السهم. و«الجفير» الكنانة، وقيل: وعاء للسهم أوسع من الكنانة، والغرض التشبيه في اضطراب الحال والانفصال عن الجنود والأعوان بالقدح الذي لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل ولا يستقر في مكانه. و«استحار مدارها» أي اضطرب، والمدار ههنا مصدر، كذا ذكره ابن أبي الحديد؛ ^{٤٨٧} ولم نجد بهذا المعنى في اللغة.

قال الجوهري: «المستحير» سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه، فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة. و«الثفال» الجلد الذي يوضع عليه الرحال يسقط عليه الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل من حجري الرحي أيضاً ثفالاً، ولعله أنسب. قوله — عليه السلام — «لوقد حُم لي» على المجهول، أي قضى وقدر. و«الركاب» الإبل التي يسار عليها. و«شخوص المسافر» خروجه. و«الاختلاف» التردد، ويحتمل المخالفة. و«الغناء» بالفتح والمد، النفع. «لا يهلك عليها» أي كائناً عليها أو بسببها. والطريق يذكر ويؤث. «من استقام» أي اعتدل ولزم الطريق الواضح. «ومن زل» أي زلق وعدل عن الطريق. ^{٤٨٨}

٤٨٦ و ٤٨٧ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٧، ط بيروت.

٤٨٨ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٩، ط كمباني وص ٦٣٧، ط تبريز.

١٢٠ - وَمَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ .

بذكر فضله ويعظ الناس

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتِمَامَ الْعِدَاتِ^(١٦٢٠) ، وَتِمَامَ
الْكَلِمَاتِ . وَعِنْدَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ . أَلَا
وَلِإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةً ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ^(١٦٢١) . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ
وَعَنَمٌ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخُرُ لَهُ الذَّخَائِرُ ،
«وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ» . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ^(١٦٢٢) عَنْهُ أَعْجَزُ ،
وَعَازِبُهُ أَعْوَزُ^(١٦٢٣) . وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَلِيقَتُهَا
حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ^(١٦٢٤) . أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ^(١٦٢٥) يَجْعَلُهُ
اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: «لقد علمت تبليغ الرسالات» إشارة إلى قوله
— تعالى —: «يُلْقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»^{٤٨٩} وإلى قول النبي
— صلى الله عليه وآله — في قصة براءة: «لا يؤذي عتي إلا أنا أو رجل مني». وإِنَّ
علم به مواعيد رسول الله — صلى الله عليه وآله — أتى وعدبها وإنجازها، فمنها ما هو
وعد لواحد من الناس نحو أن يقول: سأعطيك كذا، ومنها ما هو وعد بأمر سيحدث
كأنخبار الملاحم والأمر المتجددة، وفيه إشارة إلى قوله — تعالى —: «رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ»^{٤٩٠} وإلى قول النبي — صلى الله عليه وآله — في حقه

٤٨٩ - الأحزاب: ٣٩.

٤٩٠ - الأحزاب: ٢٣.

—عليه السلام— «قاضي ديني ومنجز عدااتي». وإنه علم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن وبيانه الذي يتم به، وفيه إشارة إلى قوله — تعالى —: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا»^{٤٩١} وإلى قول النبي — صلى الله عليه وآله — «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»^{٤٩٢}.

ولعل المراد بأبواب «الحكم» بالضم أو «الحكم» بكسر الحاء وفتح الكاف على اختلاف النسخ؛ الأحكام الشرعية، وبضياء الأمر، العقائد العقلية أو بالعكس. وقال ابن ميثم: لعل المراد بشرائع الدين وسبله أهل البيت — عليهم السلام — فإن أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف.

أقول: ومحمّل أن يكون المراد معناه الظاهر ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفى. قوله — عليه السلام — «ومن لا ينفعه» فيه وجوه:

الأول: من لم يعتبر في حياته بلبّه فأولى بأن لا ينتفع به بعد الموت.
 الثاني: أنّ المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلا ندامة وحسرة.
 الثالث: أنّ المراد: من لم يكن له من نفسه واعظ وزاجر ولم يعمل بما فهم وعقل فأحرى بأن لا يرتدع من القبيح بعقل غيره وموعظته له.
 و«اللسان الصالح» الذكر الجميل. و«من لا يحمد» وارثه الذي لا يعد ذلك لإيراث فضلاً ونعمة.^{٤٩٣}

٤٩١- الأنعام: ١١٥.

٤٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٨٩، ط بيروت.

٤٩٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٦، ط كمباني وص ٦٦٢، ط تبريز.

١٢١ - ﴿وَظَنَّا أَنَّهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ﴾

بعد ليلة الهرب

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال :

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ^(١٦٢٦) ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ
حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ
وإِنْ أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتْ أَلُوْثَقَى ،
وَلَكِنْ يَمَنْ وَإِلَى مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ
الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا^(١٦٢٧) مَعَهَا ! اَللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ
أَطِبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِي^(١٦٢٨) ، وَكَلَّتِ^(١٦٢٩) النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِي^(١٦٣٠) ! أَيْنَ
أَلْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ،
وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَةَ اللَّقَاحِ^(١٦٣١) إِلَى أَوْلَادِهَا ، وَسَلَبُوا
السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا ، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا ، وَصَفًا صَفًّا .
بَعْضُ هَلَكَ ، وَبَعْضُ نَجَا . لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ^(١٦٣٢) ، وَلَا يُعْزُونَ عَنِ
الْمَوْتِ^(١٦٣٣) . مَرَّةً^(١٦٣٤) الْعُيُونُ مِنَ الْبُكَاءِ ، خُمُصُ الْبُطُونِ^(١٦٣٥) مِنْ
الصَّيَامِ ، ذُبُلُ^(١٦٣٦) الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ . عَلَى
وَجْهِهِمْ غَبْرَةٌ الْخَاشِعِينَ . أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظِمًا

إِلَيْهِمْ ، وَنَعَضَ الْأَيْدِيَّ عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ ^(١٦٣٧) ،
وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ ،
وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ . فَاصْدِفُوا ^(١٦٣٨) عَنْ نَزَغَاتِهِ ^(١٦٣٩) وَنَفَثَاتِهِ ، وَأَقْبِلُوا
النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِمْ ، وَأَعْقِلُوهَا ^(١٦٤٠) عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ .

بيان: كأن المراد بأحكام القرآن حفظ الألفاظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه. و«أهاجه» أثاره، والمراد به تحريضهم وترغيبهم إليه. و«الوله» بالتحريك، ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد من حزن أو فرح، وقيل: هو شدة الحب، يقال: «وله» — كفرح وكوعد — على قلة، و«الوله إلى الشيء» الاشتياق إليه. و«اللقاح» — ككتاب — الابل أو الناقة ذات اللبن و«اللقوح» واحدتها. والحاصل أنهم اشتاقوا إلى الحرب بعد الترغيب اشتياق اللقاح إلى أولادها. وفي بعض النسخ: «فولَّهوا اللقاح أولادها» قيل: أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إياها عند خروجهم إلى الجهاد. وقوله — عليه السلام — «أولادها» نصب باسقاط الجار إذ الفعل أعني «وله» غير متعد إلى مفعولين بنفسه، و«الغمد» بالكسر، جفن السيف.

«وأخذوا بأطراف الأرض» أي أخذوا الأرض بأطرافها، كما قيل، أو أخذوا على الناس بأطراف الأرض، أي حصروهم، يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه: قد أخذ عليه بأطراف الأرض، قال الفرزدق:

أخذنا بأطراف الساء عليكم لنا قراها والنجوم الطوالع

وقيل: المعنى: أخذوا أطراف الأرض، من قبيل أخذت بالخطام، ويحتمل أن يكون المراد: شرعوا في الجهاد في أطراف الأرض والمواطن البعيدة. و«الزحف» الجيش يزحفون إلى العدو أي يمشون، ومصدر، يقال: «زحف إليه — كمنع — زحفاً» إذا مشى نحوه، و«الصف» واحد «الصفوف»، ويمكن مصدرأ؛ و«زحفاً زحفاً» أي زحفاً بعد زحف متفرقين في الأطراف وكذلك «صفاً صفاً» والنصب على الحالية نحو جاؤوني

رجلاً رجلاً، وقيل: «زحفاً» منصوب على المصدر المحذوف الفعل، أي يزحفون زحفاً، والثانية تأكيد للأولى، وكذلك قوله «صفاً صفاً».

وقوله — عليه السلام — «بعض هلك و بعض نجا» إشارة إلى قوله — تعالى —: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا».^{٤٩٤} و«العزاء» الصبر أو حسن الصبر و«عزيتة تعزية» أي قلت له: أحسن الله عزاك، أي رزقك الصبر الحسن، وهو اسم من ذلك نحو «سلم سلاماً» قال ابن ميثم — رحمه الله —^{٤٩٥}: المعنى أنهم لما قطعوا العلائق الدنيوية، إذاً ولد لأحدهم مولود لم يبشربه، وإذا مات منهم أحد لم يعزوا عنه وكانت نسخته موافقة لما نقلنا. وفي بعض النسخ: «لا يعزّون عن القتلى» موافقاً لما في نسخة ابن أبي الحديد، قال: أي لشدة ولهم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشروا به، ولا يحزنون لقتل قتيْلهم حتّى يعزّوا به.^{٤٩٦}

«مره العيون» يقال: «مرهت عينه» — كفرح — أي فسدت لترك الكحل، والمراد هنا مطلق الفساد. و«خص البطن» مثثة الميم، أي خلا، و«خص الرجل خصاً» — كقرب — أي جاع. و«ذبل الشيء ذبولاً» — كقعد — ذهبته نداوته وقلّ مأؤه. و«السهر» بالتحريك، عدم النوم في الليل كلّه أو بعضه. و«الغبرة» بالتحريك، الغبار والكدورة. «فحقّ لنا أن نفعل» على صيغة المجهول كما في أكثر النسخ، وحقت أن تفعل كذا — كعلمت — و«هو حقيق به» أي خليك جدير؛ وفي بعض النسخ على صيغة المعلوم. و«ظمي» — كفرح — ظمأً بالتحريك، أي عطش، وقيل: «الظمأ» أشدّ العطش، و«ظمي إليه» أي اشتاق. و«عضضت عليه وعضضته» — كسمع وفي لغة كمنع — أي مسكته بأسناني.^{٤٩٧}

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

إيضاح: قوله — عليه السلام — «هذا جزاء من ترك العقدة» أي الرأي

٤٩٤- الأحزاب: ٢٣.

٤٩٥- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١١٧، ط بيروت.

٤٩٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٩٥، ط بيروت.

٤٩٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٠٨ — ٣١٠.

والحزم، قيل: مراده — عليه السلام —: هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الأصوب، فيكون «هذا» إشارة إلى حيرتهم التي يدلّ عليها قولهم «فاندرى أيّ الأمرين أرشد»، فيكون ترك العقدة منهم، لا منه — عليه السلام — ويمكن حمله على ظاهره الألفق بقوله — عليه السلام — بعد ذلك «حملتكم على المكروه — الخ». ولا يلزم خطاؤه — عليه السلام — كما توهمه الخوارج بأن يكون المراد: كان هذا جزائي حين تركت العقدة، أي هذا مما يترتب على ترك العقدة وإن كان تركها اضطراراً لا اختياراً ولا عن فساد رأي كما يدلّ عليه صريح قوله — عليه السلام — بعد ذلك «ولكن بمن وإلى من؟»؛ فإنّ ترك الأصلح إذا لم يمكن العمل بالأصلح ممّالاً فساد فيه، ولا ريب في عدم إمكان حربه — عليه السلام — بعد رفعهم المصاحف وافتراق الصحابة.

قوله — عليه السلام — «على المكروه» أي الحرب، إشارة إلى قوله — تعالى —: «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا». ^{٤٩٨} والمكروه مكروه لهم، لا له — عليه السلام —. «وإن اعوججتم» لعلّ المراد بالاعوجاج اليسير من العصيان لا الإباء المطلق، وبالتقوم الإرشاد والتحريض والتشجيع، وبالإباء الإباء المطلق، وبالتدارك الاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب وأهل الحجاز وخراسان فإنّ كلّهم كانوا من شيعته — عليه السلام — كما ذكره ابن أبي الحديد.

قوله — عليه السلام — «ولكن بمن؟» أي بمن أستعين في هذا الأمر الذي لا بدّ له من ناصر ومعين، و «إلى من؟» أرجع في ذلك. قوله — عليه السلام — «كناقش الشوكة» هذا مثل للعرب: «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها» أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فكما أنّ الأولى انكسرت في رجلك وبقيت في لحملك كذلك تنكسر الثانية. «فإنّ ضلعها» بالتحريك، أي ميلها معها، أي طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل إليها كما تميل الشوكة إلى مثلها. وقال في النهاية: «نقش الشوكة» إذا استخرجها من جسمه، وبه سمي النقاش الذي ينقش به.

و«الداء الدوي» الشديد، من «دوي» إذا مرض. و«النزعة» جمع «نازع»

وهو الذي يستقى الماء. و«الشطن» هو الحبل. و«الركي» جمع «الركية» وهي البر، كأنهم عن المصلحة في قعر بئر عميق، وكلّ — عليه السلام — من جذبهم إليه، أو شبه — عليه السلام — وعظه لهم وقلة تأثيره فيهم بمن يستقي من بئر عميقة لأرض واسعة وعجز عن سقيها. قوله — عليه السلام — «فولها اللقاح»، «اللقاح» بكسر اللام، الابل، الواحدة «لقوح» وهي الحلوب؛ أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إياها عند خروجهم إلى الجهاد؛ وفي بعض النسخ: فولها وله اللقاح إلى أولادها. و«الولة إلى الشيء» الاشتياق إليه. و«أخذوا بأطراف الأرض» أي أخذوا الأرض بأطرافها كما قيل، أو أخذوا على الناس بأطراف الأرض، أي حصروهم، يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه: قد أخذ عليه بأطراف الأرض، و«أخذوا أطرافها» من قبيل أخذت بالخطام. و«الزحف» الجيش يزحفون إلى العدو أي يمشون، ويكون مصدراً كالصفت، ونصبها على الحالية، أي زحفاً بعد زحف، وصفاً بعد صفت في الأطراف، أو المصدرية، أي يزحفون زحفاً. قوله — عليه السلام — «لا يبشرون» أي لشدة ولهم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حياتهم حتى يبشروا به، ولا يحزنون لقتل قتلهم حتى يعزّوا به، أو لما قطعوا العلائق الدنيوية إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّره، وإذا مات منهم أحد لم يعزّوا عنه، والأول أظهر لاسيما على نسخة «القتلى».

وقال في النهاية: «المره» مرض في العين لترك الكحل وقال: «الخصص» الجوع والمجاعة، و«رجل خصص» إذا كان ضامراً البطن. و«ذبل» أي قلّ ماؤه وذهبت نصارته.

وقال الجوهري: يقال: «حقّ لك أن تفعل» أي خليك بك، وقال: «سنّاه» أي فتحه وسهّله. ويقال: «صدف عن الأمر» أي انصرف عنه. و«نزع الشيطان بينهم» أي أفسد وأغرى. و«نفثاته» وساوسه التي ينث بها.^{٢٩٩}

١٢٢ - وَمِنْ أَمْرِهِ السَّلَامُ

قاله للخوارج ، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون
على إنكار الحكومة ، فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِمَّنْ مَنْ شَهِدَ وَمِمَّنْ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ .
قَالَ : فَأَمْتَاوْا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ
يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّى أَكَلَمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ . وَنَادَى النَّاسَ ، فَقَالَ :
أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ
نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ
طَوِيلٍ ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةٌ وَغِيْلَةٌ ، وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً :
إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،
فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ
إِيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى
شَأْنِكُمْ ، وَالْزُمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَظُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ ، وَلَا
تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِي نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تَرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ
هَذِهِ الْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطِيتُمُوهَا . وَاللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ
فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي

يَتَّبِعُ ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي ، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ : فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ . وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنْ الزَّيْغِ وَالْإِعْوِجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ . فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ ^(١٦٦١) يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعْنًا ^(١٦٦٢) ، وَتَتَدَاوَى بِهَا ^(١٦٦٣) إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

احتجاج: «ألم تقولوا» إلى آخر الكلام مثله.

توضيح: قوله — عليه السلام — «بكلامه» أي بالكلام الذي يليق به. وقال في النهاية فيه: «نشدتك الله والرحم» أي سألتك بالله وبالرحم. وقال الجوهري: «الغيلة» بالكسر، الخديعة. و«نفس تنفيساً» فرج تفرجاً. «أوله رحمة» لأنه كان وسيلة إلى حقن الدماء. و«الفعلة» بالفتح، المرة من الفعل، والمراد بها الرضا بالحكومة. و«فريضتها» ماوجب بسببها وترتب عليها. و«إن الكتاب لمعي» أي لفظاً ومعنى. و«المضض» وجع المصيبة. قوله — عليه السلام — «إلى البقية» أي إلى بقاء ما بقي فيما بيننا من الإسلام كما ذكره ابن ميثم. والأظهر عندي أنه من الإبقاء بمعنى الرحم والإشفاق والإصلاح كما في الصحيفة: «لا تبقى على من تضرع إليها»؛ وقال في القاموس: «أبقيت ما بيننا» لم أبلغ في إفساده والاسم «البقية». وأولو بقية ينون عن الفساد أي إبقاء. وقال ابن أبي الحديد^{٥٠٠}: هذا الكلام ليس يتلوه بعضه بعضاً، ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر، آخر الفصل الأول قوله — عليه السلام — «وإن ترك

ذلّ» وآخر الفصل الثاني قوله «على مضض الجراح» والفصل الثالث ينتهي آخر الكلام. ٥٠١

١٢٣ - وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلِيٌّ وَآلِهِ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

وَأَيُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رَبَّاطَةً جَاشَ^(١٦٤٤) عِنْدَ اللَّقَاءِ ،
وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا^(١٦٤٥) فَلْيَذُبْ^(١٦٤٦) عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ
نَجْدَتِهِ^(١٦٤٧) الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ
الْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ،
لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ !
ومنه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُونَ كَشِيشَ الضَّبَابِ^(١٦٤٨) : لَا
تَأْخُذُونَ حَقًّا ، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا . قَدْ خُلِيتُمْ وَالطَّرِيقَ ، فَالْنَّجَاةُ
لِلْمُقْتَحِمِ ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ^(١٦٤٩) .

تبيين: قوله — عليه السلام — «أحسن من نفسه» أي علم و وجد. و«رباطة الجأش» شدة القلب. و«الذب» الدفع. و«النجدة» الشجاعة. «كما يذب عن نفسه» أي بنهاية الاهتمام والجد. «لجعله مثله» أي مثل أخيه في الجبن أو أخاه مثله في الشجاعة. و«الحيث» السريع. و«المقيم للموت» الراضي به كما أن الهارب عنه الساخط له. «أهون من مية» إما مطلقاً أو عنده — عليه السلام — لما يعلم مافيه من

الدرجات. وقال في النهاية: «كشيش الأفعي» صوت جلدها إذا تحركت، وقد كشّت تكشّر، وليس صوت فيها لأنّ ذلك فحيحها. ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: كآني أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب.

وقال ابن أبي الحديد: ٥٠٢ أي كأنكم لشدة خوفكم واجتماعكم من الجبن كالضباب المجتمعة التي تحك بعضها بعضاً. قال الراجز:

كشيش أفعي أجمعت لعضّ وهي تحك بعضها ببعض

و«اقتحم عقبة أو وهدة» رمى بنفسه فيها. و«التلوم» الانتظار والتوقف. ٥٠٣

١٢٤ —

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ^(١٦٥٠) ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ^(١٦٥١) ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ،
فَإِنَّهُ أَنْبَى^(١٦٥٢) لِّلْسِيُوفٍ عَنِ الْهَامِ^(١٦٥٣) ؛ وَالتَّوُوا^(١٦٥٤) فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ،
فَإِنَّهُ أَمْرٌ^(١٦٥٥) لِّلْأَسِنَّةِ ؛ وَعَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِيِّ ، وَأَسْكَنُ
لِلْقُلُوبِ ؛ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ . وَرَايَتَكُمْ فَلَا
تُعْمِلُوهَا وَلَا تُخْلُوَهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، وَالْمَانِعِينَ
الدَّمَارَ^(١٦٥٦) مِنْكُمْ ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ^(١٦٥٧) هُمُ الَّذِينَ
يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ^(١٦٥٨) ، وَيَكْتَنِفُونَهَا^(١٦٥٩) : حَفَافِيهَا^(١٦٦٠) ، وَوَرَاءَهَا ،

٥٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٣٠٤، ط بيروت.

٥٠٣- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٢٦، ط كمپاني و ص ٥٧٦، ط تبريز.

وَأَمَامَهَا ؛ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا .
 أَجْزَاءَ أَمْرُو قِرْنَهُ ^(١٦٦١) ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ^(١٦٦٢)
 فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَأَيَّمُ اللَّهِ لَثِنُ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ
 الْعَاجِلَةِ ، لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمٌ ^(١٦٦٣) الْعَرَبِ ،
 وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةً ^(١٦٦٤) اللَّهُ ، وَالذِّلُّ اللَّازِمُ ، وَالْعَارُ
 الْبَاقِي . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ ، وَلَا مَخْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ .
 مَنْ الرَّايِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ أَلَمَاءُ؟ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي ^(١٦٦٥) !
 الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ ^(١٦٦٦) ! وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ .
 اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ
 بِخَطَايَاهُمْ ^(١٦٦٧) . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكٍ ^(١٦٦٨) :
 يَخْرُجُ مِنْهُمْ النَّسِيمُ ؛ وَضَرْبُ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ ^(١٦٦٩)
 السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ ؛ وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ ^(١٦٧٠) ؛ وَيُرْجَمُوا
 بِالْكَتَائِبِ ^(١٦٧١) تَقْفُوها الْحَلَالِبُ ^(١٦٧٢) ؛ وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ
 يَتَلَوُهُ الْخَمِيسُ ؛ وَحَتَّى تَدْعَقَ ^(١٦٧٣) الْخِيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ،
 وَيَأْغَنَانِ ^(١٦٧٤) مَسَارِيهِمْ ^(١٦٧٥) وَمَسَارِحِهِمْ .

قال السيد الشريف : أقول : الدَّعَقُ : الدَّقُّ ، أي تَدَقُّ الْخِيُولُ بِحَوَافِرِهَا
 أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ : مُتَقَابِلَاتُهَا . وَيُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ،
 أي تَتَقَابَلُ .

تبيين: قوله — عليه السلام — «أجزأ امرؤ» قال ابن أبي الحديد^{٥٠٤}: من الناس من يجعل هذا أو نحوه أمراً بلفظ الماضي، كالمستقبل في قوله — تعالى — «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ»^{٥٠٥} ومنهم من قال: معنى ذلك هلاً أجزاءً، فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها. و«أجزأ» أي كفى. و«قرنك» مقارنك في القتال ونحوه. و«آسى أخاه بنفسه» بالهمزة، أي جعله أسوة لنفسه، ويجوز «واسيت زيداً» بالواو، وهي لغة ضعيفة. و«الموجدة» الغضب والسخط. قوله — عليه السلام — و«الذلّ اللازم» قيل: يروى: «اللازم» بالذال المعجمة، بمعناه. و«الرائح» المسافر وقت الرواح أو مطلقاً كما قاله الأزهري، ويناسب الأول ما مر من أن قتاله — عليه السلام — غالباً بعد الزوال.

قوله — عليه السلام — «تحت أطراف العوالي» يحتمل أن يكون المراد بالعوالي الرماح، قال في النهاية: «العالية» ما يلي السنان من الرمح والجمع «العوالي»، أو السيوف كما يظهر من ابن أبي الحديد، فيحتمل أن يكون من «علايلو» إذا ارتفع، أي السيوف التي تعلو فوق الرؤوس، أو من «علوته بالسيف» إذا ضربته به، ويؤيده قول النبي — صلى الله عليه وآله —: «الجنة تحت ظلال السيوف». قوله — عليه السلام — «تبلى الأخبار بالباء الموحدة، أي تختبر الأفعال والأسرار كما قال — تعالى —: «وَتَبْلَوُاْ أَخْبَارَكُمْ»^{٥٠٦}؛ وفي بعض النسخ بالياء المثناة التحتانية، أي تمتاز الأخيار من الأشرار. قوله — عليه السلام — «إلى لقائهم» أي الأعداء لقتالهم. و«الفضّ» التفريق. و«أبسلت فلاناً» أسلمته إلى الهلكة. قوله — عليه السلام — «طعن دراك» أي متتابع يتلو بعضه بعضاً. و«يخرج منه النسيم» أي لسعته؛ وروى: «النسم» أي طعن يخرق الجوف بحيث يتنفس المطعون من الطعنة، وروى: «القشم» بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم. و«الفلق» الشق. و«طاح الشيء» سقط أو هلك أو تاه في الأرض، و«أطاحه» غيره و«أندره» أسقطه. وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يفسر النواحر بأمر آخر وهو أن يراد به أقاصي أرضهم، من قولهم لآخر ليلة من الشهر

٥٠٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٥، ط بيروت.

٥٠٥- البقرة: ٢٣٣.

٥٠٦- محمد: ٣١.

«ناحرة». وقد مرّ تفسير بعض أجزاء الخطبة في مواضعها. ٥٠٧

١٢٥ —

في التحكيم

وذلك بعد سماعه لأمر الحكّمين

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ . هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ ^(١٦٧٦) ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَّ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحَكِّمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ ؛ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهَدَنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ وَلَا تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا ^(١٦٧٧) ، فَتَعَجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ . إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَلْعَمَلُ

بِالْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ^(١٦٧٨) - مِنْ أَلْبَاطِلٍ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ
فَائِدَةً وَزَادَهُ . فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! وَمِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ ! اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى
قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ^(١٦٧٩) لَا
يَعْدِلُونَ^(١٦٨٠) بِهِ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكْبٍ^(١٦٨١) عَنِ الطَّرِيقِ . مَا
أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ^(١٦٨٢) يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرٍ^(١٦٨٣) عِزٌّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا . لَبِئْسَ
حُشَّاشٌ^(١٦٨٤) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ! أَفْ لَكُمْ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً^(١٦٨٥) ،
يَوْمًا أَنْادِيكُمْ وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ^(١٦٨٦) ، وَلَا
إِخْوَانٌ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ^(١٦٨٧) !

توضيح: قوله - عليه السلام - «أن نحكم» حاصل الجواب: إنالم نرض
بتحكيم الرجلين مطلقاً، بل على تقدير حكمها بالصدق في الكتاب والستة لأن القوم
دعونا إلى تحكيم القرآن لا تحكيم الرجلين، و إنما رضينا بتحكيم الرجلين لحاجة القرآن إلى
الترجمان، فالحاكم حقيقة هو القرآن لا الرجلان، فإذا خالف الرجلان حكم الكتاب
والستة لم يجب علينا قبول قولها، مع أن رضاه - عليه السلام - كان اضطراراً كما
عرفت مراراً. قوله - عليه السلام - «فإذا حكم بالصدق» أي إذا حكم بالصدق في
الكتاب والستة فيجب أن يحكم بخلافتنا لأننا أحق الناس بالكتاب والستة، أو إذا
حكم بالصدق فيها فنحن أولى الناس باتباع حكمها، فعدم اتباعنا لعدم حكمهم
بالصدق وإلا لا تبعناه، أو إذا حكم بالصدق فيها فنحن أحق الناس بهذا الحكم
فيجب عليهم اتباع قولنا ، لا علينا اتباع قولهم. والضمير في قوله «أحق الناس به» عائد
إلى الكتاب أو إلى الله أو إلى الحكم، وفي «أولاهم به»^{٥٠٨} إلى الرسول أو إلى الحكم.

قوله — عليه السلام — «ليتبين الجاهل» أي ليظهر للجاهل وجه الحق، والتبين يكون لازماً ومتعدياً. «ويتثبت العالم» بدفع الشبهة ويطمئن قلبه. قوله — عليه السلام — «ولا يؤخذ بأكظامها» معطوف على «يتبين»، وقال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام —: «بأكظامها» هي جمع «كظم» بالتحريك، وهو مخرج النفس من الحلق. و«أول الغي» هو أول شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف. و«كرثه الغم وأكرثه» أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة. و«تاه يتيه تيهاً» تحير وضلّ أو تكبر. و«من أين أتيتم» أي هل كنتم، أو دخل عليكم الشيطان والشبهة والحيلة. و قال الجوهري: «أوزعته بالشيء» أغريته به. «لا يعدلون به» أي ليس للجور عندهم عدل؛ ويروى: «لا يعدلون عنه» أي لا يتركونه إلى غيره. و«الجفاء» البعد عن الشيء. و«نكب عن الطريق ينكب نكوباً» عدل. «ما أنتم بوثيقة» أي بعروة وثيقة، أو بذوي وثيقة، و«الوثيقة» الثقة. و«علق بالشيء — كفرج — وتعلق به» أي نشب واستمسك. و«زافرة الرجل» أنصاره وخاصته. و«الحشاش» بضم الحاء وتشديد الشين، جمع «حاش» وهو الموقد للنار، وكذلك «الحشاش» بالكسر والتخفيف، وقيل: هو ما يحترق به النار أي يوقد. و«البرح» الشدة؛ وفي بعض النسخ بالتاء وهو الحزن. «يوماً أناديكم» أي جهراً، و«يوماً أناجيكم» أي سراً. «فلا أحرار» أي لا تنصرون ولا تحمون. «ولا إخوان ثقة» أي لا تكتمون السر ولا تعملون بلوازم الإخاء.^{٥٠٩}

[وقوله — عليه السلام — «النجاء» هو الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر.]

١٢٦ — وَمِنْ أَمْرِ الْمَرْءِ أَنْ لَا يَكْتُمُونَ السِّرَّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِلَوَازِمِ الْإِخَاءِ.^{٥٠٩}

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! وَاللَّهِ لَا

أَطُورُ^(١٦٨٨) بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ^(١٦٨٩) ، وَمَا أَمٌّ^(١٦٩٠) نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا !
لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ! أَلَا وَإِنْ
إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا
وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ . وَلَمْ يَضَعْ
أَمْرُؤُا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ ، وَكَانَ
لِغَيْرِهِ وَدُهُمْ . فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النُّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ
وَأَلَّامُ خَدِينٍ^(١٦٩١) !

إيضاح: قوله — عليه السلام — «أتأمروني» أصله «تأمروني» فأسكنت
الأولى وأدغمت. «لا أطوره» أي لا أقربه أبداً ولا أدور حوله. وفي القاموس:
«السمر» محرّكة، الليل وحديثه وما أفعله، «ما سمر السمر» أي ما اختلف الليل
والنهار. و«ما أم نجم» أي قصد أو تقدّم لأنّ النجوم لا تزال تتبع بعضها بعضاً فلا بدّ فيها
من تقدّم وتأخّر، ولا يزال يقصد بعضها بعضاً. «فإن زلت به النعل» أي إذا عثر وافترق.
و«الخدين» الصديق. ٥١٠

١٢٧ — وَمِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ

وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ ، فَلَيْسَ تُضَلَّلُونَ
عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي ،

وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي ! سَيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرءِ
وَالسُّقَمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يَذْنِبْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ
وَرَّثَهُ أَهْلُهُ ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ . وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ
الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ؛
فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ
فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ
بَيْنِ أَهْلِهِ . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ،
وَضَرَبَ بِهِ تَيْبَهُ^(١٦٦٢) ! وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ
الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ،
وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ الْنَمَطِ الْأَوْسَطِ فَالزُّمُوهُ ، وَالزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ
فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ !

فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّنْبِ .
أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ^(١٦٦٣) ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ ،
فَإِنَّمَا حُكْمُ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ،
وَلِأَحْيَاوَةِ الْاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتِهِ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ
اتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ -

بُجْرًا^(١٦٩٤) ، وَلَا خَتَلْتُمْ^(١٦٩٥) عَنْ أَمْرِكُمْ ، وَلَا لَبَسْتُمْ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا
 أَجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا إِلَّا بَتَعْدِيَا
 الْقُرْآنَ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَمَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ الْجَوْرُ
 هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي الْحُكُومَةِ
 بِالْعَدْلِ ، وَالصَّمَدِ^(١٦٩٦) لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا :

توضيح: غرضه - عليه السلام - رفع شبهتهم - لعنهم الله - في الحكم بكفر
 أصحاب الكبائر مطلقاً، ولذا كَفَرُوهُ - صلوات الله عليه - للرضا بالتحكيم، فاحتج
 عليهم بأن النبي - صلى الله عليه وآله - لم يخرج أصحاب الكبائر من الاسلام وأجرى
 فيهم أحكام المسلمين فأبطل بذلك ما زعموا أن الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من
 أهلها، وقتلوا الناس حتى الأطفال، وقتلوا البهائم أيضاً لذلك. و«السواد» العدد
 الكثير، والجماعة من الناس. و«يدالله» كناية عن الحفظ والدفاع، أي أن الجماعة
 المجتمعين على إمام الحق في كنف الله وحفظه، وما استدلت به على العمل بالمشهورات
 والاجماع الغير الثابت دخول المعصوم فيها؛ فلا يخفى وهنه لورود الأخبار المتكاثرة
 ودلالة الآيات المتظافرة على أن أكثر الخلق على الضلال والحق مع القليل وكأن «هذا
 الشعار» إشارة إلى قولهم «لا حكم إلا لله» و«لا حكم إلا الله» وقيل: كان شعارهم
 أنهم كانوا يخلقون وسط رؤوسهم، ويبقون الشعر مستديراً حوله كالاكليل، وقيل: هو
 مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي. «ولو كان تحت عمامتي» أي ولو اعتصم بأعظم
 الأشياء حرمة، وقيل: كتي بها عن أقصى القرب من عنايته، وقيل: أراد: ولو كان
 الداعي أنا.

وأقول: قد مضى تمام الكلام مشروحاً في كتاب الفتن. ٥١١

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

إيضاح: قوله — عليه السلام — «وضللت» بكسر اللام وفتحها. أقول: لما قالت الخوارج — لعنهم الله —: إنَّ الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها قتلوا الناس حتَّى الأطفال، وقتلوا البهائم، وذهبوا إلى تكفير أهل الكباثر مطلقاً، ولذا كفّروا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — ومن تبعه على تصويب التحكيم، فلذا احتج — عليه السلام — بأنّه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لما صلّى عليه رسول الله — صلّى الله عليه وآله — ولا ورثه من المسلم، ولا مكّنه من نكاح المسلمات، ولا قسم عليهم من النفي ولا خروجه من لفظ الإسلام.

وقوله — عليه السلام — «وورث ميراثه» يدلّ ظاهراً على عدم إرث المسلم من الكافر، ولعلّه إلزام عليهم. قوله — عليه السلام — «ونكحنا» أي السارق والزاني المسلمات ولم يمنعهما رسول الله — صلّى الله عليه وآله — من ذلك. قوله — عليه السلام — «من بين أهله» أي أهل الإسلام. و«مرامي الشيطان» طرق الضلال التي يسوق الإنسان إليها بوساوسه. و«ضرب به تيهه» أي وجهه إليه من «ضربت في الأرض» إذا سافرت، والباء للتعدية. و«التيه» بالكسر والفتح، الحيرة، وبالكسر، المفازة يتاه فيها.

وتقييد البغض بالإفراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر، أو لأنّ المبغض مطلقاً مجاوز عن الحدّ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج والتناسب بين الفقرتين.

وقال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام —: «خير هذه الأمة النمط الأوسط»، «النمط» الطريقة من الطرائق والضرب من الضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط، أي من ذلك الضرب، و«النمط» الجماعة من الناس أمرهم واحد. وقال فيه: «عليكم بالسواد الأعظم» أي جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج المستقيم. وقال: «إنّ يد الله على الجماعة» أي أنّ الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله؛ و«يد الله» كناية عن الحفظ والدفاع عنهم. قوله — عليه السلام — «إلى هذا شعار» قال ابن ميثم: أي مفارقة الجماعة والاستبداد

بالرأي. وقوله — عليه السلام — «ولو كانت تحت عمامتي» كناية عن أقصى القرب من عنايته، أي ولو كان ذلك الداعي في هذا الحد من عنايتي به. وقال ابن أبي الحديد: كان شعارهم أن يخلقوا وسط رؤوسهم و يبقوا الشعر مستديراً حوله كالإكليل. وقال: «ولو كان تحت عمامتي» أي ولو اعتصم واحتسى بأعظم الأشياء حرمة فلا تكفوا عن قتله.

أقول: ويحتمل أن يكون شعارهم قولهم «لا حكم إلا لله» وأن يكون كنى بقوله «تحت عمامتي» عن نفسه. قوله — عليه السلام — «وإحياؤه الاجتماع عليه» أي ما يحييه القرآن هو الاجتماع عليه، وما يميته هو الافتراق عنه، أو أن الاجتماع على القرآن إحياؤه، إذ به يحصل الأثر والفائدة المطلوبة منه، والافتراق عنه إماتة له. و«البحر» بالضم والفتح، الداهية والأمر العظيم. و«الختل» الخدع. قوله — عليه السلام — «وإنما اجتمع» يظهر منه جوابان عن شبهتهم:

أحدهما أنني ما اخترت التحكيم بل اجتمع رأي ملائكم عليه، وقد ظهر أنه — عليه السلام — كان مجبوراً في التحكيم.

وثانيهما أنا اشترطنا عليها في كتاب التحكيم أن لا يتجاوزا حكم القرآن فلما تعديا لم يجب علينا اتباع حكمهما.

و«الملا» أشرف الناس ورؤسائهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم، ذكره في النهاية. و«الصمد» القصد. و«سوء رأيها» مفعول «سبق»، أو الاستثناء أيضاً على التنازع، أي ذكرنا أولاً أننا نتبع حكمهما إذا لم يختارا سوء الرأي والجور في الحكم. ٥١٢

١٢٨ — وَمِنْ ذَلِكَ مَا

فيما يخبر به عن الملاحم (١٦٩٧) بالبصرة

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا

لَجَبٌ^(١٦٦٨) ، وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ^(١٦٦٩) ، وَلَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٍ^(١٧٠٠) . يُثِيرُونَ
الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

قال الشريف : يومئذ بذلك إلى صاحب الزنج .

ثم قال عليه السلام : وَيَلُّ لِسِكِكِكُمْ الْعَامِرَةَ^(١٧٠١) ، وَالدُّورِ الْمُزْخَرَفَةِ
الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ^(١٧٠٢) كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ^(١٧٠٣)
الْفَيْلَةِ ، مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا
كَابُ الدُّنْيَا لِيُوجِّهَهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا .

بيان: «اللجب» الصوت. و«الحمحة» صوت الفرس دون الصهيل. قوله
— عليه السلام — «يثيرون الأرض» أي التراب، لأنَّ أقدامهم في الخشونة كحوافر
الخيال، وقيل: كناية عن شدة وطئهم الأرض ليلائم قوله «لا يكون له غبار». قوله
— عليه السلام — «كأنها أقدام النعام» لما كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً
عراضاً منتشرة الصدر مفرجات الأصابع فأشبهت أقدام النعام في بعض تلك الأوصاف
وأجنحة الدور التي شَبَّهَهَا — عليه السلام — بأجنحة النسور ، رواشها^{٥١٣} وما يعمل
من الأخشاب والبوراري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع
الشمس. و«خراطيمها» مئازيها التي تطل بالقار تكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد،
تدلى من السطوح حفظاً للحيطان.

وأما قوله — عليه السلام — «لا يندب قتيلهم» فقيل: إنَّه وصف لهم لشدة
البأس والحرص على القتال، وأنهم لا يبالون بالموت، وقيل: لأنهم كانوا عبيداً غرباء لم
يكن لهم أهل وولد ممن عادتهم التدبئة وافتقار الغائب، وقيل: «لا يفقد غائبهم»
وصف لهم بالكثرة، وأنه إذا قتل منهم قتيل سَدَّ مسدَّه غيره. ويقال: «كبيت فلاناً على
وجهه» أي تركته ولم ألتفت إليه. وقوله «وقادرها بقدرها» أي معامل لها بمقدارها.

وقوله «ناظرها بعينها» أي ناظر إليها بعين العبرة أو أنظر إليها نظراً يليق بها. ٥١٤

منه في وصف الاتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا «كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ» (١٧٠٤) ، يَلْبَسُونَ
السَّرَقَ (١٧٠٥) وَالذِّبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ (١٧٠٦) الْخَيْلَ الْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ
أَسْتَحْرَارٌ (١٧٠٧) قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ
أَقْلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ !

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك عليه
السلام ، وقال للرجل ، وكان كلياً :

يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ .
وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : «إِنَّ
اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...» الْآيَةَ ،
فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ،
وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا ، أَوْ
فِي الْجَنَّةِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا
اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ

صَدْرِي ، وَتَضَطَّمْ عَلَيْهِ جَوَانِحِي ^(١٧٠٨) .

توضيح: «المجان» جمع «مجن» وهو الترس. و«المطرقة» بسكون الطاء، التي قد أطرق بعضها إلى بعض، أي ضمت طبقاتها، فجعل يتلو بعضها بعضاً كطبقات النعل؛ ويروى بتشديد الراء أي كالترسة المتخذة من حديد مطرقة بالمطرقة، و«الطرق» الدق، ويحتمل أن يكون التشديد للتكثير. و«السرق» جمع «سرقه» وهي جيتد الحرير، وقيل: لا يستمى سرقاً إلا إذا كانت بيضاء، وهي فارسية أصلها «سرة» وهو الجيتد. قوله — عليه السلام — «ويعتقبون الخيل» أي يجسونها لينتقلوا من غيرها إليها. و«استحرار القتل» شدته. وضحكه — عليه السلام — إتما من السرور بما آتاه الله من العلم أو للتعجب من قول القائل. و«الاضطمام» افتعال من «الضم» وهو الجمع، و«الجوانح» الأضلاع مما يلي الصدر، وانطباقها على قصص جنكيزخان وأولاده لا يحتاج إلى بيان. ٥١٥

تحقيق: قد عرفت مراراً أن نبي علم الغيب عنهم معناه أنهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه — تعالى — بوحى أو إلهام، وإلا فظاهر أن عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء — عليهم السلام — من هذا القبيل، وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً اشتماله على الإخبار بالمغيبات ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المغيبات بإخبار الله — تعالى — ورسوله والأئمة — عليهم السلام — كالقيامة وأحوالها والجنة والنار والرجعة وقيام القائم — عليه السلام — ونزول عيسى — عليه السلام — وغير ذلك من أشراط الساعة والعرش والكرسي والملائكة.

وأما الخمسة التي وردت في الآية فتحتمل وجوهاً:

الأول: أن يكون المراد أن تلك الأمور لا يعلمها على التعيين والخصوص إلا الله — تعالى — فإنهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلاني فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقة التي تفارق الروح الجسد فيها مثلاً، ويحتمل أن يكون ملك الموت أيضاً لا يعلم ذلك.

الثاني: أن يكون العلم الحتمي بها مختصاً به — تعالى — وكلّ ما أخبر الله به من ذلك كان محتملاً للبداء.

الثالث: أن يكون المراد عدم علم غيره — تعالى — بها إلا من قبله، فيكون كسائر الغيوب، ويكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره.

الرابع: ما أومأنا إليه سابقاً وهو أنّ الله — تعالى — لم يطلع على تلك الأمور كليتة أحداً من الخلق على وجه لا بداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها كليلة القدر أو أقرب من ذلك، وهذا وجه قريب تدلّ عليه الأخبار الكثيرة إذ لا بدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت كما ورد في الأخبار، وكذا ملائكة السحاب والمطر بوقت نزول المطر، وكذا المدبرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث.

* تذييل *

قال الشيخ المفيد — رحمه الله — في كتاب المسائل: أقول إنّ الأئمة من آل محمد — عليهم السلام — قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله — تعالى — به وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم والتسجيل بامامتهم وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنه وجب لهم من جهة السماع؛ فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكربين الفساد لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلاّ الله — عز وجلّ — وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلاّ من شذّ عنهم من المفوضة ومن انتمى إليهم من الغلاة. ٥١٦

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الملحمة»: الوقعة العظيمة في الفتنة والقتال. و«اللجب»: الصوت. و«القعقة»: حكاية صوت السلاح ونحوه. و«الحممة»: صوت الفرس دون الصهيل. قوله — عليه السلام — «يثيرون الأرض» أي التراب لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل، كذا قيل، وفيه أنّه لا يلائم قوله — عليه السلام — «لا يكون له غبار» ولعلّه كناية

عن شدة وطئهم الأرض، أو يقال: مع ذلك ليس غبارهم كالغبار الذي يثار من الحوافر، ولما كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً عراضاً منتشرة الصدر مفرجات الأصابع أشبهت أقدام النعام في تلك الأوصاف. و«السكك» جمع «سكة» بالكسر، وهي الزقاق والطريق المستوي والطريقة المصطفة من النخل. و«المرخرفة» المزيّنة المموّجة بالزخرف وهو الذهب. و«أجنحة الدور» التي شَبَّهها بأجنحة النسر، رواشنها وما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس. و«خراطيمها» ميازيبها التي تطلّي بالقاريكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان. و«الفيلة» — كعنبه — جمع «الفيل».

و أما قوله — عليه السلام — «لا يندب قتيلهم» قيل: إنه وصف لهم بشدة البأس والحرص على القتال وأنهم لا يبالون بالموت. وقيل: لأنهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل وولد ممن عادتهم الندبة وافتقار الغائب. وقيل: «لا يفقد غائبهم» وصف لهم بالكثرة وأنه إذا قتل منهم قتيل سَدَّ مسدّه غيره. قوله — عليه السلام — «أنا كاب الدنيا» يقال: «كبيت فلاناً على وجهه» أي تركته ولم ألتفت إليه، وقيل: كناية عن العلم ببواطنها وأسرارها كما يقال: غلبت الأمر ظهراً لبطن. وقوله — عليه السلام — «وقادرها بقدرها» أي معامل لها بمقدارها. «وناظرها بعينها» أي ناظر إليها بعين العبرة، أو أنظر إليها نظراً يليق بها، فيكون كالتفسير لقوله — عليه السلام — «وقادرها بقدرها». وحكي عن عيسى — عليه السلام —: «أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها، ليس لي زوجة تموت، ولا بيت يخرب، وسادي الحجر، وفراشي المدر، وسراجي القمر». ٥١٧

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة
حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

- (١) فَطَرَ الْخَلَائِقَ : ابتدعها على غير مثال سبق .
 (٢) وَقَدَّ : (بالتشديد والتخفيف) ثَبَّتَ .
 (٣) مَبْدَانِ أَرْضِهِ : تحركها بتمايل .
 (٤) لَا عَنْ حَدَثٍ : لَا عَنْ إِيجَادٍ مُوجِدٍ .
 (٥) الْمُرَايَلَةُ : الْمَفَارَقَةُ وَالْمُبَايَنَةُ .
 (٦) الرَّوْيَةُ : الفكر ، وأجأها : أدارها وَرَدَّهَا .
 (٧) هَمَامَةُ النَّفْسِ : - بفتح الهاء - : اهتمامها بالأمر ، وقصدها إليه .
 (٨) لَأَمَّ : قَرَنَ .
 (٩) غَرَزَ غَوَائِزَهَا : أودع فيها طباعها .
 (١٠) الْقُرَائِنُ : هنا جمع قُرُونَةٍ وهي النفس ، والأَحْنَاءُ : جمع حِنُوٍ بالكسر : وهو الجانب .
 (١١) السَّكَاكِلُ : جمع سُكَاكَةٍ - بالضم - وهي الهواء الملاقي عنان السماء .
 (١٢) التَّبَارُ : هنا الموج .
 (١٣) الزَّخَارُ : الشدِيدُ الزَّخَرُ ، أي الامتداد والارتفاع .
 (١٤) الزَّعْزَعُ : الريح التي ترزعزع كل ثابت .
 (١٥) الْفَتِيقُ : المفتوق .
 (١٦) الدَّفِيقُ : المدفوق .
- (١٧) اعْتَقَمَ مَهَبَهَا : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً .
 (١٨) مُرَبَّهَا : بضم الميم ، مصدر ميمي من أَرَبَّ بِالْمَكَانِ : لازمه ، فالْمُرَبَّ : الْمُلَازِمَةُ .
 (١٩) تَصْفِيقُ الْمَاءِ : تحريكه وتقليبه .
 (٢٠) مَخْضَتُهُ : حركته بشدة كما يُنْخَضُ السَّقَاءُ .
 (٢١) السَّاجِي : الساكن .
 (٢٢) المَالِئُ : الذي يذهب ويحيى .
 (٢٣) رُكَامُهُ : ما تراكم منه بعضه على بعض .
 (٢٤) الْمُنْفَهَقُ : المفتوح الواسع .
 (٢٥) الْمَكْشُوفُ : الممنوع من السَّيْلَانِ .
 (٢٦) الدَّسَّارُ : واحدُ الدَّسْرِ ، وهي المَسَامِيرُ .
 (٢٧) الثَّوَابِقُ : المنيرة المشرقة .
 (٢٨) مُسْتَطِيرٌّ : منتشر الضياء ، وهو الشمس .
 (٢٩) الرَّقِيمُ : اسم من أسماء الفلك : مُسَمًّى بِهِ لِأَنَّهُ مَرْقُومٌ بِالْكَوَاكِبِ .
 (٣٠) صَافِقُونَ : قاعون صفوفاً .

- (٣١) لَا يَتَزَايِلُونَ : لا يتفارقون .
- (٣٢) السَّدَنَةُ جمع : سَادَن وهو الخادم .
- (٣٣) مُتَلَفَعُونَ : من تَلَفَعَ بالثوب إذا التحف به .
- (٣٤) حَزَنُ الْأَرْضِ : وَغْرُهَا .
- (٣٥) سَبَخُ الْأَرْضِ : ما ملح منها .
- (٣٦) سَنَ الْمَاءِ : صَبَّه .
- (٣٧) لَا طَهَا : خَلَطَهَا وَعَجَنَهَا .
- (٣٨) الْبَلَّةُ - بِالْفَتْح - من البَلَل .
- (٣٩) لَزَبَ : من باب نصر ، بمعنى التصق وثبت واشتد .
- (٤٠) الْأَحْنَاءُ : جمع حِنُو - بالكسر - وهو الجانب من البدن .
- (٤١) أَصْلَدَهَا : جعلها صُلْبَةً ملساء متينة .
- (٤٢) صَلَّصْتُ : بَيَّسْتُ حَتَّى كَانَتْ تُسْمَعُ لَهَا صَلَّصَةٌ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ .
- (٤٣) مَثَلٌ ، كَكُرْمٍ وَفَتَحَ : قَامَ مُنْتَصِبًا .
- (٤٤) يَخْتَدُّهَا : يجعلها في خدمة مآربه .
- (٤٥) اسْتَادَى الْمَلَائِكَةَ وَدَبَعَتْهُ : طَالِبَهُمْ بِأَدَائِهَا .
- (٤٦) اغْتَرَّ آدَمَ عِدْوَهُ الشَّيْطَانُ : أَيِ انْتَهَزَ مِنْهُ غِرَةً فَأَغْوَاهُ .
- (٤٧) اجْلَذَكَ ، بِالْتَحْرِيكِ : الْفَرْحُ .
- (٤٨) الْوَجَلُ : الْخَوْفُ .
- (٤٩) مِيثَاقَهُمْ : عَهْدُهُمْ .
- (٥٠) الْأَنْدَادُ : الْأَمْثَالُ ، وَأَرَادَ الْمَعْبُودِينَ مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
- (٥١) اجْتَالَتْهُمْ - بِالْجِيم - صَرَفْتَهُمْ عَنْ قَصْدِهِمْ .
- (٥٢) وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبَاءُهُ : أَرْسَلَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَبِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُ فِتْرَةٌ . وَقَوْلُهُ : « لَيْسَتْ أَدُوهُمْ » : لِيُطْلَبُوا الْأَدَاءُ .
- (٥٣) الْأَوْصَابُ : الْمُتَاعِبُ .
- (٥٤) الْمَحَجَّةُ : الطَّرِيقُ الْقَوِيمةُ الْوَاضِحَةُ .
- (٥٥) نَسَلْتُ : بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ : مُضَتْ مُتَابَعَةً .
- (٥٦) الضْمِيرُ فِي « عِدَّتِهِ » لِلَّهِ تَعَالَى ، وَالْمُرَادُ وَعْدُ اللَّهِ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ السَّابِقِينَ .
- (٥٧) سِمَاتُهُ : عَلَامَاتُهُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ بَشَرُوا بِهِ .
- (٥٨) الْمُنْحِدُ فِي اسْمِ اللَّهِ : الَّذِي يَمِيلُ بِهِ عَنْ حَقِيقَةِ مَسْمَاهُ .
- (٥٩) الْعَلَمُ : - بَفَتْحَيْنِ - مَا يَوْضَعُ لِيُهْتَدَى بِهِ .
- (٦٠) نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ : أَحْكَامُهُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي رَفَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا .
- (٦١) رُخْصَتُهُ : مَا تُرْخِصُ فِيهِ ، عَكْسُهَا عَزَائِمُهُ .
- (٦٢) الْمُرْسَلُ : الْمَطْلُوقُ ، الْمَحْدُودُ : الْمَقِيدُ .
- (٦٣) الْمُحْكَمُ : كَايَاتُ الْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ الصَّرِيحَةِ فِي مَعَانِيهَا ، وَالْمُتَشَابِهَةِ كَقَوْلِهِ : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » .

- (٦٤) الْمَوْسَعُ عَلَى الْعِبَاد فِي جَهْلِهِ: كالحروف المفتحة بها السور نحو الم و الر .
- (٦٥) يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ : يَلْتَوِذُونَ بِهِ وَيَعْتَكِفُونَ عَلَيْهِ .
- (٦٦) الْوَفَادَةُ : الزيارة .
- (٦٧) وَأَلَّ : مضارعها يَتَلُّ - مثل وَعَدَّ يَعِدُّ - نجا ينجو .
- (٦٨) مُصَاصٌ كُلُّ شَيْءٍ : خالصة .
- (٦٩) مَذْحَرَةُ الشَّيْطَانِ : أي أنها تبعد وتطرده .
- (٧٠) الْمَثَلَاتُ ، بفتح فضم: العقوبات ، جمع مثلة - بضم التاء وسكونها بعد الميم .
- (٧١) انْجَدَمَ : انقطع .
- (٧٢) السَّوَارِي : جمع سارية ، وهي العمود والدعامة .
- (٧٣) التَّجَرُّ بفتح التون وسكون الجيم : الأصل .
- (٧٤) دَرَسَتْ ، كاندَرَسَتْ : انطَمَسَتْ .
- (٧٥) الشَّرْكُ : جمع شِرَاك ككتاب ، وهي الطريق .
- (٧٦) الْمَنَاهِلُ : جمع منهل ، وهو مَوْرِد النهر .
- (٧٧) الْأَخْفَافُ : جمع خَفَّ . وهو للبعير كالقدم للإنسان .
- (٧٨) الْأَظْلَافُ : جمع ظَلَف بالكسر للبقر والشاء وشبههما ، كالحف للبعير والقدم للإنسان .
- (٧٩) السَّنَابِكُ : جمع سُنْبُك كقُنْفُذ : وهو طَرَفُ الحافر .
- (٨٠) اللَّجَجُ - محرّكة - الْمَلَاذُ وما تلتجىء وتعتصم به .
- (٨١) الْعَيْبَةُ : بالفتح : الوعاء .
- (٨٢) الْمَوْتِلُ : المرْجِيع .
- (٨٣) الْفَرَائِصُ : جمع فريضة ، وهي اللحم التي بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَدُ من الدابة .
- (٨٤) الثَّبُورُ : الهلاك .
- (٨٥) الغالي: المبالغ، الذي يُجاوز الحد بالإفراط .
- (٨٦) تَقَمَّصَهَا : لبسها كالقميص .
- (٨٧) سَدَلَ الثَّوبَ : أرخاه .
- (٨٨) طَوَى عنها كشعاً : مالَ عنها .
- (٨٩) الْحَدَاءُ : بالميم والذال المعجمة : المقطوعة .
- (٩٠) طَخِيَّةٌ - بطاء فحاء بعدها ياء ، ويثلاث أولها : ظلمة .
- (٩١) أَحَجَى : ألزم ، من حَجَّيَ بِهِ كَرَضِي : أولِيعَ بِهِ وَلَزِمَهُ .
- (٩٢) الشَّجَا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه .
- (٩٣) التُّرَاثُ : الميراث .
- (٩٤) أَدَّتِي بِهَا : ألقي بها .
- (٩٥) الْكُورُ ، بالضم: الرَّحْلُ أو هو مع أدواته .
- (٩٦) يَسْتَقِيلُهَا : يطلب إعفاهه منها .
- (٩٧) تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا : اقتسماه فأخذ كل منهما شطراً . والضرع للناقة كالشدي للمرأة .
- (٩٨) كَلَمُهَا : جرحها ، كأنه يقول : خشونتها تجرح جرحاً غليظاً .

- (٩٩) العثار : السقوط والكبوة .
 (١٠٠) الصَّعْبَةُ من الإبل : ما ليست بِذَلُول .
 (١٠١) أَشْنَقَ البعير وشنقه : كفه بزمامه حتى ألصق ذِفْرَاهُ (العظم الناقى خلف الأذن) بِقادمة الرحل .
 (١٠٢) حَرَمَ : قطع .
 (١٠٣) أَسْلَسَ : أرخى .
 (١٠٤) تَقَحَّمَ : رمى بنفسه في القحمة أي الهلكة .
 (١٠٥) مُنِيَ النَّاسُ : ابتلوا وأصيبوا .
 (١٠٦) حَبِطَ : سير على غير هدى .
 (١٠٧) الشِّمَاس - بالكسر - إباء ظهر الفرس عن الركوب .
 (١٠٨) الاعتراض : السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عَرَضاً في حال سيره طولاً .
 (١٠٩) أصل الشورى : الاستشارة . وفي ذكرها هنا إشارة إلى الستة الذين عيَّنتهم عمر ليختاروا أحدهم للخلافة .
 (١١٠) النظائر : جمع نظير أي المُشابه بعضهم بعضاً دونه .
 (١١١) أَسَفَ الطائر : دنا من الأرض .
 (١١٢) صَغَى صَغِيّاً وَصَغَا صَغَوّاً : مال .
 (١١٣) الضَّغْنُ : الضَّغِينَةُ والحقد .
 (١١٤) مع هنٍ وهنٍ : أي أغراض أخرى أكره ذكرها .
 (١١٥) نافجاً حِصْنَيْهِ : رافعاً لهما ، والحِصْنُ : ما بين الإبط والكشع . يقال للمتكبر : جاء نافجاً حِصْنَيْهِ .
- (١١٦) النشيلُ : الروثُ وقذَرُ الدواب .
 (١١٧) اَلْمُعْتَلَفُ : موضع العلف .
 (١١٨) اَلْحَضْمُ : أكل الشيء الرطب ، والحضمة بكسر الحاء مصدر هَيْئَةً .
 (١١٩) التَّبَثَةُ : بكسر التون - كالنبات في معناه .
 (١٢٠) انْتَكَثَ عليه فقتله : انتقض .
 (١٢١) أَجْهَزَ عليه عمله : تَمَّمَ قتله .
 (١٢٢) كَبَّتْ به : من كَبَّأَ بِهِ الجوادُ : إذا سقط لوجهه .
 (١٢٣) البِطْنَةُ - بالكسر - البَطَرُ والأشَرُ والتخمة .
 (١٢٤) عَرَفَ الضَّبْعُ : ما كثر على عنقها من الشعر ، وهو ثخين يُضْرَبُ به المثل في الكثرة والازدحام .
 (١٢٥) يَنْتَالُونَ : يتتابعون مزدحمين .
 (١٢٦) شَقَّ عَطْفَاهُ : خَدِشَ جانباه من الاصطكاك .
 (١٢٧) رَيْبُضَةُ الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم .
 (١٢٨) نَكَثَتْ طَائِفَةٌ : نَقَضَتْ عَهْدَهَا ، وأراد بتلك الطائفة الناكثة أصحاب الحمل وطلحة والزبير خاصة .
 (١٢٩) مَرَقَّتْ : خَرَجَتْ : وفي المعنى الديني : فَسَقَتْ ، وأراد بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب التهرؤان .
 (١٣٠) قَسَطَ آخرون : جاروا . وأراد بالجارين أصحاب صفين .

- (١٣١) حَلَيْتِ الدُّنْيَا : من حَلَيْتِ الْمَرْأَةَ إِذَا تَزَيَّنْتَ بِحُلِيِّهَا .
- (١٣٢) الزَّبْرُجُ : الزينة من وَشْيٍ أَوْ جَوْهَرٍ .
- (١٣٣) النَّسَمَةُ : - محرّكة - الروح وهي في البشر أَرْجَح ، وَبَرَأَهَا : خلقها .
- (١٣٤) أَرَادَ « بِالْحَاضِرِ » هُنَا مِنْ حَضَرَ لِيَتَبِعْتَهُ ، فَحُضُورُهُ يُلْزِمُهُ بِالْبَيْعَةِ .
- (١٣٥) أَرَادَ « بِالنَّاصِرِ » هُنَا : الْجَيْشَ الَّذِي يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْإِذَاامِ الْخَارِجِينَ بِالْإِدْخُولِ فِي الْبَيْعَةِ الصَّحِيحَةِ .
- (١٣٦) أَلَا يُقَارَوْنَ : أَلَا يُوَافِقُونَ مُقَرَّرِينَ .
- (١٣٧) الْكَظَّةُ : مَا يَعْزِي الْآكِلَ مِنَ الثَّقَلِ وَالْكَرْبِ عِنْدَ امْتِلَاءِ الْبَطْنِ بِالطَّعَامِ ، وَالْمَرَادُ اسْتِثَارُ الظَّالِمِ بِالْحَقُوقِ .
- (١٣٨) السَّعْبُ : شِدَّةُ الْجُوعِ ، وَالْمَرَادُ مِنْهُ هُضْمُ حَقُوقِهِ .
- (١٣٩) الْغَارِبُ : الْكَاهِلُ ، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِلتَّرْكِ وَإِرْسَالِ الْأَمْرِ .
- (١٤٠) عَقْطَةُ الْعَنْزِ : مَا تَنْثُرُهُ مِنْ أَنْفِهَا . وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي النَّعْجَةِ وَإِنْ كَانَ الْأَشْهُرُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ « النَّقْطَةُ » بِالنُّونِ .
- (١٤١) السَّوَادُ : الْعِرَاقُ ، وَسُمِّيَ سَوَادًا لِخَضْرَتِهِ بِالزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَخْضَرَ أَسْوَدَ .
- (١٤٢) اطَّرَدَتْ خَطْبُتُكَ : أَتَيْعَتْ بِخُطْبَةٍ أُخْرَى ، مِنْ اطَّرَادِ النَّهْرِ إِذَا تَبَاعَ جَرِيهِ .
- (١٤٣) أَفْضَيْتَ - أَصْلُ أَفْضَى : خَرَجَ إِلَى الْفَضَاءِ ، وَالْمَرَادُ هُنَا سَكُوتُ الْإِمَامِ عَمَّا كَانَ يَرِيدُ قَوْلَهُ .
- (١٤٤) الشَّقْشِقَةُ : بِكْسَرٍ فَسَكُونُ فَكْسَرٍ : شَيْءٌ كَالرَّثَةِ يَخْرُجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ .
- (١٤٥) هَدَّرَتْ : أَطْلَقَتْ صَوْتًا كَصَوْتِ الْبَعِيرِ عِنْدَ إِخْرَاجِ الشَّقْشِقَةِ مِنْ فِيهِ . وَنِسْبَةُ الْمُدِيرِ إِلَيْهَا نِسْبَةٌ إِلَى الْآلَةِ .
- (١٤٦) قَرَّتْ : سَكَنَتْ وَهَدَّأَتْ .
- (١٤٧) تَسَنَّمْتُمُ الْعُلِيَاءَ : رَكِبْتُمْ سَنَامَهَا ، وَارْتَقَيْتُمْ إِلَى أَعْلَاهَا .
- (١٤٨) أَفْجَرْتُمْ : دَخَلْتُمْ فِي الْفَجْرِ . وَفِي أَكْثَرِ النُّسخِ « انْفَجَرْتُمْ » وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَفْصَحَ .
- (١٤٩) السَّرَارُ ، كَكِتَابٍ : آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ يَخْفِي فِيهَا الْقَمَرُ ، وَهُوَ كَنَايَةٌ عَنِ الظَّلَامِ .
- (١٥٠) وَقِرَ : صُمَ .
- (١٥١) الْوَاعِيَةُ : الصَّارِخَةُ وَالصَّرَاحُ نَفْسُهُ ، وَالْمَرَادُ هُنَا الْعَبِيرَةُ وَالْمَوَاعِظُ الشَّدِيدَةُ الْأَثَرُ . وَوُقِرَتْ أَذُنُهُ فَهِيَ مَوْقُورَةٌ وَوُقِرَتْ كَسَمِعَتْ : صُمَّتْ ، دَعَاءٌ بِالصِّمَمِ عَلَى مَنْ لَمْ يَفْهَمْ الزَّوَاجِرَ وَالْعِبَرَ .
- (١٥٢) النَّبَاةُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ .
- (١٥٣) رُبِطَ جَنَانُهُ رِبَاطَةً بِكْسَرِ الرَّاءِ : اشْتَدَّ قَلْبُهُ .
- (١٥٤) أَتَوَسَّمُكُمْ : أَتَقَرَّسُ فِيكُمْ .

- (١٥٥) حَلِيَّةُ الْمُفْتَرَيْنَ : أصل الحليّة الزينة، والمراد هنا صفة أهل الغرور.
- (١٥٦) جَلْبَابُ الدِّينِ : ما لبسوه من رسومه الظاهرة .
- (١٥٧) جَوَادُ الْمُضَلَّةِ : الجواد جمع جادة وهي الطريق . والمضلة بفتح الضاد وكسرهما : الأرض يضل سالكها .
- (١٥٨) تُمَسِّهُونَ : تجدون ماءً ، من أماها أَرْكَبْتَهُمْ : أَنْبَطُوا مَاءَهَا .
- (١٥٩) الْعَجَمَاءُ : البهيمة ، وقد شبه بها رموزه وإشاراته لغموضها على من لا بصيرة لهم .
- (١٦٠) عَزَبَ : غاب ، والمراد : لا رأي لمن تخلف عني .
- (١٦١) لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خَيْفَةً : لم يستشعر خوفاً ، أَخَذَ من قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى » .
- (١٦٢) تَوَاقَفْنَا : تَلَقَيْنَا وتقابلنا .
- (١٦٣) الْآجِنُ : المتغير الطعم واللون لا يستساغ ، والاشارة إلى الخلافة .
- (١٦٤) إِنْسَاعُهَا : نضجها وإدراك ثمرها .
- (١٦٥) جَزَعٌ : خاف .
- (١٦٦) هَيْهَاتَ : بَعْدَ ، والمراد نفي ما عساهم يظنون من جزّعه من الموت عند سكوته .
- (١٦٧) بَعْدَ اللَّتَبَا وَالْيَ : بعد الشدائد كبارها وصغارها .
- (١٦٨) ائْتَدَمَجَتْ : انطَوَيْتُ .
- (١٦٩) الْأَرْشِيَّةُ : جمع رِشَاء بمعنى الحبل .
- (١٧٠) الطَّوِيُّ : جمع طوية وهي البئر ، والبئر البعيدة : العميقة .
- (١٧١) اللَّدْمُ : صوت الحجر أو العصا أو غيرها، تضرب به الأرض ضرباً غير شديد .
- (١٧٢) يَخْتَلُّهَا : يخدعها .
- (١٧٣) رَاصِدُهَا : صائدها الذي يترقبها .
- (١٧٤) الْمُرِيبُ : الذي يكون في حال الشك والريب .
- (١٧٥) مِلَاكُ الشَّيْءِ - بكسر الميم وفتحها : قوامه الذي يُمَلِّكُ به .
- (١٧٦) الْأَشْرَاكُ : جمع شَرَك وهو ما يُصَاد به ، فكأنهم آله الشيطان في الإضلال .
- (١٧٧) بَاضَ وَفَرَّخَ : كناية عن تَوَطَّنِهِ صدورهم وطول مُكْنِهِ فيها ؛ لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه ، وفراخ الشيطان : وَسَاوِسُهُ .
- (١٧٨) دَبَّ وَدَرَجَ : تَرَبَّى في حُجُورهم كما يُرَبِّي الطفل في حجر والده .
- (١٧٩) الزَّلَلُ : الغلط والخطأ .
- (١٨٠) الْخَطْلُ : أقبح الخطأ .
- (١٨١) شَرِكُهُ كَعَلَمِهِ : صار شريكاً له .
- (١٨٢) الْوَلِيْجَةُ : الدّخيلة وما يُضْمَر في القلب ويكتم .
- (١٨٣) أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا : أَوْعَدُوا وتهَدَّدُوا .
- (١٨٤) الْفُشَلُ : الحبُّن والخور .

- (١٨٥) لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ : لا نَهْدَدُ
عدواً إلا بعد أن نوقع بعدو آخر .
- (١٨٦) الرَّجِيلُ : جمع راجِلٍ .
- (١٨٧) مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي : ما أوقعتها
في اللبس والإيهام .
- (١٨٨) أَفْرَطَ الْخَوْضَ : ملأه حتى فاض .
- (١٨٩) يُصْذِرُونَ عَنْهُ : يعودون بعد
الاستقاء .
- (١٩٠) الْمَانِحُ : المُسْتَقِي .
- (١٩١) النَّاجِذُ : أَقْصَى الضَّرْسِ ، وجمعه
نواجِذ ، وإذا عَضَّ الرجل على
أسنانه اشْتَدَّتْ حَمِيَّتُهُ .
- (١٩٢) أَعِزُّ : أَمْرٌ مِنْ أَعَارَ ، أي ابذل
جميعتك لله تعالى كما يبذل المعير
ماله للمستعير .
- (١٩٣) قَدْ قَدَّمَ مَكَ : ثَبَّتْهَا ، مِنْ وَتَدَ ،
يَتَدُّ .
- (١٩٤) غَضَّ النَّظَرَ : كَفَّهُ ، والمراد هنا :
لا يَهْوِلَنَّكَ مِنْهُمْ هَائِلٌ .
- (١٩٥) هَوَى أَخِيكَ : أي مِيلُهُ وَمَحَبَّتُهُ .
- (١٩٦) يَرْغَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ : يَجُودُ عَلَى غَيْرِ
انتظار كما يجود الأنفُ بالرفع .
- (١٩٧) أَتْبَاعُ الْبَهِيمَةِ : يريد بالبهيمة
الجمال ، وقصته مشهورة .
- (١٩٨) رَغَا الْجَمْلُ : أَطْلَقَ رُغَاهُ ، وهو
صوته المعروف
- (١٩٩) عَقَّرَ الْجَمْلُ : جَرَحَ أَوْ ضَرَبَتْ
قَوَائِمُهُ ، أَوْ ذُبِحَ .
- (٢٠٠) أَخْلَافُكُمْ دِقَاقٌ : دَنِيَّةٌ
- (٢٠١) زُعَاقٌ : مَالِحٌ .
- (٢٠٢) مُرْتَهَنٌ : مِنَ الْإِرْتِهَانِ وَالرَّهْنِ ،
والمراد : مُؤَاخَذٌ .
- (٢٠٣) جَوْجُوُ السَّفِينَةِ : صَدْرُهَا ، وَأَصْلُ
الْجَوْجُوِ : عَظْمُ الصَّدْرِ .
- (٢٠٤) جَائِمَةٌ : وَاقِعَةٌ عَلَى صَدْرِهَا .
- (٢٠٥) لُجَّةُ الْبَحْرِ وَجْمَعُهَا لُجَجٌ : مَوْجُهُ .
- (٢٠٦) أَنْتَنُ : أَقْذَرُ وَأَوْسَخُ .
- (٢٠٧) شَرَفُ الْمَسْجِدِ : جَمْعُ شُرْفَةٍ وَهِيَ
أَعْلَى مَكَانٍ فِيهِ .
- (٢٠٨) سَفِهَتْ حُلُومَكُمْ : سَفِهَتْ :
صَارَتْ سَفِيهَةً ، بِهَا خِيفَةٌ وَطِيشٌ
وَحُلُومَكُمْ : جَمْعُ حِلْمٍ وَهُوَ
العقل ، فَبِهِ كَالْعِبَارَةِ قَبْلَهَا : خَفَّتْ
عُقُولُكُمْ .
- (٢٠٩) الْغَرَضُ : مَا يُنْصَبُ لِيَرْمَى بِالسَّهَامِ
- (٢١٠) النَّابِلُ : الضَّارِبُ بِالنَّبْلِ .
- (٢١١) فَرِيْسَةٌ لِمَا تَلِي : أي لِمَا تَلِي يَصُولُ
فِي طَلَبِ فَرِيْسَتِهِ .
- (٢١٢) قَطَائِعُ عَثْمَانَ : مَا مَنَحَهُ لِلنَّاسِ مِنْ
الأراضي ، وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهَا أَنْ
تَتَفَقَّ غُلَّتْهَا عَلَى أَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَأَشْبَاهِهِمْ
كَقَطَائِعِهِ لِمَعَاوِيَةَ وَمُرْوَانَ .
- (٢١٣) الذَّمَّةُ : الْعَهْدُ .
- (٢١٤) رَهِيْنَةٌ : مَرْهُونَةٌ ، مِنَ الرَّهْنِ .
- (٢١٥) الزَّعِيمُ : الْكَفِيلُ ، يَرِيدُ أَنَّهُ ضَامِنٌ
لِصَدَقِ مَا يَقُولُ .
- (٢١٦) الْعَيْبَرُ - بِكَسْرِ فَتْحٍ - جَمْعُ عَيْبَةٍ :
بِمَعْنَى الْمَوْعِظَةِ .

- (٢٦٧) الْمَثَلَاتُ : العُقوبات .
- (٢١٨) حَزَزَتْهُ : مَنَعَتْهُ .
- (٢١٩) تَقَحَّحْتُ الشُّبُهَاتِ : التَّرَدَّى فِيهَا .
- (٢٢٠) عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا : رَجَعَتْ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلَى .
- (٢٢١) لَتَبَلَبَلْنَ : لَتَخَلَطْنَ ، وَمِنْهُ « تَبَلَبَلَتِ الْأَلْسُنُ » : اِخْتَلَطَتْ .
- (٢٢٢) لَتَغَرَّبَلْنَ : لَتَمَيَّزْنَ كَمَا يُمَيِّزُ الدَّقِيقُ عِنْدَ الْغُرْبَةِ مِنْ نُخَالَتِهِ .
- (٢٢٣) لَتَسَاطُنَ : مِنْ السَّوْطِ ، وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ شَيْئَيْنِ فِي الْإِنَاءِ وَتَضْرِبَهُمَا بِيَدَيْكَ حَتَّى يَخْتَلِطَا .
- (٢٢٤) سَوَّطَ الْقِدَرُ : أَيِ كَمَا تَخْتَلِطُ الْأَبْزَارُ وَنَحْوُهَا فِي الْقَدَرِ عِنْدَ غَلِيَانِهِ فَيَنْقَلِبُ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا وَأَسْفَلَهَا أَعْلَاهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ حِكَايَةُ عَمَّا يُوَوَّلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ، وَتَقَطُّعِ الْأَرْحَامِ ، وَفَسَادِ النِّظَامِ .
- (٢٢٥) الْوَشْمَةُ : الْكَلِمَةُ .
- (٢٢٦) الشَّمْسُ : جَمْعُ شَمْسٍ وَهِيَ مِنْ « شَمَسَ » كَنَصَرَ أَيِ مَنَعَ ظَهَرَ أَنْ يُرَكَّبَ .
- (٢٢٧) لُجْمُهَا : جَمْعُ لِجَامٍ ، وَهُوَ عَنَانُ الدَّابَّةِ الَّذِي تَلْجِمُ بِهِ .
- (٢٢٨) تَقَحَّحَتْ بِهِ فِي النَّارِ : أَرْدَتْهُ فِيهَا
- (٢٢٩) الذَّلِيلُ : جَمْعُ ذَلُولٍ ، وَهِيَ الْمَرْوُضَةُ الطَّائِعَةُ .
- (٢٣٠) لَا يَطْلُعُ فَجَّتَهَا : مِنْ قَوْلِهِمْ اِطْلَعَ الْأَرْضُ أَيِ بَلَّغَهَا . وَالْفَجُّ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .
- (٢٣١) الْعِرْقُ : الْأَصْلُ .
- (٢٣٢) الْجَادَّةُ : الطَّرِيقُ .
- (٢٣٣) السِّنْخُ : الْمَثَبُ ، يُقَالُ : ثَبَتَ السِّنَّ فِي سِنْخِهَا : أَيِ مَنِبَتِهَا .
- (٢٣٤) وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ : تَرَكَهُ وَنَفْسَهُ .
- (٢٣٥) جَائِزٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ : هُنَا عَادِلٌ عَنْ جَادَّتِهِ .
- (٢٣٦) الْمَشْغُوفُ بِشَيْءٍ : الْمَوْلِعُ بِهِ حَتَّى يَبْلُغَ حُبَّهُ شَغَافَ قَلْبِهِ ، وَهُوَ غُلَافُهُ .
- (٢٣٧) كَلَامُ الْبِدْعَةِ : مَا اخْتَرَعَتْهُ الْأَهْوَاءُ وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى رُكْنٍ مِنَ الْحَقِّ رُكْنٍ .
- (٢٣٨) رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ : لَا مَخْرَجَ لَهُ مِنْهَا .
- (٢٣٩) قَمَشَ جَهْلًا : جَمَعَهُ ، وَأَصْلُ الْقَمَشِ جَمْعُ الْمُتَفَرِّقِ .
- (٢٤٠) « مُوَضِّعٌ فِي جُهَاَلِ الْأُمَّةِ » : مُسْرِعٌ فِيهَا بِالْغَشِّ وَالتَّغْيِيرِ ، أَوْضَعَ الْبَعِيرُ : أَسْرَعَ ، وَأَوْضَعَهُ رَاكِبُهُ فَهُوَ مُوَضِّعٌ بِهِ أَيِ مُسْرِعٌ بِهِ .
- (٢٤١) عَادَ : جَارَ بِسُرْعَةٍ ، مِنْ عَدَا يَعْدُو إِذَا جَرَى .
- (٢٤٢) أَغْبَاشُ : جَمْعُ غَبَشٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَأَغْبَاشُ اللَّيْلِ : بَقَايَا ظِلْمَتِهِ .
- (٢٤٣) عَمَّ : وَصَفَ مِنَ الْعَمَى وَالْمَرَادِ : جَاهِلٌ .
- (٢٤٤) عَقْدُ الْهُدُوءِ : الْإِتْفَاقُ عَلَى الصِّلَحِ وَالْمَسَالَمَةِ بَيْنَ النَّاسِ .
- (٢٤٥) الْمَاءُ الْآجِنُ : الْفَاسِدُ الْمُتَغَيِّرُ اللَّوْنُ وَالطَّعْمُ
- (٢٤٦) اكْتَشَرَ : اسْتَكْثَرَ .

- (٢٤٧) غير طائل : دونٌ ، خسيسٌ .
- (٢٤٨) التخليص : التبئين .
- (٢٤٩) التيس على غيره : اشتبه عليه .
- (٢٥٠) الحشو : الزائد الذي لا فائدة فيه .
- (٢٥١) الرث : الخلق البالي ، ضد الحديد
- (٢٥٢) خبط : صيغة المبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى .
- (٢٥٣) عاش : خابط في الظلام .
- (٢٥٤) العشوات : جمع عشوة مثله الأول : وهي ركوب الأمر على غير هدى .
- (٢٥٥) يذرو : ينثر ، وهو أفصح من يذري لإذراء . قال الله تعالى « فأصبح هشياً تذروه الرياح » .
- (٢٥٦) الهشيم : ما يبس من النبات وتهشم وتفتت .
- (٢٥٧) الملي بالشيء : القيم به الذي يجيد القيام عليه .
- (٢٥٨) ولا أهل لما قرط به : مدح ، وهذه رواية ابن قتيبة وهي أنسب بالسياق من الرواية المشهورة .
- (٢٥٩) اكتم به : فوض إليه : كتبه وستره لما يعلم من جهل نفسه .
- (٢٦٠) العج : رفع الصوت . وعج الموارث هنا : تمثيل لحدّة الظلم ، وشدة الجور .
- (٢٦١) أبور من بارت السلعة : كسدت
- (٢٦٢) أنفق من التفاق - بالفتح - وهو الرواج
- (٢٦٣) الإمام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولاهم القضاء .
- (٢٦٤) أنيق : حسن مُعْجِبٌ (بأنواع البيان) وآتني الشيء : أعجني .
- (٢٦٥) الوهل : الخوف والفرع ، من وهل يوهل .
- (٢٦٦) جاهرتكم العبر : انتصبت لتنهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعبر جمع عبرة . والعبرة : الموعظة .
- (٢٦٧) رسل السماء : الملائكة .
- (٢٦٨) تحذوكم : تسوقكم إلى ما تسيرون عليه .
- (٢٦٩) الساعة : يوم القيامة .
- (٢٧٠) تحققوا : المراد هنا التخفف من أوزار الشهوات .
- (٢٧١) أنقع : من قولهم : « الماء ناقع ونقيع » أي ناجع ، أي إطفاء العطش .
- (٢٧٢) النطقة : الماء الصافي .
- (٢٧٣) ذمر حزبه : حنهم وحضهم وهو بالتشديد أدل على الكثير . ويروى مخففاً أيضاً من باب ضرب ونصر .
- (٢٧٤) الجلب - بالتحريك : ما يجلب من بلد إلى بلد ، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب ، والمراد هنا بقوله « استجلب جلبه » جمع جماعته ، كقوله « ذمر حزبه » .
- (٢٧٥) النصاب - بكسر النون - الأصل أو المنبت وأول كل شيء .

- (٢٧٦) النَصَف - بالكسر - المنصف ، أي :
لم يَحْكَمُوا رجلاً عادلاً بيني وبينهم .
- (٢٧٧) أَمَّا لَد قَطَمَت : أي تركت
إرضاع ولدها بعد أن ذهب لبنها .
يشبه به طلب الأمر بعد فواته .
- (٢٧٨) هَبَلْتَهُمْ : ثَكَلْتَهُمْ .
- (٢٧٩) اِهْبُول : بفتح الهاء - المرأة التي لا
يبقى لها ولد . وهو دعاء عليهم
بالموت .
- (٢٨٠) غفيرة : زيادة وكثرة .
- (٢٨١) الفالَج : الظافر ، فَلَجَ يَفْلُجُ
- كنصر ينصر - : ظفر وفاز .
ومنه المثل : « من يأت الحكم
وحده يَفْلُجُ » .
- (٢٨٢) الياسر : الذي يلعب بقِداح الميسر
أي : المقامر . وفي الكلام تقديم
وتأخير ، ونَسَقَهُ : كالياسر الفالَج .
كقوله تعالى (وغرايب سود) ،
وحَسَنَهُ أن اللفظتين صفتان ، وإن
كانت إحداها إنما تأتي بعد
الأخرى إذا صاحبتهما .
- (٢٨٣) التعذير : مصدر عذَرَ تَعْذِيرًا : لم
يُثَبِّتْ له عُدْر .
- (٢٨٤) يَكْلُهُ الله : يتركه . من وكلَّ
يَكِلُ مثل وزن وزن .
- (٢٨٥) حَيْطَلَة ، كَبَيْعَة : رعاية وكلاءة .
- (٢٨٦) الشَّعْث - بالتحريك - : التفرق
والانتشار .
- (٢٨٧) لسان الصدق : حُسْنُ الذكر بالحق .
- (٢٨٨) الحَصَاة : الفقر والحاجة الشديدة ،
وهي مصدر خَصَّ الرجل - من
باب عَلِمَ - خَصَّاصاً وخصاصة .
وخصاصاء - بفتح الخاء في الجميع - إذا
احتاج واقتقر ، قال تعالى : « ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .
- (٢٨٩) أهلك المال : بَدَّلَهُ .
- (٢٩٠) المُرَادَة : المعاونة .
- (٢٩١) خَابَطَ الغي : صارع الفساد ،
وأصل الخبط : السير في الظلام ،
وهذا التعبير أشد مبالغة من خَبَطَ
في الغي ، إذ جعله والغى متخابطين
يخبط أحدهما في الآخر .
- (٢٩٢) الإِدْهَانُ : المنافقة والمصانعة ،
ولا تخلو من مخالفة الباطن للظاهر .
- (٢٩٣) الإيهان : مصدر أَوْهَنَتْهُ ، بمعنى
أضعفته .
- (٢٩٤) فِرُوا إلى الله من الله : اهربوا إلى
رحمة الله من عذابه .
- (٢٩٥) نَهَجَهُ لَكُمْ : أَوْضَحَهُ وَبَيَّنَّهُ .
- (٢٩٦) عَصَبَهُ بكم ، من باب ضرب
ربطه بكم ، أي : كلّفكم به ،
وألزّمكم أدائه .
- (٢٩٧) فَلَجَكُمْ : ظَفَرَكُمْ وفَوَزَكُمْ .
- (٢٩٨) تواترت عليه الأخبار : تَرَادَفَتْ
وتواصَلَتْ .
- (٢٩٩) أَقْبَضُهَا وَأَنْسُطُهَا : أي أنصرف
فيها كما يتصرف صاحب الثوب
في ثوبه يقبضه أو يبسطه .

- (٣٠٠) الأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود .
- (٣٠١) الوَضْرُ - بالتحريك - بقية الدسم في الإناء .
- (٣٠٢) اطلَعَ اليمنَ : غَشِيَهَا بجيشه وغزاها وأغار عليها .
- (٣٠٣) سَيْدُ الْوَنَ منكم : سيغلبونكم وتكون لهم الدولة بَدَلَكُم .
- (٣٠٤) القَعْب - بفتح القاف - : القدح الضخم
- (٣٠٥) عِلَاقَةُ القَعْب - بكسر العين - : ما يعلق منه من ليف أو نحوه .
- (٣٠٦) مِثْلُ قُلُوبِهِمْ : أَذْبِنَهَا ، مائه يَمِيشُهُ : أَذَابَهُ .
- (٣٠٧) خَفُوفًا : مصدر غريب لخَفَ بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف « خَفَا » .
- (٣٠٨) مُنِيخُونَ : مُقِيمُونَ .
- (٣٠٩) الخُشْنُ : جمع خَشْنَاء من الخشونة .
- (٣١٠) وصف الحَيَات « بِالصَّم » لأنها أخبثها إذ لا تترجر بالأصوات كأنها لا تسمع .
- (٣١١) الجَحْشِب : الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير آدم .
- (٣١٢) معصوبة : مشدودة .
- (٣١٣) أَغْضِبَتْ : أصلها من غَضَّ الطرف والمراد سكت على مضض .
- (٣١٤) الشَّجَا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه .
- (٣١٥) الكَظَم بالتحريك أو بضم فسكون : مخرج النفس . والمراد أنه صبر على الاختناق .
- (٣١٦) خَزَيَتَ : ذَلَّتْ وهانت .
- (٣١٧) المبتاع : المشتري .
- (٣١٨) أَهْبَتُهَا : عُدَّتْهَا .
- (٣١٩) شَبَّ لَظَاهَا : استعاره ، وأصله صعود طرف النار الأعلى .
- (٣٢٠) سَنَاهَا : ضوؤها .
- (٣٢١) استشعار الصبر : اتخاذه شعاراً كما يلزم الشعار الجسد .
- (٣٢٢) جُنَّتُهُ - بالضم - وقايتة ، والجُنَّة : كل ما استترت به .
- (٣٢٣) رَغْبَةً عَنْهُ : زُهْدًا فِيهِ .
- (٣٢٤) دُيِّتَ مَبْنِيٍّ للمجهول من دَيْتَهُ أَي : ذَلَّلَهُ
- (٣٢٥) القَمَاءة : الصغار والذل ، والفعل منه قَمُوٌّ من باب كَرُمَ .
- (٣٢٦) الإسهاب : ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة . وروي : (ضُرب على قلبه بالأسداد) جمع سد أي الحجب .
- (٣٢٧) أَدِيلَ الحقِّ منه ، أي : صارت الدولة للحق بَدَلَهُ .
- (٣٢٨) سِيمَ الخَسَف : أي : أولي الخَسَف ، وكُلِّفَهُ . والخسف الذل والمشفة أيضاً .

- (٣٢٩) النَّصَف : العدل ، ومنع مجهول ،
أي حُرِّمَ العدل بأن يسلط الله عليه
من يغلِبُه على أمره فيظلمه .
- (٣٣٠) عَقَّرَ الدار - بالضم - وسطها وأصلها
(٣٣١) قَوَّاكَلَمَ : وكلَّ كل منكم الأمر
إلى صاحبه ، أي لم يتولَّه أحد
منكم ، بل أحاله كلٌّ على الآخر .
- (٣٣٢) شُنَّتِ الغارات : مُزِقَّتْ عليكم
من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً
دفعَةً بعد دفعه .
- (٣٣٣) الأنبار : بلدة على شاطئ الفرات
الشرقي ، ويقابلها على الجانب الآخر
« هيت » .
- (٣٣٤) المسالِحُ : جمع مَسْلَحَةٍ - بالفتح -
وهي الثغر والمَرْقَب حيث يُخشى
طروقُ الأعداء .
- (٣٣٥) المعَاهِدَةُ : الذميمة .
- (٣٣٦) الحِجْل بالكسر وبالفتح وبكسر
الخلخال .
- (٣٣٧) القُلُبُ : بضمّتين : جمع قُلْب
بالضم فسكون : السوار المُصَنَّمَت .
- (٣٣٨) رُعُثْهَا - بضم الراء والعين - جمع
رِعاث ، ورِعاث جمع رَعَثة ،
وهو ضرب من الخرز .
- (٣٣٩) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء
مع القول : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
والاسترحام : أن تناشده الرحمة .
- (٣٤٠) وافرين : تامين على كثرتهم لم
ينقص عددهم وبروى (موفورين) .
- (٣٤١) الكَلَم - بالفتح - الجرح .
- (٣٤٢) تَرَحَّأ - بالتحريك - أي همّاً وحُزناً .
- (٣٤٣) الغرض : ما ينصب ليرمى بالسهم
ونحوها . فقد صاروا بمنزلة الهدف
يرميهم الرامون .
- (٣٤٤) حَمَارَةُ القِيظ - بتشديد الراء ،
وربما خفت في ضرورة الشعر :
شدة الحر .
- (٣٤٥) التسييح - بالخاء المعجمة - :
التخفيف والتسكين .
- (٣٤٦) صَبَارَةُ الشتاء بتشديد الراء : شدة
برده ، والقُر - بالضم - البرد ،
وقيل : هو برد الشتاء خاصة .
- (٣٤٧) حِجَال : جمع حَجَلَة وهي القبة ،
وموضع يزين بالستور . وربات
الحجال : النساء .
- (٣٤٨) السَّدَم : محركة : الهم مع أسف
أو غيظ وفعله كفرح .
- (٣٤٩) القبيح : ما في القرحة من الصديد .
وفعله كباع .
- (٣٥٠) شحَنَم صُدري : ملائمتوه .
- (٣٥١) النُعْب : جمع نُعْبَة كجرعة
وجُرْع لفظاً ومعنى .
- (٣٥٢) التَّهْمَام - بالفتح - الهم ، وكل
تَفْعَال فهو بالفتح إلاَّ التَّيْيَان
والتلقاء فهما بالكسر .
- (٣٥٣) أُنْفَاساً : أي جرعةً بعد جرعة .
والمراد أن أنفاسه أمست همّاً
يتجرّعه .

- (٣٥٤) مِرَاساً : مصدر مارسه ممارسـة ومراساً . أي عالجـه وزاولـه وعاناه .
- (٣٥٥) ذَرَقْتُ عَلَى السَّيْنِ : زدتُ عليها ، وروى المبرد « نَيْفَت » وهو بمعناه .
- (٣٥٦) أَذْنَتُ : أَعْلَمْتُ .
- (٣٥٧) أَشْرَفْتُ بِاطِّلاعٍ : أَقْبَلْتُ عَلَيْنَا بَغْتَةً .
- (٣٥٨) المِضْمَارُ : الموضع والزمن الذي تَضَمَّرَ فِيهِ الخيل ، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يُقَلَّلُ علفها وماؤها وتجرى في الميدان حتى تهزل ، ثم تُرَدُّ إِلَى القوت ، والمدة أربعون يوماً . وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني ، وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة للثاني وإلا فحقيقة التضمير : لإحداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم ، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق .
- (٣٥٩) السَّبَقَةُ - بالتحريك - الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها .
- (٣٦٠) المَنِيَّةُ : الموت والأجل .
- (٣٦١) البُؤْسُ : - بالضم - اشتداد الحاجة وسوء الحالة .
- (٣٦٢) الرَّهْبَةُ - بالفتح - هي مصدر رَهَبَ الرجل - من باب عَليم - رهباً بالفتح وبالتحريك وبالضم ، ومعناه خاف .
- (٣٦٣) الظَّن - بالسكون والتحريك - الرحيل عن الدنيا وفعله كَقَطَعَ .
- (٣٦٤) تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكُمْ : تحفظونها من الهلاك الأبدي .
- (٣٦٥) أَهْوَؤُهُمْ : آراؤُهُمْ وما تميل إليه قلوبهم ، والأهواء جمع هوى ، بالقصر .
- (٣٦٦) يُوهِي : يُضْعِفُ وَيُفْتِت .
- (٣٦٧) الصَّمَّ : جمع أصم ، وهو من الحجارة الصَّلْبُ المَصْمَت ، والصِّلاب : جمع صليب ، والصليب الشديد ، وبابه ظريف وظِرَاف ، وضعيف وضعاف .
- (٣٦٨) كَبَيْتُ وَكَبَيْتُ : كلمتان لا تستعملان إلاً مكررتين : إما مع واو العطف وإما بدونها وهي كناية عن الحديث .
- (٣٦٩) حَيَّدي حَيَّادٍ : كلمة يقولهـا الهارب عند الفرار ، وهي من الحَيَّادَانِ : الميل والانحراف عن الشيء . وحَيَّادٍ : منبني على الكسر كما في قولهم فَيَحِي فَيَاخٍ ، وهي من أسماء الأفعال كَنَزَالَ .
- (٣٧٠) أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلٍ : جمع أَضْلُولَةٍ ، كما أن الأضاليل جمع أضلولة ، والأضاليل متعلقة بالأعاليل أي : أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها .
- (٣٧١) يريد بالتطويل هنا تطويل الموعد والمطلّ به .
- (٣٧٢) أَطْطُولُ : الكثير المطل ، وهو تأخير أداء الدَّيْنِ بلا عُدْر .

- (٣٧٣) السهم الأَخْيَبُ : هو من سهام المَيْسِر الذي لا حظَ له .
- (٣٧٤) الأَفْوَقُ من السهام : مكسور الفوق والفوق موضع الوتر من السهم .
- (٣٧٥) الناصل : العاري عن النصل ، ولا يخفى طيش السهم الذي لا فوق له ولا نصل .
- (٣٧٦) أساء الأَثَرَةَ : أساء الاستبداد ، وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم .
- (٣٧٧) أسأتم الجزعَ : أي لم تَرْفُقُوا في جزعكم ، ولم تقفوا عند الحد الأولي بكم .
- (٣٧٨) عاقصاً قرنه من « عقص الشعر » إذا ضفره وفتله ولواه ، كناية عن تغطرسه وكبره .
- (٣٧٩) يركب الصعب : يستهين به ويزعم أنه ذلول سهل . والصعب : الدابة الجموح .
- (٣٨٠) العريكة : الطبيعة . والخلق ، وأصل العَرَكَ دَلَكَ الجسد بالدَّباغ وغيره .
- (٣٨١) عَدَاهُ الأَمْرُ : صرفه ، وبدَأَ : ظَهَرَ ، والمراد : ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك ؟
- (٣٨٢) العَنُودُ : الجائر من «عَنْدَ يَعْنُدُ» كنصر ، جار عن الطريق وعدل .
- (٣٨٣) الكَنُودُ : الكَفُور .
- (٣٨٤) القارعة : الخطب يقرع من ينزل به ، أي : يصيبه .
- (٣٨٥) كِلَالَةٌ حَدَّةٌ : ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه ، يُقال : كَلَّ السيف كِلَالَةً إذا لم يقطع ، والمراد إغوازه من السلاح .
- (٣٨٦) نَضِضُ وَفَرِهِ : قَلَّةُ ماله ، فالنضيض القليل ، والوفر : المال .
- (٣٨٧) المُجْلِبُ بِخَيْلِهِ : مِينُ « أَجْلَبَ الْقَوْمُ » أي جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب .
- (٣٨٨) الرَّجِلُ : جمع راجل ،
- (٣٨٩) « أَشْرَطَ نَفْسَهُ » : هبأها وأعدّها للشر والفساد في الأرض .
- (٣٩٠) « أَوْبَقَ دِينَهُ » : أهلكه .
- (٣٩١) الحطام : المال ، وأصله ما تكسّر من اليبس .
- (٣٩٢) ينتهزه : يغتنمه أو يختلسه .
- (٣٩٣) المَقْنَبُ : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .
- (٣٩٤) فَرَعَ المنبر - بالفاء : علاه .
- (٣٩٥) طَامَنَ : خَفَضَ .
- (٣٩٦) الذريعة : الوسيلة .
- (٣٩٧) ضُؤُولَةُ النَفْسِ - بالضم : حقارتها .
- (٣٩٨) مَرَّاحٌ : مصدر ميمي من راح : إذا ذهب في العشي .
- (٣٩٩) مَغْدَى : مصدر ميمي من غدا إذا ذهب في الصباح .
- (٤٠٠) النَّادُ : المنفرد المارِب من الجماعة إلى الوحدة .
- (٤٠١) المقموع : المهبور .

- (٤٠٢) المَكْعُومُ : من « كَعَمَ البعير » شدَّ فاه لثلا يأكل أو بعض .
- (٤٠٣) تَكْلَان : حزين .
- (٤٠٤) أَعْمَلَه : أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة .
- (٤٠٥) التَّقِيَّة : اتقاء الظلم بإخفاء المال .
- (٤٠٦) الأَجَاج : الملح .
- (٤٠٧) ضَامِزَة : ساكنة .
- (٤٠٨) قَرَحَة : بفتح فكسر - مجروحة .
- (٤٠٩) مَلَّوْا : أي أنهم أكثرُوا مِنْ وَعْظ الناس حتى سئموا ذلك إذ لم يكن لهم في النفوس تأثير .
- (٤١٠) الحَثَالَة - بالضم : القشارة وما لا خير فيه ، وأصله ما يسقط من كل ذي قشر .
- (٤١١) القَرَوَظ - محركة : ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به .
- (٤١٢) الحَلَم - بالتحريك - : مِقْرَاض يُجَزَّز به الصوف ، وقُرَاضته : ما يسقط منه عند القرض والجز .
- (٤١٣) أَشْغَفَ بها : أشد تعلقاً بها .
- (٤١٤) الرِّغَام - بالفتح - : التراب ، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .
- (٤١٥) الحَرِيْت - بوزن سَكَيْت - : الحاذق في الدلالة ، وفعله كَفَرَج .
- (٤١٦) يَخْصِفُ نَعْلَهُ : يَخْرِزُهَا .
- (٤١٧) بَوَاهُم مَحَلَّتْهُمْ : أَنْزَلَتْهُمْ مِنْزِلَتَهُمْ .
- (٤١٨) القَنَاقَة : العود والرمح ، والمراد به القوة والغلبة والدولة . وفي قوله (استقامت قناتهم) تمثيل لاستقامة أحوالهم .
- (٤٢٠) السَّاقَةُ : مؤخَّر الجيش السائق لِمُقَدَّمِهِ .
- (٤٢١) وَلَّتْ بِحِذَافِيرِهَا : بِجَمَلَتِهَا وَأَسْرَهَا .
- (٤٢٢) نَقَبَ : بِمَعْنَى ثَقَبَ وفي قوله (لَأَنْقُبَنَّ الباطلَ) تمثيل لحال الحق مع الباطل كأن الباطل شيء اشتمل على الحق فستره ، وصار الحق في طيِّه ، فلا بد من كشف الباطل وإظهار الحق .
- (٤٢٣) المَحْضُ : اللبن الخالص بلا رغو .
- (٤٢٤) أَفْ لَكُمْ : كلمة تَضَجَّر واستقذار ومهانة .
- (٤٢٥) دَوْرَانِ الأَعْيُن : اضطرابها من الجزع .
- (٤٢٦) الغَمْرَة : الواحدة من الغمر وهو السَّتْر ، وغمرة الموت الشدة التي ينتهي إليها الْمُحْتَضِرُ .
- (٤٢٧) يُرْتَجَّ : بِمَعْنَى يُغْلَق - تقول : رَجَّ الباب أي أغلقه .
- (٤٢٨) الحَوَار - بالفتح وربما كسر : المخاطبة ومراجعة الكلام .
- (٤٢٩) تَعَمَّهُونَ : مضارع عَمِهَ ، أي تَتَحَيَّرُونَ وتَرَدَّدُونَ .
- (٤٣٠) المَالُوسَة : المخلوطة بمس الجنون .
- (٤٣١) سَجَّيس - بفتح فكسر - كلمة يقال بِمَعْنَى أَبْدَأ ، وسجيس : أصله من « سجس الماء » بِمَعْنَى تَغَيَّرَ وَتَكَدَّرَ وكان أصل الاستعمال : « ما دامت الليالي بظلامها » .
- (٤٣٢) يُمَالُ بِكُمْ : يُمَالُ عَلَى العدو بعزكم وقوتكم .

(٤٤٥) تَطِيحُ السَّوَاعِدُ : تَسْقُطُ ، وفعله كبايع وقال .

(٤٤٦) الْفَيَّءُ : الْخَرَاجُ وما يحويه بيت المال .

(٤٤٧) الْحَطْبُ الْقَادِحُ : الثَّقِيلُ ، من فدحه الدَّيْنُ - كقطع - إذا أثقله وعاله وبهَظَّهُ

(٤٤٨) الْحَدَثُ - بالتحريك - : الحادث ، والمراد هنا ما وقع من أمر الحكامين

كما هو مشهور في التاريخ .

(٤٤٩) نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي : أخلصته ، من نخلت الدقيق بالْمِنْخَلِ .

(٤٥٠) قَصِيرٌ هُوَ مَوْلَى جَدِيْمَةِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَبْرَشِ ، والمثل مشهور في كتب الأمثال .

(٤٥١) « ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ » هذه كناية أنه لم يَعُدْ لَهُ رَأْيٌ صَالِحٌ

لشدة ما لقي من خلافهم .

(٤٥٢) « أَخُو هِوَاظِن » هُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّيْمَةِ .

(٤٥٣) مُنْعَرَجُ اللَّوَى : اسم مكان ، وأصل اللوى من الرمل : الجَدَدُ

بعد الرملة : وَمُنْعَرَجُهُ : منعطفه بمنة ويسرة .

(٤٥٤) النَّهْرُوانُ : اسم لأسفل نهر بين لَخَافِيْقَ ، وطرفاه على مقربة من

الكوفة في طرف صحراء حَرُوراء . وكان الذين خطووه في التحكيم قد

نقضوا بيعته ، وجهروا بعداوتهم ، وصاروا له حرباً ، واجتمع معظمهم

عند ذلك الموضع ، وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التي

اجتمعوا عليها كانت تسمى حَرُوراء

(٤٣٣) الزَّافَرَةُ مِنَ الْبِنَاءِ : رُكْنُهُ ، ومن الرجل عشيرته وأنصاره .

(٤٣٤) السَّعْرُ - بِالْفَتْحِ - مصدر سَعَرَ النَّارُ - من باب نَفَعَ : أوقدها ، وبالضم

جمع ساعر ، وهو ما أثبتناه . والمراد « لبئس مؤقذو الحرب أنتم » .

(٤٣٥) امْتَعْصَ : غَضِبَ .

(٤٣٦) حَمِيسٌ - كَفَرِحَ - اشتد وصلب في دينه فهو حَمِيسٌ .

(٤٣٧) الْوَغَى : الْحَرْبُ ، وأصله الصوت والجلبة .

(٤٣٨) اسْتَحَرَّ : بلغ في النفوس غاية حدته .

(٤٣٩) انْفَرَجَمَ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ : أي كما ينفلق الرأس فلا يلتئم .

(٤٤٠) يَغْرُقُ لَحْمَهُ : يأكل حتى لا يبقى منه شيء على العظم .

(٤٤١) فَرَّاهُ يَفْرِيه : مَزَقَهُ يمزقه .

(٤٤٢) مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ : هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية ، والجوانح : الضلوع تحت الترائب ،

والترائب : ما يلي الترقوتين من عَظْمِ الصَّدر .

(٤٤٣) الْمَشْرِفِيَّةُ : هي السيوف التي تنسب إلى مشارف ، وهي قرى من أرض

العرب تدنو إلى الريف ، ولا يقال في النسبة إليها مشارفي ؛ لأن الجمع

ينسب إلى واحدة .

(٤٤٤) فَرَّاشُ الْهَامِ : العظام الرقيقة التي تلي القحف .

- (٤٦٤) تَقَبَّعُوا: اختَبَأُوا ، وأصله تَقَبَّعَ القفْذ إذا أدخل رأسه في جلده .
- (٤٦٥) تَعَتَّعُوا : ترددوا في كلامهم من عِيٍّ أو حَصَر .
- (٤٦٦) الْفَوْتُ : السبق .
- (٤٦٧) طَرِئْتُ بِعَيْنَانِهَا : العنان للفرس معروف ، وطار به : سبق به .
- (٤٦٨) اسْتَبَدَّتْ بِرِهَانِهَا : الرهان : الجعل الذي وقع الرهان عليه . واستبددت به : افتردت به .
- (٤٦٩) لم يكن في مَهْمَزٍ ولا مَغْمَزٍ : لم يكن في عيبٍ أعاب به ، وهو من الهمز : الوقعة . والغمر : الطعن .
- (٤٧٠) سَمْتُ الْهُدَى : طريقته .
- (٤٧١) مُنِيْتُ : بُلِيْتُ .
- (٤٧٢) تُحْمَشُكُمْ : تُغْضِبُكُمْ على أعدائكم .
- (٤٧٣) الْمُسْتَصْرِخ : المستنصر (المستجلب من ينصره بصوته) .
- (٤٧٤) مُتَغَوَّأٌ : أي قائلًا « وأغَوَّاه » .
- (٤٧٥) جَرَّجَرْتُمْ : الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته عند عَسْفِهِ .
- (٤٧٦) الْأَسْرَ : المصاب بداء السَّرَر ، وهو مرض في كَرَكَرَةِ البعير ، أي زَوْرِهِ ، ينشأ من الدَّيْبَرَةِ والقرحة .
- (٤٧٧) النُّضْفُو : المهزول من الإبل ، والأدْبَرُ : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدَّيْبَرَةِ - بالتحريك - وهي العَقْرُ والجرح من القَتَبِ ونحوه .

- وكان رئيس هذه الفئة الضالة : حَرْقُوص بن زهير السعدي ، ويُلقب بذي الشُّدَيَّة (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقاتلتهم والعودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه فأمر بقتالهم . وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه . وقيل : إنه - عليه السلام - خاطب بها الخوارج الذين قتلهم بالنهروان .
- (٤٥٥) صَرَغَى : جمع صَرِيع ، أي طريق
- (٤٥٦) الْأَهْضَام : جمع هَضْم ، وهو المطمئن من الوادي .
- (٤٥٧) الْغَائِطُ : ما سفل من الأرض ، والمراد هنا المنخفضات .
- (٤٥٨) طَوَّحَتْ بِكُمْ الدار : قَذَفَتْكُمْ في مَتَاهَةٍ وَمَضَلَّةٍ .
- (٤٥٩) احْتَبَلَكُمْ الْمَقْدَارُ : احتبلكم : أوقعكم في حبالته ، والمقدار : القدر الإلهي .
- (٤٦٠) أَخْفَاءُ الْهَامِ : ضعف العقل - الهام الرأس ، وخفتها كناية عن الطيش وقلة العقل .
- (٤٦١) سَفْهَاءُ الْأَحْلَامِ : السفهاء : الحمقى ، والأحلام : العقول .
- (٤٦٢) الْبُجْرُ - بالضم - : الشر والأمر العظيم والداهية .
- (٤٦٣) فَشِلُّوا : خاروا وجبُّنوا ، وليس معناها أخفقوا كما نستعملها الآن .

- (٤٧٨) التَّوَامُ : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد .
- (٤٧٩) الجُنَّة - بالضم - : الوقاية ، وأصلها ما استترت به من درع ونحوه .
- (٤٨٠) أَوْقَى منه : أشدَّ وقاية وحفظاً .
- (٤٨١) الكَيْس - بالفتح - : الفطنة والذكاء .
- (٤٨٢) الحَوَلُ الْقَلْب - بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين هو : البصير بتحويل الأمور وتقليبها .
- (٤٨٣) الحَرِيْجَة : التخرج والتحرز من الآثام .
- (٤٨٤) طَوْلُ الْأَمَلِ : هو استفساح الأجل ، والتسويق بالعمل .
- (٤٨٥) الْحَدَاء - بالتشديد - : الماضية السريعة .
- (٤٨٦) الصُّبَابَة - بالضم - : البقية من الماء واللين في الإناء .
- (٤٨٧) اضْطَبَّتْهَا صَابَتْهَا : كقولك : أبقاها مبقيا ، أو تركها تاركها .
- (٤٨٨) جَدَّاه - بالجمع - أي : مقطوع خيرها ودَرَّها .
- (٤٨٩) الْأَنَاء : الثَّبَتُ والثَّانِي .
- (٤٩٠) أَرْوِدُوا : ارفقوا ، أصله من أَرَوَدَ في السير إروداً ، إذا سار برفق .
- (٤٩١) الإِعْدَاد : التهيئة .
- (٤٩٢) وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ : مَثَلٌ تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر .
- (٤٩٣) أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالاً : جعلهم واجدين له .
- (٤٩٤) خَاسَ بِهِ : خان وغدر .
- (٤٩٥) قَبَّحَهُ اللَّهُ : أي نَحَاهُ عن الخير .
- (٤٩٦) بَكَتَهُ : قَرَعَهُ وَعَنَقَهُ .
- (٤٩٥) مَبْسُورُهُ : ما تَبَسَّرَ له .
- (٤٩٨) الْوُفُور : مصدر وَفَرَ الْمَالُ ، أي تم .
- (٤٩٩) مَقْنُوط : مَيُوس ، من القنوط وهو اليأس .
- (٥٠٠) مُسْتَكْف : الاستكفاف : الاستكبار .
- (٥٠١) مَبْنِي لَهَا الْفَنَاءُ - ببناء الفعل للمجهول أي : قُدِّرَ لها .
- (٥٠٢) الْجَلَاء : الخروج من الأوطان .
- (٥٠٣) التَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ : اختلطت به حجة .
- (٥٠٥) الْبَلَاغ : ما يُتَبَلَّغُ به ، أي : يُقْنَنَاتُ به مدة الحياة .
- (٥٠٦) الْكَفَاف : ما يَكْفُفُكَ أي : يمنعك عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت .
- (٥٠٦) الْوَعْثَاء : المشقة ، وأصله المكان الْمُتَعَبُ لكثرة رمله وغوص الأرجل فيه .
- (٥٠٧) الْمُتَنَقَّلَب : مصدر بمعنى الرجوع .
- (٥٠٨) الْأَدِيم : الجلد المدبوغ .
- (٥٠٩) الْعُكَاطِي : نسبة إلى عُكَاط - كفراب - وهي سوق كانت تقيمها العرب في صحراء بيت نخلة والطائف يجتمعون إليه ليتعاطوا - أي يتفاحروا .
- (٥١٠) التَّوَكَّلُ : الشدائد .

(٥٢٧) الأغرّاض : جمع غرض ، وهو الهدف

(٥٢٨) تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا : خفي وجهها .

(٥٢٩) حَذَاءٌ : ماضية ، سريعة ، وقد سبق تفسيرها ، وفي رواية « جذاء »

- بالجيم - أي مقطوعة الدرّ والخير .

(٥٣٠) تَحْفِزُهُمْ : تدفعهم وتسوقهم .

(٥٣١) تَحْدُو : بالواو بعد الدال :

تسوقهم بالموت إلى الهلاك .

(٥٣٢) أَمَرَ الشَّيْءُ : صار مُرّاً

(٥٣٣) كَدِرَ كَدَرًا - كفرح فرحًا - وكدُرَ - بالضم ، كظرف ، كدورة :

تَعَكَّرَ وتغير لونه واختلط بما لا يستساغ هو معه .

(٥٣٤) السَّمَلَةُ - محرّكة - بقية الماء في الحوض .

والإداوة : المَطْهَرَةُ . وهي إناء الماء الذي يَنْطَهَرُ به .

(٥٣٥) المَقْلَةُ - بالفتح - : حِصَاة يضعها

المسافرون في إناء ، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها ، فيتناول كل منهم مقدار ما غمره . يفعلون ذلك إذا قل الماء ، وأرادوا قسمته بالسوية .

(٥٣٦) التَمَزُّزُ : الامتصاص قليلاً قليلاً ، والصدَّيَانُ : العطشانُ .

(٥٣٧) لَمْ يَنْقَعْ : لم يَرَوْ .

(٥٣٨) أَرْمَعُوا الرّحِيلَ : أي اعزموا عليه ، يقال : أَرَمَ الأمر ، ولا يقال أَرَمَع عليه .

(٥٣٩) المَقْشُور : المكتوب .

(٥١١) وَقَبَ : دخلَ .

(٥١٢) غَسَقَ : اشتدت ظلمته .

(٥١٣) خَفَقَ النّجْم : غاب .

(٥١٤) الْمُقَدِّمَةُ - بكسر الدال - صدر الجيش ، ومقدّمة الانسان - بفتح

الدال : صدره .

(٥١٥) المِنَاطُ : حافة الوادي وشفيره

وساحل البحر .

(٥١٦) الشَّرِذْمَةُ : النفر القليلون .

(٥١٧) الأَكْنَفُ : الجوانب و « موطنين الأَكْنَفِ » أي : جعلوها وطناً .

(٥١٨) الأَمْدَادُ : جمع مَدَد ، وهو ما يُمدّد به الجيش لتقويته .

(٥١٩) بَطَنَ الخَفِيَّاتِ : عَلِمَها من باطنها .

(٥٢٠) الأَعْلَامُ : جمع عَلَم - بالتحريك - وهو النار يهتدى به ، ثم عمّ في كل ما دل على شيء ، وأعلام الظهور :

الأدلة الظاهرة .

(٥٢١) المُرْتَادِينَ : الطالبين للحقيقة .

(٥٢٢) الضِّغْثُ - بالكسر - قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس .

(٥٢٣) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(٥٢٤) اسْتَطْعَمُوكُمْ الْقِتَالَ : طلبوا منكم أن تطعموهم القتال ، كما يقال « فلان يستطعمني الحديث »

أي : يستدعيه مني .

(٥٢٥) اللُّمَّةُ - بالتخفيف - الجماعة القليلة .

(٥٢٦) عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ : أبهم عليهم وجعله مظلماً .

- (٥٤٠) **الْوَلَّةُ الْعِجَالُ** : الوَلَّةُ : جمع وآلهة وهي كل أنثى فَقَدَتْ ولدها ، وأصل الوَلَّةِ ذهابُ العقل ، والعِجَالُ من التَّوَقُّ - جمع عَجُولٍ : وهي التي فقدت ولدها .
- (٥٤١) **هَدِيلُ الْحَمَامِ** : صوته في بكائه لفقد لفرجه .
- (٥٤٢) **جَارْتُمْ** : مرفعت أصواتكم ؛ والجَوَّارُ : الصوت المرتفع .
- (٥٤٣) **الْمُتَبَتِّلُ** : المنقطع للعبادة .
- (٥٤٤) **انما لَتِ انميائاً** : ذَابَتْ ذَوْبَاناً .
- (٥٤٥) **الْأَضْحِيَّةُ** : الشاة التي تطلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى .
- (٥٤٦) **اسْتَشِيرَافُ أَذُنِهَا** : تَفَقَّدُهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مَجْدُوعَةً أَوْ مَشْقُوقَةً .
- (٥٤٧) **عَضْبَاءُ الْقَرْنِ** : مكسورته .
- (٥٤٨) **تَجَرَّرَ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ** : أي عرجاء ؛ والمنسك : المذبح .
- (٥٤٩) **تَدَاكَوْا** : تراحموا عليه ليبياعوه رغبةً فيه .
- (٥٥٠) **الهِيمُ** : العِطَاشُ مِنَ الْإِبِلِ .
- (٥٥١) **يَوْمَ وَرْدِهَا** : يوم شربها الماء .
- (٥٥٢) **الْمِثْنَانِي** : جمع المِثْنَةِ - بفتح الميم وكسرها : حبل من صوف أو شعر يُعْقَلُ به البعير .
- (٥٥٣) **تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْئِي** : تستدل عليه ببصر ضعيف .
- (٥٥٤) **تَبَوَّءَ بِأَنَامِهَا** : ترجع .
- (٥٥٥) **الْلَقَمُ** - بالتحريك وبوزن صُرَدَ أيضاً - : معظم الطريق أو جادته .
- (٥٥٦) **مَضَضُ الْأَلَمِ** : لذعته وبُرحاؤه .
- (٥٥٧) **التَّصَاوُلُ** : أن يحمل كل واحد من النَّدَّيْنِ على صاحبه .
- (٥٥٨) **يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا** : كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر .
- (٥٥٩) **الْكَبْتُ** : الإذلال .
- (٥٦٠) **جِرَانُ الْبَعِيرِ** - بالكسر : مقدَّمُ عنقه من مذبجه إلى مَنْحَرِهِ ؛ وإلقاء الجِرَانِ : كناية عن التمكن .
- (٥٦١) **الْإِحْتِلَابُ** : استخراج ما في الضَّرْعِ من اللبن .
- (٥٦٢) **سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ** : سيغلب .
- (٥٦٣) **رَحْبُ الْبُلْعُومِ** : واسعُهُ .
- (٥٦٤) **مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ** : عظيم البطن بارزه ، كأنه لِعَظْمِهِ مُنْدَلِقٌ من بدنه يكاد يَبِينُ عنه - وأصل « اندحق » بمعنى انزلق .
- (٥٦٥) **الْحَاصِبُ** : ريح شديدة تحمل التراب والحصى ، والجملة دعاء عليهم بالهلاك .
- (٥٦٦) **الْآثِرُ** : الذي يَأْثُرُ الحديث ، أي يرويه ويحكيه . والمراد : لا بقي منكم مخبر يروي أثراً . وهذا اللفظ (آثر) أقرب إلى السياق هنا من (آبر) و (آبز) . وقد اختاره الشريف الرضي ووجده أصح الوجوه .

- (٥٦٧) **فَاوْبُوا شَرَّ مَتَابٍ** : انقلبوا شرّاً منقلب بضاللتكم في زعمكم .
- (٥٦٨) **الْأَعْقَاب** : جمع عَقِب - بكسر القاف - وهو مؤخر القدم .
- (٥٦٦) **الْأَثَرَة** : الاستبداد بفوائد الملك .
- (٥٧٠) **قَرَارَاتِ النِّسَاء** : كناية عن الأرحام
- (٥٧١) « **كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ** » : كلما ظهر أو طلع منهم رئيس قُتِلَ .
- (٥٧٢) **الْغَيْلَة** : القتل على غيرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل .
- (٥٧٣) **الْجُنَّة** - بالضم - : الوقاية والملجأ والحصن ، وقد سبقت .
- (٥٧٤) **طَاشَ السَّهْمُ عَنِ الْمَدْفِ** - من باب باع - أي : جاوره ولم يصبه .
- (٥٧٥) **الْكَلْمُ** - بالفتح - : الجرح .
- (٥٧٦) **سَابِغاً** : ممتداً ساتراً للأرض .
- (٥٧٧) **قَلَصَ** : انقبض .
- (٥٧٨) « **بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ** » أي : سابقوها وعاجلوها بها .
- (٥٧٩) **ابْتَاعُوا** : اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي ، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية .
- (٥٨٠) **الْتَرَحَّلَ** : الانتقال . والمراد هنا لازمه . وهو : إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل .
- (٥٨١) **جُدَّ بِكُمْ** : أي حُسِّنَ وَأَزْعَجَتْ إِلَى الرَّحِيلِ .
- (٥٨٢) **أَظْلَكُمْ** : قرب منكم من كأن له ظلاً قد ألقاه عليكم .
- (٥٨٣) **سُدِّي** : مهملين .
- (٥٨٤) **يَحْدُوهُ** : يسوقه ، والجديدان الليل والنهار .
- (٥٨٥) **حَرِيّ** : جدير .
- (٥٨٦) **الْأَوْبَة** : الرجعة .
- (٥٨٧) « **مَا تَحَرُّزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ** » أي : تحفظونها به .
- (٥٨٨) **يُسَوِّفُهَا** : يؤجلها ، ويؤخرها .
- (٥٨٩) **لَا تُبْطِرُهُ النِّعْمَة** : لا تطفيه ، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه .
- (٥٩٠) **يَصَمِّمُ** - بفتح الصاد - مضارع « **صَمَّ** » - من باب علم - إذا أصيب بالصمم وفقد السمع ، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي يستطيع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها .
- (٥٩١) **النَّدَ - بكسر النون -** : النظر والمثل ، ولا يكون إلا مخالفاً ، وجمعه أُنْدَادٌ مثل : **حِمْلٌ وَأَحْمَالٌ** .
- (٥٩٢) **الْمُتَّائِرُ** : الموائب والمخارب .
- (٥٩٣) **الشَّرِيكَ الْمَكَاثِرُ** : المُفَاخِرُ بالكثرة ، هذا إذا قرىء بالثاء المثناة ، ويروى « **المكابر** » - بالباء الموحدة - أي : المفاخر بالكِبَر والعظمة .
- (٥٩٤) **الضَّدَّةُ الْمُنَافِرُ** : الذي يحاكي ضده في الرفعة والنسب فيغلبه .
- (٥٩٥) **مَرْبُوبُونَ** : أي مملوكون .
- (٥٩٦) **دَاخِرُونَ** : أذلاء - من دخر .

- (٥٩٧) « لَمْ يَنَّا عَنْهَا » أي : لم يفصل انفصالَ الجسم .
- (٥٩٨) بَائِنٌ : منفصل .
- (٥٩٩) لَمْ يُوْذِهِ : لَمْ يُثْقِلْهُ ، آدَهُ الْأَمْرُ يَوْؤُدُهُ : أَثْقَلَهُ وَأَتَعَبَهُ .
- (٦٠٠) فَرَأَى : خَلَقَ .
- (٦٠١) وَلَجَجَتْ عَلَيْهِ : دَخَلَتْ .
- (٦٠٢) مُبْرَمٌ : مَحْتَمٌ ، وَأَصْلُهُ مِنْ « أَبْرَمَ الْجِلْدَ » جَعَلَهُ طَاقِئِينَ ، ثُمَّ قَتَلَهُ . وَهَذَا أَحْكَمُهُ .
- (٦٠٣) اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ : اجْعَلُوهَا مِنْ شِعَارِكُمْ . وَالشَّعَارُ هُوَ مَا يَلِي الْبَدْنَ مِنَ الثِّيَابِ .
- (٦٠٤) تَجَلَبَّبَ : لَبَسَ الْجَلْبَابَ ، وَهُوَ مَا تَغْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ ثِيَابَهَا مِنْ فَوْقِ .
- (٦٠٥) النَّوَاجِذُ : جَمْعُ نَاجِذٍ ، وَهُوَ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ . وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعَةُ نَوَاجِذٍ وَهِيَ بَعْدُ الْأَرْحَامِ . وَيُسَمَّى النَّاجِذُ ضَرْسَ الْعَقْلِ . وَإِذَا عَضَضَتْ عَلَى نَاجِذِكَ تَصَلَبَتْ أَعْصَابُكَ وَعَضَلَاتُكَ الْمُتَصِلَةُ بِدِمَاغِكَ .
- (٦٠٦) أَنْبَى لِلسَّيْفِ : أَبْعَدُ عَنْهَا .
- (٦٠٧) الْهَامُ : جَمْعُ هَامَةٍ : وَهِيَ الرَّأْسُ .
- (٦٠٨) اللَّامَةُ : الدَّرْعُ . وَلَا كَالِهَا أَنْ يُزَادَ عَلَيْهَا الْبَيْضَةُ وَنَحْوُهَا . وَقَدْ يَرَادُ مِنَ اللَّامَةِ آلَاتُ الْحَرْبِ وَالِدِفَاعِ وَلَا كَالِهَا عَلَى هَذَا اسْتِيفَاؤُهَا .
- (٦٠٩) قَلَقِلُوا السَّيْفَ : حَرَّكُوهُ فِي أَغْمَادِهَا .
- (٦١٠) الْأَغْمَادُ - جَمْعُ غَمْدٍ : وَهُوَ بَيْتُ السَّيْفِ .
- (٦١١) الْحَزْرُ - مُحْرَكَةٌ ، وَسَكَنُهَا مِرَاعَةٌ لِلسَّجْمَةِ الثَّانِيَةِ - : النَّظَرُ مِنْ أَحَدِ الشَّقِئَيْنِ ، وَهُوَ عَلَامَةُ الْغَضَبِ .
- (٦١٢) الشَّرُّرُ - بَفْتَحِ الشَّيْنِ - : الطَّعْنُ فِي الْجَوَانِبِ يَمِينًا وَشِمَالًا .
- (٦١٣) نَافَحُوا بِالظُّبَا : نَافَحُوا : كَافَحُوا وَضَارَبُوا ، وَالظُّبَا - بِالضَّمِّ - : جَمْعُ ظُبَةٍ ، وَهِيَ طَرَفُ السَّيْفِ وَحْدَةً .
- (٦١٤) صِلُوا السَّيُوفَ بِالْخُطَا : صِلُوا مِنَ الْوَصْلِ - أَيِ : اجْعَلُوا سَيُوفَكُمْ مُتَصِلَةً بِخَطَا أَعْدَائِكُمْ ، جَمْعُ خُطْوَةٍ .
- (٦١٥) الْفَرَرُ : الْفِرَارُ .
- (٦١٦) « عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ » : هُنَا الْأَوْلَادُ ، لِأَنَّهُمْ يُعْبِرُونَ بِفِرَارِ آبَائِهِمْ .
- (٦١٧) السُّجُحُ - بَضْمَتَيْنِ - : السَّهْلُ .
- (٢٦٨) الرَّوَاقُ الْمُطَنَّبُ : الرَّوَاقُ - كِتَابٌ وَغَرَابُ الْفُسْطَاطِ ، وَالْمُطَنَّبُ : الْمَشْدُودُ بِالْأَطْنَابِ جَمْعُ طُنْبٍ - بَضْمَتَيْنِ - وَهُوَ حَبْلٌ يَشُدُّ بِهِ سُرَادِقُ الْبَيْتِ .
- (٦١٩) التَّبِيجُ - بِالتَّحْرِيكِ - : الْوَسْطُ .
- (٦٢٠) كَسْرُهُ - بِالْكَسْرِ - شَقُّهُ الْأَسْفَلَ ، كَنَايَةٌ عَنِ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَفِرُّ لَهَا الْمُنْهَزِمُونَ .
- (٦٢١) الصَّمَدُ : الْقَصْدُ - أَيِ فَائِثُوا عَلَى قَصْدِكُمْ .

- (٦٣٣) الباحات : الساحات .
 (٦٣٤) أودّكم - بالتحريك - : اعوجاجكم .
 (٦٣٥) أضرعَ الله خُدودكم : أذلّ الله وجوهكم .
 (٦٣٦) وأنعَسَ جُدودكم : أي : حط من حظوظكم . والتنعَس : الانحطاط والهلاك والعثار .
 (٦٣٧) السُّحرة - بالضم - السَّحَر الأعلى من آخر الليل .
 (٦٣٨) مَلَكْتَنِي عَيْتِي : غلبني النوم .
 (٦٣٩) سنح لي رسول الله : مرّ بي كما تسنح الطباء والطير .
 (٦٤٠) أَمْلَصَت : أسقطت ، وألقت ولدها ميتاً .
 (٦٤١) قَيَّمَهَا : زوجها .
 (٦٤٢) ثَأْيَمُهَا : خلّوها من الأزواج .
 (٦٤٣) ويَلُّ أَمَهُ : كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها لضده ، ومثل ذلك معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه « لا أبأ لك » في الحديث « فاظفر بذات الدين تربت يداك » .
 (٦٤٤) « داحي المدحوات » أي : باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين .
 (٦٤٥) داعم المسمُوكات : مقيمها وحافظها ، المسمُوكات : المرفوعات وهي السماوات وأصلها سَمَكَ بمعنى رَفَعَ .
 (٦٤٦) جابِل القُلُوب : خالفها .

- (٦٢٢) « لَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ » : لن ينقصكم شيئاً من جزائها .
 (٦٢٣) سقيفة بني ساعدة : اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار خليفة له .
 (٦٢٤) العَرَصَة : كل بقعة واسعة بين الدّور . والمراد ما جعل لهم مجالاً للمغالبة . وأراد بالعَرصة عَرَصَة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوّه ظناً منه أنه ينجو بنفسه ، فأدركوه وقتلوه .
 (٦٢٥) اليكار - ككتاب - جمع يَكُر : الفتّي من الإبل . العميدة . بفتح فكسر : التي انفضح داخلُ سنّامِها من الركوب ، وظاهره سليم .
 (٦٢٦) الثّياب المتداعية : الخَلَقَة المُتَخَرِّقة . ومُدّاراتها : استعمالها بالرفق التام .
 (٦٢٧) حَبِصَتْ : خِيَطَتْ .
 (٦٢٨) تَهَتَكَت : تَخَرَّقَتْ .
 (٦٢٩) الْمُنْشَر - كجلس ومنبر - : القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير . وأطلّ : أشرف .
 (٦٣٠) إِنْجَحَرَ : دخلَ الجُحْر .
 (٦٣١) الوِجار - بالكسر - : جُحْرُ الضَّبُع وغيرها .
 (٦٣٢) الأفوق من السهام : ما كُسِر فوقه ، أي موضع الوتر منه . والناصل : العاري من النصل ، والسهم إذا كان مكسور الفوق عارياً عن النصل لم يوتر في الرمية .

(٦٥٩) وَاِعْيَا لِيَوْحِيكَ : أي حافظاً وفاهماً ، وَعَيِّنْتَ الحديث ، إذا حفظته وفهمته .
 (٦٦٠) أَوْزَى قَبَسَ الْقَابِسِ : يقال : وَرَى الزَّئِدُ كَوَعَى - وَوَرِي - كَوَلِي - يَرِي وَرِيّاً فهو وَار : خرجت نَارُهُ ، وَأَوْزَيْتُهُ وَوَرَيْتُهُ وَأَسْتَوَزَيْتُهُ وَالْقَبَسُ : شُعْلَةٌ من النار ، والقابِس الذي يطلب النار .
 (٦٦١) الْخَابِطُ : الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة ، فإضاءة الطريق له جعلها مضبئة ظاهرة .
 (٦٦٢) الْخَوَاضَاتُ : جمع خَوْضَةٌ ، وهي المرة من الخوض .
 (٦٦٣) الْأَعْلَامُ : جمع عَلَم - بالتحريك - وهو ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه .
 (٦٦٤) الْعِلْمُ الْمَخْزُونُ : ما اختص الله به من شاء من عباده ، ولم يُبْحَ لغير أهل الْحُظْوَةِ به أن يطلعوا عليه ، وذلك مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية .
 (٦٦٥) شَهِيدُكَ : شاهدُكَ على الناس : كما قال الله تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً » .
 (٦٦٦) بَعِيْثُكَ بِالْحَقِّ ، أي : مَبْعُوثُكَ ، فهو فَعِيل بمعنى مفعول كجريح وطريح .
 (٦٦٧) أَفْسَحَ لَهُ : وَسَّعَ لَهُ ما شئت أن توسع « في ظلك » أي : إحسانك وبرِّك ، فيكون الظل مجازاً .

(٦٤٧) الْفِطْرَةُ : أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده ، وهي للانسان : حالته خالياً من الآراء والأهواء والديانات والعقائد .
 (٦٤٨) الشَّرَائِفُ : جمع شريفة .
 (٦٤٩) التَّوَامِي : الزوائد .
 (٦٥٠) الْخَاتَمُ لِمَا سَبَقَ : أي لما تقدمه من النبوات .
 (٦٥١) الْفَاتِحُ لِمَا انْفَلَقَ : كانت أبواب القلوب قد أغلقت بإقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوته .
 (٦٥٢) جَيْشَاتُ الْإِبَاطِيلِ : جمع باطل على غير قياس : كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس ، وجَيْشَاتُهَا : جمع جَيْشَةٍ - بفتح فسكون - من جاشت القدر إذ ارتفع غليانها .
 (٦٥٣) الصَّوَلَاتُ : جمع صَوْلَةٌ ، وهي السطوة ، والدماغ من دماغه إذا شَجَّهْهُ حَتَّى بَلَغَتْ الشَّجَّةُ دِمَاغَهُ .
 (٦٥٤) فَاضْطَلَعَ - أي : نهض بها قوياً - والضَّلَاعَةُ : القوة .
 (٦٥٥) الْمُسْتَوْفِرُ : المسارع المستعجل .
 (٦٥٧) النَّاكِلُ : الناكص والمتأخر ، أي غير جبان .
 (٦٥٧) الْقُدُمُ - بضمين - : المشي إلى الحرب ، ويقال : مضى قُدُمًا ، أي سار ولم يعرج .
 (٦٥٨) الْوَاهِي : الضعيف .

- (٦٦٨) مُضَاعَفَاتُ الْخَيْرِ : أطواره ودرجاته
 (٦٦٩) قَرَارُ النِّعْمَةِ : مستقرّها حيث تدوم ولا تفتنى .
 (٦٧٠) مَنَى الشَّهَوَاتِ : مَنَى جمع مُنْية - بالضم - وهي ما يتمناه الانسان لنفسه ، والشهوات ما يشتهي .
 (٦٧١) رَخَاءُ الدَّعَةِ : الرخاء : من قولهم « رجل رَخِييّ البال » أي : واسع الحال . والدَّعَةُ : سكون النفس واطمئنانها .
 (٦٧٢) تَحَفُّ الكَرَامَةِ : التحف : جمع تَحْفَةٍ ، وهي ما يكرم به الإنسان من البرّ واللطف .
 (٦٧٣) اسْتَشْفَعَهُمَا إِلَيْهِ : سألهما أن يشفعا له عنده . وليس من الجيد قولهم : اسْتَشْفَعَتْ بِهِ .
 (٦٧٤) كَفَّ « يَهُودِيَّةً » أي : غادرة ماكرة .
 (٦٧٥) السَّجَّةُ - بالضم - : الإسْت ، وهما مما يحرص الإنسان على إخفائه ، وكفي به عن الغدر الخفي .
 (٦٧٦) الْأَكْبَشُ : جمع كَبَش ، وهو من القوم رئيسهم .
 (٦٧٧) زُخْرُفُهُ وَزِبْرَجُهُ : أصل الزخرف : الذهب وكذلك الزبرج - بكسرتين بينهما سكون - ثم أُطلق على كل موه مزوّر . وأغلب ما يقال الزَّبْرَجُ على الزينة من وشي أو جوهر .
 (٦٧٨) قَرَفِي : قَرَفَهُ قَرَفًا - بالفتح : عابه . والاسم منه القَرَفُ بسكون الراء .
 (٦٧٩) حَجِيجُ المَارْقِينَ : خَصِيمُهُم ، والمَارْقُونَ : الخارجون من الدين .
 (٦٨٠) النَّاكُثُونَ المَرْتَابُونَ : الناقضون للعهد الذين لا يقين لهم .
 (٦٨١) الْأَمْثَالُ : يراد بها هنا متشابهات الأعمال والحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ، وما خالفه فهو الباطل الممنوع ، وهو - كرم الله وجهه - قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله ، فليس للغايز عليه أن يشير إليه بمطعن ، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب .
 (٦٨٢) الْحُكْمُ هُنَا : الحُكْمَةُ ، قال الله تعالى : (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) .
 (٦٨٣) وَعَى : حَقِظَ وفهم المراد .
 (٦٨٤) دَنَا : قرب من الرشد الذي دعا إليه .
 (٦٨٥) الْحُجْزَةُ - بالضم - معقد الإزار ، والمراد الاقتداء والتمسك ، يقال : أخذ فلان بِحُجْزَةِ فلان ، إذا اعتصم به ولبأ إليه .
 (٦٨٦) اكْتَسَبَ مَدَّخُورًا : كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويُعِدُّهُ لوقت حاجته
 (٦٨٧) كَابِرَ هَوَاهُ : غالبه . ويروى « كَاثِرَ » بالمثلثة أي : غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه .
 (٦٨٨) الْغُرَاءُ : النيرة الواضحة .
 (٨٦٩) الْمَحَجَّةُ : جادة الطريق ومُعْظَمُهُ

- (٦٩٠) **الْمَهْلَ هُنَا** : مدة الحياة مع العافية ، فإنه **أَمْهَلَ** فيها دون أن يؤخذ بالموت أو **تَحَلَّ** به **بِاثْقَةٍ** العذاب .
- (٦٩١) **هُوَ عَلَى الْقَلْبِ** ، المراد من هذه الرواية مقلوبها وعكسها .
- (٦٩٢) **الْخُزَّةُ** - بالضم - : القطعة ، وفسر صاحب القاموس « **الْوَدَمَةُ** » بجمعوع الملقى والكُرْش .
- (٦٩٣) **وَأَبْتُ** : وعدت . **وَأَى** - **كُوَعَى** - **وَعَدَ وَضَمِنَ** .
- (٦٩٤) **رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ** : الإشارة بها ، والألحاط جمع لحظ ، وهو باطن العين . أما اللحاظ - وهو مؤخر العين - فلا نعرف له جمعاً إلا « **لُحُظٌ** » - **بِضْمَتَيْنِ** .
- (٦٩٥) **سَقَطَاتِ الْأَلْفَافِ** : لغوها .
- (٦٩٦) **شَهَوَاتِ الْجَنَانِ** : القلب ، واللب . وشهواته : ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة .
- (٦٩٧) **هَقَوَاتِ اللِّسَانِ** : زَلَّاتِهِ .
- (٦٩٨) **حَاقَ بِهِ الضَّرَّ** : أحاط به .
- (٦٩٩) **الْكَاهِنُ** : من يدّعي كشف الغيب .
- (٧٠٠) **التَّوَرَّعُ** : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، يقال : ورع الرجل - من باب علم وقطع وكرم وحسب - **وَرَعًا** ، مثل **وَعَدَ** ، **وَوَرَعًا** - **بِفَتْحَتَيْنِ** ك**طَلَبَ** - **وَوَرُوْعًا** أي **جَانِبَ الْإِثْمِ** .
- (٧٠١) **عَزَبَ عَنْكُمْ** - من باب **ضَرَبَ** ودخل - **عَزُوبًا** - **بِضْمَتَيْنِ** ك**دَخُول** - أي : بعد عنكم .
- (٧٠٢) **أَعْذَرَ** : بمعنى أنصف ، وأصله مما همزته للسلب . فأعذرت فلاناً سلبت عنده أي : ما جعلت له عذراً بيديه لو خالف ما نصحته به .
- (٧٠٣) **مُسْفِرَةٌ** : كاشفة عن نتائجها الصحيحة .
- (٧٠٤) **بَارِزَةُ الْعُذْرِ** : ظاهرته .
- (٧٠٥) **الْعَنَاءُ** : التعب .
- (٧٠٦) **سَاعَاهَا** : جاراها سعيًا .
- (٧٠٧) **وَاتْتَهَ** : **طَاوَعَتَهُ** .
- (٧٠٨) **عَلَا بِحَوْلِهِ** : عزّ وارتفع عن جميع ما سواه ، لقوته المستعيلة بسلطة الإيجاد على كل قوة .
- (٧٠٩) **« دَنَا بِطَوْلِهِ »** أي : إنه مع علوه ، سبحانه وارتفاعه في عظمته دنا وقرب من خلقه بطوله أي : عطائه وإحسانه .
- (٧١٠) **الْأَزْلُ** - بالفتح - : الضيق والشدة .
- (٧١١) **سَوَابِغُ التَّعَمُّ** : كواملها - من **سَبَّغَ الظِّلَّ** : إذا عمّ وشمّل .
- (٧١٢) **أَوَّلًا** **بَادِيًا** : أي سابقاً كل شيء من الوجود ، ظاهراً بذاته **مُظْهِرًا** لغيره .
- (٧١٣) **لِنَهَاءِ عُذْرِهِ** : لإبلاغه ، والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي .

- (٧١٤) النَّذْرُ : جمع نذير : الأخبار الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال .
- (٧١٥) ضَرَبَ الْأَمْثَالَ : جاء بها في الكلام ؛ لإيضاح الحجج ، وتقريرها في الأذهان .
- (٧١٦) وَقَتَ الْأَجَالِ : جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر .
- (٧١٧) الرِّيشَ : ما ظهر من اللباس .
- (٧١٨) أَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، أَي : أَوْسَعَ ، يقال : رَفَعَ عَيْشُهُ - بالضم - رَفَاعَةً ، أَي : اتَّسَعَ .
- (٧١٩) أَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ : أي جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسُّور لا تنفذون منه ولا تتعدونه .
- (٧٢٠) أَرَصِدْ لَكُمْ الْجَزَاءَ : أعدّه لكم فلا يحصى عنه .
- (٧٢١) الرَّفْدُ : جمع رِفْدَةٍ - كَكَيْسَةٍ . وهي العطية .
- (٧٢٢) الرِّوَاغِ : الواسعة .
- (٧٢٣) الْحَجَجُ الْبَوَالِغِ : الظاهرة البينة .
- (٧٢٤) « وَظَفَ لَكُمْ مُدَدًا » : أي قَدَّرَ لكم ، والمدد جمع مدة ، أي : عين لكم أزماناً تَحْيَوْنَ فيها .
- (٧٢٥) « فِي قَرَارٍ خَيْرَةٍ » : أي : في دار ابتلاء واختبار ، وهي دار الدنيا .
- (٧٢٦) دَنِيقٌ - كَفَرِيحٍ - : كَدَرٌ .
- (٧٢٧) وَدَغٌ : كثير الطين والوحل .
- وَالْمَشْرَعُ : مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ لِلشَّرْبِ .
- (٧٢٨) يُونِيقٌ : يُعْجِبُ .
- (٧٢٩) يُوبِيقٌ : يُهْلِكُ .
- (٧٣٠) حَائِلٌ : اسم فاعل من « حال » إذا تحوّل وانتقل .
- (٧٣١) « وَضَوْءٌ أَفِيلٌ » : غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب .
- (٧٣٢) السَّنَادُ - بالكسر - ما يستند إليه ، أو دعامَةٌ يُسْنَدُ بها السقف .
- (٧٣٣) اطمأنّ ناكِرُها : ناكرها : اسم فاعل من « نَكَرَ الشَّيْءَ » من باب علم - أي : جَهِلَهُ فأنكره .
- (٧٣٤) قَمَصَ الْفَرَسَ وغيره يقمص - من بابي ضرب ونصر - قَمَصًا وقمصاً .
- أَي : استنّ - وهو أن يرفع يَدَيْهِ ويطحهما معاً .
- (٧٣٥) « قَنَصَتْ بِأَحْبَلِهَا » اصطادات بشباكها وحبالها .
- (٧٣٦) أَقْصَدَتْ : قَتَلَتْ مكانها من غير تأخير .
- (٧٣٧) أَعْلَقَتْ بِهِ : رَبَطَتْ بِعُنُقِهِ .
- (٧٣٨) أَوْهَاقُ الْمَنِيَةِ : جمع وَهَقٍ - بالنحرير - أو بفتح فسكون . كما يقال نهر ونهر ، أي حبال الموت .
- (٧٣٩) ضَنَكُ الْمَضْجَعِ : ضيق المرقّد ، والمراد القبر .
- (٧٤٠) مُعَايِنَةُ الْمَحَلِّ : مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم .
- (٧٤١) ثَوَابُ الْعَمَلِ : جزاؤه الأعمّ من شقاء وسعادة .
- (٧٤٢) الْخَلْفُ : المتأخرون - والسلف : المتقدمون . يعقب : يباء الحجر

- (٧٥٤) « يَنْقُذُهُمُ الْبَصَرُ » : يجاوزهم ،
 أي : يأتي عليهم ويحيط بهم ،
 والمراد : لا يَعْزُبُ واحد منهم
 عن بصر الله .
- (٧٥٥) لَبُوسُ الاسْتِكَانَةِ : اللبوس
 - بالفتح - : ما يلبس ، والاستكانة :
 الخضوع .
- (٧٥٦) ضَرَعَ - بالتحريك - : الوهن ،
 والضعف ، والخشوع .
- (٧٥٧) « هَوَتْ الْأَفْئِدَةُ » : خَلَّتْ من
 المسرة والأمل من النجاة .
- (٨٥٨) كَاظِمَةٌ : ساكنة - كاتمة لما يزعجها
 من الفزع .
- (٧٥٩) مُهَيِّنَةٌ : أي متخافية ، والمهيئمة
 الكلام الخفي .
- (٧٦٠) النِّجَمَ الْعَرَقُ : كثر حتى امتلأ
 به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق ،
 وكان كاللجام .
- (٧٦١) الشَّقَقُ - محركة - : الخوف .
- (٧٦٢) أَرَعَدَتْ : عَرَّتْهَا الرعدة .
- (٧٦٣) زَبْرَةٌ الدَّاعِي : صوته وصيحته ،
 ولا يقال « زبرة » إلا إذا كان فيها
 زَجَرٌ وانتهار ، فأنها واحدة الزبر
 أي الكلام الشديد .
- (٧٦٤) فَصْلُ الْحِطَابِ : بت الحكومة بين
 الله وبين عباده في الموقف .
- (٧٦٥) « مُقَابِضَةُ الْجَزَاءِ » المقايضة :
 المعاوضة ، أي : مبادلة الجزاء الخير
 بالخير ، والشر بالشر .

- وسكون القاف بمعنى بعد . وأصله
 جرى الفرس بعد جريه ، يقال :
 لهذا الفرس عقب حسن .
- (٧٤٣) « لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً » :
 أي لا تكفّ المنية عن اخترامها ،
 أي : استئصالها للأحياء .
- (٧٤٤) « لَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ » أي : لا
 يرجعون ولا يكفون .
- (٧٤٥) الاجْتِرَامُ : افتعال من الجرم ، أي
 اقتراف السيئات .
- (٧٤٦) « يَحْتَنِدُونَ مِثَالاً » أي : يشاكلون
 بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ،
 ويقتدون بهم .
- (٧٤٧) « يَمْنُضُونَ أَرْسَالاً » : جمع رَسَلٍ
 - بالتحريك - وهو القطيع من الإبل
 والغنم والخيول .
- (٧٤٨) صَيَّورُ الْأَمْرِ - كتنّور - مصيره
 وما يؤول إليه .
- (٧٤٩) « أَرْفَ النَّشُورُ » : قرب البعث .
- (٧٥٠) الضَّرَائِعُ : جمع ضريح ، وهو
 الشقّ وسط القبر .
- (٧٥١) الْأَوْجِرَةُ : جمع وِجَارٍ - ككتاب
 وسحاب - وهو الحجر .
- (٧٥٢) مُهْطِعِينَ : أي مسرعين إلى معاده ،
 سبحانه ، الذي وعد أن يعيدهم فيه .
- (٧٥٣) « رَعِيلاً صُمُوتاً » الرعيل : القطعة
 من الخيل ؛ شبههم في تلاحق بعضهم
 ببعض برعيل الخيل - أي : الحملة
 القليلة منها - لأن الإسراع لا يدع
 أحداً منهم ينفرد عن الآخر .

(٧٦٦) النكال : العذاب

(٧٦٧) « مريبون » : مملوكون ، والاقتسار
الغلبة والقهر .

(٧٦٨) أصل الاحتضار : حضور الملائكة
لقبض الروح .

(٧٦٩) الأحداث ، جمع جدّث - بفتحتن -
وهو القبر ، واجتدّث الرجلُ :
اتخذ جدّثاً ، ويقال : جدّف
بالفاء - و « مُضَمَّنُونَ الأحداث »
مجعلون في ضمّنها

(٧٧٠) الرقات : الحطام ، ويقال رَقَتَه
- كنصر وضرب - أي كسره ودقّه
أي : فته بيده كما يُفَتّ المدرّ
والعظمُ البالي

(٧٧١) متدينون أي : متجزّيون ،
والدين : الجزاء ، قال تعالى :
(مالك يوم الدين) .

(٧٧٢) مُمَبَّزُونَ حساباً : كلّ يحاسب على
عمله منفصلاً عن سواه : (ولا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

(٧٧٣) المنهج : الطريقة الواضحة التي دلت
عليها الشريعة المطهرة .

(٧٧٤) « وَعَمِّرُوا مَهَلَّ الْمُسْتَعْتَبِ »
- الْمُسْتَعْتَبِ : المسترضي - أي :
أوتوا من العمر مهلةً مَنْ ينالُ
الرضى لو أحسن العمل .

(٧٧٥) سُدْفَ الرّيب : السدّف : جمع
سدّفة بالفتح - وهي الظلمة ، والريب :
جمع ريبة . وهي الشبهة وإيهام الأمر .

(٧٧٦) « خَلُّوا المضمار الجياد » : خَلُّوا :
تَرَكَوا في مجال يتسابقون فيه إلى
الخيرات . والجياد من الخيل :
كرامها ، والمضمار : المكان الذي
تضمّر فيه الخيل ، والمدة التي
تضمّر فيها أيضاً .

(٧٧٧) روية الارتياذ : لإعمال الفكر في
الأمر ليأتي على أسلم وجوهه ،
والارتياذ هنا : طلب ما يراد .

(٧٧٨) وأناة المقتبِس المرتاد : الأناة :
الانتظار والتؤدة ، والمقتبس :
المرتاد ، أي : الذي أخذ بيده
مصباحاً ليرتاد في ضوئه شيئاً غاب
عنه .

(٧٧٩) المضطرب : مدة الاضطراب .
أي : الحركة في العمل .

(٧٨٠) صائبة : غير عادلة عن الصواب .

(٧٨١) اقترف : اكتسب ، ومثله « قرف
يقرف لعياله » أي : كسب يكسب
وفي التزويل : (وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُقْتَرِفُونَ) .

(٧٨٢) وَجِلَّ : خاف .

(٧٨٣) باذر : سارع .

(٧٨٤) « عَبَّرَ فَاغْتَبَّرَ » : عَبَّرَ - مبي
للمجهول مشدد الباء - أي عرضت
عليه العبرُ مراراً كثيرة ، فاعتبر ،
أي اتعظ .

(٧٨٥) ازدجر ، أي : امتنع عن الشيء
وانتهى .

- (٧٨٦) أَنَابَ إِلَى اللَّهِ : رَجَعَ إِلَيْهِ .
- (٧٨٧) احْتَذَى : شَاكَلَ بَيْنَ عَمَلِهِ وَعَمَلِ مُقْتَدَاهُ : أَيِ : أَحْسَنَ الْقُدْوَةِ .
- (٧٨٨) أَفَادَ الذَّخِيرَةَ : اسْتَفَادَهَا وَاقْتَنَاهَا ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ .
- (٧٨٩) اسْتَظْهَرَ زَادًا : حَمَلَ زَادًا حَمَلَهُ ظَهَرَ رَاحِلَتَهُ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَالْكَلَامِ تَمْثِيلٌ .
- (٧٩٠) وَجْهُ السَّبِيلِ : الْمَقْصِدُ الَّذِي يُرْكَبُ السَّبِيلُ لِأَجْلِهِ .
- (٤٩١) تَنَجَّزُ الْوَعْدِ : طَلَبَ وَفَائِهِ عَلَى عَجَلٍ .
- (٧٩٢) نَعِيَ مَا عَنَاهَا : تَحَفَّظَ مَا أَهْمَهَا .
- (٧٩٣) تَجَلَّوْا : تَكَشَّفَ .
- (٧٩٤) الْعَشَا : مَقْصُورٌ ، مُصَدَّرٌ مِنْ عَشِيٍّ فَهُوَ عَشٍ إِذَا أَبْصَرَ نَهَارًا وَلَمْ يَبْصُرْ لَيْلًا .
- (٧٩٥) الْأَشْلَاءُ : جَمْعُ شَيْلٍ وَهُوَ الْعَضْوُ .
- (٧٩٦) الْأَحْنَاءُ : جَمْعُ حِنٍ - بِالْكَسْرِ - وَهُوَ كُلُّ مَا اعْوَجَّ مِنَ الْبَدَنِ ، وَمُلَامَةُ الْأَعْضَاءِ لَهَا : تَنَاسَبَهَا مَعَهَا .
- (٧٩٧) الْأَرْفَاقُ جَمْعُ رِفْقٍ - بِالْكَسْرِ - الْمُنْفَعَةُ ، أَوْ مَا يَسْتَعَانُ بِهِ عَلَيْهَا .
- (٧٩٨) رَائِدَةٌ : طَالِبَةٌ .
- (٧٩٩) مُجَلَّلَاتٌ - عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ - مِنْ « جَلَّلَهُ » بِمَعْنَى غَطَّاهُ ، أَيِ : غَامِرَاتٍ نَعْمَةٍ . يَقُولُونَ : سَحَابٌ مُجَلَّلٌ ، أَيِ يَطْبِقُ الْأَرْضَ .
- (٨٠٠) حَوَاجِزُ : مَوَانِعُ .
- (٨٠١) الْخِلَاقُ : النَّصِيبُ الْوَاقِعُ مِنَ الْخَيْرِ .
- (٨٠٢) الْخِتَاقُ - بِالْفَتْحِ - حَبْلٌ يَخْتَقُ بِهِ .
- (٨٠٣) أَرْهَقْتَهُمْ : أَعَجَلْتَهُمْ .
- (٨٠٤) شَدَّ بِهِمْ عَنْهَا : قَطَعَهُمْ وَمَزَقَهُمْ مِنْ تَشْدِيدِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ تَقْشِيرُهَا .
- (٨٠٥) تَخَرَّمَ الْأَجَلَ : اسْتَحْصَاهُ وَاقْتِطَاعَهُ
- (٨٠٦) لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ : أَيِ لَمْ يَمْهَدُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِإِصْلَاحِهَا .
- (٨٠٧) أَنْفٌ - بَضْمَتَيْنِ - يَقَالُ : أَمْرٌ أَنْفٌ ، أَيِ مُسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدَرٌ .
- (٨٠٨) الْبَضَاضَةُ : رَخَصَ الْجِلْدَ وَرَقَّتْهُ وَامْتَلَأَتْهُ .
- (٨٠٩) الْغَضَارَةُ : النِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ وَالْحَصْبُ .
- (٨١٠) الزَّيَالُ : مُصَدَّرٌ زَايَلَةٌ مُزَايَلَةٌ وَزِيَالًا : أَيِ فَارَقَهُ .
- (٨١١) الْأَزُوفُ : الدُّنُوُّ وَالْقُرْبُ .
- (٨١٢) الْعَلَزُ : قَلَقٌ وَخَفَةٌ وَهَلَعٌ يَصِيبُ الْمَرِيضَ وَالْمُحْتَضِرَّ .
- (٨١٣) الْمَضْضُ : بُلُوغُ الْحَزَنِ مِنَ الْقَلْبِ .
- (٨١٤) الْجَرَحُضُ : الرِّيقُ .
- (٨١٥) النَّوَاحِبُ : جَمْعُ نَاحِبَةٍ وَهِيَ الرَّافِعَةُ صَوْنَهَا بِالْبِكَاءِ .
- (٨١٦) غَوْدِرَ : تَرِكَ وَبَقِيَ .
- (٦١٧) رَهِينًا : حَبِيسًا .
- (٨١٨) « هَتَكَتِ الْهَوَامُ جِلْدَتَهُ » : جَذَبَتْ جِلْدَتَهُ فَقَطَعَتْهَا ، وَالْهَوَامُ : الْحَيَّاتُ وَكُلُّ ذِي سَمٍ يَقْتُلُ .
- (٨١٩) التَّوَاهِكُ : جَمْعُ نَاهِكَةٍ وَهِيَ مَا يُنْهِكُ الْبَدَنَ : أَيِ يَبْلِيهِ .

(٨٢٠) عَفَّتْ : دَرَسَتْ

(٨٢١) الحَدَثَانُ : مصدر يدل على

الاضطراب بمعنى ما يحدث . وقد طبعت سهواً بجرّ النون ، فتصحح برفعها .

والمعالم جمع معلّم ، وهو ما يستدل به .

(٨٢٢) الشَّجَبَةُ - بفتح الشين - أي : الهالكة .

(٨٢٣) البَضَّةُ هنا الواحدة من البضّ ؛ وهو : مصدر بضّ الماء إذا ترشّح قليلاً قليلاً ، أي بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشّح منها .

(٨٢٤) فَخِرَةٌ : بالية .

(٨٢٥) الأَعْبَاءُ : الأثقال ، جمع عِبَاء ، أي : حمل .

(٨٢٦) وَلَا تُسْتَعْتَبُ : مبني للمفعول أي : لا يُطْلَبُ منها تقديم العُتْبَى ، أي : التوبة عن العمل القبيح ، أو مبني للفاعل ، أي : لا يمكنها أن تطلب الرضى والإقالة من خطئها السيئ .

(٨٢٧) زَلَلِهَا : خطئها وأصله انزلاق القدم .

(٨٢٨) القِدَّةُ - بكسر فتشديد - : الطريقة .

(٨٢٩) «تَطَّأُونِ جَادَتَهُمْ» : يسرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء .

(٨٣٠) «كَانَ الْمَعْنَى» أي : المقصود بالتكاليف الشرعية .

(٨٣١) مجاز كم : مصدر ميمي من جاز يجوز ، أي قطع المكان واجتازه .

(٨٣٢) مَزَالِقُ دَحْضِهِ : الدَحْضُ : هو

انقلاب الرجل بغتةً فيسقط المار ، والمزالق مواضع الزلل والانزلاق .

(٨٣٣) التارات : التوبُّ والدَفَعَاتُ .

(٨٣٤) أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ : أتعبه .

(٨٣٥) أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ الْغِرَار - بالكسر : القليل من النوم وغيره و «أسهره التهجد» أي : أزال قيام الليل نومهُ القليل ، فأذهب بالمرّة .

(٨٣٦) الْهَوَاجِرُ : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٨٣٧) ظَلَفَ الزَّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، أي : منعهما .

(٨٣٨) «أَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ» : أي أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان مُوجِفٌ به كما تُوجِفُ الناقةُ براكبها .

(٨٣٩) تَنَكَّبَ الشَّيْءَ : مال عنه .

(٨٤٠) الْمُخَالِجُ : الأمور المختلجة الجاذبة .

(٨٤١) الْوَضِيعُ - محرّكة - : الجاذة .

(٨٤٢) أَقْصَدَ الْمَسَالِكَ : أقصمها .

(٨٤٣) لَمْ تَقْتُلْهُ : لم ترده ولم تصرفه .

(٨٤٤) «لَمْ تَغْمَ عَلَيْهِ» من عمي يعمي أي : لم تخف عليه الأمور المشتبهة .

(٨٤٥) النَّعْمَى - بالضم - سعة العيش ونعيمه

(٨٤٦) الْعَاجِلَةُ : الدنيا ، وسميت مَعْبَرًا

لأنها طريق يُعْبَرُ منها إلى الآخرة ، وهي الآجلة .

- (٨٤٧) « بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ » : أي : سبق إلى خير الأعمال خوفاً من لقاء الأهل .
- (٨٤٨) « أَكْمَشَ : أَسْرَعَ ، ومثله انكمش ، وَكَمَشْتُهُ تَكْمِشاً : أَعَجَلْتُهُ ، والمراد جِدَّ السَّيْرِ فِي مُهْلَةِ الْحَيَاةِ .
- (٨٤٩) « الْقُدُمُ - بَضْمَتَيْنِ - الْمَضَى إِلَى أَمَامٍ ، أي مضى مقدماً .
- (٨٥٠) « حَجِيجاً وَخَصِيماً » : أي : مُقْنِعاً لِمَنْ خَالَفَهُ بِأَنَّهُ قَدْ جَلَبَ الْهَلَاكَ عَلَى نَفْسِهِ .
- (٨٥١) « النَّجِييَ » : مَنْ تَحَادَثَهُ سِرّاً .
- (٨٥٢) « وَعَدَ فَمَنَى » : أي : صَوَّرَ الْأَمَانِي كَذْباً .
- (٨٥٣) « اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ » : الْقَرِينَةُ : النَّفْسُ الَّتِي يَقَارِنُهَا الشَّيْطَانُ بِالْوَسْوَسَةِ . واستدرجها : أَنزَلَهَا مِنْ دَرَجَةِ الرَّشْدِ إِلَى دَرَجَتِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ .
- (٨٥٤) « اسْتَفْلَقَ رَهْبَتَهُ » : جَعَلَهُ بِحِثِّ لَا يُمْكِنُ تَخْلِيصُهُ .
- (٨٥٥) « أَنْكَرَ مَا زَيْنَ » : تَبَرَّأَ الشَّيْطَانِ مِنْ أَغْوَاهِ .
- (٨٥٦) « شَغُفَ الْأَسْتَبَارِ » : جَمَعَ شَغَافٍ - مِثْلَ سَحَابٍ وَسُحُبٍ - وَهُوَ فِي الْأَصْلِ غُلَافُ الْقَلْبِ ، اسْتِعَارَةً لِلْمَشِيمَةِ .
- (٨٥٧) « دَهَاقاً » : مُتَابِعاً ، « دَهَقَهَا » صَبَّهَا بِقُوَّةٍ . وَقَدْ تَفْسَرُ الدَّهَاقُ بِالْمَمْتَلَةِ ، أي : مَمْتَلَةٌ مِنْ جَرَائِمِ الْحَيَاةِ .
- (٨٥٨) « عَلَقَةً مُحَاقاً » : أي : خَفِيَ فِيهَا وَمُحِقٌ كُلَّ شَكْلِ وَصُورَةٍ .
- (٨٥٩) « الْحَتِينَ : الْوَلَدُ بَعْدَ تَصْوِيرِهِ مَا دَامَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .
- (٨٦٠) « الْيَافِعُ : الْغُلَامُ رَافِقَ الْعَشْرِينَ .
- (٨٦١) « اسْتَوَى مِثَالُهُ » : أي : بَلَغَتْ قَامَتُهُ حَدَّ مَا قُدِّرَ لَهَا مِنَ النَّمَاءِ .
- (٨٦٢) « خَبَطَ سَادِرَاً » : خَبَطَ الْبَعِيرُ : إِذَا ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ لَا يَتَوَقَّى شَيْئاً ، وَالسَادِرُ : الْمُتَحِيرُ وَالَّذِي لَا يَهْتَمُّ وَلَا يَبَالِي مَا صَنَعَ .
- (٨٦٣) « مَتَحَ الْمَاءَ » : نَزَعَهُ وَهُوَ فِي أَعْلَى الْبُئْرِ - وَالْمَاتِحُ : الَّذِي يَنْزِلُ الْبُئْرُ إِذَا قَلَّ مَآوُهَا فَيَمْلَأُ الدَّلْوَ - وَالْغَرْبُ : الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ .
- (٨٦٤) « الْكَدْحُ » : شِدَّةُ السَّعْيِ .
- (٨٦٥) « بَدَوَاتُ رَأْيِهِ » : جَمَعَ بَدْءَةً وَهِيَ مَا بَدَأَ مِنَ الرَّأْيِ ، أي ذَاهِباً فِيمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ رَغَائِبِهِ .
- (٨٦٦) « لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً » : أي : لَا يَظُنُّهَا ، وَلَا يَفْكَرُ فِي وَقُوعِهَا .
- (٨٦٧) « لَا يَخْشَعُ مِنَ التَّقْيِيسَةِ » : أي : الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .
- (٨٦٨) « غَرِيرَاً - بَرَأَتَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ - أي مَغْرُورَاً .
- (٨٦٩) « عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ ... الْخ » : عَاشَ فِي أَخْطَائِهِ وَخَطِيئَاتِهِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْخَطَا فِي تَقْدِيرِ الْعَوَاقِبِ .
- (٨٧٠) « لَمْ يُفِدْ » : أي : لَمْ يَسْتَفِدْ ثَوَاباً وَلَمْ يَكْتَسِبْ .

- (٨٧١) دَهَمَتِه : غَشِيَتْهُ .
 (٨٧٢) غُبَّرَ جِمَاحِه : بقايا تَعَنَّتِه على الحق .
 (٨٧٣) السَّن - بفتح السين - الطريقة .
 (٨٧٤) « ظَلَّ سَادراً » أي : حائراً .
 (٨٧٥) اللادمة : الضاربة .
 (٨٧٦) الغمرة : الشدة تحيط بالعقل والحواس ، والكارثة القاطعة للآمال .
 (٨٧٧) الأثة - بفتح فتشديد - الواحدة من الآن أي التوجع .
 (٨٧٨) « جَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ » أي : جذبات الأنفاس عند الاحتضار .
 (٨٧٩) السَّوْقَة من ساق المريض نفسه عند الموت سَوْقاً وسِيقاً ؛ وسِيقَ - على المجهول - أسرع في نزع الروح .
 (٨٨٠) أْبْلَسَ يُبْلِسُ ؛ يَش ، فهو مُبْلِس .
 (٨٨١) « سَلَساً » أي : سهلاً لعدم قدرته على الممانعة .
 (٨٨٢) الرَّجِيع من الدواب : ما رجع به من سفر إلى سفر فَكَلَّ ؛ وَالْوَصَب التعب .
 (٨٨٣) نِضُو - بكسر النون - : مهزول .
 (٨٨٤) الحَفْدَة هنا : الأعوان .
 (٨٨٥) الحَشْدَة : المسارعون في التعاون .
 (٨٨٦) مُنْقَطِع الزَّوْرَة : حيث لا يَزَارُ .
 (٨٨٧) بَهْتَةُ السَّوَال : حَيْرَتُهُ .
 (٨٨٨) العَفْرَة : السقطة .
 (٨٨٩) الحميم : في الأصل : الماء الحار .
 (٨٩٠) التصلية : الإحراق . والمراد هنا دخول جهنم .
 (٨٩١) السَّوْرَة : الشدة ؛ والزفير : صوت النار عند توقدها .
 (٨٩٢) الفَتْرَة : السكون ؛ أي لا يَفْتُرُ العذاب حتى يستريح المَعَذَّب من الألم .
 (٨٩٣) دَعَة - راحة - « مُزِيحَة » تريح ما أصابه من التعب .
 (٨٩٤) ناجزة : حاضرة .
 (٨٩٥) السَّنَة - بالكسر - والتخفيف - أوائل النوم .
 (٨٩٦) « أَطْوَارِ المَوَات » : كلَّ نَوْبَة من نَوْب العذاب ، كأنها موت لشدتها . وأطوار هذه الموات : ألوانها ، وأنواعها .
 (٨٩٧) « عَمَّرُوا فَتَنَعِمُوا » : عاشوا فتنعموا .
 (٨٩٨) المَوْرَطَة : المهلكة .
 (٨٩٩) مَنَاص : ملجأ ومفرّ .
 (٩٠٠) « مَحَار » أي : مرجع إلى الدنيا بعد فراقها .
 (٩٠١) تُوفِكُون : تُقَلِّبُون ، أي تقلّبون .
 (٩٠٢) القَيْد - بكسر القاف - المقدار ، والقيد - بكسر القاف وفتحها - القامة ، والمراد مضجعه من القبر لأنه بمقدار قامة الانسان .
 (٩٠٣) متغفراً : قد لازم العَفْر أي التراب .

- (٩٠٤) الحِنَاقُ : الجبل الذي يُخْنَقُ به ، وإهماله : عدم شدته على العنق مدى الحياة .
- (٩٠٥) الفَيْئَةُ - بالفتح - الحال والساعة والوقت .
- (٩٠٦) باحَةُ الدار : ساحتها .
- (٩٠٧) أَنْفٌ - بضمين - مستأنف . والمشيئة بتسهيل الهمزة وتشديد الياء ، أي المشيئة والارادة .
- (٩٠٨) الحَوْبَةُ : الحاجة والأرب ؛ وانفساحها : سعتها .
- (٩٠٩) الضَّنْكُ : الشدة .
- (٩١٠) الرُّوعُ : الخوف .
- (٩١١) الزَّهْوَوقُ : الاضمحلال .
- (٩١٢) الغائب المنتظر : الموت .
- (٩١٣) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء ، من « نبغ » إذا ظهر .
- (٩١٤) الدُّعَابَةُ - بالضم - المزاح واللعب .
- (٩١٥) تلعباة - بكسر التاء - : كثير اللعب .
- (٩١٦) أَعَافِسُ : أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً ، ويقال : المعافسة : معالجة النساء بالمغازلة والممارسة كألمعافسة .
- (٩١٧) يُلْحِفُ : أي يلح .
- (٩١٨) الإِلَّ - بالكسر - : القرابة ، والمراد من قطع الإلَّ أن يقطع الرحم .
- (٩١٩) السَّبَّةُ - بالضم - : الاست .
- (٩٢٠) الأَبِيَّةُ : العطية .
- (٩٢١) رَضِخَ لَهُ رَضِخَةً : أعطاه قليلاً .
- (٩٢٢) تَعَقَّدُ : مجاز عن استقرار حكمها ، أي ليست له كيفية فتحكم بها .
- (٩٢٣) الآي : جمع آية ، وهي الدليل . والسواطع : الظاهرة الدلالة .
- (٩٢٤) البوالغ : جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . والنذُر : جمع نذير . بمعنى الإنذار .
- (٩٢٥) الملقطات : من « أفلطع الأمر » إذا اشتد .
- (٩٢٦) الوِرْدُ - بالكسر - الأصل فيه الماء يُورَدُ للري ، والمراد به الموت أو المحشر .
- (٩٢٧) بَسَسَ - كسمع - اشتدت حاجته .
- (٩٢٨) « إِرْهَاقُ الْأَجَلِ » : أن يُعْجَلَ المَفَرِّطُ عن تَدَارُكِ ما فاته من العمل ، أي : يحول بينه وبينه .
- (٩٢٩) الكَظْمُ - بالتحريك - : الحلق ، أو مخرج النفس ، والأخذ بالكَظْمِ : كناية عن التضييق عند مداركة الأجل .
- (٩٣٠) سَمِّيَ آثاركم : بين لكم أعمالكم وحددوها .
- (٩٣١) عَمَّرَ نَبِيَّهَ : مدَّ في أجله .
- (٩٣٢) مَحَابَّهَ : مواضع حبه ، وهي الأعمال الصالحة .
- (٩٣٣) « اصبروا أنفسكم » : اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها
- (٩٣٤) الظَّلَمَةُ : جمع ظالم .
- (٩٣٥) المُلْدَاهِنَةُ : إظهار خلاف ما في الطَّوِيَّةِ ، والإدهان : مثله .
- (٩٣٦) المَغْبُونُ : المخدوع .
- (٩٣٧) المَغْبُوطُ : المستحق لتطلع النفوس إليه ، والرجبة في نيل مثل نعمته .

- (٩٣٨) الرياء : أن تعمل ليراك الناس ،
وقلبك غير راغب فيه .
- (٩٣٩) « منسأة للإيمان » : موضع
لنسيانه ، وداعية للذهول عنه .
- (٩٤٠) « محضرة للشيطان » مكان
لحضوره ، وداع له .
- (٩٤١) « فانها » أي : المباغضة « الحالقة »
أي الماحية لكل خير وبركة .
- (٩٤٢) استشعر : لبس الشعار ؛ وهو ما
يلي البدن من اللباس ، وتجلبب :
لبس الجلباب وهو ما يكون
فوق جميع الثياب ، وقد سبق تفسيرها .
- (٩٤٣) زهر مصباح الهدى : تلاًلاً وأضاء .
- (٩٤٤) القيرى - بالكسر - ما يهتياً للضيف ،
وهو هنا العمل الصالح يهتته للقاء
الموت وحلول الأجل .
- (٩٤٥) التهلل : أول الشرب ، والمراد :
أخذ حظاً لا يحتاج معه إلى العمل ،
وهو الشرب الثاني .
- (٩٤٦) الجدد - بالتحريك - : الأرض
الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ،
ومثلها يسهل السير فيه .
- (٩٤٧) الغمار : جمع غمر - بالفتح -
وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر
بحار المهالك إلى سواحل النجاة .
- (٩٤٨) عشوات : جمع عشوة - بالحركات
الثلاث - وهي الأمر المتبس .
- (٩٤٩) الفلوات : جمع فلاة ، وهي
الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات
العقول في الوصول إلى الحقائق .
- (٩٥٠) أمها : قصدها .
- (٩٥١) « مظنة » أي : موضع ظن لوجود الفائدة .
- (٩٥٢) « أمكنته من زمامه » : تمثيل
لانتقياده إلى أحكامه ، كأنه مطية ،
والكتاب يقوده إلى حيث شاء .
- (٩٥٣) ثقل المسافر - محركة - : متاعه
وحشمه ، وثقل الكتاب : ما
يحمل من أوامر ونواه .
- (٩٥٤) « عطف الحق » حمل الحق على
رغبته ، أي : لا يعرف حقاً إلا إياها .
- (٩٥٥) توفكون : تقبلون وتصرفون
- بالبناء للمجهول .
- (٩٥٦) الأعلام : الدلائل على الحق من
معجزات ونحوها .
- (٩٥٧) النار : جمع منارة .
- (٩٥٨) يتاه بكم : من التيه بمعنى الضلال
والخيرة .
- (٩٥٩) تعمهون : تتحiron .
- (٩٦٠) عترة الرجل : نسله ورهطه .
- (٩٦١) « ردوهم ورؤد الهيم العطاش » :
أي : هلموا إلى بحار علومهم
مسرعين كما تسرع الهيم - أي الإبل
العطشى - إلى الماء .
- (٩٦٢) الثقل هنا : بمعنى النفيس من كل
شيء ، وفي الحديث عن النبي (ص)
قال : « تركت فيكم الثقلين :
كتاب الله ، وعترتي » أي النفيسين .
- (٩٦٣) فرشتكم : بسطت لكم .
- (٩٦٤) مقصورة عليهم : مسخرة لهم ،
كأنهم شدوها بعقال كالناقة .
- (٩٦٥) « تمنحهم درها » : أي لبنها .

- (٩٦٦) مَجَّة - بفتح الميم - مصدر مرة من «مَجَّ الشراب من فيه» إذا رَمَى بِهِ .
- (٩٦٧) يَقْصِم : يُهْلِك ، وُحِدَ الْقَصْمُ الْكَسْر .
- (٩٦٨) جَبَرَّ الْعَظْمَ : طَيَّبَهُ بَعْدَ الْكَسْرِ حَتَّى يَعُودَ صَاحِبًا .
- (٩٦٩) الْأَزْل - بفتح الهمزة وسكون الزاي - الشدة .
- (٩٧٠) الْعَتَب - بسكون التاء - يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وَجَدَ عَلَيْهِ .
- (٩٧١) وَلَا يَعْفَوْنَ - بكسر العين وتشديد الفاء - من « عَفَفْتُ عَنْ الشَّيْءِ » إذا كَفَفْتُ عَنْهُ ، أي : يَسْتَحْسِنُونَ مَا بَدَأَ لَهُمْ اسْتِحْسَانَهُ ، وَيَسْتَقْبِحُونَ مَا خَطَرَ لَهُمْ قَبْحَهُ بِلَدُونِ رَجُوعِ إِلَى دَلِيلٍ يَبِينُ ، أَوْ شَرِيعَةٍ وَاضِحَةٍ ، يَثِقُ كُلُّ مِنْهُمْ بِخَوَاطِرِ نَفْسِهِ ، كَأَنَّهُ أَخَذَ مِنْهَا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى عَلَى مَا بَهَا مِنْ جَهْلٍ وَنَقْصٍ .
- (٩٧٢) الْفَتْرَةُ : مَا بَيْنَ زَمَانِي الرِّسَالَةِ .
- (٩٧٣) « اعْتَرَامٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ « اعْتَرَمَ الْفَرَسُ » إِذَا مَرَّ جَائِعًا .
- (٩٧٤) « تَلَقَّطَ » : أَي تَلَهَّبَ .
- (٩٧٥) اغْغَوْرَارُ الْمَاءِ : ذَهَابُهُ .
- (٩٧٦) « مُتَجَهِّمَةٌ » مِنْ « تَجَهَّمَهُ » أَي : اسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهِ كَرِيهِ .
- (٩٧٧) « لَقَمَرُهَا الْفِتْنَةُ » أَي : لَيْسَتْ لَهَا نَتِيجَةٌ سِوَى الْفِتَنِ .
- (٩٧٨) الْحَلِيفَةُ : إِشَارَةٌ إِلَى أَكْلِ الْعَرَبِ لِلْمَيْتَةِ مِنْ شِدَّةِ الْاضْطِرَارِ .
- (٩٧٩) الشَّعَارُ مِنَ الثِّيَابِ : مَا يَلْبِي الْبَدَنَ .
- (٩٨٠) الدَّلَّارُ : فَوْقَ الشَّعَارِ .
- (٩٨١) « مُرْتَهَنُونَ » أَي : مَحْبُوسُونَ عَلَى عَوَاقِبِهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الذِّلِّ وَالضَّعْفِ .
- (٩٨٢) الْأَحْقَابُ : جَمْعُ حُقْبٍ - بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ - قِيلَ : ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ أَكْثَرُ ، وَقِيلَ : هُوَ الدَّهْرُ .
- (٩٨٣) « أَصْفِيَمٌ » أَي : خُصَصْتُمْ ، مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ .
- (٩٨٤) الْخَطَامُ - كَكِتَابٍ - : مَا جُعِلَ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ لِيَنْقَادَ بِهِ ، وَجَوْلَانِ الْخَطَامِ : حَرَكَتُهُ وَعَدَمُ اسْتِقْرَارِهِ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُشْدُودٍ .
- (٩٨٥) بَطَانُ الْبَعِيرِ : حِزَامٌ يُجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِهِ ، وَمَتْنٌ اسْتَرْخِيَ كَانَ الرَّكَّابُ عَلَى خَطَرِ السَّقُوطِ .
- (٩٨٦) رَوِيَّةٌ : فِكْرٌ ، وَإِمَاعَانُ نَظَرٌ ، وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ ، لِقَوْلِكَ : رَأَوْتُ فِي الْأَمْرِ .
- (٩٨٧) الْإِرْتَاجُ : جَمْعُ رَتَجٍ - بِالتَّحْرِيكِ - وَهُوَ الْبَابُ الْعَظِيمُ .
- (٩٨٨) الدَّاجِي : الْمَظْلَمُ .
- (٩٨٩) السَّاجِي : السَّاكِنُ .
- (٩٩٠) الْفَجَاجُ : جَمْعُ فَجٍّ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .
- (٩٩١) الْمَهَادُ - بَزَنَةُ كِتَابٍ - : الْفَرَاشُ .
- (٩٩٢) الْخَلْقُ : بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ « ذُو اعْتِمَادٍ » أَي : بِطَشٌ وَتَصَرَّفٌ بِقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ .
- (٩٩٣) مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ : مَنْشِئُهُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُحْضِ .
- (٩٩٤) وَارِثُهُ : الْبَاقِي بَعْدَهُ .
- (٩٩٥) دَائِبَانُ : ثَنِيَّةٌ دَائِبٌ ، وَهُوَ الْمُجِدَّةُ الْمُجْتَهِدُ ، وَصَفَهُمَا بِذَلِكَ لِتَعَاقِبِهِمَا عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ لَا يَفْتَرَانِ وَلَا يَسْكُنَانِ .

- (١٠٠٧) **أناسي** : جمع إنسان ، وإنسان
البصر : هو ما يرى وسط الحدقة
ممتازاً عنها في لونها .
- (١٠٠٨) **تَنَفَّسَ المعادن** : كناية عن انغلاقها
عن الجواهر .
- (١٠٠٩) **ضحك الأصداف** : كناية عن
افتتاحها عن الدرّ وتشققها .
- (١٠١٠) **الفليز** - بكسر الفاء واللام - :
الجوهر النفيس ، واللّجّين :
الفضة الخالصة ، والعقيان : ذهب
ينمو في معدنه .
- (١٠١١) **نُشَّارة الدرّ** - بالضم - : مَنشُورُهُ .
- (١٠١٢) **حَصِيد المَرَّجَان** : محصوده ، يشير
إلى أن المرجان نبات .
- (١٠١٣) **أنفده** : بمعنى أفناه ، ونَقِدَ -
كفرح - أي فَنِيَّ .
- (١٠١٤) **يَغْفِيض** - بفتح حرف المضارعة -
من « غاض » المتعدي يقال : غاض : غاض
الماء لازماً ، وغاضه الله متعدياً .
ويقال : أغاضه أيضاً ، وكلاهما
بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده .
- (١٠١٥) **يُبْخِلُهُ** - بالتخفيف - من
« أبخلت فلاناً » وَجَدْتُهُ بَخِيلاً .
- (١٠١٦) « ائْتَمَ به » أي : اتبعه فصفه
كما وصفه اقتداء به .
- (١٠١٧) **كِل علمه** : قَوَّضَ علمه .
- (١٠١٨) **السَّدَد** : جمع سدة ، وهي الرتاج .
- (١٠١٩) **ارتَمَت الأوهام** : ذهبت أمام
الأفكار كالطليعة لها .
- (١٠٢٠) **مُنْقَطِع الشيء** : ما اليه ينتهي .
- (١٠٢١) **المبرأ** : المجرد .

- (٩٩٦) **خائنة الأعين** : ما يسارق من النظر
إلى ما لا يحل .
- (٩٩٧) **النقمة** : الغضب ، ويجوز نَقَمَةٌ
ونقمة على وزن كلمة وكلمة .
- (٩٩٨) **عَازَهُ** - بالتشديد - رَامَ مشاركته في
شيء من عزته ؛ غالبه .
- (٩٩٩) **شاقّة** : نازعته .
- (١٠٠٠) **نَاوَاهُ** : خالفه وهي مهموزة ، إلا
أنها سُهِّلَتْ لتساكل « عاداه » .
- (١٠٠١) « مَنَ أَقْرَضَهُ قِضَاهُ » : جعل
تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض ،
والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين
إظهاراً لتحقيق الجزاء على العمل ،
قال تعالى : « مَن ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه
له أضعافاً كثيرة » .
- (١٠٠٢) **العُنْف** - بضم فسكون - : ضد
الرفق ، ويقال : عَنَفَ عليه ،
وَعَنَفَ به - من باب كرم فيهما -
وأصل العنيف الذي لا رفق له
بركوب الخيل ، وجمعه عُنُف .
والسياق هنا مصدر ساق يسوق .
- (١٠٠٣) « مَن لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ » - مبني
للمجهول - أي : من لم يساعده الله
على نفسه حتى يكون لها من وجدانها
منه لم ينفعه تنبيه غيره .
- (١٠٠٤) **الأشباح** : الأشخاص ، والمراد بهم
ها هنا الملائكة .
- (١٠٠٥) **يَقْرِهُ المنعُ** : يزيد في ماله . وهو
من وَقَرَّ وَفُوراً .
- (١٠٠٦) **يُكْدِيهِ** : يُفْقِرُهُ وَيُنْفِدُ خَزَائِنَهُ .

- (١٠٢٢) تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ : اشتد عشقها حتى أصابها الولةُ - وهو الخيرة - وقوي ميلها لمعرفة كنهه .
- (١٠٢٣) غَمَضْتُ : خفيت طرق الفكر ودقت ، وبلغت في الخفاء والدقة حداً لا يبلغه الوصف .
- (١٠٢٤) رَدَّعَهَا : رَدَّهَا .
- (١٠٢٥) الْمَهَاوِي : الْمَهَالِك .
- (١٠٢٦) السَّدَف - بضم ففتح - جمع سدف ، وهي القطعة من الليل المظلم .
- (١٠٢٧) جُبِّهَتْ - بالبناء للمجهول - ضُرِبَتْ جُبِّهَتُهَا : والمراد عادت خائبة .
- (١٠٢٨) الْجَوْر : العدول عن الطريق ، والاعتساف : السلوك على غير جادة .
- (١٠٢٩) الرُّوِيَّات : جمع رَوِيَّة ، وهي الفكر .
- (١٠٣٠) ابْتَدَعَ الْخَلْقَ : أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق .
- (١٠٣١) امْتَثَلَهُ : حاذاه وحاكاه .
- (١٠٣٢) « لَا مَقْدَارَ سَابِقٍ احْتَدَى عَلَيْهِ » : قاس وطبق عليه .
- (١٠٣٣) الْمِسَاك - بكسر الميم - ما يمسك الشيء كالملك ما به يملك .
- (١٠٣٤) الْحِقَاق : جمع حُقَّة - بضم الحاء - وهو رأس العظم عند المفصل .
- (١٠٣٥) احْتِجَابِ الْمَفَاصِل : استتارها باللحم والجلد .
- (١٠٣٦) الْعَادِلُونَ بِكَ : الذين عدلوا بك غيرك ، أي سوَّوه بك وشبَّهوك به .
- (١٠٣٧) نَحَلُّوكَ : أعطوك ، وحلية المخلوقين : صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها .
- (١٠٣٨) قَدَّرُوكَ : قاسوك .
- (١٠٣٩) مُكَيَّفًا : ذا كيفية مخصوصة .
- (١٠٤٠) « مُصَرَّفًا » أي تُصَرَّفُكَ الْعُقُولُ : بأفهامها في حدودك .
- (١٠٤١) اسْتَصْعَبَ الرُّكُوبُ : لم يَنْقَدَ في السير لراكبه .
- (١٠٤٢) غَرِيزَةٌ : طبيعة ومزاج ، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل ، بل هو انفعال بما له بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .
- (١٠٤٣) أَفَادَهَا : استفادها .
- (١٠٤٤) الرِّيثُ : الثاقل عن الأمر .
- (١٠٤٥) الْأَنَاقَةُ : تَوَدَّةٌ يَمَازِجُهَا رَوِيَّةٌ فِي اخْتِيَارِ الْعَمَلِ وَتَرْكِهِ ، وَالتَّلَكِّيَّةُ : المتعلل .
- (١٠٤٦) أَوَدَّهَا : اعوجاجها .
- (١٠٤٧) نَهَجَ : عَيَّنَ وَرَسَمَ .
- (١٠٤٨) قُرَائِنُهَا : جمع قرينة ، وهي النفس أي وصل حبال النفوس - وهي من عالم النور - بالأبدان ، وهي من عالم الظلمة .
- (١٠٤٩) الْغَرَائِزُ : الطبائع .
- (١٠٥٠) بَدَائِيًا : جمع بَدِيء ، أي مصنوع .
- (١٠٥١) رَهَوَاتٌ : جمع رَهْوَةٌ ، أي المكان المرتفع . ويقال للمنخفض

- (١٠٦٠) النَّقَاب: جمع نقب، وهو الخرق.
 (١٠٦١) «تَمُور» تضطرب في الهواء .
 (١٠٦٢) «بأبْدَه» : بقوته .
 (١٠٦٣) «مُبْصِرَة» أي : جعل شمس هذه
 الأجرام السماوية مضيئةً يبصر
 بضوئها مدة النهار كله دائماً .
 (١٠٦٤) مَمْحُوءَة : يمحى ضوؤها في بعض
 أطراف الليل في أوقات من الشهر ،
 وفي جميع الليل أياماً منه .
 (١٠٦٥) مَنَاقِل مَجْرَاهَا : الأوضاع التي
 ينقلان فيها من مَدَارَيْهِمَا .
 (١٠٦٦) فَلَكْهَاتَا : هو الجسم الذي ارتكزت
 فيه ، وأحاط بها ، وفيه مَدَارُهَا .
 (١٠٦٧) « نَاطَ بِهَا » : علقَ بها وأحاطها .
 (١٠٦٨) دَرَارِيْهَا : كواكبها وأقمارها .
 (١٠٦٩) أَذْلال - على وزن أقفال - جمع
 ذل بالكسر، وهو حَجَّة الطريق .
 (١٠٧٠) الصَّفِيح : السماء .
 (١٠٧١) الأجواء : جمع جو .
 (١٠٧٢) الرُّجُل : رفع الصوت .
 (١٠٧٣) الحَطَاثِر: جمع حَظِيرَة ،
 وهي الموضع يحاط عليه لتأوي
 إليه الغنم والإبل توقياً من البرد
 والريح ، وهو مجازها هنا عن
 المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة .
 (١٠٧٤) القُدُس : بضمتين أو بضم
 فسكون : الطهر .
 (١٠٧٥) السُّتَرَات : جمع سُتْرَة ، وهي
 ما يُسْتَتَرُ به .

- أيضاً ، فهو من الأضداد . الفُرَج :
 جمع فُرْجَة - بضم فسكون - وهي
 المكان الخالي .
 (١٠٥٢) لَاحِمَ ، أي : ألصقَ ، والصدوع
 جمع صَدْع ، وهو الشق ، أي
 ما كان في الجرم الواحد منها من
 صَدْع لَحْمَة سبْحَانِه ، وأصلحه
 فسَوَاه .
 (١٠٥٣) « وَشَّج » - بالتضعيف - أي
 شَبَّكَ ، من « وَشَّجَ مَحْمِلُهُ »
 إذا شَبَّكَ بالأربطة حتى لا يسقط
 منه شيء . وأزواجها : أمثالها
 وقرائنهما من الأجرام الأخرى .
 (١٠٥٤) يريد بالهابطين والصاعدين الأرواح
 السَّقْلِيَّة والعُلُويَّة .
 (١٠٥٥) الحَزُونَة : الصَّعوبة .
 (١٠٥٦) الأَشْرَاج: جمع شَرَج - بالتحريك -
 وهي العُرْوَة ، وهي مقبض الكُوز
 والدلو وغيرهما ، وتسمى حَجَرَة
 السماء شَرَجاً ، تشبيهاً بشرَج
 العَيْبَة ، وأشار بإضافة العُرَى
 للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها
 عُرْوَة للآخر يجذب به إليه ليتماسك
 به ، فكلٌ ماسك وكلٌ ممسوك :
 فكلٌ عُرْوَة وله عُرْوَة .
 (١٠٥٧) صَوَامِتُ : أي لا فراغ فيها .
 (١٠٥٨) الرُّصْد : الحَرَس .
 (١٠٥٩) الشَّهْبُ الثَّوَاب: النجوم الشديدة
 الضياء .

- (١٠٧٦) السُّرَادِقَات : جمع سُرَادِق ، وهو ما يُمدَّد على صحن البيت فيغطيه .
- (١٠٧٧) الرَّجِيج : الزلزلة والاضطراب .
- (١٠٧٨) « تَسْتَكُّ مِنْهُ » : تصمّ منه الآذان لشدته .
- (١٠٧٩) « سُبُحات نور » : طبقات نور ، وأصل السُّبُحات الأنوار نفسها .
- (١٠٨٠) خَاسِئَة : مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها .
- (١٠٨١) الإِخْبَات : الخضوع ، والخشوع .
- (١٠٨٢) ذُلُّل : جمع ذُلُول : خلاف الصَّعْب .
- (١٠٨٣) مَنَاراً : جمع مَنَارَة .
- (١٠٨٤) الأَعْلَام : ما يقام للاهتمام به على أنفواه الطرق ومرتفعات الأرض والكلام تمثيل لما أثار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده .
- (١٠٨٥) مُوَصِّرَاتِ الآثَام : مُثْقَلَاتُهَا
- (١٠٨٦) اِرْتَحَلَهُ : وضع عليه الرَّحْلَ . ليركبه .
- (١٠٨٧) العُقْبَب : جمع عقبة وهي التَّوْبَة .
- (١٠٨٨) التَّوَاوِز : جمع نازعة وهي النجم .
- (١٠٨٩) مَعَاوِد : جمع مَعْقِد : مَحَلّ العَقْد ، بمعنى الاعتقاد .
- (١٠٩٠) الإِحْن : جمع إحنة ، وهي الحقد والضغينة .
- (١٠٩١) لَاقَ : لَصَقَ .
- (١٠٩٢) تَفْتَحِرُوع - بالقاف المثناة - من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة .
- (١٠٩٣) الرِّئِين - بفتح الراء - الدَّنَس ، وما يُطْبَعُ على القلب من حُجُب الجهالة .
- (١٠٩٤) الدَّلَّح : بضم الدال ، جمع دَالِح ، وهو : الثَّقِيل بالماء من السحاب .
- (١٠٩٥) القَتْرَة هنا : الخفاء والبطون ، ومنها قالوا : أخذه على قَتْرَة ، أي من حيث لا يدري .
- (١٠٩٦) الأَيْهَم - بالياء المثناة - الذي لا يهتدى فيه . ومنه « فلاة يَهْمَاء » .
- (١٠٩٧) مَخَارِق جمع مَخْرِق : أي موضع الخَرْق .
- (١٠٩٨) رِيح هَفَافَة : طيبة ساكنة .
- (١٠٩٩) اسْتَفْرَغْتَهُمْ : جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها .
- (١١٠٠) الوَلَه : شدة الشوق .
- (١١٠١) الرُّويَّة : التي تروي وتطفىء العطش .
- (١١٠٢) السَّوَيْدَاء : حبة القلب ومحلّ الروح الحيواني منه .
- (١١٠٣) الوَشِيحَة : أصلها عِرْقُ الشجرة أراد منها هاهنا بواعث الخوف من الله .
- (١١٠٤) لم يُنْفِذَ : لم يُغْنِ
- (١١٠٥) رَبَّقَ : جمع رِبْقَة - بالكسر ، والفتح - وهي : العُرْوَة من عُرَي الرِّبْق - بكسر الراء - : وهو حبل فيه عدة عُرَى تُرَبِّطُ فيه البُهْم .
- (١١٠٦) الاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .

- (١١٢٣) **الأخْبِيَّافُ** : جمع خَيْف - بالفتح - وهو في الأصل : ما انحدر عن سفح الجبل ، والمراد هنا سواقط الحمم .
- (١١٢٤) **الوَفَى** : مصدر وني - كتعب - أي : تأنى .
- (١١٢٥) **الإهاب** : جلد الحيوان .
- (١١٢٦) **حافد** : خفيف ، سريع .
- (١١٢٧) **كبس النهر والبئر** ، أي : طمهما بالتراب ، وعلى هذا كان حق التعبير « كبس بها مور أمواج » . لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل .
- (١١٢٨) **المور** : التحرك الشديد .
- (١١٢٩) **المستفحلة** : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .
- (١١٣٠) **زاخرة** : ممثلة .
- (١١٣١) **أواذي** : جمع آذي : وهو أعلى الموج .
- (١١٣٢) **اصطفقت الأشجار** : اهترت بالريح ، والأنباج : جمع ثبج - بالتحريك - وهو في الأصل ما بين الكاهل والظهر ، استعارة لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضاً .
- (١١٣٣) **الكَلْكَل** : في الأصل الصدر ، استعارة لما لاقى الماء من الأرض .
- (١١٣٤) **مستخذياً** : منكسراً ، مسترخياً .
- (١١٣٥) **من « تَمَعَكَت الدابة »** : تمرغت في التراب .
- (١١٣٦) **اصطخاب** : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

- (١١٠٧) **الدَّوُّوب** : من دَابَّ في العمل : بالغ في مداومته حتى أجهده .
- (١١٠٨) **لم تَغْضُ** : لم تنقص .
- (١١٠٩) **أَسَلَتَ اللسان** : طرفه .
- (١١١٠) **المهمس** : الخفي من الصوت ، والحوار : رفع الصوت بالتضرع .
- (١١١١) **المقاوم** : جمع مقام ، والمراد الصفوف .
- (١١١٢) **لا تَعْدُوْهُ** على عزيمة : لا تَسْطُوْهُ عليها .
- (١١١٣) **انْتَضَلَّتِ الإبل** : رمت بأيديها في السير مسرعة . وخدائع الشهوات للنفس ما تزيته لها ، أي : لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً في همهم .
- (١١١٤) **فاقتهم** : حاجتهم .
- (١١١٥) **يَمَمُّوْهُ** : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطع الخلق سواهم إلى المخلوقين .
- (١١١٦) **الاستهتار** : التولع .
- (١١١٧) **مواد** : جمع مادة ، أصلها من « مدّ البحر » إذا زاد . وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة .
- (١١١٨) **الشفقة هنا** : الخوف .
- (١١١٩) **يَنُؤُوا** : من وَنَى يَنْوِي إذا تأنى .
- (١١٢٠) **وشيك السعي** : مقاربه وهيته .
- (١١٢١) **الشفقات** : تارات الخوف وأطواره والوجل : الخوف أيضاً .
- (١١٢٢) **تشعبتهم** : فرقتهم صروف الريب : جمع ريبة . وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

- (١١٣٧) ساجياً : ساكناً .
- (١١٣٨) الحَكْمَة - محركة - ما أحاط بِحِكْمَتِي الفرس من لجامه ، وفيها العِذَارَان .
- (١١٣٩) مَدْحُوَّة : مبسوطة .
- (١١٤٠) البَأْو : الكبر ، والزهو .
- (١١٤١) الغُلُوَاء - بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد .
- (١١٤٢) كَعَمَ البعير - كنع - شدّ فاه لثلا بعض أو يأكل ، وما يشد به كِعَام - ككتاب .
- (١١٤٣) الكِظَّة - بالكسر - ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ، ويراد بها هنا ما يشاهد في جَرَي الماء من ثقل الاندفاع .
- (١١٤٤) التَرْقِ والتَرْقَان : الخفة والطيش . والترقات : الدفعات منه .
- (١١٤٥) لَبَدَ : قام ووثب .
- (١١٤٦) الزَيْفَان : التبخر في المشبة .
- (١١٤٧) أكنافها : نواحيها .
- (١١٤٨) البُلْدَخ : بمعنى الشَّمَخ ، جمع شامخ وباذخ ، أي : عال ورفيع .
- (١١٤٩) عَرَائِن : جمع عِرْنَيْن - بالكسر وهو ما صلب من عظم الأنف ، والمراد أعالي الجبال .
- (١١٥٠) السَّهَوْب : جمع سَهَب - بالفتح - أي : الفلاة .
- (١١٥١) البَيْد : جمع بَيْدَاء ، وهي الأرض الفلاة .
- (١١٥٢) الأخاديد : جمع أخدود ، وهي الحُفَر المستطيلة في الأرض ، والمراد منها مجاري الأنهار .
- (١١٥٣) الجَلَامِيد : جمع جَلُمُود ، وهو الحجر الصلّد .
- (١١٥٤) الشَّنَاخِب : جمع شُنْخُوب ، وهو رأس الجبل ، والشم : الرفيعة .
- (١١٥٥) صَيَاخِيدها : جمع صَيَخُود ، وهو الصخرة الشديدة .
- (١١٥٦) المَيْدَان - بالتحريك : الاضطراب .
- (١١٥٧) أدِيمها : سطحها .
- (١١٥٨) التغفل : المبالغة في الدخول .
- (١١٥٩) « مُتَسَرِّبَة » أي : داخلية .
- (١١٦٠) الجَوَابَات : جمع جَوْبَة ، بمعنى الحفرة ، والحياشيم : جمع خَيْشُوم ، وهو منفذ الأنف إلى الرأس .
- (١١٦١) ركوب الجبال أعناق السهول : استعلاؤها عليها ، وأعناقها : سطوحها .
- (١١٦٢) جوائيمها : المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية .
- (١١٦٣) مرافق البيت : ما يستعان به فيه ، وما يحتاج إليه في العيش .
- (١١٦٤) الأرض الجُرُز - بضمتي - التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .
- (١١٦٥) روايها : مرتفعاتها .
- (١١٦٦) ذريعة : وسيلة .
- (١١٦٧) المَوَات من الأرض : ما لا يزرع .

- (١١٦٨) لُمَعَ : جمع لُمْعَة - بضم اللام - وهي في الأصل القطعة من النبات مالت لليس ، استعارها لقطع السحاب للمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال ، لولا تأليف الله لها مع غيرها .
- (١١٦٩) الْقَنْزَع : جمع قَنْزَعَة - محركة - وهي : القطعة من الغيم .
- (١١٧٠) تَمَخَّضَتْ : تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في السقاء بالمخض .
- (١١٧١) جمع كُفَّة - بضم الكاف - : وهي الحاشية والطرف لكل شيء ، أي : جوانبه .
- (١١٧٢) نامت النار : هَمَدَتْ ، والوَمِيض اللمعان .
- (١١٧٣) الْكَنْهَوْر - كَسَفَرَجَل - : القطع العظيمة من السحاب ، أو التراكم منه . والرباب - كسحاب - الأبيض المتلاصق منه . أي : لم يهدم لمعان البرق في رُكام هذا الغمام .
- (١١٧٤) سَحَاً : متلاحقاً متواصلاً .
- (١١٧٥) أَسْفَ الطائر : دنا من الأرض ، والهَيْدَب - كجعفر - : السحاب المتدلي ، أو ذَيْلُهُ .
- (١١٧٦) « تَمْرِيه » من « مَرَى الناقة » أي : مسح على ضرعها ليحلب لبنها .
- (١١٧٧) الدَّرَر - كَعِلَل - جمع دِرَّة - بالكسر - وهي اللبن .
- (١١٧٨) الأهاضيب : جمع أهضاب ، وهو جمع هَضْبَة - كضربة - وهي : المطرة .
- (١١٧٩) شَائِب - جمع شُوبُوب : وهو ما ينزل من المطر بشدة ، وكأنها ينصب من جانب لا من أعلى .
- (١١٨٠) البرَك - بالفتح - في الأصل : ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة . ويوَأْنِيهَا : تشية يوآن - على وزن فعال بكسر الفاء : وهو عَمُود الخيمة ، والجمع بُون - بالضم .
- (١١٨١) « وَبَعَاع » عطف على « بَرَك » والبَعَاع - بالفتح - : ثقل السحاب من الماء ، وألثى السحابُ بَعَاعَهُ : أمطر كل ما فيه .
- (١١٨٢) الْعِبَاءُ : الحِمْل .
- (١١٨٣) الهوامد من الأرض : ما لم يكن بها نبات .
- (١١٨٤) زُعُر - بالضم - جمع أزعُر ، وهو الموضع القليل النبات . والأثنى زَعْرَاء .
- (١١٨٥) بَهَج - كنعج - : سَرَّ وأفرح .
- (١١٨٦) تَزَدَّهِيَ : تعجب .
- (١١٨٧) رَيْط : جمع رَيْطَة - بالفتح - وهي كل ثوب رقيق لين .
- (١١٨٨) أزاهير : جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات .
- (١١٨٩) « سَمِطَة » من « سَمَطَ الشيء » أي : علّق عليه السَّمُوط ، وهي الخيوط تنظم فيها القِلادة .

- (١١٩٠) الأنوار : جمع نَوْر - بفتح النون - وهو الزهر بالمعنى المعروف .
- (١١٩١) البلاغ : ما يُتَبَلَّغُ به من القُوت .
- (١١٩٢) جِبِلَّتَه : خِلْقَتَه .
- (١١٩٣) المقطع : النهاية التي ليس وراءها غاية .
- (١١٩٤) العقَّابِيل : الشدائد ، جمع عُقْبُولَة - بضم العين - وأصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار المرض ، والفاقة : الفقر .
- (١١٩٥) الفُرُج : جمع فُرْجَة ، وهي التَّقْصِي من الهم .
- (١١٩٦) أتراح : جمع تَرَح - بالتحريك - وهو : الغم والهلاك .
- (١١٩٧) أسبابها : حبالها .
- (١١٩٨) خالِجاً : جاذباً لأشطانها جمع شَطَنَ - كسَبَب - وهو : الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة .
- (١١٩٩) المرائر : جمع مَرِيرَة ، وهو الحبل يُفْتَلُ على أكثر من طاق ، أو الشديد القتْل ، والأقران : جمع قَرَن - بالتحريك - وهو الحبل يُجْمَعُ به بعيران .
- (١٢٠٠) التَّخَافَت : المكالمة السريّة .
- (١٢٠١) رَجَمَ الظنون : ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان .
- (١٢٠٢) العَقْد : جمع عَقْدَة ، وهو ما يرتبط القلب بتصديقه ، لا يصدق نقيضه ، ولا يتوهمه ، والعَزِيَمَات : جمع عَزِيْمَة ، وهو
- ما يوجب البرهان الشرعيّ أو العقليّ تصديقه والعمل به .
- (١٢٠٣) مَسَارِق : جمع مَسْرِق : مكان مُسَارَقَة النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق فلاناً النظر » أي : ينتظر منه غفلةً فينظر إليه ، والإيماض : اللمعان ، وهو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون .
- (١٢٠٤) ضَمِنَتْه : حَوَتْه ، والأكنان : جمع كِنَ - بالكسر - وهو كل ما يستتر فيه .
- (١٢٠٥) غِيَابَات الغُيُوب : أعماقها .
- (١٢٠٦) اسْتِرَاق الكلام : استماعه خُفِيّةً .
- (١٢٠٧) المَصَائِخ : جمع مَصَاخ ، وهو مكان الإصاخة ، وهو ثقبه الأذن .
- (١٢٠٨) الذَّرّ : صغار النمل ، ومصانفها : محل إقامتها في الصيف .
- (١٢٠٩) مَشَاتِيهَا : محل إقامتها في الشتاء .
- (١٢١٠) رَجَعُ الحنين : ترديده .
- (١٢١١) المُولَّهَات : الحزينات .
- (١٢١٢) الهمس : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .
- (١٢١٣) مُنْفَسِح الثمرة : مكان نمائها .
- (١٢١٤) اللَوَائِج : جمع وَلِيجَة ، بمعنى البطانة الداخلية .
- (١٢١٥) الغُلُف : جمع غِلَاف ، والأكام جمع كِمَ - بالكسر - وهو غطاء النّوار ووعاء الطلّع .

- (١٢١٦) مُنْقَمَعُ الوحوش : موضع انقماها - أي : اختفائها .
- (١٢١٧) الغيران : جمع غار .
- (١٢١٨) سَوَقٌ : جمع ساق ، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها .
- (١٢١٩) الأَلْحِيَّةُ : جمع لحاء ، وهو قشر الشجرة .
- (١٢٢٠) الأَفْنان : الفصون .
- (١٢٢١) الأَمْشَاج : التَطَف ، جمع مَشِيج - مثل يتيم وأيتام - وأصله مأخوذ من « مَشَجَ » إذا خلط ، لأنها مختلطة من جزائيم مختلفة ، كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن .
- (١٢٢٢) مَسَارِبُ الأصلاب : جمع مَسْرَب ، وهي : ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكوُّنه .
- (١٢٢٣) سَفَتَ الرِّيحُ الترابَ : ذَرَّتُهُ أو حملته .
- (١٢٢٤) الأعاصير : جمع إعصار ، وهي : ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود .
- (١٢٢٥) تَعْفُو : تمحو .
- (١٢٢٦) الكُثْبَان : جمع كَثِيب ، وهو التلّ .
- (١٢٢٧) الذَّرَا : جمع ذُرْوَةٌ ، وهي أعلى الشيء .
- (١٢٢٨) الشَّخَائِب : رؤوس الجبال ، واحدها شُنْخُوب أو شُنْخُوبَةٌ كعصفور وعصفورة .
- (١٢٢٩) الدِّيَاجِير : جمع دِيَجُور ، وهو الظلمة .
- (١٢٣٠) أَوْعَيْتُهُ : جمعته .
- (١٢٣١) حَضَنْتُ عليه : رَبَّتُهُ فتولد في حضنها ، كالغبر ونحوه .
- (١٢٣٢) سُدْفَةٌ : ظلمة .
- (١٢٣٣) ذَرَّ : طلع .
- (١٢٣٤) اعْتَقَبَتِ : تعاقبت وتوالى .
- (١٢٣٥) الأَطْبَاق : الأغطية ، والدِّيَاجِير : الظلمات .
- (١٢٣٦) سُبُحات النور : درجاته وأطواره .
- (١٢٣٧) هَمَاهِيم : هُمُوم ، مجاز من الهَمِّهِمَّة ، وهي : ترديد الصوت في الصدر من الهم .
- (١٢٣٨) قَرَّارَتُهَا : مقرّها .
- (١٢٣٩) نُقَاعَةُ الدَّم : ما ينقع منه في أجزاء البدن .
- (١٢٤٠) العارضة : هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .
- (١٢٤١) اعْتَوَرَتْهُ : تَدَاوَلَتْهُ وتناولته .
- (١٢٤٢) مَشُوبَةٌ : ثواب وجزاء .
- (١٢٤٣) الخَلَّة - بالفتح - : الفقر .
- (١٢٤٤) المنّ : الإحسان .
- (١٢٤٥) لا تثبت عليه العقول : لا تصبر له ولا تطبق احتماله .
- (١٢٤٦) أَغَامَتِ : غَطِيَتْ بالغيم .
- (١٢٤٧) المَحَجَّةُ : الطريق المستقيمة .
- (١٢٤٨) تَنَكَّرَتْ : تغيرت .
- (١٢٤٩) فَقَّأَتْهَا : قَلَعَتْهَا ، تمثيل لتغلبه عليها .

- (١٢٥٠) الغِيْثَب : الظلمة . وموجها : شمولها وامتدادها .
- (١٢٥١) الكَلَب - محرّكة - : داء معروف يضيّب الكلاب ، فكل من عضّته أُصيب به فَجُنّ ومات إن لم يُبادَر بالدواء .
- (١٢٥٢) ناعِقُها : الداعي إليها ، من نَعَقَ بغنمه صاح بها لتجتمع .
- (١٢٥٣) المُنَاخ - بضم الميم - محلّ البرُوك
- (١٢٥٤) الكَرَائِه : جمع كَرِيهية .
- (١٢٥٥) الحَوَازِب : جمع حَازِب ، وهو : الأمر الشديد ، حَزَبُهُ الأمرُ إذا أصابه واشتدّ عليه .
- (١٢٥٦) قَلَصَتْ - بتشديد اللام - تَمَدَّت واستمرت .
- (١٢٥٧) شَبَّهَتْ : اشبهه فيها الحقّ بالباطل .
- (١٢٥٨) الخُطَّة - بالضم - : الأمر « وعمّت خُطتها » : أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة .
- (١٢٥٩) النَّاب : الناقة المُسِنَّة . والضُرُوس السينة الخُلُق تعصّ حالبها .
- (١٢٦٠) تَعَدِمُ : من عَدَمَ الفرسُ : إذا أكل بجفاء أو عَصَّ .
- (١٢٦١) تَزَبِنُ : تضرب .
- (١٢٦٢) دَرَّها : لبنها ، والمراد خيرها .
- (١٢٦٣) شَوَّها : قبيحة المنظر .
- (١٢٦٤) مَخْشِيَّة : مَخُوفَة مرعبة .
- (١٢٦٥) عَلَم : دليل يهتدى به .
- (١٢٦٦) الأديم : الجلد ، وتفريجه : سلخه .
- (١٢٦٧) يَسُومُهُمْ خَسَفًا : يُؤْلِيهِمْ ذُلًا .
- (١٢٦٨) مُصْبَرَة : مملوءة إلى أصبارها
- جمع صبر - بالضم والكسر - بمعنى الحرف : أي إلى رأسها .
- (١٢٦٩) من أَحْلَس البعيرَ : إذا ألبسه الحُلُس - بكسر الحاء - وهو كساء يوضّع على ظهره تحت البردعة ، أي لا يكسوهم إلا خوفًا .
- (١٢٧٠) الحَزُور : الناقة المجزورة .
- (١٢٧١) تَنَاسَخَتْهُمْ : تَنَاقَلَتْهُمْ .
- (١٢٧٢) مَنَّبَت كجلس : موضع النبات ينبت فيه .
- (١٢٧٣) الأَرُومَات : جمع أَرُومَة : الأصل .
- (١٢٧٤) المَغْرَس : موضع الغَرْس .
- (١٢٧٥) صَدَعَ فلانًا : قصده لكرمه .
- (١٢٧٦) انتخب : اختار واصطفى .
- (١٢٧٧) عَتَرته : آل بيته ، وعرة الرجل : نسله ورَهْطُهُ الأَدْنَوْنَ .
- (١٢٧٨) بَسَقَتْ : ارتفعت .
- (١٢٧٩) القَصْد : الاستقامة .
- (١٢٨٠) الفِئْرَة : الزمان بين الرسولين .
- (١٢٨١) هَفُوءَة : زَلّة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين .
- (١٢٨٢) يريد بالأعلام البينة مَوَاضِح الطرق الميينة .
- (١٢٨٣) نَهَج : واضح ، قويم .
- (١٢٨٤) مُسْتَعْتَب - بفتح التائين - طلب العُتْبَى . أي : طلب الرضى من الله بالأعمال النافعة .

(١٢٩٩) أَغْضَلَّ : استعصى واستصعب.

(١٣٠٠) إِخَالَ : أظنّ .

(١٣٠١) حَمَسَ ، كَفَّرَحَ : اشتدّ

والوَعَى : الحرب .

(١٣٠٢) إِفْرَاجُ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا يَكُونُ

عند الولادة أو عندما يُشْرَعُ عَلَيْهَا

سلاح . وفيه كناية عن العَجْزِ

والدناءة في العمل .

(١٣٠٣) اللَّقْطُ : أخذ الشيء من الأرض .

(١٣٠٤) السَّمَتَ - بالفتح - : طريقهم أو

حالمهم أو قصدهم .

(١٣٠٥) لَبَدَ كَنْصَرُ : أقام ، أي : إن

أقاموا فأقيموا .

(١٣٠٦) شَعْنًا : جمع أشعث : وهو المغبر

الرأس . والغبر جمع أغبر ،

والمراد أنهم كانوا متقشفين .

(١٣٠٧) الْمُرَاوَحَةُ بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ : أن يعمل

هذا مرة ، وهذا مرة ، وبين

الرَّجُلَيْنِ : أن يقوم على كل

منهما مرة ، وبين جباههم وخلودهم

أن يضعوا الحدود مرة والجباه

أخرى على الأرض خضوعاً لله

وسجوداً .

(١٣٠٨) رُكَبَ - جمع رُكْبَةٍ - : مَوْصِلُ

السَّاقِ مِنَ الرَّجُلِ بِالْفَخْذِ . وإنما

خص رُكَبَ الْمُعَزَّى لِيُبَوِّسَهَا

واضطرابها من كثرة الحركة .

(١٣٠٩) مَادُوا : اضطربوا وارتعدوا .

(١٣١٠) اسْتَحْلَالُ الْمُحَرَّمِ : اسْتِبَاحَتُهُ .

(١٢٨٥) حَاطِبُونُ : جمع حَاطِبٍ ، وهو

الذي يجمع الحطب ، يقال لمن

يجمع الصواب والخطأ : حَاطِبٌ لَيْلٍ .

(١٢٨٦) اسْتَزَلَّتْهُمْ : أدت إلى الزلزل

والسقوط في المضارّ .

(١٢٨٧) اسْتَحَفَّتْهُمْ : طَيَّبَتْهُمْ .

(١٢٨٨) الْجَهْلَاءُ : وصف مبالغة للجهل .

(١٢٨٩) الْمَمَاهِدُ ، جمع مَمْدٍ كَمَقْدٍ :

ما يُحْنَدُ أَي يُبْسَطُ فِيهِ الْفَرَاشُ

ونحوه .

(١٢٩٠) الْأَزْمَةُ ، كَأْتَمَةٍ ، جمع زِمَامٍ .

وانشئاء الأزمة إليه كناية عن

تَحَوُّلِهَا نَحْوَهُ .

(١٢٩١) الضَّغَائِنُ : الأحقاد .

(١٢٩٢) جمع نائرة ، وهي : العداوة

الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره

إن لم يقتله .

(١٢٩٣) الْمِرْصَادُ : الطريق يُرْصَدُ بِهَا .

(١٢٩٤) الشَّجَا : ما يَعْتَرِضُ فِي الْحَلْقِ

من عظم وغيره .

(١٢٩٥) مَسَاغُ الرِّيقِ : ممره من الحلق .

(١٢٩٦) شُهُودٌ - جمع شاهد - بمعنى

الحاضر . وَغِيَابٌ : جمع غائب .

(١٢٩٧) قَالُوا : إن سبأ هو أبو عَرَبٍ

اليمن كان له عشرة أولاد ، جعل

منهم ستة يميناً له ، وأربعة شمالاً

تشبيهاً لهم باليدين ، ثم تفرق أولئك

الأولاد أشدّ التفرق .

(١٢٩٨) ظَهَرَ الْحَنِيَّةُ : الْقَوَسُ .

- (١٣١١) بيوت المدَر : المبنية من طُوب وحجر ونحوهما ، وبيوت الوَبَر : إلخيام .
- (١٣١٢) « نَبَاً به سوء رَعِيهِمْ » : أصله من نَبَاً به المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه .
- (١٣١٣) السَّقَر - بفتح فسكون - جماعة المسافرين .
- (١٣١٤) أَمُوا : قصدوا .
- (١٢١٥) المُجْرِي إلى الغاية : يريد الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجَرْي يلزمه حتى يصل إلى غايته .
- (١٣١٦) يَحْدُوهُ : يسوقه .
- (١٣١٧) نَفَاد : فناء .
- (١٣١٨) مُزْدَجَر : مصدر ميمي من اَزْدَجَرَ ، ومعناه الارتداد والانزجار .
- (١٣١٩) « بنفسه يَجُود » : من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضي نجه ، كأنه يسخو بها ويُسلمها إلى خالقها .
- (١٣٢٠) المُسَاوَرَة : المَوَاشِيَة . كأنه يرى العمل القبيح - لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية - ينفر من مُقْتَرِفِهِ كما ينفر الوحش ، فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه .
- (١٣٢١) صَادِعاً : فالقاً به جذران الباطل فهادِمهما .
- (١٣٢٢) مَرَقَ : خرج عن الدين .
- (١٣٢٣) زَهَقَ : اضمحلّ وهلك .
- (١٣٢٤) مَكِثَ : رَزِينَ في قوله ، لا يبادر به من غير روية .
- (١٣٢٥) بطيء القيام : لا ينبعث للعمل بالطيش ، وإنما يأخذ له عدة لإتمامه .
- (١٣٢٦) يَضُمّ نَشْرَكُمْ : يصل متفرقكم .
- (١٣٢٧) المُقْبِل : المتوجه إلى الأمر ، الطالب له ، الساعي إليه .
- (١٣٢٨) المُدِير : من أدبرت حاله ، واعترضته الخيبة في عمله وإن كان لم يَزَلْ طالباً له .
- (١٣٢٩) قَائِمَاتِهِ : رجلاه .
- (١٣٣٠) خَوَى نجم : غاب .
- (١٣٣١) لا يَجْرِمُكُمْ : لا يحملنكم .
- (١٣٣٢) شَقَاقِي : مخالفتي وعصيانِي .
- (١٣٣٣) لا يَسْتَهْوِينَكُمْ : لا يجعلنكم هائمين .
- (١٣٣٤) لا تَعْرَامُوا بِالْأَبْصَارِ : لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامراً .
- (١٣٣٥) فَلَاقَ الحَبَّةَ : شقّها .
- (١٣٣٦) بَرَأَ التَّسْمَةَ : خلقَ الروحَ .
- (١٣٣٧) ضَلِيل : كشرير ، شديد الضلال مبالغ في الإضلال .
- (١٣٣٨) النعيق : صوت الراعي بغنمه .
- (١٣٣٩) فَحَصَ بَرَآيَاتِهِ : من « فَحَصَ القَطَاَ الرَّابَ » إذا اتخذ فيه أَفْحُوصاً - بالضم - وهو مَجْتَمَعُهُ - أي المكان الذي يقيم فيه عندما

- (١٣٥١) يُحْصَدُ الْقَائِمُ : ما بقي من الصلاح قائماً يُحْصَدُ .
- (١٣٥٢) يُحْطَمُ الْمُحْصُودُ : ما كان قد حُصِدَ يحطم ويهشم .
- (١٣٥٣) نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .
- (١٣٥٤) أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ : سال منهم حتى بلغ إلى موضع اللجام من الدابة ، وهو الفم .
- (١٣٥٥) رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ : تحركت واضطربت .
- (١٣٥٦) قِطَعَ اللَّيْلُ : جمع قِطْع - بكسر القاف - وهو الظلمة .
- (١٣٥٧) مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ : تامة الأدوات كاملة الآلات ، كالناقة التي عليها زمامها ورحلها ، قد استعدت لأن تُرَكَّبَ .
- (١٣٥٨) يَحْفَرُهَا : يحثها .
- (١٣٥٩) يَجْهَدُهَا : يحمل عليها في السير فوق طاقتها .
- (١٣٦٠) الْكَلْبُ ، بفتح اللام ، الشر والأذى والشدّة في كل شيء .
- (١٣٦١) السَّلَبُ - محركة - ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب .
- (١٣٦٢) الرَّهَجُ : - بالتحريك ، وسكون الهاء - الغبار .
- (١٣٦٣) الْحَسَى : بفتح الحاء : الجلبة والأصوات المختلطة .
- (١٣٦٤) الْجَوْعُ الْأَغْبَرُ : كناية عن المحل والجذب .
- يكون على الأرض ، يريد أنه نَصَبَ له رَايَاتٍ بحث لها في الأرض مراكز .
- (١٣٤٠) كُوفَانٌ : هي الكوفة .
- (١٣٤١) فَغَرَ الْقَمُّ : كنع ، انفتح .
- وفتأغيرته : هي فمه .
- (١٣٤٢) الشَّكِيمَةُ : الحديدية المعترضة في اللجام في فم الدابة ، ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد .
- (١٣٤٣) كَلُوحُ الْأَيَّامِ : عبوسها .
- (١٣٤٤) كُدُوحُ اللَّيَالِي : الكدُوح جمع كَدَح - بالفتح - وهو الخلدش وأثر الجراحات .
- (١٣٤٥) يَنْعُهُ : بفتح الياء ، ويجوز ضمها : حال نُضْجِه .
- (١٣٤٦) الشَّقَاشِقُ : جمع شَقِشِقَةٍ ، وهي شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج ، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير .
- (١٣٤٧) بَوَارِقُهُ : سيوفه ورماحه .
- (١٣٤٨) الْقَاصِفُ : هو ما اشتدّ صوته من الرعد والريح وغيرهما .
- (١٣٤٩) الْعَاصِفُ : ما اشتدّ من الريح ، والمراد مزعجات الفتن .
- (١٣٥٠) « تَلَفَ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ » : كناية عن الاشتباك بين قواد الفتن وبين أهل الحق كما تشبك الكباش بقرونها عند التناطح .

- (١٣٦٥) الصادقين : المعْرِضِينَ .
- (١٣٦٦) الثاوي : المقيم .
- (١٣٦٧) الْمُتَرَفِّعُ - بفتح الراء - المتروك يصنع ما يشاء لا يُمنع .
- (١٣٦٨) مَشُوبٌ : مخلوط .
- (١٣٦٩) الجَلَدُ : الصلابة والقوة .
- (١٣٧٠) الوَهْنُ - بسكون الهاء وتحريكها - : الضعف .
- (١٣٧١) الحَرِثُ هنا كل ما يُصْنَعُ ليُثمِرَ فائدة .
- (١٣٧٢) وَتَى فِيهِ : تَرَخَى فِيهِ .
- (١٣٧٣) نَوْمَةٌ : - بضم ففتح - كثير النوم .
- (١٣٧٤) السَّرَى - كالمهدى - السير في الليل .
- (١٣٧٥) المَسَايِجُ : جمع مَسِيحٍ ، فَتَرَهُ الشريف الرضي بالذي يَسْبِغُ بين الناس بالفساد والنمام .
- (١٣٧٦) المَذَايِيعُ : جمع مِذْيَاعٍ ، فَتَرَهُ الشريف الرضي بالذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه عنها .
- (١٣٧٧) البَذُرُ : جمع بَذُورٍ ، فَتَرَهُ الشريف الرضي بالذي يكثر سَقْفُهُ وَيَلْغُو مَنَاطِقَهُ .
- (١٣٧٨) يَتَلِيكُمُ : يمتحنكم ، ليتبين الكاذب والمخلص من المريب ، فتكون لله الحجة على خلقه .
- (١٣٧٩) يَحْسِرُ الْحَسِيرُ : من « حَسَرَ البعير » - كَضَرَبَ - إذا أعيأ وكل .
- (١٣٨٠) الكَسِيرُ : المكسور ، وهو هنا الذي ضعف اعتقاده أو كلَّتْ عزيمته فترأخى في السير على سبيل المؤمنين .
- (١٣٨١) استدارت رَحَاهُمُ : كناية عن وفرة أرزاقهم ، فإن الرَحَى إنما تدور على ما تطحنه من الحب . والرَحَى : رحى الحرب يطحنون بها .
- (١٣٨٢) القَنَاةُ : الرمح . واستقامتها كناية عن صحة الأحوال وصلاحها .
- (١٣٨٣) « لِأَبْقَرُونَ الْبَاطِلَ » : من البَقَرِ - وهو الشق - والمراد : لأشَقْنَ جَوَافَ الباطل بقهر أهله ، فأنترع الحق من أيدي المبطلين .
- (١٣٨٤) الشَّيْمَةُ : الخَلْقُ .
- (١٣٨٥) الدَّيْمَةُ - بكسر الدال - المطر ، يدوم في سكون . والمُسْتَمَطَّرُ - بفتح الطاء - من يُطَلَّبُ منه المطر .
- (١٣٨٦) الْأَخْلَافُ : جمع خِلْفٍ - بكسر الخاء وسكون اللام - حكمة ضَرَعَ الناقة .
- (١٣٨٧) الْخِطَامُ : - ككتاب - ما يوضع في أنف البعير لِيُقَادَ به .
- (١٣٨٨) الْوَضِيحُ : بِيْطَانٌ عريض منسوج من سُيُورٍ أو شَعَرٍ يكون للرحل كالخِزَامِ للسرَج .
- (١٣٨٩) السَّيْدَرُ : بالكسر ، شجر النَّبَقِ وَالْمَخْضُودُ : المقطوع شَوْكُهُ .
- (١٣٩٠) شَاغِرَةٌ : خالية .
- (١٣٩١) امْتَا حُوا : اسْتَقُوا وانزعوا الماء لري عطشكم من عين صافية صَفَّتْ من الكَدَرِ .
- (١٣٩٢) رُوِّقَتْ : صُفِّيَتْ .

- (١٣٩٣) « شفا جُرُوفَ هَارٍ » : شفا الشيءَ حَرَفُهُ . والجُرُوفُ - بضمّتين - ما تجرّفه السيول . والهارى - كالهائر - المتهدم أو المُشْرِف على الانهدام .
(١٣٩٤) الرَّدَى : الهلاك .
(١٣٩٥) يُشْكِي : من أشكاه : إذا أزال شكواه .
(١٣٩٦) الشَّجُو : الحاجة .
(١٣٩٧) السُّهُمَانُ - بضم السين - جمع سهم : بمعنى الحظ والنصيب . وإصدار السُّهُمَانِ لإعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيء .
(١٣٩٨) التَّضْوِيع : التَّجْفِيف . وأصله : صَوَّحَ التَّبْتُ : إذا جَفَّ أعلاه .
(١٣٩٩) مُسْتَتَار : اسم مفعول بمعنى المصدر . والاستتارة طلب الثَّوَر وهو السَّطْوَع والظهور .
(١٤٠٠) عِلْقَهُ - كَعِلِمَهُ - تعلق به .
(١٤٠١) الْجُنْدُ بضم الجيم - الوقاية والصَّوْن .
(١٤٠٢) أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ : أشد الطرق وضوحاً وأنورَها .
(١٤٠٣) الوَلَافِج : جمع وَلِيجَة : وهي الدخيلة والمذهب .
(١٤٠٤) مُشْرِف : - بفتح الراء - من اشرف ، والمراد به هنا المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء . ومنار الدين : دلائله من العمل الصالح .
- (١٤٠٥) الجَوَادَّ : جمع جادَّة : وهي الطريق الواضح .
(١٤٠٦) كَرِيم المِضْمَار : أي إذا سُوِّقَ سَبَقَ .
(١٤٠٧) الحَلَبَّة : خيل تجمع من كل صَوْبٍ للنصرة ، والإسلام جامعها يأتي إليه الكرائم والعِتاق .
(١٤٠٨) السُّبْقَة - بالضم - جزاء السابقين .
(١٤٠٩) أَوْزَى : أَوْقَدَ .
(١٤١٠) القَبَس - بالتحريك - الشَّعْلَة من النار تُقْتَبَسُ من مُعْظَم النار . والقَابِسُ : أَخَذَ النار من النار .
(١٤١١) الحَابِس : من حَبَسَ نَاقَتَهُ وَعَقَلَهَا حَيْرَةً منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير .
وأنار له عِلْماً : أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حَيْرَتِهِ .
(١٤١٢) بَعِثْكَ : مبعوثك .
(١٤١٣) المَقْسَم - كمقعد ومِنْبَر - النصيب والحظ .
(١٤١٤) التَّرُّل - بضمّتين - ما هَبَّيْء للضيف ليتزل عليه .
(١٤١٥) السَّنَاء - كَسَحَاب - الرفعة .
(١٤١٦) خَزَايَا : جمع خَزَيَان ، من « خَزِي » إذا خجل من قبيح ارتكبه .
(١٤١٧) نَاكِيب : عادلين عن طريق الحق .
(١٤١٨) نَاكِيب : ناكضين للعهد .
(١٤١٩) الطَّغَام : كَجَرَاد - أوغاد الناس .

- (١٤٢٠) هَمِيمٌ : جمع هَمِيمٍ - بكسر اللام - وهو السابق الجَوَاد من الخيل والناس .
- (١٤٢١) اليَافِيعُ : جمع يَافُوعٍ : وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمته مع مؤخره .
- (١٤٢٢) الوَحَاوِحُ : جمع وَحَوْحَةٍ : صوت معه بُحَحٌ يصدر عن المتألم والمراد : حُرْقَةُ الغيظ .
- (١٤٢٣) الأَخْرَعَةُ : - بحركة - آخر الأمر .
- (١٤٢٤) الحَسَنُ : - بفتح الحاء - القتل .
- (١٤٢٥) الشَّجَرُ - كالضرب - الطعن .
- (١٤٢٦) الهِيم - بكسر الهاء - الإِبِل العطاش .
- (١٤٢٧) تُذَادُ : تُمْنَعُ .
- (١٤٢٨) المراد « بنوي الضمائر » ذوو القلوب والحواس البدائية .
- (١٤٢٩) السُّتَرَات : جمع سُتْرَةٍ ، ما يُسْتَرُّ به ، أياً كان .
- (١٤٣٠) المِشْكَاةُ : كل كُوءٍ غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح .
- (١٤٣١) الذَّوَابَةُ : الناصية ، أو مَنبِئُهَا من الرأس .
- (١٤٣٢) البَطْحَاءُ : ما بين أخَشَبَي مَكَّة ، كانت تسكنه قبائل من قريش ، ويقال لهم قريش البطاح .
- (١٤٣٣) مَوَاسِمُهُ : جمع مِيسَمٍ - بكسر الميم - وهو المِكْوَاة ، يجمع على مواسم ومَيَاسِم .
- (١٤٣٤) انجَابَتْ : من قولهم : انجابت الناقة ، إذا مدت عُنُقَهَا للحَبْ خابطها : السائر عليها .
- (١٤٣٥) خابطها : السائر عليها .
- (١٤٣٦) قامت على قُطْبِهَا : تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها .
- (١٤٣٧) شُعَبٌ : جمع شُعْبَةٍ : وهو الفرع .
- (١٤٣٨) تَكِيلُكُمْ : أي تأخذكم للهلاك جملةً كما يأخذ الكيَال ما يكيله من الحَبِّ .
- (١٤٣٩) تَخْبِطُكُمْ : من « خَبَطَ الشجرة » ضربها بالعصي ليتناثر ورقها ، أو من خبط البعير بيده الأرض أي ضربها . وعبرَ بالباع ليفيد استطالتها عليهم ، وتناولها لقربهم ويعيدهم .
- (١٤٤٠) الثُّفَالَةُ - بالضم - كالثفل والثافل : هو ما استقر تحت الشيء من كُدْرَةٍ . وثُّفَالَةُ القَدَرِ : ما يبقى في قَعْرِهِ من عُكَّارَةٍ والمراد الأرزال والسِّفْلَةُ .
- (١٤٤١) النَّفَاضَةُ : ما يسقط بالنفض . والعِكْمُ - بالكسر - العِدْلُ بالكسر أيضاً ، وَتَمَطَّ تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفرغه في خلال نسيجه فينفذ لينظف .
- (١٤٤٢) العَرَكُ : شديد الدِّلْك . وَعَرَكَهُ حَكَهُ حتى عفاه . والأديم : الجلد .
- (١٤٤٣) الحَصِيدُ : المحصود .
- (١٤٤٤) البَطِينَةُ : السَّمِينَةُ .

(١٤٤٥) الرِّبَافِي :- بتشديد الباء - المتأله
 العارف بالله عز وجل .
 (١٤٤٦) هتف بكم : صاح بكم .
 (١٤٤٧) الرائد : من يتقدم القوم ليكشف
 لهم مواضع الكلا ، ويتعرف
 سهولة الوصول إليها من صعوبته .
 (١٤٤٨) قوف الصمغة : قشرها . وخص
 هذا بالذكر لأن الصمغة إذا
 قُشِرَتْ لا يبقى لها أثر .
 (١٤٤٩) الفتيق : الفحل من الإبل .
 (١٤٥٠) كُطُوم : إمساك وسكون .
 (١٤٥١) كان الولد غيظاً : يغيط والده
 لشؤبه على العقوق .
 (١٤٥٢) القَيْظ : شدة الحر : والمراد
 بكون المطر قَيْظاً عدم فائدته .
 (١٤٥٣) تغيض : من « غاض الماء » إذا
 غار في الأرض وجفت ينابيعه .
 (١٤٥٤) لا يُفْلِتُكَ : لا يَنْفَلِتُ مِنْكَ
 المهيين : الحقير ، يريد النطفة .
 (١٤٥٦) المتنون : الدهر . والريب : صرفه .
 أي لم تفرقهم صروف الزمان .
 (١٤٥٧) زَرَى عليه - كرمي - عابه .
 (١٤٥٨) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة ،
 ويتعين الأول بإضافة الحسن إليه . أي
 ما عبدوك إلا شكراً لنعمتك عليهم .
 (١٤٥٩) المتأدبة : بضم الدال وفتحها : ما
 يصنع من الطعام للمدعوين في
 عرس ونحوه ، والمراد منها هنا
 نعيم الجنة .

(١٤٦٠) أعشاه : أعماه .
 (١٤٦١) على الغرة : بكسر الغين - بفتة
 وعلى غفلة .
 (١٤٦٢) ولُوجاً : دُخُولاً .
 (١٤٦٣) أغمض : لم يفرق بين حلال
 وحرام ، كأنه أغمض عينيه فلا يميز .
 (١٤٦٤) تبعاتها - بفتح فكسر - ما يطالبه
 به الناس من حقوقهم فيها ، وما
 يحاسبه به الله من منع حقه منها
 وتخطي حدود شرعه في جمعها .
 (١٤٦٥) المهنتا : ما أتاك من خير بلا مشقة
 العيب : الحمل والثقل .
 (١٤٦٧) غلقت رهونه : استحققتها
 مرتبتها ، وأعوزته القدرة على
 تخليصها ، كناية عن تعذر الخلاص .
 (١٤٦٨) أصحَرَ له : من « أصحَرَ » إذا
 برز في الصحراء ، أي على ما ظهر
 له وانكشف من أمره .
 (١٤٦٩) « خالط لسانه سمعه » :
 شارك السمع اللسان في العجز عن
 أداء وظيفته .
 (١٤٧٠) التياطاً : اتصافاً به .
 (١٤٧١) زورته : زيارته .
 (١٤٧٢) أمادها : حركها على غير انتظام .
 (١٤٧٣) فطرها : صدعها .
 (١٤٧٤) إخالهم : من قولهم : « ثوب
 خلقت ، وثياب أخلاق » ، والمراد
 أن البلى يشملهم كما يشمل الثياب
 البالية .

- (١٤٧٥) لَا تَنْوِبُهُمُ الْاَفْزَاعُ : جمع فَرْع ،
بمعنى الخوف . تنوِبهُم : تنتابهم .
- (١٤٧٦) اَشْخَصَهُ : أزعجه .
- (١٤٧٧) السَّرْبَالُ : القميص . والقَطْرِانُ
معروف .
- (١٤٧٨) الْمُقْطَعَاتُ : كل ثوب يُقْطَعُ
كالقميص والجبّة ونحوها ، بخلاف
ما لَا يُقْطَعُ كالإزار والرداء .
- (١٤٧٩) عَبَّرَ « بِالْكَلْبِ » - محرّكاً - عَنْ
هَيَجَانِهَا .
- (١٤٨٠) اللَّجَبُ : الصوت المرتفع .
- (١٤٨١) الْقَصِيفُ : أشدّ الصوت .
- (١٤٨٢) كَبُولُ : جمع كَبَلٍ - بفتح
فسكون - : القيد . وتُفْصَمُ : تنقطع .
- (١٣٨٣) زَوَاهَا : قَبَضَهَا .
- (١٤٨٤) الرَّيَاشُ : اللباس الفاخر .
- (١٤٨٥) مُعْذِرًا : مِينًا لله حجةً تقوم
مقام المذر في عقابهم إن خالفوا أمره .
- (١٤٨٦) مُخْتَلَفَ الْمَالِكَةِ - بفتح اللام - :
محل اختلافهم أي ورود واحد
منهم بعد الآخر ، فيكون الثاني
كأنه خَلَفَ للأول ، وهكذا .
- (١٤٨٧) رَحَضَهُ - كَنَعَهُ - غَسَلَهُ .
- (١٤٨٨) مَنَسَاةٌ : مَطَالٌ فيه ومَزِيد .
- (١٤٨٩) أَلْوَمُ : أشد لوماً لنفسه ، لأنه
لَا يجد عذراً يقبل أو يرد .
- (١٤٩٠) الْحَبْرَةُ - بالفتح - : السرور والنعمة .
- (١٤٩١) حَائِلَةٌ : متغيرة .
- (١٤٩٢) نَافِلَةٌ : فانية .
- (١٤٩٣) بَالِدَةٌ : هالكة .
- (١٤٩٤) غَوَالَةٌ : مُهْلِكَةٌ .
- (١٤٩٥) الْهَشِيمُ : النبت اليابس المكسّر .
- (١٤٩٦) الْعَبْرَةُ - بالفتح - : الدمعة قبل
أن تفيض .
- (١٤٩٧) كَنَى « بِالْبَطْنِ » عن الإقبال .
- (١٤٩٨) كَنَى « بِالظَّهْرِ » عن الإدبار .
- (١٤٩٩) الطَّلُ : المطر الخفيف . وطلّتهُ
السماء : أمطرته مطراً قليلاً .
- (١٥٠٠) الدَّيْمَةُ : مطر يدوم في سكون ،
لأرعد ولا برق معه .
- (١٥٠١) الرِّخَاءُ : السَّعة .
- (١٥٠٢) هَتَنْتِ الْمُزْنَ : انصبّت .
- (١٥٠٣) أَوْبَى : صار كثير الوباء ، والوباء
هو المعروف بالريح الأصفر .
- (١٥٠٤) الْغَضَارَةُ : النعمة والسَّعة .
- (١٥٠٥) الرَّغَبُ - بالتحريك - : الرغبة
والمرغوب .
- (١٥٠٦) أَرْهَقْتَهُ التَّعَبَ : ألحقتهُ به .
- (١٥٠٧) الْقَوَادِمُ : جمع قادمة ، الواحدة
من أربع أو عشر ريشات في مقدّم
جناح الطائر ، وهي القوادم ،
والعشائر التي تحتها هي الخَوَافِي .
- (١٥٠٨) يُوبِقُهُ : يُهْلِكُهُ .
- (١٥٠٩) أَبْهَتَهُ - بضم فتشديد - عَظَمَتَهُ .
- (١٥١٠) النَّخْوَةُ - بفتح النون - : الافتخار .
- (١٥١١) دَوَّلَ - بضم الدال وفتح الواو
المشددة - المتحوّل .
- (١٥١٢) رَنَقَ - بفتح فكسر - كَدَرَ .

- (١٥١٣) أجاج : شديد الملوحة .
 (١٥١٤) الصَّبِر - كَتَف - عَصَاة شجر مَرَّ .
 (١٥١٥) سِمَام : جمع سم ، مثلث السين وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .
 (١٥١٦) رِمَام : جمع رَمَّة بالضم : وهي القطعة البالية من الحبل .
 (١٥١٧) مَوْفُورُهَا : ما كثر منها . مصاب بالنكبة ، وهي المصيبة : أي في معرض لذلك .
 (١٥١٨) مَخْرُوب : من « حَرَبَهُ حَرْبًا » - بالتحريك - إذا سلب ماله .
 (١٥١٩) ظَهَرَ قَاطِع : راحلة تُرَكَّبُ لقطع الطريق .
 (١٥٢٠) الهُدْيَةُ : الفداء .
 (١٥٢١) أَوْهَقْتَهُمْ : غَشِيَتْهُمْ ، القوادح : جمع قادح ، وهو أكال - كركام - يقع في الشجر والأسنان .
 (١٥٢٢) أَوْهَقْتَهُمْ : جعلتهم في الوَهَق - بفتح الهاء - وهو حبل كالطويل . والقوارع : المحسن والدواهي .
 (١٥٢٣) هَضَعْتَهُمْ : ذَلَلْتَهُمْ .
 (١٥٢٤) عَفَّرْتَهُمْ : كَبَتْتَهُمْ عَلَى مَنَاحِيرِهِمْ في العَفَر ، وهو التراب .
 (١٥٢٥) المَنَاسِم : جمع مَنْسَم ، وهو مقدَّم خَلْفَ البعير ، أو الخَفَّ نفسه .
 (١٥٢٦) دَانَهَا : خضع .
 (١٥٢٧) أَعْلَلَهَا : ركن إليها .
 (١٥٢٨) السَّغَب - بالتحريك - الجوع .
 (١٩٢٩) الضَّنْكَ : الضيق .
 (١٥٣٠) لَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا : لا يقال لهم رُكْبَان : جمع راكب ، لأن الراكب من يكون مختاراً ، وله التصرف في مركوبه .
 (١٥٣١) الأَجْدَاث : القبور .
 (١٥٣٢) الصَّفِيح : وَجْهُ كُل شَيْء عريض ، والمراد وجه الأرض .
 (١٥٣٣) الأَجْنَان جمع جَنَن - بالتحريك - وهو القبر .
 (١٥٣٤) الرُّفَات : العظام المندقة المحطومة .
 (١٥٣٥) جِيدُوا - بالبناء للمجهول - مُطِرُوا .
 (١٩٣٦) « لَا يُخْشَى فِجْعُهُمْ » : لَا تَخَافُ مِنْهُمْ أَنْ يَفْجَعُوكَ بضرر .
 (١٥٣٧) يَلْجُ : يدخل .
 (١٥٣٨) القُلْعَةُ - بضم القاف وسكون اللام - : ليست بِمُسْتَوَظَةٍ .
 (١٥٣٩) النُّجْعَةُ : - بضم النون - طلب الكَلَأ في موضعه ، أي ليست محطَّ الرحال ولا مبلغ الآمال .
 (١٥٤٠) عَتِيد : حاضر .
 (١٥٤١) اغْتَبِطُوا : بالبناء للمجهول ، غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق .
 (١٥٤٢) زُوِّيَ : من « زَوَاه » : إذا نَحَاه .
 (١٥٤٣) عَبَّرَ « بِاللَّعْقَةِ » عَنْ الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته .
 (١٥٤٤) البِطَاء - بكسر الباء - جمع بطيئة .
 (١٥٤٥) السَّرَاع : جمع سريعة .

- (١٥١٣) أجاج : شديد الملوحة .
 (١٥١٤) الصَّبِر - كَتَف - عَصَاة شجر مَرَّ .
 (١٥١٥) سِمَام : جمع سم ، مثلث السين وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .
 (١٥١٦) رِمَام : جمع رَمَّة بالضم : وهي القطعة البالية من الحبل .
 (١٥١٧) مَوْفُورُهَا : ما كثر منها . مصاب بالنكبة ، وهي المصيبة : أي في معرض لذلك .
 (١٥١٨) مَخْرُوب : من « حَرَبَهُ حَرْبًا » - بالتحريك - إذا سلب ماله .
 (١٥١٩) ظَهَرَ قَاطِع : راحلة تُرَكَّبُ لقطع الطريق .
 (١٥٢٠) الهُدْيَةُ : الفداء .
 (١٥٢١) أَوْهَقْتَهُمْ : غَشِيَتْهُمْ ، القوادح : جمع قادح ، وهو أكال - كركام - يقع في الشجر والأسنان .
 (١٥٢٢) أَوْهَقْتَهُمْ : جعلتهم في الوَهَق - بفتح الهاء - وهو حبل كالطويل . والقوارع : المحسن والدواهي .
 (١٥٢٣) هَضَعْتَهُمْ : ذَلَلْتَهُمْ .
 (١٥٢٤) عَفَّرْتَهُمْ : كَبَتْتَهُمْ عَلَى مَنَاحِيرِهِمْ في العَفَر ، وهو التراب .
 (١٥٢٥) المَنَاسِم : جمع مَنْسَم ، وهو مقدَّم خَلْفَ البعير ، أو الخَفَّ نفسه .
 (١٥٢٦) دَانَهَا : خضع .
 (١٥٢٧) أَعْلَلَهَا : ركن إليها .

- (١٥٤٦) غير مُقَادِرٍ : غير تارك شيئاً إلا أحاط به .
- (١٥٤٧) وَعَاَهَا : حَفِظَهَا وفهمها .
- (١٥٤٨) حَمَى الشَّيْءَ : منعه ، أي منعهم ارتكاب محرّماته .
- (١٥٤٩) الهَوَاجِرُ : جمع هاجرة ، شدة حرّ النهار ، وقد أَظْمِئَتْ هذه الهواجرُ بالصيام .
- (١٥٥٠) النَّصَبُ : التعب .
- (١٥٥١) « الدَّهْرُ مُؤْتِرٌ قَوْسَهُ » : شَبَّهَ بمن أوترَ قوسه ليرمي بها أبناءه .
- (١٥٥٢) تَوَمَّي : تداوي ، من « أَسَوْتُ الجراح » . داويته .
- (١٥٥٣) لَا يَنْقَعُ : لَا يَشْتَفِي مَنْ العطش بالشرب .
- (١٥٥٤) غَيَّرُهَا - بكسر الغين وفتح الراء - ثَقَلَبَتَهَا .
- (١٥٥٥) « لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَكًى » : من « زَكَ فلان زكياً وزكولاً » إذا مرَّ سريعاً . والمراد : انتقل .
- (١٥٥٦) أَضْحَى : برز للشمس ، والقيء : الظلّ بعد الزوال ، أو مطلقاً .
- (١٥٥٧) « لَا جَاءَ يَرْدٌ » : الجائي يريد به الموت .
- (١٥٥٨) دَخَلَ : - كفتح - خالطه فسادُ الأوهام .
- (١٥٥٩) انصاحَتْ : جَعَتْ أعالي بَقُولِهَا وَيَبَسَتْ من الجَدْبِ . وهذا أنسبُ من تفسير الرضَى في الدَّعَاءِ .
- (١٥٦٠) هَامَتْ : نَدَّتْ وَذَهَبَتْ عَلَى وجوهها من شدة المَحَلِّ . وهذا أنسب من تفسير الهيام بالعطش كما يقول الرضي في آخر الدعاء .
- (١٥٦١) مَرَابِضُ : جمع مَرَبِضٍ ، بكسر الباء ، وهو مَبْرَكُ الغنم .
- (١٥٦٢) عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالِي : صاحت بأعلى صوتها .
- (١٥٦٣) الْآثَةُ : الشاة .
- (١٥٦٤) الْحَانَةُ : الناقة .
- (١٥٦٥) مَوَاجِلُهَا : مداخلها في المرائب .
- (١٥٦٦) مَخَايِلُ : جمع مُخِيلَةٍ - كُصْبِيَّة - هي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر . والجَوْدُ - بفتح الجيم المطر .
- (١٥٦٧) الْمُبْتَسِيسُ : الذي مسَّتهُ البُاسَاءُ والضَّرَاءُ ، والبلاغ : الكفاية .
- (١٥٦٨) السَّوَامُ : جمع سائمة ، وهي البهيمة الراعية من الإبل ونحوها .
- (١٥٦٩) انْبَسَقَ المَزْنُ : انفرج عن المطر كأنما هو حيّ ، انشقت بطنه فتزل ما فيها .
- (١٥٧٠) أَغْدَقَ المَطَرُ : كثر ماؤه .
- (١٥٧١) المَوْنِقُ : من « آتَقَتِي » إذا أعجبتني ، أو من « آتَقَهُ » إذا سرّه وأفرّحه .
- (١٥٧٢) سَحَاً : صَبّاً ، والوابل : الشديد من المطر الضخم القِطَرِ .
- (١٥٧٣) المَرِيْعَةُ - بفتح الميم - الخصية .

- (١٥٧٤) زاكياً : نامياً .
 (١٥٧٥) لأميراً : مُثَمِّراً ، آتياً بالثمر .
 (١٥٧٦) التجاد - جمع النجد - ما ارتفع من الأرض .
 (١٥٧٧) الوهاد - جمع الوهدة - ما انخفض من الأرض .
 (١٥٧٨) الجَنَاب : الناحية .
 (١٥٧٩) القاصية : البعدة عنا من أطراف بلادنا في مقابلة جنابنا .
 (١٥٨٠) ضاحية الماء : التي تشرب ضحىً ، والضواحي : جمعها .
 (١٥٨١) المُرْمِلة : بصيغة الفاعل : الفقيرة .
 (١٥٨٢) مُخْضِلة : من «أخضلته» إذا بَلَتهُ .
 (١٥٨٣) الودق : المطر .
 (١٥٨٤) يحْفِز : يدفع .
 (١٥٨٥) البرق الخلب : ما يُطْمِعُكَ في المطر ولا مطر معه .
 (١٥٨٦) الجَهَام : بفتح الجيم - السحاب الذي لا مطر فيه . والعارض : ما يعْرِضُ في الأفق من السحاب .
 (١٥٨٧) الرَبَاب : السحاب الأبيض . والقرع من الرَبَاب فسره الرضي بالقطع الصغيرة المتفرقة من السحاب .
 (١٥٨٨) الذَّهَاب - بكسر الذال - جمع ذهبة - بكسر الذال أيضاً : الأمطار القليلة أو اللينة ، كما قال الشريف في تفسيرها .
 (١٥٨٩) المُسْتَبُون : المُفْحِطُون .
 (١٥٩٠) وان : متباطيء متاقل .
 (١٥٩١) واهين : ضعيف .
 (١٥٩٢) المُعْدَر : من يعتذر ولا يثبت له عذر .
 (١٥٩٣) الصَّعْدَات - بضمين - جمع صعيد بمعنى الطريق ، أي : لتركتم منازلهم وهيمتم في الطرُق من شدة الخوف .
 (١٥٩٤) الالتئام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة .
 (١٥٩٥) الخالف : من تركه في أهلك ومالك ، إذا خرجت لسفر أو حرب .
 (١٥٩٦) هَمَّتْهُ : حَزَنَتْهُ وشَغَلَتْهُ .
 (١٥٩٧) ميامين - جمع ميمون - مبارك .
 (١٥٩٨) مَرَّاجِج : أي حُلُمَاء ، من «رجح» إذا ثَقُلَ ومال بغيره والمراد الرزاة .
 (١٥٩٩) مَقَاوِيل : جمع مِقْوَال ، من يُحْسِنُ القول .
 (١٦٠٠) مَتَارِيك : جمع مِتْرَاك - المبالغ في الترك .
 (١٦٠١) القُدُم - بضمين - المُضِيّ أمام ، أي سابقين .
 (١٦٠٢) الوَجِيف : ضرب من سير الخيل والإبل . وأَوْجَفَ خيلَه : سيرها بهذا النوع ، والمراد السرعة .
 (١٦٠٣) المَحَجَّة : الطريق المستقيمة .
 (١٦٠٤) «الكرامة الباردة» : من قولهم «عيش بارد» : أي هنيء .
 (١٦٠٥) الدِّيَال : الطويل القَدَّ ، الطويل الدليل ، المتبختر في مشيته .

- (١٦٠٦) كَرُمَ الشيء - كَحَسَنَ - يَحْسُنُ
أَي عَزَّ وَنَفَسَ .
- (١٦٠٧) الجُنُن - بضم ففتح - جمع جُنَّة
بالضم ، وهي الوقاية .
- (١٦٠٨) البأس : الشدة .
- (١٦٠٩) بطانة الرجل : خواصه وأصحاب سره .
- (١٦١٠) سَدَّده : وقفه للسداد .
- (١٦١١) القُدْح - بكسر القاف - السهم
قبل أن يُرَاشَ وَيُنْصَلَ .
- (١٦١٢) الحَقِير : الكنانة توضع فيها السهام .
- (١٦١٣) اسْتَحَارَ : تَرَدَّدَ واضطرب .
- (١٦١٤) الثِّغَال - بكسر التاء - جلد يُبْسَطُ
ويوضع الرِّحَا فوقه فيطحن باليد
ليسقط عليه الدقيق .
- (١٦١٥) حُمَّ : قُدِّرَ .
- (١٦١٦) قَرَبَتْ رَكابِي : حَزَمَتْ لِابِلِي
وأحضرتها للركوب .
- (١٦١٧) شَخَصَتْ : بعدتْ عنكم وتخلبت
عن أمر الخلافة .
- (١٦١٨) الغَنَاء - بالفتح والمد - النفع .
- (١٦١٩) « الهالك » هنا : الذي حُتِمَ هلاكه
لتمكن الفساد من طبعه وجبلته .
- (١٦٢٠) العِدَات - جمع عِدَّة - بمعنى الوعد .
- (١٦٢١) قاصِدة : مستقيمة .
- (١٦٢٢) عازِبُهُ : غائبه .
- (١٦٢٣) عَوِزَ الشيء - كفرح - أي لم يوجد .
- (١٦٢٤) الصَّدِيد : ماء الجرح الرقيق ،
والحميم .
- (١٦٢٥) اللسان الصالح : الذكر الحسن .
- (١٦٢٦) يريد « بالعقدة » ما حصل عليه التعاقد .
- (١٦٢٧) الضِّلَع - بفتح الضاد وتسكين
اللام :- المِثْل . وأصل المثل :
« لا تنقش الشوكة بالشوكة ، فان
ضلعها معها » يُضْرَبُ للرجل يخاصم
آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته
أو أهل مَشْرَبِهِ . ونقش الشوكة :
إخراجها من العضو تدخل فيه .
- (١٦٢٨) الداء الدَّوِي : بفتح فكسر - المولم
الشديد . وقد وُصِفَ بما هو من لفظه .
- (١٦٢٩) كَلَّتْ : ضَعُفَتْ . والنزعة :
جمع نازع .
- (١٦٣٠) الأَشْطَان : جمع شَطَن ، وهو
الحبل . والرَكِي : جمع رَكِيَّة ،
وهي البئر .
- (١٦٣١) اللِّقَاح : جمع لَقُوح ، وهي
الناقة . وَلَلَهَا إلى أولادها :
فَزَعَهَا إليها إذا فَارَقَتْهَا .
- (١٦٣٢) « لا تُبَشِّرُونَ بالأحياء » : إذا
قبل لهم : نجا فلان فبقي حياً لا
يفرحون ، لأن أفضل الحياة عندهم
الموت في سبيل الحق .
- (١٦٣٣) « لا يُعَزِّزُونَ عن الموتى » : لا
يُحْزِنُونَ إذا قيل لهم : مات فلان ،
فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .
- (١٦٣٤) « مَرَّةُ العيون » جمع أَمْرُهُ ،
وهو على صيغة أفعل الذي يجمع
على فَعْلٍ ، كأحمر وحمر ،
مأخوذ من « مَرَمَتْ عَيْنُهُ »
إذا فسدت أو ابيضت حماليقها .

- (١٦٥٤) التَّوَوُّوا : انْعَطَفُوا وَأَمِيلُوا جَانِبَكُمْ
لِتَزَلَّتْ الرِّمَاحُ وَلَا تَنْفُذَ فِيكُمْ
أَسْنَتُهَا .
- (١٦٥٥) أَمُورٌ : أَي أَشَدَّ فَعْلًا لِلْمَوَرِّ ،
وهو الاضطراب الموجب للانزلاق
وعدم النفوذ .
- (١٦٥٦) الذِّمَارُ : بِكْسَرِ الذَّالِ ، مَا يُلْزَمُ
الرَّجُلَ حِفْظُهُ وَحِمَايَتُهُ مِنْ مَالِهِ
وعرضه .
- (١٦٥٧) حَقَائِقُ : جَمْعُ حَاقَّةٍ ، وَهِيَ النَّازِلَةُ
الثَّابِتَةُ .
- (١٦٥٨) يَحْفَوْنَ بِالرَّايَاتِ : أَيِ يَسْتَدِيرُونَ
حَوْلَهَا .
- (١٦٥٩) يَكْتَفُونَهَا : يَحِيطُونَ بِهَا .
- (١٦٦٠) حَفَاقِيهَا : جَانِبَيْهَا .
- (١٦٦١) « أَجْزَأُ أَمْرِي قِرْنَهُ » : فَعْلٌ
مَاضٍ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ ، أَيِ :
فَلْيَكْفِ كُلَّ مَنْكُمُ قِرْنَهُ أَيِ
كَفُوهُ ، فَيَقْتُلَهُ .
- (١٦٦٢) « لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ لِأَخِيهِ » : لَمْ
يَبْرِكْ خَصْمَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَى
أَخِيهِ خَصْمَانِ فَيَغْلِبَا نَهْ ثُمَّ يَنْقَلِبَانِ
عَلَيْهِ فَيَهْلِكَا .
- (١٦٦٣) لَهَامِيمٌ : جَمْعُ لِهْمِيمٍ - بِالْكَسْرِ -
الْجَوَادُ السَّابِقُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْخَيْلِ .
- (١٦٦٤) مَوْجِدَتُهُ : غَضَبُهُ .
- (١٦٦٥) الْعَوَالِي : الرِّمَاحُ .
- (١٦٦٦) تُبْلَى : تُمْتَحَنُ .
- (١٦٦٧) أَبْسَلَتْهُ : أَسْلَمَهُ لِلْهَلَكَةِ .

- (١٦٣٥) خُمُصُ الْبَطُونِ : ضَوَامِرُهَا .
- (١٦٣٦) ذَبُلَتْ شَفْتُهُ : جَفَّتْ وَبَيَّسَتْ
لِذَهَابِ الرِّيقِ .
- (١٦٣٧) يُسَنِّي : يُسَهِّلُ .
- (١٦٣٨) فَاصِدِفُوا : فَأَعْرِضُوا .
- (١٦٣٩) نَزَغَاتُهُ : وَسَاوِسُهُ .
- (١٦٤٠) اعْقِلُوهَا : احْبِسُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
لَا تَتْرَكُوهَا فَتَضِيعَ مِنْكُمْ .
- (١٦٤١) الْمُرَادُ مِنَ الْخَصْلَةِ - بَفَتْحِ الْخَاءِ -
هَنا الْوَسِيلَةُ .
- (١٦٤٢) لَمْ شَعْنَتْهُ : جَمْعُ أَمْرِهِ .
- (١٦٤٣) نَفْدَانِي بِهَا : نَقْصَارِبِي إِلَى مَا بَقِيَ
بَيْنَنَا مِنْ عِلَاقِ الْإِرْتِبَاطِ .
- (١٦٤٤) رِبَاطَةُ الْجَاحِشِ : قُوَّةُ الْقَلْبِ عِنْدَ
لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ .
- (١٦٤٥) الْفَشَلُ : الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ .
- (١٦٤٦) فَلْيَدْفَعْ : فَلْيَدْفَعْ .
- (١٦٤٧) النَّجْدَةُ - بِالْفَتْحِ - الشَّجَاعَةُ .
- (١٦٤٨) كَشِيشُ الضُّبَابِ : هُوَ احْتِكَاكُ
جُلُودِهَا عِنْدَ ازْدِحَامِهَا . وَالضُّبَابُ
بِكَسْرِ الضَّادِ - جَمْعُ ضَبٍّ ، وَهُوَ
الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ .
- (١٦٤٩) تَلَوَّمَ : تَوَقَّفَ وَتَبَاطَأَ .
- (١٦٥٠) الدَّارِعُ : لَا بَسَ الدَّرْعُ .
- (١٦٥١) الْحَامِيسُ : مَنْ لَا دِرْعَ لَهُ .
- (١٦٥٢) أَنْبَى : صَيِّغَةُ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ مِنْ
« نَبَا السَّيْفِ » إِذَا دَفَعَتْهُ الصَّلَابَةُ
مِنْ مَوْقِعِهِ فَلَمْ يَقْطَعْ .
- (١٦٥٣) الْهَامُ : جَمْعُ هَامَةٍ ، وَهِيَ الرَّأْسُ .

- (١٦٦٨) **دِرَاك** - مَكْتَاب - : متابع مُتَوَالٍ في أَلْدَانِهِمْ أَبَوَاباً يَمْرَ فِيهَا النِّسِيم .
- (١٦٦٩) **يُنْدِرُهَا** - : كَيْهْلِكُهَا - : أي يُسْقِطُهَا .
- (١٦٧٠) **الْمَنَاسِر** : جمع مَنَسِير - كَجَلَس - القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم .
- (١٦٧١) **الْكُتَاب** : جمع كُتَيْبَة ، من المثة إلى الإلف .
- (١٦٧٢) **الْحَمَلَاتِب** : جمع حَلْبَة ، الجماعة من الخيل تجتمع من كل صَوْبٍ للنصرة .
- (١٦٧٣) **دَعَقَ الطَّرِيقَ** : - كَنَعَ - وطئه في شدة وقوة . ودَعَقَ الْغَارَةَ : بثها .
- (١٦٧٤) **أَعْنَانُ الشَّيْءِ** : أطرافه .
- (١٦٧٥) **الْمَسَارِب** : المذاهب للرعي .
- (١٦٧٦) **دَقْنَا الْمَصْحَفَ** : جانباه اللذان يَكْنُفَانِهِ .
- (١٦٧٧) **الْأَكْظَام** : جمع كَظَمَ - محركة - مخرج النفس . والأخذ بالأكظام : المضايقة والاشتداد بسلب المهلة .
- (١٦٧٨) **كَرَّهَهُ** - كَنَصَرَهُ وَضَرَبَهُ - : اشتد عليه الغم .
- (١٦٧٩) **مُوزَعَيْن** : من « أَوْزَعَهُ » : أي أغراه ، وأصله بمعنى ألْهَمَ .
- (١٦٨٠) **لَا يَعْدِلُونُ بِهِ** : أي لا يستبدلون به بالعدل .
- (١٦٨١) **نُكِبَ** : جمع ناكب : الحائد عن الطريق .
- (١٦٨٢) « مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ » : أي لستم عروةً وثيقةً يَستَمْسِكُ بِهَا .
- (١٦٨٣) **زَافِرَةُ الرَّجُلِ** : أنصاره وأعوانه .
- (١٦٨٤) **الْحَشَّاشُ** : جمع حَاشٍ ، من « حَشَّ النَّارَ » إذا أوقدها . والمراد : « لبس الموقدون ل نار الحرب أنتم » .
- (١٦٨٥) **بَرَحًا** - بفتح الباء - شرّ أو شدة .
- (١٦٨٦) **يَوْمُ النَّدَاءِ** : يوم الدعوة إلى الحرب .
- (١٦٨٧) **يَوْمُ النَّجَاءِ** : يوم العتاب على التقصير . وأصل النجاء : الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر .
- (١٦٨٨) « لَا أَطُورُ بِهِ » : من « طَارَ يَطُورُ » إذا حام حول الشيء ، أي : لا أُمِرَّ بِهِ وَلَا أَقَارِبُهُ .
- (١٦٨٩) **مَا سَمَرَ سَمِيرٌ** : أي مدى الدهر .
- (١٦٩٠) **أَمٌ** : قصد .
- (١٦٩١) **خَدَيْنٌ** : صديق .
- (١٦٩٢) « ضَرَبَ بِهِ تِهَةً » : سلك به في بادية ضلالته .
- (١٦٩٣) **الشَّيْعَارُ** : علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً .
- (١٦٩٤) **البُجْرُ** : بضم الباء : الشر والأمر العظيم .
- (١٦٩٥) **خَتَلْتَكُمْ** : خدعتكم . والتليس : خلط الأمر وتشبيهاه حتى لا يعرف .
- (١٦٩٦) **الصَّمْدُ** : القصد .

الأضلاع تحت الترائب مما يلي
الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها
على قلب يعيها .

(١٦٩٧) الملاحم : جمع مَلَحْمَة ، وهي
الوقعة العظيمة .

(١٦٩٨) اللَّجَب : الصباح .

(١٦٩٩) اللَّجْم : جمع لجام . وَقَعَفَتَهَا
ما يسمع من صوت اضطرابها
بين أسنان الخيل .

(١٧٠٠) الْحَمْحَمَة : صوت البرذون
عند الشعر .

(١٧٠١) سِكَك : جمع سِكة : الطريق
المستوي .

(١٧٠٢) أجنحة الدور : رواشنها . وقيل :

إن الجناح والروشن يشتركان في

إخراج الحشب من حائط الدار

إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار

آخر يقابله ، وإلا فهو السابط ،

ويختلفان في أن الجناح توضع له

أعمدة من الطريق بخلاف الروشن .

(١٧٠٣) الخراطيم : الميازيب تطل بالقرار .

(١٧٠٤) المتجان المطرقة : النعال التي

ألزق بها الطراق - ككتاب -

وهو جلد يُقَوَّر على مقدار الرس

ثم يلزق به .

(١٧٠٥) السرق :- بالتحريك - شقق الحرير

الأيض .

(١٧٠٦) « يَتَبَقُّونَ الخيل العتاق » :

يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم .

(١٧٠٧) استحرار القتل : اشتداده .

(١٧٠٨) تَضَطَّم : هو افتعال من الضم ،

أي وتنضم عليه جوانحي . والجوانح

رموز الكتاب

لد : للبلد الامين .	ع : لملل الشرائع .	ب : لقرب الاسناد .
لى : لامالى الصدوق .	عا : لدعائم الاسلام .	بشا : لبشارة المصطفى .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .	عد : للمقائد .	تم : لفلاح السائل .
ما : لامالى الطوسي .	عدة : للعدة .	ثو : لثواب الاعمال .
محص : للتحصيل .	عم : لاعلام الورى .	ج : للاحتجاج .
مد : للعدة .	عين : للميون والمحاسن .	جا : لمجالس المفيد .
مص : لمصباح الشريعة .	غر : للفرروالدور .	جش : لفهرست النجاشي .
مصبا : للمصباحين .	غط : لغبية الشيخ .	جع : لجامع الاخبار .
مع : لمعانى الاخبار .	غو : لنوالى اللثالى .	جم : لجمال الاسبوع .
مكا : لمكارم الاخلاق .	ف : لتحف العقول .	جنة : للجنة .
مل : لكامل الزيارة .	فتح : لفتح الابواب .	حة : لفرحة الغرى .
منها : للمنهاج .	فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	ختص : لكتاب الاختصاص .
مهرج : لمهج الدعوات .	فس : لتفسير على بن ابراهيم .	خص : لمنتخب البصائر .
ن : لميون اخبار الرضا (ع) .	فض : لكتاب الروضة .	د : للعدد .
نبه : لتنبيه الخاطر .	ق : للكتاب المتيق الغروى .	سر : للسرائر .
نجم : لكتاب النجوم .	قب : لمناقب ابن شهر آشوب .	سن : للمحاسن .
نص : للكفاية .	قبس : لقبس المصباح .	شا : للارشاد .
نهج : لنهج البلاغة .	قضا : لقضاء الحقوق .	شف : لكشف اليقين .
نى : لغبية النعمانى .	قل : لاقبال الاعمال .	شى : لتفسير المياشى .
هد : للهداية .	قية : للدروع .	ص : لقصص الانبياء .
يب : للتهذيب .	ك : لاكمال الدين .	صا : للاستبصار .
يج : للخرائج .	كا : للكافى .	صبا : لمصباح الزائر .
يد : للتوحيد .	كش : لرجال الكشى .	صح : لمصحفة الرضا (ع) .
ير : لبصائر الدرجات .	كشف : لكشف النعمة .	ضا : لفقه الرضا (ع) .
يف : للطرائف .	كف : لمصباح الكفسمى .	ضوء : لنوره الشهاب .
يل : للفضائل .	كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة مأ .	ضه : لروضة الواغظين .
ين : لكتايب الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .	ل : للخصال .	ط : للمراط المستقيم .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .		طا : لامان الاخطار .
		طب : لطب الائمة .

الفهرس التفصلي لمواد الكتاب
على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد

فهرس العناوين (٧)

المقدمة (٩ - ١٨)

خطب أمير المؤمنين عليه السلام (١٩ - ٤٣١)

- باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ٢١
- ١ - ومن خطبة له عليه السلام: يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج؛ وتحتوي على حمد الله وخلق العالم وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث النبي والقرآن والأحكام الشرعية. وأيضاً شرح فقرات الخطبة. ٥٣-٢١
- بيان الخطبة للعلامة المجلسي قدس سره ٢٣
- شرح قوله عليه السلام «الذي ليس لصفته حد محدود» ٢٣
- كلام ابن أبي الحديد في معنى صفة الله وحقيقتها ٢٣
- كلام ابن ميثم أيضاً في صفات الله ٢٤
- كلام ابن ميثم في نشر الرياح وبسطها ٢٤
- قول العلامة المجلسي رحمه الله في ذكر الوجوه المختلفة التي ذكرت من العلماء في بيان علّة كون الجبال سبباً لسكون الأرض ٢٥
- توضيح قوله عليه السلام «وكمال معرفته التصديق به» وقوله عليه السلام «وكمال توحيده الإخلاص له» مشتملاً على كلام ابن ميثم فيه. ٢٦
- توضيحات أخرى من العلامة المجلسي في هذا الجزء من الخطبة ٢٨-٢٧
- توضيح العلامة المجلسي حول كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كيفية خلق العالم مشتملاً على الاستناد بالآيات القرآنية ٤٣-٣٠
- كلام ابن ميثم في هذا المطلب ٣٤-٣١

- كلام الكيدري في هذا الجزء أيضاً ٣٥
- كلام ابن ميثم في بيان تطابق كلام علي عليه السلام مع القرآن في كيفية تكون الساء ٣٧-٣٦
- قول الكيدري في هذا الموضوع ٣٨
- قول أكثر الشارحين في هذا المطلب ٣٨
- قول الزمخشري في بيان قوله تعالى: «بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ» ٣٩
- بيان العلامة المجلسي في شرح الألفاظ والمصطلحات من فقرة «صفة خلق آدم عليه السلام» من الخطبة ٤٦-٤٤
- بسط مقال لرفع شبهة واشكال في أنّ الملائكة هل تعصم من الذنوب صغيرة وكبيرة أولاً. ٤٩-٤٦
- البيان الآخر في صفة خلق آدم عليه السلام ٤٩
- بيان العلامة المجلسي في اختيار الأنبياء ٥٠
- بيانه أيضاً في كيفية بعثة النبي صلى الله عليه وآله ٥١
- ٢ — و من خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين، وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين ٥٦-٥٣
- توضيح العلامة المجلسي قدس سره في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها ٥٥
- ٣ — ومن خطبة له عليه السلام؛ وهي المعروفة بالشَّقْشَقِيَّة. وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له. ٥٩-٥٦
- بيان مدارك الخطبة ٥٩
- توضيح العلامة المجلسي في ذكره رواية الخطبة وشرح الألفاظ والمصطلحات و بيان الأقوال المختلفة فيها ٨٠-٦٠
- قول الفيروزآبادي في معنى كلمة «الشَّقْشَقَة». ٦٠
- كلام ابن أبي الحديد في رد من قال إنّ الخطبة من تأليفات السيد الرضوي ٦١-٦٠
- كلام ابن ميثم في ذلك أيضاً ٦١
- كلام السيد المرتضى فيه أيضاً ٦١
- شرح الخطبة برواية أقوال مختلفة ٦٢

- ٦٢ شبهة من قاضي القضاة وجوابه من*السيد رضي الله عنه
- ٦٣ شبهة أخرى منه أيضاً وجوابه من السيد رحمه الله
- ٧٠-٦٣ توضيح الفقرات المختلفة من الخطبة ومن خلالها بيان أحوال الخلفاء الثلاث
- ٦٨ نقل قول المفيد رحمه الله
- ٦٩ قول الطبرسي رحمه الله في الخطبة
- بيان الوجوه المختلفة في جملة «فصاحبها كراكب الصعبة إن أشتق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم»
- ٧١-٧٠ بيان صبره عليه السلام على هذا الأمر وتوضيح العلامة في شرح جملاته
- ٧٦-٧٢ عليه السلام في هذا المطلب
- بيان هجوم الناس عليه بقبول أمر الخلافة والحوادث التي وقعت بعده من أمر
- ٨٠-٧٦ الناكثين والقاسطين والمارقين وتوضيح العلامة فيها
- ٤ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير
- ٨١ بيان العلامة المجلسي في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
- ٨٤-٨١ قول الراوندي في الخطبة
- ٨٣
- ٥ — ومن خطبة له عليه السلام: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبوسفیان ابن حرب في أن يبایعاه بالخلافة (وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة. وفيها ينهى عن الفتنة ويبيّن عن خلقه وعلمه).
- ٨٤
- ٦ — ومن كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لها القتال وفيه يبيّن عن صفته بأنّه عليه السلام لا يخدع
- ٨٥
- ٨٥ بيان الخطبة
- ٧ — ومن خطبة له عليه السلام: يذم فيها أتباع الشيطان
- ٨٦-٨٥
- ٨٦ بيان الخطبة

٨ — ومن كلام له عليه السلام: يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في

البيعة ثانية

٨٦

بيان الكلام

٨٧

٩ — ومن كلام له عليه السلام في صفته وصفة خصومه ويقال إنها في أصحاب الجمل

٨٧

بيان الكلام

٨٧

١٠ — ومن خطبة له عليه السلام: يريد الشيطان أويكتي به عن قوم

٨٧

بيان العلامة المجلسي رحمه الله فيه مشتملاً على قول ابن ميثم فيه

٨٨

١١ — ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

٨٨

بيان الخطبة

٨٩

١٢ — ومن كلام له عليه السلام لَمَّا أظفَرَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ. وقد قال له بعض

٩٠-٨٩

أصحابه: وددت أن أخِي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به أعدائك

٩٠

بيان الكلام

١٣ — ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل

٩١-٩٠

١٤ — ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك

٩١

بيان العلامة المجلسي رحمه الله في الخطبتين رقم ١٣ و ١٤، مشتملاً على كلام

٩٢-٩١

ابن ميثم وابن أبي الحديد فيها

١٥ — ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه

٩٣

١٦ — ومن كلام له عليه السلام لَمَّا بُويعَ فِي الْمَدِينَةِ وَفِيهَا يَخْبِرُ النَّاسَ بِعَلَمِهِ بِمَا تَوَلَّى إِلَيْهِ

٩٥-٩٣

أحوالهم وفيما يقسمهم إلى أقسام

٩٥

بيان الكلام

- ١٧ — ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل. ٩٦-٩٥
- نقل العلامة المجلسي رحمه الله الكلام برواية العلماء من العامة والخاصة ٩٨-٩٦
- توضيح العلامة المجلسي في شرح وتفسير ألفاظ الكلام ومصطلحاته ١٠٢-٩٨
- كلام الطبرسي والجزري في الكلام ٩٨
- كلام ابن ميثم في توضيح الكلام ٩٨
- قول المطرزي في الكلام ٩٩
- ١٨ — ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا. وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن ١٠٣-١٠٢
- ١٩ — ومن كلام له عليه السلام: قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب بيان الكلام ١٠٤-١٠٣
- قول ابن ميثم وابن أبي الحديد في الكلام ١٠٥
- ٢٠ — ومن كلام له عليه السلام: وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله ١٠٦
- ٢١ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة ١٠٦
- ٢٢ — ومن خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته. وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويهددهم بالحرب ١٠٧
- بيان الخطبة ١١٧-١٠٨
- كلام ابن أبي الحديد في الخطبة ١٠٨
- كلام ابن ميثم في الخطبة ونقلها بروايته ١٠٩
- توضيح بعض مصطلحات الخطبة ١١٠
- قول الطبري في الخطبة ١١٠
- نقل الخطبة برواية أبو مخنف من ابن أبي الحديد ١١٢
- توضيح ابن أبي الحديد أيضاً في الخطبة برواية خطب مختلفة من علي عليه السلام ١١٥-١١٣
- وفي مناسبات عديدة

- ١١٥ قوله عليه السلام في أمر طلحة والزبير
- ١١٦-١١٥ كلام الأشر في أمرهما أيضاً
- ١١٦ توضيح الخطبة
- ١١٧ البيان الآخر في شرح جزء من الخطبة
- ٢٣ — ومن خطبة له عليه السلام: وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة
- ١١٩-١١٧
- ٢٤ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي كلمة جامعة له، فيها تسويغ قتال المخالف، والدعوة إلى طاعة الله، والترقي فيها لضمان الفوز
- ١١٩ بيان الخطبة
- ١٢٠
- ٢٥ — ومن خطبة له عليه السلام
- ١٢١-١٢٠ بيان الخطبة
- ١٢٣-١٢١
- ٢٦ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له
- ١٢٤-١٢٣
- ١٢٤ بيان الخطبة
- ١٢٥-١٢٤ البيان الثاني في شرح الخطبة
- ١٢٥ البيان الثالث في شرح الخطبة
- ٢٧ — ومن خطبة له عليه السلام: وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزوالأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا. وفيها يذكر فضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته
- ١٢٨-١٢٦ بيان العلامة المجلسي مشتملاً على قول ابن ميثم في الخطبة
- ١٢٩-١٢٨ شرح الخطبة وبيانها ثانية
- ١٣١-١٢٩
- ٢٨ — ومن خطبة له عليه السلام: وهو فصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقلوب من

١٣٣-١٣٢

رحمته» وفيه أحد عشر تنبيهاً

٢٩ — ومن خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج

١٣٤-١٣٣

بعد قضية الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف

١٣٦-١٣٤

بيان الخطبة

١٣٦

كلام ابن ميثم في الخطبة

٣٠ — ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان . وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى

١٣٦

الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه .

١٣٧

بيان الكلام

٣١ — ومن كلام له عليه السلام لما أنفذ عبدالله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل

١٣٧

حرب الجمل

١٣٨

بيان الكلام

١٣٨

قول ابن ميثم في شرح الكلام

٣٢ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة

١٤١-١٣٩

أصناف، ثم يزهّد في الدنيا

١٤٣-١٤١

بيان الخطبة

٣٣ — ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة، وفيها حكمة مبيّنة

١٤٤-١٤٣

الرسول، ثم يذكر فضله ويذم الخارجين

١٤٤

بيان الخطبة

١٤٥

البيان الآخر في شرح الخطبة

١٤٥

قول ابن ميثم في الخطبة

١٤٦

توضيح آخر من العلامة في شرح الخطبة

٣٤ — ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر

- الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد
١٤٧-١٤٨ بيان الخطبة مشتملاً على ذكر بعض الخطب الواردة منه عليه السلام في هذا
الارتباط وشرح معاني الألفاظ والمصطلحات
١٤٨-١٥١
- ٣٥ — ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكيم وفيها حمد الله على
بلائه، ثم بيان سبب البلوى
١٥١-١٥٢ بيان الخطبة
١٥٢ قول ابن ميثم في الخطبة
١٥٣
- ٣٦ — ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان
١٥٤ بيان الخطبة
١٥٤
- ٣٧ — ومن كلام له عليه السلام، يجري مجرى الخطبة. وفيه يذكر فضائله عليه السلام قاله
بعد وقعة النهروان
١٥٥ بيان الكلام
١٥٥
- ٣٨ — ومن كلام له عليه السلام؛ وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها
١٥٦
- ٣٩ — ومن خطبة له عليه السلام: خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية
لعين التمر، وفيها يبدي عذره، ويستنهض الناس لنصرته
١٥٦-٥٧
- ٤٠ — ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم: «لاحكم إلّا الله»
١٥٧ بيان الكلام
١٥٨-١٥٩
- ٤١ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه
١٥٩ بيان الخطبة
١٦٠
- ٤٢ — ومن كلام له عليه السلام: وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا
١٦٠-١٦١

- ٤٣ — ومن كلام له عليه السلام: وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته
١٦١ بيان الكلام مشتملاً على ذكر المكاتبات التي تبودلت بين علي عليه السلام ومعاوية
١٦٣-١٦٢
- ٤٤ — ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما ظاف به بالمال خاس به وهرب إلى الشام
١٦٤-١٦٣ بيان الكلام
١٦٥-١٦٤
- ٤٥ — ومن خطبة له عليه السلام: وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها يحمده الله ويذم الدنيا
١٦٦
- ٤٦ — ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على السير إلى الشام، وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب
١٦٧-١٦٦ بيان الكلام مشتملاً على قول ابن ميثم فيه
١٦٧
- ٤٧ — ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة
١٦٧ بيان الكلام
١٦٧ قول الكيدري في الكلام
١٦٨ البيان الآخر في شرح الكلام
١٦٨
- ٤٨ — ومن خطبة له عليه السلام عند السير إلى الشام
١٦٩ بيان الخطبة مشتملاً على قول ابن ميثم وابن أبي الحديد فيها
١٧١-١٦٩
- ٤٩ — ومن كلام له عليه السلام: وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الالهي
١٧١ بيان الكلام
١٧٢

٥٠ - ومن كلام له عليه السلام: وفيه بيان لما يجزب العالم به من الفتن وبيان هفء الفتن ١٧٢

٥١ - ومن خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة
الفرات بصفين ومنعواهم الماء ١٧٣-١٧٢

٥٢ - ومن خطبة له عليه السلام: وهي في التزهيد في الدنيا، وثواب الله للزاهد، ونعم الله
على الخالق ١٧٤-١٧٣

٥٣ - ومن خطبة له عليه السلام في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية ١٧٤

٥٤ - ومن خطبة له عليه السلام: وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال
أهل الشام ١٧٥
بيان الخطبة ١٧٥

٥٥ - ومن كلام له عليه السلام: وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين
توضيح الكلام ١٧٦

٥٦ - ومن كلام له عليه السلام: يصف أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر
الناس بالصلح ٧٧
توضيح الكلام ٧٨-١٧٧

٥٧ - ومن كلام له عليه السلام في صفة رجل مذموم، ثم في فضله هو عليه السلام ١٧٨
نظر العلامة المجلسي مشتملاً على قول ابن أبي الحديد في مواضع الخطبة ١٨٣-١٧٨
خطبة علي عليه السلام على منبر الكوفة ١٧٩
إشكال في الفرق بين السب والبراءة وجوابه ١٨١-١٧٩
نظر العلامة المجلسي في الإشكال المذكور ١٨٢
نظر الشيخ الشهيد صاحب القواعد في المسألة ١٨٢
نظر الشيخ الطبرسي في المسألة وفي جواز التقية ١٨٣

- ٥٨ — ومن كلام له عليه السلام: كَلَّم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: إن الحكم إلَّا لله
١٨٤-١٨٣
١٨٤ بيان الكلام
- ٥٩ — وقال عليه السلام لَمَّا عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إِنَّ القوم عبروا جسر النهر وان!
١٨٥
١٨٥ بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيه
١٨٥ البيان الآخر في الكلام
- ٦٠ — وقال عليه السلام لَمَّا قتل الخوارج فقيلاً له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم!
١٨٦
١٨٦ بيان الكلام
١٨٦ البيان الآخر في الكلام
- ٦١ — وقال عليه السلام: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي...»
١٨٧
١٨٧ بيان الكلام
- ٦٢ — ومن كلام له عليه السلام لَمَّا خُوف من الغيلة
١٨٧
- ٦٣ — ومن خطبة له عليه السلام: يحذّر من فتنة الدنيا
١٨٨-١٨٧
- ٦٤ — ومن خطبة له عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال
١٨٩-١٨٨
- ٦٥ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها مباحث لطيفة من العلم الالهي
١٩٠-١٨٩
١٩١-١٩٠ بيان الخطبة
- ٦٦ — ومن خطبة له عليه السلام في تعليم الحرب والمقاتلة؛ والمشهور أَنه قاله لأصحابه ليلة الحرير أو أول اللقاء بصفين
١٩١
ايضاح الخطبة من العلامة المجلسي مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيها.

- ويشرح العلامة فيه ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها ١٩٥-١٩٢
- ٦٧ — ومن كلام له عليه السلام بعد وصول أنباء السقيفة إليه ١٩٦-١٩٥
بيان الكلام ١٩٦
- ٦٨ — ومن كلام له عليه السلام لما قُتل محمد بن أبي بكر مصر فلكت عليه وقتل ١٩٦
بيان الكلام ١٩٧
- ٦٩ — ومن كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه ١٩٨-١٩٧
إيضاح الكلام ١٩٨
- ٧٠ — وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ١٩٩
بيان الكلام ١٩٩
- ٧١ — ومن خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق؛ وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر ٢٠٠-١٩٩
يكاد يتم، ثم تكذيبهم له ٢٠١-٢٠٠
توضيح الخطبة
- ٧٢ — ومن خطبة له عليه السلام: علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ٢٠٢-٢٠١
وفيها بيان صفة سبحانه وصفة النبي والدعاء له ٢٠٣
تبين الخطبة
- ٧٣ — ومن كلام له عليه السلام: قاله لمروان بن الحكم بالبصرة ٢٠٤
توضيح الكلام ٢٠٤
توضيح آخر في شرح الكلام ٢٠٥
- ٧٤ — ومن خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعه عثمان ٢٠٥
بيان الخطبة ٢٠٦-٢٠٥

- ٧٥ — ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
٢٠٦
توضيح الكلام
٢٠٦
قول ابن أبي الحديد في شرح الكلام
٢٠٧
- ٧٦ — ومن خطبة له عليه السلام في الحث على العمل الصالح
٢٠٨-٢٠٧
توضيح الخطبة
٢٠٨
- ٧٧ — ومن كلام له عليه السلام وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه
٢٠٩-٢٠٨
بيان الكلام
٢٠٩
أقوال ابن الأثير وابن أبي الحديد وأبي الفرج في شرح الكلام
٢١٠-٢٠٩
- ٧٨ — ومن دعاء له عليه السلام: من كلمات كان، عليه السلام، يدعوبها
٢١٠
- ٧٩ — ومن كلام له عليه السلام: قاله لبعض أصحابه لما عزم على السير إلى الخوارج، وقد
قال له: إن سرت يا أمير المؤمنين، في هذا الوقت، خشيت ألا تظفر بمرادك، من طريق علم
التجوم
٢١١
- بيان الكلام
٢٢١-٢٢١
بحث من العلامة المجلسي في شرح مصطلحات الكلام في ذم النجوم وذكر
الآيات القرآنية فيه وبيان الحد الجائز منه
٢١٣-٢١١
كلام ابن ميثم في سرنهي الحكمة النبوية عن تعلم النجوم وبيان نظرات
الأشاعرة والمعتزلة في المسألة
٢١٤-٢١٣
بيان أن الأحكام النجومية قسمان: جزئية وكلية
٢١٧-٢١٥
نظر العلامة المجلسي مع الإشارة إلى قول ابن أبي الحديد في المسألة
٢١٧
نظر العلامة المجلسي مع الإشارة إلى قول السيد الجليل علي بن طاووس رحمه
الله
٢١٨
قول العلامة المجلسي أيضاً في سند الرواية ومصطلحات الكلام
٢٢١-٢٢١
- ٨٠ — ومن خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء ببيان نقصهن
٢٢١
توضيح الخطبة
٢٢٢-٢٢١

- ٨٠ — ومن كلام له عليه السلام في الزاهد ٢٢٢
- ٨٢ — ومن كلام له عليه السلام في ذم صفة الدنيا ٢٢٣-٢٢٢
- ٨٣ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي الخطبة العجيبة وتسمى «الغراء». وفيها نعت الله جلّ شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الاعراض، ثم فضله عليه السلام في التذكير ٢٣١-٢٢٣
- بيان الخطبة مشتملاً على قول ابن الأثير فيها ٢٣١
- توضيح آخر من العلامة في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها ٢٣٤-٢٣٢
- البيان الآخر في شرح الخطبة ٢٣٤
- ٨٤ — ومن خطبة له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص ٢٣٥
- بيان الخطبة ٢٣٦-٢٣٥
- ٨٥ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها صفات ثمان من صفات الجلال ٢٣٧
- ٨٦ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها بيان صفات الحقّ جلّ جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة ٢٣٩-٢٣٧
- ٨٧ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطي لبعض الناس ٢٤٢-٢٣٩
- بيان الخطبة ٢٤٢
- البيان الثاني في الخطبة ٢٤٣
- البيان الثالث في الخطبة ٢٤٣
- ٨٨ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها بيان للأسباب التي تهلك الناس ٢٤٤-٢٤٣
- بيان الخطبة ٢٤٤
- ٨٩ — ومن خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الامام عنه ٢٤٦-٢٤٥

- ٢٤٦ بيان الخطبة
- ٢٤٧-٢٤٦ البيان الآخر في الخطبة
- ٢٤٨-٢٤٧ ٩٠ — ومن خطبة له عليه السلام: وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته ويختمها بالوعظ
- ٢٤٨ بيان الخطبة
- ٢٥١-٢٤٩ البيان الآخر في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
- ٩١ — ومن خطبة له عليه السلام، تُعرف بخطبة الأشباح، وهي من حلائل خطبه عليه السلام. روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين! صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: ... إلى آخر الخطبة.
- ٢٦٤-٢٥١ سلسلة الرواة من كتاب التوحيد للصدوق
- ٢٦٤ بيان الخطبة
- ٣٠٦-٢٦٤ علة غضب علي عليه السلام من سؤال السائل
- ٢٦٤ بحث في عبارة «لا يفره المنع والجمود، ولا يكديه الإعطاء والجود»
- ٢٦٥ ذكر الوجوه المختلفة في المسألة
- ٢٦٦ توضيحات في شرح بقية الألفاظ والمصطلحات في الجزء الأول من الخطبة
- ٢٦٦-٢٦٧ بحث مفصل حول الآيات القرآنية التي وردت في بيان صفات الله تعالى
- ٢٧٦-٢٦٩ بيان الوجوه المختلفة في تفسير الآية رقم ٧ من سورة آل عمران
- ٢٧٠ توضيحات مفصلة أخرى في شرح مصطلحات هذا الجزء من الخطبة
- ٢٧٦-٢٧١ بحث من العلامة المجلسي في أنّ القول بكون السماوات حيوانات ذوات نفوس باطل. وأيضاً بحث في فرضية بظلميوس وعدم فائدتها في المباحث الإسلامية
- ٢٧٧ بحث في كيفية السماء وحركاتها
- ٢٧٨ بحث في المراد من «آية مبصرة»
- ٢٧٩ توضيح علمي في عبارة «ثم علق في جوفها فلکها»
- ٢٨٠

- ٢٨١ بحث في خلق الملائكة والملكوت
توضيح في عبارة «أولي أجنحة تسبح جلال عزته» المقتبسة من الآية القرآنية
«فاطر: ١»
- ٢٨٢
٢٨٣ توضيح في كيفية عمل الملائكة
٢٨٦ شرح عبارة «قد استفرغتهم أشغال عبادته»
٢٨٩ بحث في صفة الأرض ودحوها على الماء
٢٩٠ قول العلامة المجلسي رحمه الله في المسألة
٢٩٠ اشكال وجوابه
٢٩١ أيضاً نظر العلامة في المسألة
٢٩٢ قول ابن ميثم في خلق الماء قبل الأرض
بحث في عبارة «وسكنت الأرض مدحوة» وبقية اللغات والمصطلحات في
الخطبة
٣٠٥-٢٩٢
٣٠٦-٣٠٥ البيان الآخر في شرح بعض كلمات الخطبة
- ٩٢ — ومن كلام له عليه السلام لما أرادته الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه
تبين الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيه
٣٠٦
٣٠٨-٣٠٦
- ٩٣ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها ينبه أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبين فتنة
بني أمية
٣١٠-٣٠٩
تبين الخطبة مشتملاً على نظرات ابن أبي الحديد فيها وجماليات في ذكر أحوال
بني أمية
٣١٦-٣١١
البيان الآخر في الخطبة
٣١٦
قول العلامة المجلسي رحمه الله في الخطبة
٣١٦
إيضاح الخطبة والأقوال الأخرى فيها وشرح الألفاظ والمصطلحات
٣٢٠-٣١٦
- ٩٤ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم
وأهل بيته ثم يعظ الناس
٣٢٢-٣٢١
بيان الخطبة
٣٢٢

- ٩٥ — ومن خطبة له عليه السلام؛ يقرر فضيلة الرسول الكريم
٣٢٣ بيان الخطبة
٣٢٣
- ٩٦ — ومن خطبة له عليه السلام في الله وفي الرسول الأكرم
٣٢٤ بيان الخطبة
٣٢٥-٣٢٤
- ٩٧ — ومن خطبة له عليه السلام في أصحابه وأصحاب رسول الله
٣٢٧-٣٢٥ بيان الخطبة مشتملاً على قول ابن الأثير فيها
٣٢٩-٣٢٧ البيان الآخر في شرح جزء من الخطبة
٣٣٠
- ٩٨ — ومن كلام له عليه السلام: يشير فيه إلى ظلم بني أمية
٣٣١-٣٣٠ بيان الخطبة مشتملاً على أقوال ابن ميثم وابن أبي الحديد وذكر خطب أخرى
٣٣٣-٣٣١ وردت في هذا الارتباط
- ٩٩ — ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا
٣٣٤-٣٣٣
- ١٠٠ — ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله وأهل بيته
٣٣٥-٣٣٤ توضيح الخطبة مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيها
٣٣٧-٣٣٥
- ١٠١ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم
٣٣٨-٣٣٧ بيان الخطبة
٣٣٨ البيان الآخر في شرح الخطبة
٣٣٩-٣٣٨
- ١٠٢ — ومن خطبة له عليه السلام، تجري هذا المجرى. وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس
٣٤٠-٣٣٩ المقبلة
٣٤٠ بيان الخطبة
٣٤٠ البيان الثاني في الخطبة
٣٤١ البيان الثالث في الخطبة

- قول ابن أبي الحديد في الخطبة
٣٤١
- ١٠٣ — ومن خطبة له عليه السلام في التهديد في الدنيا
٣٤٣-٣٤٢
بيان الخطبة
٣٤٤
- ١٠٤ — ومن خطبة له عليه السلام
٣٤٤
إيضاح الخطبة
٣٤٥-٣٤٤
البيان الآخر في شرح الخطبة
٣٤٦-٣٤٥
- ١٠٥ — ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة
الناس
٣٤٨-٣٤٦
بيان الخطبة
٣٤٨
البيان الآخر في شرح الخطبة
٣٥٠-٣٤٨
- ١٠٦ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم
أصحابه
٣٥٢-٣٥٠
بيان الخطبة
٣٦٩-٣٥٢
نفس الخطبة برواية الكافي مع فروق مختلفة
٣٥٣
ذكر خطبة أخرى أيضاً برواية الكافي
٣٥٤
ذكر بعض خطبه عليه السلام برواية المفيد والطوسي
٣٥٥
توضيح العلامة المجلسي رحمه الله لألفاظ الخطبة ومصطلحاتها مشيراً إلى
اختلاف النسخ في الكتب المختلفة
٣٥٥
توضيح عبارة «وجعله عزاً لمن تولاه»
٣٥٦
بيان عبارة «وبرهاناً لمن تكلم به»
٣٥٧
توضيح مفصل في بيان «الترشيح» من توابع الاستعارة بالكناية
٣٥٧
بيان عبارات «ولباساً لمن تدبر» و «يقيناً لمن عقل»
٣٥٨
توضيح عبارتي «وعبرة لمن انتعظ» و «زلفى لمن اقترب»
٣٥٩
شرح عبارة «وجنة لمن صبر»
٣٦٠

- ٣٦١ بيان عبارة «وغنى لمن قنع»
 ٣٦٢ توضيح عبارة «فهو أبلغ المناهج» وقول الفيروزآبادي فيها
 ٣٦٣ قول ابن الأثير في «يسير المصمار»
 ٣٦٤ توضيح في عبارات «جامع الحلبة»، «سريع السبقة» و «كامل العدة»
 توضيح عبارة «والفقه مصابيح» و «الدنيا مضماره» وأقوال ابن أبي الحديد و
 ابن ميثم فيه
 ٣٦٥ بيان عبارة «فبالإيمان يستدل على الصالحات»
 ٣٦٦ توضيح عبارات «وبالصالحات يعمر الفقه» و «وبالفقه يرهب الموت»
 ٣٦٧ بيان عبارة «وبالقيامة تزلف الجنة»
 ٣٦٨ بيان آخر في شرح الخطبة
 ٣٦٨ بيان ثالث في شرح الخطبة
 ٣٦٩-٣٦٨
- ١٠٧ — ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين
 ٣٧٠-٣٦٩
- ١٠٨ — ومن خطبة له عليه السلام: وهي من خطب الملاحم
 ٣٧٢-٣٧٠
 تبين الخطبة
 ٣٧٨-٣٧٣
 توضيح قوله عليه السلام «القيام على الصلّة» و «أين تذهب بكم» و «فلكلّ
 أجل كتاب»
 ٣٧٥
 توضيح عبارة «وليجمع شمله»
 ٣٧٦
 توضيح قوله عليه السلام «كون الولد غيظاً»
 ٣٧٧
 بيان قوله عليه السلام «أما لبسهم الاسلام لبس الفرو»
 ٣٧٨
- ١٠٩ — ومن خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث
 ٣٨٤-٣٧٨
 السان الأوّل في الخطبة
 ٣٨١
 البيان الثاني في الخطبة
 ٣٨٣
- ١١٠ — ومن خطبة له عليه السلام في أركان الدين
 ٣٨٥-٣٨٤

- ١١١ — ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا
٣٨٨-٣٨٥
- ١١٢ — ومن خطبة له عليه السلام: ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله
٣٨٩-٣٨٨
- ١١٣ — ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا
٣٩٠-٣٨٩
- ١١٤ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها مواعظ للناس
٣٩٣-٣٩٠
- ١١٥ — ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء
٣٩٥-٣٩٣
- بيان العلامة المجلسي رحمه الله في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
٣٩٦-٣٩٥
- ١١٦ — ومن خطبة له عليه السلام: وفيها ينصح أصحابه
٣٩٧-٣٩٦
بيان الخطبة
٣٩٧
كلام ابن أبي الحديد في شرح الخطبة وتفسيرها
٣٩٩-٣٩٧
توضيح الخطبة، وفيه تشرح كلماتها ومصطلحاتها
٤٠٠-٣٩٩
الوجوه المختلفة التي قيلت في قصة الخنفساء من ابن أبي الحديد
٤٠٢-٤٠٠
نظر العلامة المجلسي رحمه الله في الخطبة
٤٠٢
- ١١٧ — ومن كلام له عليه السلام: يوبخ البخلاء بالمال والنفس
٤٠٢
بيان الكلام
٤٠٣
- ١١٨ — ومن كلام له عليه السلام في الصالحين من أصحابه
٤٠٣
بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيه
٤٠٣
- ١١٩ — ومن كلام له عليه السلام: وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً
٤٠٤
بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيه
٤٠٥

- ١٢٠ — ومن كلام له عليه السلام؛ يذكر فضله ويعظ الناس
٤٠٦
٤٠٧-٤٠٦ بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيه
- ١٢١ — ومن خطبة له عليه السلام بعد ليلة الهرير
٤٠٩-٤٠٨
٤١٠-٤٠٩ بيان الخطبة
٤١٢-٤١٠ بيان آخر في شرح الخطبة
٤١٢ قول ابن الأثير والجوهري في الخطبة
- ١١٢ — ومن كلام له عليه السلام، قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على
٤١٤-٤١٣ إنكار الحكومة، فقال عليه السلام... إلى آخر الخطبة.
٤١٤ نقل عن كتاب الاحتجاج
٤١٤ توضيح الكلام
- ١٢٣ — ومن كلام له عليه السلام، قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين
٤١٥
٤١٦-٤١٥ تبين الخطبة مشتملاً على قول ابن أبي الحديد وابن الأثير
- ١٢٤ — ومن كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال
٤١٨-٤١٦
٤١٨ تبين الكلام
- ١٢٥ — ومن كلام له عليه السلام في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكّمين
٤٢٠-٤١٩
٤٢١-٤٢٠ توضيح الكلام
- ١٢٦ — ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء
٤٢٢-٤٢١
٤٢٢ إيضاح الكلام
- ١٢٧ — ومن كلام له عليه السلام: وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة
٤٢٤-٤٢٢ وينقض حكم الحكّمين
٤٢٤ توضيح الكلام

- ٤٢٦-٤٢٥ البيان الآخر في الكلام مشتملاً على قول ابن الأثير فيه
- ١٢٨ — ومن كلام له عليه السلام فيما يجز به عن الملاحم بالبصرة
 ٤٢٩-٤٢٦
 ٤٢٧ البيان الأول في شرح الكلام
 ٤٢٩ توضيح آخر في الكلام
 ٤٢٩ تحقيق في معنى نفي علم الغيب عن الكلبيين
 ٤٣٠-٤٢٩ الوجوه الخمسة التي وردت في آية «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...»
 تذييل من الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المسائل في كيفية علم الأئمة
 ٤٣٠ عليهم السلام
 ٤٣١-٤٣٠ بيان آخر في شرح الكلام
- ★
- ٤٩٥-٤٣٣ فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب
- ٤٩٧ رموز الكتاب
- ٥٢٢-٤٩٩ الفهرس التفصيلي لمواد الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد